نور الابصار

في مناقب آل بيت النبي المختار

صلى الله عليه وسلم

و

إسعاف الراغبين

THANKS TO BROTHER NASIRUDDIN ARIF

نور الأبصار

في

مناقب آل بيت النبي المختار

صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي

من علماء القرن الثالث عشر الهجري

وبهامشه

إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين

للشيخ محمد بن علي الصبان

عليهما الرحمة والرضوان

الطبعة الأخيرة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

للتكريم جناب ناصر الدين عارف

إذا استعرت كتابي وانتفعت به

فاحذر وقيت الردى من أن تغيره

واردده لي سالما إني شغفت به

لولا مخافة كتم العلم لم تره

للمؤلف

ترجمة المؤلف

نسبه : هو السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي نسبة إلى شبلنجا قرية من قرى مصر بينها وبين بنها العسل مسيرة نحو ساعتين بسير الأثقال من الجانب الشرقي ، قال ابن الأثير : بنها بكسر الباء والعامة تفتح باءها : قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم فيها وفي عسلها .

مولده : ولد صاحب الترجمة سنة نيف وخمسين بعد المائتين والألف ، وتربى في حجر والده بالقرية المذكورة وحفظ القرآن بها وهو ابن عشر سنين وقدم الجامع الأزهر لتجويد القرآن العظيم قبل أن يبلغ الحلم سنة ١٢٦٧ .

تلقيه العلم : واشتغل بالعلم على جهابذة الوقت . فحضر دروس الفقه على العلامة الشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى يوم الثلاثاء لثلاث خلت من صفر سنة ١٢٩٨ ، وحضر عليه أيضاً المواهب اللدنية ، وشرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ومختصر البخاري للزبيدي ، وبعض صحيح مسلم ، والشمايل مرتين ، وحكم ابن عطاء الله مرتين ، وفضائل رمضان ، والهمزية ، والبردة ، وبانت سعاد ، وبعض جمع الجوامع . وحضر دروس الفقه أيضاً على العلامة الشيخ محمد الأشموني حفظه الله تعالى ، وحضر عليه أيضاً شرح الهدهدي ، وتفسير الجلالين ، ومغني اللبيب ، وشرح السعد ، وجمع الجوامع ، وبعض المطوّل ، والبردة . وحضر دروس الفقه أيضاً على العلامة الشيخ محمد الانبابي رحمه الله تعالى ، وحضر عليه أيضاً شرح الملوي على السمرقندية ، وشرح ابن عقيل ، وشرح الأشموني في النحو ، ورسالة الشيخ الفضالي في التوحيد ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم لابن حجر . وحضر على السيد عبد الهادي نجا الإبياري رحمه الله تعالى مغني اللبيب ، ومتن الكافي وبعض المطوّل . وحضر على العلامة الشيخ محمد عليش رحمه الله تعالى شرح الأشموني ، وإيساغوجي بالمشهد الحسيني . وحضر على إمام المحققين الشيخ إبراهيم السقاء ، شرح الملوي على السلم . وحضر على العلامة الشيخ أحمد كبوه رحمه الله تعالى ، الجامع الصغير . وحضر أيضاً ابن عقيل على العلامة الشيخ ابراهيم الشرقاوي رحمه الله تعالى . وحضر على الشيخ سيد الشرشيمي الشرقاوي رحمه الله تعالى ، شرحي الشذور ، والقطر . وحضر على العلامة الشيخ إبراهيم السنجلفي رحمه الله تعالى ، شرح القطر أيضا . وحضر على الشيخ محمد المرصفي المدعو بأبي سليمان رحمه الله تعالى شرح الأزهرية . وحضر على الشيخ نصر الهوريني رحمه الله ، شرح الشيخ خالد على الآجرومية . وحضر شرح الكفراوي ، على الشيخ على السنديسي رحمه الله تعالى . وحضر على الشيخ أحمد السنهوري ، شرح الآجرومية أيضاً . وحضر على الشيخ محمد الطوخي رحمه الله تعالى ، متن الآجرومية . وحضر كتبا صغيرة على أشياخ يطول شرحهم ، كالسنوسية وغيرها . وطالع كتبا مع بعض إخوانه من أهل العلم ، كالمنهج ، والأشموني ، ورسالة الصبان البيانية ، ومتن السلم في المنطق ، ومتن الشفاء للقاضي عياض ، ومختصر ابن أبي جمرة وغير ذلك . وطالع كتبا كثيرة أيضاً في التاريخ والأدب . وطالع منن الشعراني وطبقاته ، وطبقات المناوي ، وطبقات ابن السبكي .

تآليفه : واختصر تاريخ الجبرتى فى جزأين صغيرين أخذ فيهما اللب وترك القشر ، وله فتح المنان بتفسير غريب جمل القرآن ، وهو جزء صغير تعرض فيه لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ورواية حفص عن عاصم ورسم بعض الكلمات القرآنية بما أن الوقف تابع للرسم .

شمائله : صفته معتدل القامة نحيف الجسم ، لونه البياض يضرب إلى حمرة ، خفيف العارضين .

خصاله : يميل إلى العزلة ويأنس بنفسه ، ويألف زيارة القبور والمشاهد ، ولا يعظم غنيا لغناه أو لطمع فى جاه ، ولا يحقر فقيرا لفقره بل ربما أجله لخصلة حسنة فيه كعلم وعمل . وفى المعنى للمتنبى :

ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

مكان تدريسه : ولم يزل المترجم له يزاول العلم مطالعة وإملاء بزاوية الأستاذ السيد محمد البكرى ابن أبى الحسن البكرى التى بجوار الجامع الأزهر من ناحية بابه المعروف بباب الشوربة على يسار الطالب للقرافة .

قال الشعرانى رضى الله عنه : كان لسيدى محمد بن أبى الحسن البكرى قدم فى الولاية والعلم مع حداثة سنه ، وكانت الدنيا خادمة له واقتنى الخيل المسومة ، وكنت إذا مرضت أخشى أن يعودنى ، وهل مثلى يسعى له سيدى محمد بن أبى الحسن البكرى ، وكانت له شطحات فى درسه يعنى بها الجن الحاضرين درسه لا يفهمها الحاضرون من الإنس اهـ .

وكان والده أبو الحسن يسأله الشيخ الرملى فى المسائل الفقهية ، سأله مرة : هل الركعتان اللتان قبل الظهر أفضل أم الركعتان اللتان بعده ، فقال له : إذا قلنا بأن التابع يشرف بشرف المتبوع فالركعتان اللتان بعده أفضل . ولأبى الحسن رضى الله عنه تفسير جليل موجود بكتبية السادات الوفائية ، وله شرح على منهاج الشيخ النووى . ولولده سيدى محمد أيضاً مؤلفات جليلة منها كتاب فى التاريخ لم يكن فى كتب التاريخ أحسن منه ، والله أعلم .

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا »

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسبغ علينا جلابيب النعم ، واصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر العرب والعجم ، وفضل آل بيته على المخلوقات ، ورفعهم بفضله وكرمه أعلى الدرجات ، فأحرزوا قصبات سبق سيادة الدنيا والآخرة ، واتصفوا بالكمالات الظاهرة والباطنة والمحاسن الفاخرة ، فهم نور حدقة كل زمان ، ونور حديقة كل عصر وأوان ، المميزون بالفضل عمن سواهم ، الخاذلون لمن أبغضهم وعاداهم ، معادن العلوم والمعارف ، أولو الفصاحة والبلاغة واللطائف ، أحمده سبحانه وتعالى على ترايد آلائه الوافرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لهول الآخرة ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صاحب العلامات ، المبعوث بالآيات الواضحة والبراهين القاطعة المؤيد بالمعجزات ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين من تمسك بهم كان من الفائزين المتمسكين بالسبب المتين .

وبعد : فيقول فقير رحمة ربه المهيمن السيد الشبلنجي الشافعي المدعو بمؤمن : أصاب عيني رمد فوفقني الله الفرد الصمد لزيارة السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور فزرتها وتوسلت بها إلى الله وبجدها الأكبر فى كشف ما أنافيه ، وإزالة ما أكابده وأقاسيه ، ونذرت إن شفانى الله لأجمعن كلمات من كتب السادة الأعلام ، تشتمل على ذكر بعض مناقب أهل بيته صلى الله عليه وسلم الكرام ، فمضى زمن يسير وحصل الشفاء ، فأخذت فى الأسباب وعزمت على الوفاء ، فما كان من نفسى إلا أن حدثتنى بالإحجام ، وثبطتنى ومنعتنى من أن أحوم حول هذا المرام ، قائلة أنت قليل البضاعة ، ولست أهلا لتلك الصناعة ، ولعلمى بأن هذا الأمر ميدان الفرسان ، ومورد الصناديد من الرجال الشجعان ، ضربت عنه صفحا مدة من الزمان ، وصار عندى نسيا منسيا ، متروكا فى زوايا النسيان ، حتى ذكرت ذلك لبعض الإخوان ، أصلح الله لى ولهم الحال والشان ، فحرضنى على الإقدام ، وحملنى على توسيع دائرة الغرض من الكلام فى هذا المقام ، بذكر رؤساء الصحابة الأربعة الخلفاء المهتدين ، والأئمة الأربعة المجتهدين أئمة الدين ، هذا مع أنى رجعت عنه القهقرى ، وذهبت على حالة من يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم تذكرت قول القائل :

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج ... مؤملا جبر مالاقيت من عوج

فان لحقت بهم من بعد ماسبقوا ... فكم لرب الورى فى الناس من فرج

وإن ظللت بقاع الأرض منقطعا ... فما على أعرج فى الناس من حرج

وقول الآخر :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

فرجع عزمى وزال ترددى وكسلى وانتصبت لجمع كتاب تقر به أعين الناظرين ، وتستشرف له أولو الرغبة وتشد إليه رحال الطالبين . وسميته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنار الوجود بأنوار طلعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وخلع عليه من حلل الجلال والجمال ماملأ القلوب وأدهش الأفهام ، وجعله إمام حضرته وعروس مملكته وشرفه على سائر الإنام ، ورفع ببركته قدر المنتمين إليه ومنحهم من واسع فضله سوابغ الإنعام وفرض على أمته مودة أقربائه ومحبة أهل بيته السادة الكرام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحزابه صلاة وسلاما دائمين بدوام الملك العلام ، أما بعد : فيقول راجى الغفران محمد بن على الصبان غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه : قد كنت ألفت فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفضائل أهل بيته مختصراً على الشان ، رفيع المكان ، سميته : [إسعاف أهل الإسلام بما يتعلق بالمصطفى وأهل بيته الكرام] ثم بعد تداول ذلك الكتاب واشتهاره بين جملة الأصحاب دعانى

نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار

ورتبته على أربعة أبواب وخاتمة . الباب الأول : فى ذكر سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم . الباب الثانى : فى ذكر الحسن والحسين وباقى الأئمة الاثنى عشر . الباب الثالث : فى ذكر جماعة من أهل البيت لهم بمصر القاهرة مساجد معمورة ومزارات مشهورة . الباب الرابع : فى ذكر الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب .
الخاتمة : فى ذكر الأربعة الأقطاب أصحاب الأشائر ، وقد التزمت فى هذا الكتاب أن أذكر أسماءهم وكناهم وألقابهم وآباءهم وأمهاتهم ومواليدهم ووفاتهم ومدة أعمارهم وأسماء حجابهم وشعرائهم ونقش خاتمهم ومعاصريهم وغير ذلك كذكر صفاتهم .
والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه بجنات النعيم إنه على مايشاء قدير وبعباده لطيف خبير ، وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون ربنا الملك الوهاب المعبود .

الباب الأول فى ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة

واعلم أنه قد جاء فى فضلهم رضى الله عنهم آيات وأحاديث كثيرة عامة وخاصة ؛ ولنذكر لك نبذة عامة فنقول ونستمد من الله التوفيق لأقوم طريق : عن عكرمة رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : «ونزعنا مافى صدورهم من غل» الآية قال «اذا كان يوم القيامة يؤتى بسرير من ياقوتة حمراء طوله عشرون ميلا فى عشرين ميلا ليس فيه صدع ولاوصل معلق بقدرة الله تعالى فيجلس عليه أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة صفراء على صفة السرير الأول فيجلس عليه عمر رضى الله عنه ، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة خضراء على صفة الأول فيجلس عليه عثمان رضى الله عنه ، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة بيضاء على صفة الأول فيجلس عليه علىّ رضى الله عنه ، ثم يأمر الله الأسرّة أن تطير بهم فتطير بهم الأسرة الى تحت ظل العرش ، ثم تسبل عليهم خيمة من الدرّ الرطب لو جمت السموات السبع والأرضون السبع وكل ماخلق الله تعالى لكانت فى زاوية من زوايا تلك الخيمة ، ثم يرفع اليهم أربع كاسات كأس لأبى بكر وكأس لعمر وكأس لعثمان وكأس لعلىّ رضى الله عنهم أجمعين فيسقون وذلك قوله تعالى : ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، ثم يأمر الله جهنم أن تمخض بأمواجها وتقذف الرافض والكافر على وجهها فيكشف الله عن أبصارهم فينظرون الى منازل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى الجنة فيقولون هؤلاء الذين سعد بهم الناس ونحن شقينا ثم يردون الى جهنم » اه من عمدة التحقيق . وفيه أيضا : ذكر الكسائى فى كتابه قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن نوحا عليه السلام كان كلما صنع فى السفينة شيئا تأكله الأرضة ليلا فشكا إلى الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه اكتب عليها عيونى من خلقى قال يارب وما عيونك من خلقك؟ قال هم أصحاب نبى محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ فكتبهم نوح عليه السلام على جوانبها الأربع فحفظت . قال واذا تأملت ماذكره الكسائى مع قوله تعالى : وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا ، تجد فيه السر الأعظم والفضل الذى تقصر دونه الغايات اه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخبرنى جبريل قال يامحمد لما خلق الله آدم وأدخل الروح فى صدره أمرنى أن أخرج تفاحة من جنات عدن فأخرجتها وعصرتها فى حلق آدم خمس

حب الإكثار من نظم اللآلئ المحمدية وشغف الزيادة من قطف الأزهار النبوية أن أؤلف فى هذا الشأن كتابا آخر أطنب من الأول وأوسع وأشفى لغليل الطالب وأجمع فألفت هذا الكتاب الجليل القدار الشافى لقلوب ذوى الاستبصار العالى عن أن يسبق بمثال ، الخالى عن وصمة الاخلال والاملال . وسميته : [إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين] ورتبته كالكتاب الأول على ثلاثة أبواب : الباب الأوّل فى سيرته صلى الله عليه وسلم . الباب الثانى فى فضل أهل البيت ومزاياهم على العموم أو خصوص اثنين منهم فأكثر . الباب الثالث فيما يتعلق بجماعة من أعيان أهل البيت الذين دفنوا بمصر كنت سئلت فى الكلام عليهم ؛ وهم السيد الحسين وأختاه السيدة زينب والسيدة رقية وبنته السيدة سكينة والسيدة نفيسة وأبوها السيد حسن وعمها السيد محمد الأنور والسيد على زين العابدين وابنه السيد زيد ابن على وابنه السيد محمد والسيد إبراهيم بن زيد والسيدة عائشة بنت جعفر الصادق وأخوها السيد القاسم بن جعفر وبنته السيدة أم كلثوم بنت القاسم والإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس

نقط

نقط، فالنقطة الأولى خلقك منها والثانية أبوبكر، والثالثة عمر، والرابعة عثمان، والخامسة عليّ وهو قوله تعالى « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ، فالبشر والنسب والصهر أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين » وفي تفسير الخطيب يروى عن أبيّ بن كعب أنه قال : « قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ماتفسيرها يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار إن الانسان لفي خسر أبو جهل الا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر عليّ » وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه اه . أخرج ابن عساكر عن عليّ رضي عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبابكر زوّجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا ، رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة ، رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار » . وأخرج الطبراني عن سهل قال : « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إني راض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأوّلين فاعرفوا لهم ذلك » وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت الجنة فبينما أنا أطوف في رياضها وبين أنهارها وأشجارها إذ ضربت بيدي الى ثمرة فأخذتها فانفلقت في يدي على أربع قطع فخرج من كل قطعة حوراء لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات والأرض، ولو أخرجت كفها لغلب ضوءها ضوء الشمس والقمر ، ولو تبسمت لملأت مابين السماء والأرض مسكا من رائحتها فقلت للأولى لمن أنت ؟ قالت لأبي بكر الصديق فقلت امضي الى قصر بعلك فمضت ، وقلت للثانية لمن أنت ؟ فقالت لعمر بن الخطاب فقلت امضي الى قصر بعلك فمضت ، وقلت للثالثة لمن أنت ؟ قالت للمختضب بدمه المقتول ظلما عثمان بن عفان فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت ، وقلت للرابعة لمن أنت ؟ فسكتت ثم قالت والله يارسول الله إن الله تعالى خلقني على حسن فاطمة ولقد سماني على اسمها وإن الله تعالى زوّجني من عليّ بن أبي طالب قبل أن يتزوج فاطمة بألف عام » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه « يا أبا بكر خلقني الله عز وجل من جوهرة من نور فنظر إلها الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه فأوقفني بين يديه فاستحييت منه فعرقت فسقط مني أربع نقط فخلقك يا أبا بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية وخلق عثمان من الثالثة وخلق عليا من الرابعة فنورك يا أبا بكر ونور عمر وعثمان وعلى من نوري » اه من الروض الفائق . وفي بحر العلوم عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما خلق الله آدم ظهر في ظهره نور محمد صلى الله عليه وسلم فكانت الملائكة تقف خلفه ينظرون إلى ذلك النور فقال آدم يارب ما لهؤلاء ينظرون من خلفي الى ظهري ؟ قال ينظرون الى نور محمد خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك ، قال يارب اجعل نوره بحيث أراه فظهر في سبابته فقال يارب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء ؟ قال نعم نور أصحابه ، قال يارب اجعله في بقية أصابعي فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الابهام وكان آدم ينظر تلك الأنوار تتلألأ في خلال أصابع يمينه إلى أن أكل من الشجرة وعوتب بذلك فنقل ذلك كله الى ظهره اه . وعن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك « اللهم إنك باركت لأمتي في صحابتي فلاتسلبهم البركة واجمعهم عليه -يعني أبا بكر- ولا تشتت أمره فانه لم يزل يؤثر أمرك على أمره . اللهم وأعز عمر وصبر عثمان وقوّ عليا وثبت

الشافعي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، ولا عبرة بالاختلاف في دفن بعضهم فيها لثبوته عند أرباب البصائر كما ستعرفه ، ولقد قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في مننه : مما منّ الله تعالى به عليّ زيارة أهل البيت الذين دفنوا بمصر : أي رؤوسهم فأزورهم في السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أر أحدا من أقراني يعتني بذلك إما لجهلهم بمقابرهم وإما لدعوى عدم ثبوت دفنهم في مصر وهذا جمود منهم فان الظن يكفينا في مثل ذلك اه . وقدمت على ذكر مايتعلق بهؤلاء جملة تتعلق بخصوص أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وجملة تتعلق بخصوص زوجته السيدة فاطمة الزهراء وجملة تتعلق بخصوص ولدهما أبي محمد الحسن . وأوسعت في الباب الثاني الكلام على الإمام المهدي المنتظر . واستطردت في الثالث الكلام على السيد محمد الباقر وابنه السيد جعفر الصادق وابنه السيد موسى الكاظم ، رضي الله تعالى عن الجميع وأماتنا على حبهم وحشرنا في زمرتهم بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿الباب الأول : في سيرته صلى الله عليه وسلم﴾ هو صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

الزبير بن العوام واغفر لطلحة وسلم سعدا ووفق عبدالرحمن وألحق بي بالسابقين الأولين والأنصار والتابعين باحسان» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين فاختار من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا» . وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فمن أبغض واحدا منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا ويحشره من قبره الى النار» وفي المعنى قيل:

من أحسن الظن في الله الكريم وفي رسوله كان مكتوبا من الشرفا
ومن أحب صحاب المصطفى فله جنات عدن يرى في ظلها غرفا
ومن يكن باغضا فيهم فان له نار الجحيم ويضحى باكيا أسفا
فهم نجوم الهدى في كل مظلمة والله حسبي فيما قلته وكفى

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن لحوضي أربعة أركان ركن منه في يد أبي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد على ، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ، ومن أحب عمر وأبغض أبابكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ، ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ، ومن أحسن القول في عليّ فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن ، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق». وفي المعنى قيل :

هم صحابة خير الخلق أيدهم رب السماء بتوفيق وإيثار
فحبهم واجب يشفي السقيم به فمن أحبهم ينجو من النار

وروى أبو ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أدخل السرور على أصحابي فقد أدخل السرور عليّ ، ومن أدخل السرور عليّ فقد سر الله ، ومن سر الله كان حقا على الله أن يسره ويدخله الجنة» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ» وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بالمواسي بماله مرحبا بالمؤثر على نفسه ، ثم أقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال مرحبا بالمفرق بين الحق والباطل مرحبا بمن أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين ، ثم أقبل عثمان رضى الله عنه فقال مرحبا بصهري وزوج ابنتي الذي جمع الله به نوري السعيد في حياته الشهيد في مماته وويل لقاتله من النار ، ثم أقبل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال مرحبا بأخي وابن عمي والذي خلقت أنا وهو من نور واحد ، معاشر المسلمين هؤلاء لا يتفق حبهم إلا في قلب مؤمن ولا يتفرق إلا في قلب منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » .

[لطيفتان : الأولى] قيل إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كانا في بعض أشغال النبي صلى الله عليه وسلم فأدركتهما صلاة العصر ، فقال عمر بن الخطاب لعثمان تقدم فصل بنا فقال عثمان أنت أولى مني بالتقدم ياعمر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمك وأثني عليك فقال عمر أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الرجل عثمان صهري وزوج ابنتي ومن جمع الله به نوري» فقال عثمان أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله

صلى

ابن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معدّ بن عدنان؛ وفيما فوق ذلك خلاف كثير وكره الإمام مالك رفع النسب إلى آدم . (وأمه) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور واسم عبدالمطلب شيبة الحمد قيل لأنه ولد وفي رأسه شيبة مع رجاء حمد الناس له وإنما قيل له عبد المطلب قيل لأن عمه المطلب لما جاء به من عند أخواله بني النجار بالمدينة صغيرا أردفه خلفه وكان بثياب رثة فصار كل من يسأله عنه يقول له عبدي حياء من أن يقول ابن أخي واسم هاشم عمرو والعلاء لعلوّ مرتبته ولقب بهاشم لهشمه الثريد للناس في مجاعة أصابتهم واسم عبد مناف المغيرة ومناف أصله مناة اسم صنم كان أعظم أصنامهم وكانت أمه جعلته خادما لذلك الصنم واسم قصي زيد وقيل يزيد ولقب بقصي لأنه قصي أي بعد عن عشيرته واسم كلاب حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وكان أكثر صيده بالكلاب ولؤي بالهمزة أكثر من عدمها وفهر مجمع قريش عند الأكثر، فمن كان من ولده فقرشي

صلى الله عليه وسلم يقول «عمر أكمل الله به الاسلام» فقال عمر أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «عثمان تستحى منه الملائكة» فقال عثمان أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «عمر أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين» فقال عمر أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن» فقال عثمان أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام» فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك «غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة» فقال عثمان أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب» وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض [اللطيفة الثانية] روى أبو هريرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه قدما يوما إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على لأبى بكر تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألح عليه فقال أبو بكر تقدم أنت يا على فقال على رضى الله عنه ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه «ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق» فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أنا بالذى يتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت خير النساء لخير الرجال» فقال على أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينظر إلى صدر إبراهيم الخليل فلينظر إلى صدر أبى بكر الصديق» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينظر إلى آدم وإلى يوسف وحسنه وإلى موسى وصلاته وإلى عيسى وزهده وإلى محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه فلينظر إلى على» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اجتمع العالم فى عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الحق عزوجل يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوك الجنة» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وخيبر وقد أهدى اليه تمر ولبن «هذه هدية من الطالب الغالب إلى على بن أبى طالب» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنت يا أبا بكر عينى» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجىء على على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد يا محمد كان لك فى الدنيا والد حسن وأخ حسن أما الوالد الحسن فأبوك إبراهيم الخليل وأما الأخ فعلى بن أبى طالب رضى الله عنه» فقال على أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم القيامة يجىء رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول يا أبا بكر الرب جل جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار ابعث من شئت إلى الجنة وابعث من شئت إلى النار» فقال أبو بكر أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن جبريل عليه السلام أتانى فقال لى يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحب عليا فسجدت شكرا وأحب فاطمة فسجدت شكرا وأحب حسنا وحسينا فسجدت شكرا» **فقال على رضى الله عنه** أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لو وزن إيمان أبى بكر** بإيمان أهل

ومن لا فلا وقهر اسمه ولقبه قريش لأنه كان يقرش أى يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها وقيل بالعكس ، واسم النضر قيس ولقب بالنضر لنضارته وحسنه ، واسم مدركة عمرو ولقب بمدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كانا فى آبائه وإلياس بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة وقيل همزة وصل ونسب للجمهور وقيل سمى بذلك لأنه ولد بعد كبر سن أبيه . (ولد صلى الله عليه وسلم) على الصحيح بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل قيل فى يوم الفيل وقيل قبله وقيل بعده ونزل على يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف فهى قابلته رافعا بصره إلى السماء واضعا يديه بالأرض وفى ذلك من الإشارات مالا يخفى؛ مكحولا نظيفا مسرورا أى مقطوع السر بضم السين وهو ما تقطعه القابلة من السرة مختونا أى على صورة المختون وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون مختونا ختانا غير تام كما هو الغالب فى المولود مختونا فتمم جده ختانه وقيل ختنه جبريل يوم شق قلبه عند مرضعته حليمة . وروى أنه تكلم حين خروجه من بطن أمه فقال جلال

الأرض لرجع عليهم » فقال أبو بكر رضي الله عنه لاأتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن عليا يجيء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن فيقول أهل القيامة أيّ نبي هذا فينادي مناد هذا حبيب الله هذا علي بن أبي طالب» فقال علي رضي الله عنه أنا لاأتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « غدا يسمع أهل الحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر » فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا لاأتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين قصري وقصر إبراهيم الخليل قصر على ابن أبي طالب » فقال علي رضي الله عنه أنا لاأتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل السموات من الكروبيين الروحانيين والملأ الأعلى لينظرون في كل يوم إلى أبي بكر الصديق » فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا لاأتقدم على رجل قال الله في حقه وحق أهل بيته « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » فقال علي رضي الله عنه أنا لاأتقدم على رجل قال الله في حقه «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون» فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين من عند رب العالمين وقال يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : إن ملائكة السبع سموات لينظرون في هذه الساعة إلى أبي بكر الصديق وإلى علي بن أبي طالب ويسمعون ماجرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض فقم اليهما وكن ثالثهما فإن الله قد حفهما بالرحمة والرضوان وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهما فوجدهما كما ذكر له جبريل فقبل النبي صلى الله عليه وسلم وجه كل واحد منهما وقال « وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مدادا والأشجار أقلاما وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما» أورده صاحب الروض الفائق وأنشد :

من ذا يطيق بأن يحصي الثناء على … محمد وعلى الصدّيق صاحبه

وقد رقي عمر الفاروق منزلة … وحاز عزا وفخرا في مراتبه

وحاز عثمان فضلا بالنبي وقد … أثنت جميع البرايا عن مناقبه

وذو الفقار عليّ المرتضى فله … بحر من العلم يبدو من عجائبه

فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا … ضاقت عليه أمور في مذاهبه

عليهم صلوات الله مالمعت … في الليل أنوار برق في غياهبه

وفي حياة الحيوان : سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه أهل الكهف فقال الله تعالى إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام كيف أبعث اليهم؟ قال ابسط كساءك وأجلس على كل طرف من أطرافه واحدا على الأوّل أبا بكر رضي الله عنه وعلى الثاني عمر رضي الله عنه وعلى الثالث عليا وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام فإن الله عز وجل أمرها أن تطيعك ففعل النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر به فحملتهم الريح وانطلقت إلى باب الكهف فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجرا فقام الكلب ينبح عليهم حين أبصر القوم وحمل عليهم ، فلما دنا منهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم فقالوا وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما

ربي الرفيع ، وقيل قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويمكن الجمع ورأت أمه حين وضعته نورا خرج منها أضاءت له قصور بصرى ولم تجد في حملها بهماتجده النساء من المشقة وإنما عرفت حملها به بإخبار ملك أتاها بين النوم واليقظة بأنها حملت بسيد هذه الأمة ونبيها مع ارتفاع حيضتها وانتقال النور الذي كان في وجه عبدالله والده إلى وجهها . وحصلت ليلة مولده إرهاصات كثيرة : منها خمود نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وارتجاج إيوان كسرى حتى انشق وسقطت أربع عشرة شرافة ، وغيض بحيرة ساوة وتنكس جميع الأصنام وكذا تنكست عند الحمل به ومات أبوه عبدالله وأمه حامل به على الصحيح الذي عليه أكثر العلماء ولهذا كان المسمى له بمحمد والعاق عنه بشاة يوم سابع ولادته جده عبدالمطلب . وأرضعته من النساء ثمان وقيل أكثر أولهن أمه ثم ثويبة جارية عمه أبي لهب وأعتقها حين بشرته بولادته عليه الصلاة والسلام وأكثرهن إرضاعا له حليمة السعدية ورأت منه الخير والبركة كثرة لبن ثدييها بعد قلته وشربه من الثدي الأيمن فقط وتركه الأيسر لأخيه من

بلغتم ثم جلسوا يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دينه الإسلام وقالوا بلغوا محمدا منا السلام ثم أخذوا مضاجعهم وعادوا إلى رقدتهم اه . ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال «رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على أبى بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيا وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة» [عجيبة ذكرها غير واحد] روى إمامنا محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه قال رأيت بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ماالذى أخرجك عن دين آبائك ؟ فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذاك ؟ قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الأمواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بأمره ؟ فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحوش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل وإذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول : لاإله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فاتح الأمصار عثمان القتيل فى الدار علىّ سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار ، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر فلما طلع الفجر قالت : لاإله إلا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق للتسديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضل الشهيد على بن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الملك المجيد ، ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح ياهذا قف وإلا تهلك فوقفت فقالت مادينك ؟ فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع إلى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لاينجو منهم إلا من كان مسلما فقلت وكيف الإسلام ؟ فقالت تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها فقالت أتمم إسلامك بالترضى على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، فقلت ومن أتاكم بذلك ؟ قالت قوم مناحضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول «إذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق فصيح : إلهى قد وعدتنى أن تشيد أركانى فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ وزينتك بالحسن والحسين» ثم قالت الدابة أتريد المقام هاهنا أم الرجوع إلى أهلك ؟ فقلت الرجوع إلى أهلى فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجرى فأومأت إليهم فدفعوا إلىّ زورقا فنزلت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا ما الذى جاء بك إلى هاهنا فقصصت عليهم قصتى فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعليك ياأخى بمحبة رسول رب العالمين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ؛ ولتكن محبتك لأصحابه صلى الله عليه وسلم على وجه صادق ولايضر التفاوت إن كان سببه مابلغك من تفاوت مراتبهم التى ظهرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الشيخ الشعرانى فى مننه : سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لايكفى فى محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحبهم المحبة العادية إنما الواجب علينا أنا لو كنا نعذب من جهتهم بمحبتنا لهم لانرجع عن محبتهم كما لانرجع عن ايماننا بالتعذيب كما وقع لبلال وصهيب وعمار وكما وقع للامام أحمد بن حنبل فى مسئلة خلق القرآن ، فمن لايحتمل فى حب الصحابة مثل ماحمل هؤلاء فمحبته مدخولة اه ثم قال فتأمل ياأخى فى نفسك فربما تكون محبتك مجازية لاحقيقية لتجنى ثمرتها يوم القيامة . قال

الرضاع وسبق أتاها حين رجعت به علها بعد أن كانت مسبوقة وغزارة لبن غنمها بعد عدمه وفطمته حين مضى سنتان وهو يشب شبا لايشبه الغلمان فذهبت به إلى أمه بمكة وهى حريصة على رجوعها به واستأذنت أمه فى رجوعها به ورجعت به فلما كان ابن أربع سنين أتاه وهو مع أخيه من الرضاع ملكان قيل هما جبريل وميكائيل فشقا صدره واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء وأخبراه بأنها حظ الشيطان منه أى محل مايلقيه من الأمور التى لاتنبغى وغسلاه بالثلج فأخبر أخوه أمه وأباه بذلك فأتيا إليه فوجداه منتقعا وجهه فسألاه فأخبرهما فخافا عليه فرداه إلى أمه ، والأكثر على إسلام حليمة وصرح بعضهم بإسلام زوجها وبنيها أيضا وبعضهم بإسلام ثويبة ، ثم خرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بنى النجار أى أخوال جده عبد المطلب فمرضت وهى راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء وعمره ست سنين على ماقاله ابن إسحاق فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التى ورثها من أبيه وحملته إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى تمام ثمان سنين فتمرض للموت فأوصى به إلى عمه أبى طالب

الشيخ الشعرانى فى منته أيضا : ومما أنعم الله به علىّ رؤيتى أولاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين التى كنت أرى بها والدهم لو أدركته حتى كأنى بحمد الله تعالى صحبت جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفاوت حياتهم مع تفاوت مراتبهم التى ظهرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون مايقع فى نفوسنا نحن من التعظيم فربما أدخل علينا العصبية فى محبتنا بخلاف من كان محبته للصحابة تبعا لما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يكون سالما من العصبية فى عقيدته [وحكى] عن المحب الطبرى مفتى الحرمين أن الشريف أبانمى قال له بأىّ طريق قدمتم أبا بكر على علىّ مع غزارة علمه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ياسيدى إننا لم نقدم أبا بكر برأينا وما لنا فى ذلك أمر وإنما جدك صلى الله عليه وسلم قال «سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر» وقال صلى الله عليه وسلم «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الصحابة من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينناً رضيناه لدنيانا فقال الشريف أبو نمى نعم فعمر فقال المحب الطبرى وأما عمر فان أبا بكر عند موته اختاره للمسلمين ، قال الشريف نعم فعثمان فقال المحب الطبرى إن عمر جعل الأمر شورى بين من توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فقدموا عثمان فقال الشريف فمعاوية فقال المحب الطبرى هو مجتهد كما أن عليا كان مجتهدا فقال الشريف فمع من تقاتل لو كنت أدركتهما ؟ فقال مع على رضى الله عنه فقال الشريف لجزاك الله عنا خيرا قال الشعرانى فانظر ياأخى هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذى لايخرج عن التبعية فى شىء فعلم أن الواجب علينا أن نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحب أولادهم كذلك لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لابحكم الطبع ونقدم أولاد فاطمة على أولاد أبى بكر الصديق كما كان أبو بكر يقدمهم على أولاده عملا بحديث « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من أهله وولده والناس أجمعين» وقيل مرة للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لم قدموا عليك أبا بكر وعمر ؟ فقال إن الله هو الذى قدمهما علىّ لقوله تعالى «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار» وقد ركن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وعمر وتزوج ابنتيهما ولو كانا ظالمين لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيهما ولاركن اليهما . وقد ذكر الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه فى كتابه المسمى بالوحيد فى علم التوحيد أنه كان له صاحب من أكابر العلماء فمات فرآه بعد موته فسأله عن دين الاسلام فتلكأ فى الجواب قال فقلت له أما هو حق ؟ فقال نعم هو حق فنظرت إلى وجهه فإذا هو أسود كالزفت وكان فى حياته رجلا أبيض فقلت له ما الذى سوّد وجهك كما أرى ان كان دين الاسلام حقا ؟ فقال بخفض صوت كنت أقدم بعض الصحابة على بعض بالهوى والعصبية قال وكان هذا العالم من بلد تنسب إلى الرفض اه . وبلغنا أن معاوية رضى الله عنه قال يوما لواحد من جلسائه أيكم يأتينى بالزرقاء الكنانية فأتوه بها فقال لها تذكرين ركوبك الجمل الأحمر مع علىّ ؟ فقالت نعم أذكر ذلك قال لقد شاركتيه فى سفك الدماء فقالت بشرك الله بخير مثلك من يحدث جليسه بمايسره ، فقال أوقد سرك ذلك فقالت نعم؟ فقال والله لوفاؤكم بحقه بعد مماته أعجب إلى من وفائكم بحقه فى حال حياته اه [وحكى] المحب الطبرى رحمه الله تعالى أن جماعة من الروافض أتوا إلى خادم قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جزيل ليوصله إلى ناظر الحرم ويمكنهم من نقل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقبل الناظر ذلك سرا وبقى الخادم فى تشويش عظيم ومابقى إلا أن الليل يدخل ويأتون بالمساحى والزنابيل ويحفرون عليهما وكانوا أربعين

رجلا

لفخامته وكونه شقيق أبيه فافتخر بشرف كفالته وتربيته وكان يرى منه الخير والبركة: كشبع عياله إذا أكل صلى الله عليه وسلم معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل معهم ونزول المطر الغزير حين استسق به لقحط أصاب أهل مكة وسافر به إلى الشام فلما نزل الركب بصرى رآه صلى الله عليه وسلم راهب بها يقال له بحيرا وهو فى صومعة له وكان قد انتهى إليه علم النصرانية فعرف منه صلى الله عليه وسلم علامات النبوة فصنع للقوم طعاما كثيرا لأجله صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما كانوا يمرون فلا يكلمهم ولايعرض لهم ثم قال لعمه ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فلما فرغ أبو طالب من تجارته رجع به مسرعا إلى مكة وكان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتى عشرة سنة على أحد الأقوال وفى السنة السابعة من ولادته صلى الله عليه وسلم أصابه رمد شديد وفيها استسقى جده عبد المطلب وهو صلى الله عليه وسلم معه وفى الثالثة عشرة سافر عماه الزبير والعباس ابنا عبد المطلب إلى اليمن للتجارة وصحبهما صلى الله عليه وسلم ولما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين سنة وهو يدعى فى مكة بالأمين سافر الشام مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد

رجلا قال المحب الطبرى فأخبرنى الخادم أنهم لما دخلوا المسجد فى الليل خسف الله بهم الأرض أجمعين فلم يطلع منهم أحد إلى يوم تاريخه وطلع الجذام فى ناظر الحرم حتى تقطعت أعضاؤه ومات على أسوإ حال قال ثم إن جماعة من الروافض الذين كانوا أرسلوا الأربعين رجلا بلغهم خبر الخسف فأتوا المدينة متنكرين وعملوا الحيلة على الخادم وأدخلوه دارا لاساكن فيها وقطعوا لسانه ومثلوا به فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه وعلى فمه فأصبح وليس به ضرر ثم عملوا عليه الحيلة ثانى مرة وقطعوا لسانه وضربوه ضربا شديدا فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فأصبح ومابه ضرر فعملوا عليه الحيلة ثالثا وضربوه وقطعوا لسانه وأغلقوا عليه الباب فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فأصبح ومابه ضرر اه . قال الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله عنه وكذلك بلغنا أن رجلا كان يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وتنهاه زوجته وولده عن ذلك فلم يرجع فمسخه الله تعالى خنزيرا فى عنقه سلسلة عظيمة وصار ولده يدخل الناس عليه ينظرونه ثم مات بعد أيام فرماه ولده فى مزبلة قال الشيخ عبد الغفار ورأيته أنا بعينى حال حياته وهو يصرخ صراخ الخنازير ويبكى ، ثم أخبرنى الشيخ محب الدين الطبرى أن شخصاً ذكر له أنه اجتمع بولد هذا الرجل وذكر له القصة وأنه كان يضربه ويقول له سب أبا بكر وعمر فلم يفعل اه من المنن . فإن قلت : ذكرت أبا بكر وعمر وعثمان فى هذا الكتاب وليسوا من أهل البيت . قلت : ذكرتهم تيمنا ببركتهم وتتميما للفائدة وأيضا هم من أقاربه صلى الله عليه وسلم كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فى ترجمة كل واحد منهم فى الكلام على نسبه ، وفى هذا القدر كفاية ، والله ولى التوفيق والهداية .

﴿فصل: فى ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم ومولده ومرضعاته وما يتصل بذلك﴾

من المعلوم أن الكلام على مايتعلق بسيرته صلى الله عليه وسلم قد أفرد بالتآليف التى لاتكاد تدخل تحت الحصر والغرض هاهنا ذكر طرف مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم فى هذه العجالة على سبيل الإيجاز تبركا به صلى الله عليه وسلم . إذا علمت هذا فنقول : هو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور فى نسبه صلى الله عليه وسلم وهو الجد الخامس له صلى الله عليه وسلم .

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا
ما فيه إلا سيد من سيد حاز المكارم والتقى والجودا

وولد صلى الله عليه وسلم بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل . وفى المواهب اللدنية وقيل ولد ليلا ؛ فعن عائشة كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا لانعلمه قال انظروا يامعشر قريش وأحصوا ماأقول لكم ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس انتهى؛ والقول الأول مروى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص (واختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم) فقيل ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج وقيل بالشعب وقيل بالردم وقيل بعسفان كذا فى المواهب اللدنية ونزل على يد الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف رافعا بصره إلى السماء واضعا يديه على الأرض وفيه من الإشارة ما لايخفى مكحولا نظيفا مسرورا أى مقطوع السر وهو ماتقطعه

ابن أسد بن عبد العزى ابن قصى فى تجارة لها ولته عليها وقالت لميسرة لاتعص له أمرا ولاتخالف له رأيا فربحت ضعف ما كانت تربح ورأى ميسرة منه صلى الله عليه وسلم من الصفات الحميدة ما لايحصى وكان يرى ملكين يظلانه وقت الحر وأخبره راهب يسمى نسطورا بأنه نبى هذه الأمة فلما قدموا مكة ورأت خديجة إظلال الملكين وأخبرها ميسرة بما رأى وما سمع أضعفت له صلى الله عليه وسلم ما كانت سمت له وخطبته فتزوج بها وهو ابن خمس وعشرين سنة ونحو شهرين على أحد الأقوال وهى بنت أربعين سنة وأولم عليها بجزور وقيل بجزورين وهى أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وكان السفير بينهما نفيسة بنت منبه والمزوّج لها عمها عمرو ابن أسد والمزوج له بها عمه أبا طالب مع حضور حمزة ، وكان الصداق من الذهب اثنتى عشرة أوقية ونصف أوقية وهى أربعون درهما شرعيا وقيل كان عشرين بكرة ، ولامنافاة لجواز كون البكرات عوضا عن ذلك القدر وكانت خديجة يومئذ أوسط أى خير نساء قريش نسبا وأكثرهن مالا وأوفرهن جمالا وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة وبسيدة قريش ولم يتزوج عليها

القابلة من السرة مختونا أي على صورة المختون ، وقيل ختنه جده عبد المطلب سابع ولادته قال العلماء ويمكن الجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون ولد مختونا ختانا غير تام فتمم جده ختانه ، وقيل ختنه جبريل يوم شق صدره عند حليمة السعدية مرضعته [فائدة] قال كعب الأحبار ولد مختونا من الأنبياء ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين اه من حياة الحيوان . ومات أبوه عبدالله وأمه حامل به ولهذا كان المسمى له والعاق عنه صلى الله عليه وسلم سابع ولادته جده عبد المطلب والكلام على مايتعلق بمولده صلى الله عليه وسلم أفرد بالتأليف ، وهذه العجالة مبنية على التخفيف . وأرضعته صلى الله عليه وسلم من النساء ثمان منهن أمه آمنة ثلاثة أيام وقيل سبعة وثويبة الأسلمية جارية أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أياما قبل قدوم حليمة وخولة بنت المنذر وأم أيمن ذكرهما اليعمري وامرأة سعدية غير حليمة ذكرها ابن القيم وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة نقله السهيلي عن بعضهم في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم «أنا ابن العواتك» [وفي حياة الحيوان] العواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبي صلى الله عليه وسلم إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم عبد مناف بن قصي والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج وهي أم هاشم بن عبد مناف والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم والعواتك جمع عاتكة وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب وأكثرهن إرضاعا له صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وصرح بعضهم بإسلام زوجها بل وبنيها أيضا. ولما خافت عليه ردته إلى أمه فخرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار أي أخوال جده عبد المطلب فمرضت وهي راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء وكان عمره ست سنين على ماقاله ابن إسحاق فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه وحملته إلى جده عبدالمطلب بمكة فكفله إلى تمام ثمان . وأصابه صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة رمد شديد ولما مرض جده عبد المطلب مرض الموت أوصى به إلى عمه أبي طالب لفخامته وكونه شقيق أبيه عبد الله فافتخر بشرف كفالته وتربيته صلى الله عليه وسلم وكان يرى منه الخير والبركة كشبع عياله إذا أكل معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل معهم ونزول المطر الغزير حين استسقى به لقحط أصاب أهل مكة وسافر به إلى الشام في تجارة فلما نزل الركب بصرى رآه صلى الله عليه وسلم راهب بها يقال له بحيرا وهو في صومعته وكان قد انتهى اليه علم النصرانية فصنع للقوم طعاما كثيرا لأجله صلى الله عليه وسلم وكثيرا ماكانوا يمرون به فلا يكلمهم ولايعرض عليهم ثم قال لعمه ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فلما فرغ أبوطالب من تجارته رجع مسرعا إلى مكة وسافر أيضا صلى الله عليه وسلم مع عميه الزبير والعباس ابني عبدالمطلب إلى اليمن للتجارة . وثبت أنه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم وكذا ثبت في حق غيره من الأنبياء كموسى ، قيل من حكم ذلك أن من رعى الغنم التي هي أضعف البهائم يسكن في قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه أولا. ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وهو يدعى في مكة بالأمين سافر إلى الشام في تجارة لخديجة وأنفذت معه عبدها ميسرة وتزوجها في هذه السنة أيضا وكانت هذه السفرة ثالث سفرة آجر نفسه فيها لخديجة . ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة جددت قريش بناء الكعبة لصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها من تبخير لها فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة فلما وصلوا إلى موضع الحجر اختلفوا فيمن يضعه ثم رضوا بأن يضعه صلى الله عليه وسلم

بيده

صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وكانت تزوجت قبله برجلين ، وهي أول من آمن به على الإطلاق حكى بعضهم عليه الإجماع قال وإنما الخلاف في الأول ، بعدها وهذه السفرة ثالث ثلاث سفرات آجر نفسه فيها لخديجة لكن السفرتان الأولتان إلى اليمن وثبت أيضا أنه آجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم وكذا ثبت في حق غيره من الأنبياء كموسى . قيل من حكم ذلك أن راعي الغنم التي هي أضعف البهائم يسكن في قلبه الرأفة واللطف فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب أولا . ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة جددت قريش بناء الكعبة لتصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها من تبخير لها وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة فلما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضع الحجر موضعه ثم رضوا بأن يضعه هو فوضعه صلى الله عليه وسلم بيده؛ والباني لها أولا آدم ثم إبراهيم ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصي جده عليه الصلاة والسلام وهو أول من سقفه ثم قريش المرة المذكورة ولضيق النفقة بهم عن بنيانها على قواعد آدم وإبراهيم أخرجوا منها الحجر وجعلوا عليه جدارا قصيرا علامة على أنه منها ثم عبدالله بن الزبير

يده فوضعه . ولما قربت أيام الوحي حبب إليه الخلوة فكان يختلي في غار حراء ويتعبد فيه قيل بالذكر وقيل بالفكر ، وفي كلام الشيخ محي الدين أن تعبده قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل غير ذلك وكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي قيل مدتها ستة أشهر ؛ وثبت أنه لما دنا زمن الوحي كثر رجم الشياطين بالنجوم مع إصابتها لهم وانقطع بالمرة استراق السمع من حينه ، وماروى من رجمهم بها ليلة مولده وقبلها في أزمنة الرسل فعلى ثبوته كان قليلا وتارة يصيب وتارة لايصيب . وأما في زمن قرب الوحي اليه صلى الله عليه وسلم فكان يصيب ولا بد من الكثرة كذا في سيرة الحلبي . ولما تم له أربعون سنة قيل وأربعون يوما وعشرة أيام وقيل شهران يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لأربع وعشرين ليلة كذا في المواهب جاء جبريل بالنبوة وهو في غار حراء فقال له اقرأ فقال ماأنا بقارئ فضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أطلقه فقال له اقرأ فقال ماأنا بقارئ فضمه كذلك ثم أطلقه فقال له اقرأ فقال ماأنا بقارئ فضمه كذلك ثم أطلقه فقال له اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله مالم يعلم ثم نزل به من الجبل إلى الأرض فضرب برجله فنبعت عين ماء فتوضأ وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل كفعله ثم صلى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب عنه فانطلق صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يرجف فؤاده وأخبرها الخبر وقال خشيت علي فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وفي رواية العبراني فيكتب بالعربية من الانجيل ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن العم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجيّ هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديداً وكان مدة فترته ثلاث سنين كما جزم به ابن إسحاق ثم نزل عليه جبريل بسورة «ياأيها المدثر» وتتابع الوحي ونزولها ابتداء رسالته صلى الله عليه وسلم فهي متأخرة عن نبوته بثلاث سنين وقيل مقارنة لنبوته وصار يدعو الناس إلى الله تعالى خفية لعدم الأمر بالإظهار وكان من أسلم إذا أراد الصلاة ذهب إلى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين حتى اطلع نفر من المشركين على سعد بن أبي وقاص وهو في نفر من المسلمين يصلون في بعض الشعاب فناكروهم وعابوا عليهم مايصنعون وقاتلوهم فضرب سعد رجلا منهم فشجه وهو أول دم أهريق في الإسلام فعند ذلك دخل صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه في دار الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم إلى أن أمر الله تعالى باظهار الدين وهدى عمر بن الخطاب إلى الإسلام بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست من النبوة على الراجح وكانت مدة إخفائه ثلاث سنين وفي هذه المدة كانت قريش تؤذيه صلى الله عليه وسلم وتؤذي من آمن به حتى عذبوا جماعة من المستضعفين كبلال وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سمية وأخيه عبد الله ثم مات ياسر في العذاب وطعن أبو جهل لعنه الله سمية بحربة في فرجها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام ولكثرة إيذائهم هاجر جمع من المسلمين إلى الحبشة باشارته صلى الله عليه وسلم فأكرمهم النجاشي منهم عثمان

على القواعد وخفض بابها عن الباب الذي كانت قريش صنعته وفتح لها بابا ثانيا لكن بناء العمالقة وجرهم وقصي ترميم فقط . وقال بعضهم لم يصح بناء آدم إياها كما لم يصح ماقيل إن الملائكة بنتها قبل آدم بل الباني لها أولا إبراهيم وكان ارتفاعها على عهد إبراهيم تسعة أذرع فزادت قريش تسعة ثانية وابن الزبير تسعة ثالثة فهي الآن سبعة وعشرون ذراعا وبعد قتل ابن الزبير نقض الحجاج الثقفي ما أدخله ابن الزبير فيها من الحجر وأعلى بابها وسد الباب الثاني الذي فتحه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم هدم معظم الكعبة وجاء الخبر بذلك إلى مصر فجمع متوليها الوزير محمد باشا العلماء ووقعت الإشارة بالمبادرة بالعمارة .

ولما قربت أيام الوحي حبب الله إليه الخلوة فكان يختلي في غار حراء ويتعبد فيه قيل بالذكر وقيل بالفكر ورد بما هو مبسوط في طبقات المناوي وفي كلام الشيخ محي الدين ابن العربي أن تعبده قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وقيل غير ذلك وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي قيل مدتها ستة أشهر؛ وثبت أنه لما دنا زمن الوحي إليه

ابن عفان رضى الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بلوغ خروجهم
قريشا خرجوا فى أثرهم فلم يظفروا بأحد منهم وهـذه هى الهجرة الأولى من هجرتى الحبشة
وكانت فى رجب سنة خمس من النبوة ثم بعد مكثهم بالحبشة دون ستة أشهر رجع كثير منهم لما
بلغهم سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم وظنوا إسلامهم .

﴿ فصل : تعاهد قريش على قتله صلى الله عليه وسلم وموت عمه أبى طالب وذهابه إلى بنى ثقيف
والطائف وابتداء إسلام الأنصار وما يتصل بذلك ﴾

قال فى المواهب اللدنية : ولما رأت قريش عز النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه وعز أصحابه بالحبشة
وإسلام عمر بن الخطاب وفشو الإسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم
فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد
قتله فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واشتوروا أن يكتبوا كتابا
يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ولا يقبلوا منهم صلحا
أبدا حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة بن هشام
فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وانحاز بنو هاشم
وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب ودخلوا معه شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش وأقاموا على ذلك
سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وكانت قريش قد قطعت عنهم الميرة وكان لا يصل إليهم شىء إلا سرا
وكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، ثم قام رجال فى نقض الصحيفة وكان قد أطلع الله
نبيه على أمرها أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله فقط فأخبر
عمه بذلك فأخبرهم أبو طالب انتهى وكان الذين سعوا فى ازالها خمسة هشام بن الحرث وهو
رئيسهم وهو أول من مشى فى نقضها وزهير بن عاتكة بنت عبد المطلب وأبو البحترى وزمعة
اجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير أنا أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا إلى
أنديتهم وغدا زهير فى حلة جميلة فطاف سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة إنا نأكل الطعام
ونلبس الثياب وبنو هاشم كما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال
أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة أنت والله أكذب أى من كل كاذب لا من زهير ما رضينا
كتابتها حين كتبت وقال أبو البحترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقره وقال المطعم
صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال أبو جهل هذا أمر قد قضى
بليل اشتورتم فيه بغير هـذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم إلى الصحيفة يشقها فوجد
الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من اسم الله كما قال ﷺ فأخرجوهم من الشعب وذلك فى السنة
العاشرة وقد ذكر هؤلاء الخمسة صاحب الهمزية بقوله :

فديت خمسة الصحيفة بالخمـ ـسة ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير ... حمد الصبح أمرهم والمساء ... يالأمر أتاه بعـد هشام
زمعـة إنه الفتى الأتاء ... وزهير والمطعم بن عدى ... وأبو البحترى من حيث شاءوا
نقضوا مبرم الصحيفة إذ شـدت عليهم من العدا الأنداء

وفى السنة العاشرة من النبوة أول ذى القعدة مات عمه ﷺ أبو طالب بعد ما خرج من الحصار
بالشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوما وفى المواهب اللدنية وكان سنه سبعا وثمانين سنة روى
عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضر أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده

صلى الله عليه وسلم كثر
رجم الشياطين بالنجوم
مع إصاباتهم وانقطع بالمرة
مع استراق السمع من
حينئذ وما روى من رجمهم
بها ليلة مولده وقبلها فى
أزمنة الرسل فعلى ثبوته
كان قليلا وتارة يصيب
وأما فى زمن قرب الوحى
إليه صلى الله عليه وسلم فكان
يصيب ولا بد مع الكثرة
قاله الحلبى فى سيرته .
فلما تم له أربعون سنة جاءه
جبريل بالنبوة وهو فى غار
حراء فقال له اقرأ فقال ما أنا
بقارئ فضمه حتى بلغ منه
الجهد ثم أطلقه فقال له اقرأ
فقال ما أنا بقارئ فضمه
كذلك ثم أطلقه فقال له
اقرأ فقال ما أنا بقارئ
فضمه كذلك ثم أطلقه
فقال له اقرأ باسم ربك الذى
خلق إلى قوله ما لم يعلم ثم نزل
به من الجبل إلى الأرض
فضربها برجله فنبعت عين
ماء فتوضأ وأمر النبى صلى
الله عليه وسلم أن يفعل
كفعله ثم صلى به ركعتين
وقال الصلاة هكذا وغاب
فانطلق صلى الله عليه وسلم
إلى خديجة يرجف فؤاده
وأخبرها الخبر فثبتته وأتت
به ورقة بن نوفل وكان
ابن عمها قد تنصر فى الجاهلية
فأخبره بما رأى فصدقه وقال
له هذا الناموس الذى أنزل
على موسى أى ملك الوحى
ياليتنى فيها جذعا أى شابا
ياليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم ؟ قال نعم لم يجئ أحد بمثل

عبد الله بن أمية وأبا جهل بن هشام فقال ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال له أبو جهل يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول ياعم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله ويقولان له يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب حتى كان آخر كلمة تكلم بها أبو طالب أنا أموت على ملة عبد المطلب ثم مات وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: لما مات أبو طالب أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته فبكى ثم قال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ففعلت وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياما ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل بهذه الآية «ما كان للنبي والذين آمنوا» الآية قال ابن عباس عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب وقال وصلت رحمك وجزاك الله خيرا ياعم [تنبيه] الكفر على أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر نفاق، وكفر عناد. أما كفر الانكار فهو أن لا يعرف الله بالقلب ولا يعترف باللسان. وأما كفر الجحود فهو أن يعرف الله بقلبه ولكن لا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل قال الله تعالى «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» أي جحدوا. وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولم يعتقد بالقلب. وأما كفر العناد فهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولكن لا يدين به ولا يكون منقادا ومطيعا له ككفر أبي طالب فانه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا   لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا   ودعوتني وعرفت أنك ناصحي   ولقد صدقت وكنت فيه أمينا

وجميع الأنواع الأربعة المذكورة سواء في أن الله تعالى لا يغفر لأصحابها إذا ماتوا عليها نعوذ بالله منها (وفي هذه السنة) العاشرة من النبوة كانت وفاة خديجة الكبرى رضي الله عنها. روى أن خديجة لما مرضت مرض الموت دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها يا خديجة أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت فعل ذلك يارسول الله؟ قال نعم قالت بالرفاء والبنين فتوالت على رسول الله ﷺ في هذه السنة مصيبتان موت عمه أبي طالب وخديجة رضي الله عنها (وفي هذه) السنة العاشرة أيضا خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وإلى ثقيف قيل وحده وقيل ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة لثلاث ليال بقين من شوال يستنصرهم وهو مكروب لموت عمه أبي طالب قال محمد ابن كعب القرظي لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بمثناة تحتية بعدها ألف ثم لام مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام، ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير. وفي شرح المواهب وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم ودعاهم إلى الله عز وجل وكلمهم بما جاءهم به من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك، وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب ماينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم إذ فعلتم مافعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع الناس عليه فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه. وفي المواهب قال موسى بن عقبة رموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره وكان

ماجئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا أي قويا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي نحو ثلاث سنين أو أقل خلاف ليحصل له الشوق إلى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس الجبال فكان إذا وافى ذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن قلبه وتقر نفسه ويرجع فإذا طالت عليه المدة غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل كذلك ثم نزل عليه جبريل بسورة «يا أيها المدثر» وتتابع الوحي ونزولها ابتداء رسالته صلى الله عليه وسلم فهي متأخرة عن نبوته بثلاث سنين وقيل بمقارنة لنبوته وعن الشعبي أن الله وكل به في مدة فترة الوحي إسرافيل فكان يتراآى له ويعلمه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قبل مجيء جبريل إليه باقرأ رأى جبريل في أفق السماء على صورة رجل وسمعه يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فأخبر بذلك خديجة فثبتته وأخبرت ورقة فبشر بنبوته. واختلف في شهر ابتداء الوحي والذي عليه الأكثر أنه رمضان لسبع ليال مضت منه وقيل لسبع عشرة وقيل ربيع الأول وقيل رجب وأما اليوم فالذي

إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى وجهه شجاجا وألجئوا النبى ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف وعمد النبى ﷺ إلى ظل شجرة فجلس فيه محزوناً وابنا ربيعة كانا فى الحائط ينظران اليه فلما رأيا مالقيه من سفهاء ثقيف تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس فقالا خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال إن هذا الكلام مايقوله أهل هـذا البلد فقال رسول الله ﷺ ومن أى البلاد أنت ومادينك قال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله ﷺ أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال ومايدريك مايونس بن متى؟ قال ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه وأسلم وينظر إليه ابنا ربيعة فيقول أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافى الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر لايعلمه إلا نبى . وقد أورد البغوى فى تفسيره حديث عداس فى سورة الأحقاف عند قوله تعالى «وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن» وذكره غيره ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف حين يئس من خير ثقيف محزوناً ؛ روى أن الله أرسل اليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال له إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة قال العلماء أى بعد تقلهما إلى الطائف وقيل الضمير لأهل مكة لأنهم سبب ذهابه إلى ثقيف فقال عليه الصلاة والسلام بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبده لايشرك به شيئا فقال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رءوف رحيم ثم سار إلى حراء وفى أسد الغابة ولما عاد من الطائف أرسل إلى مطعم بن عدى يطلب منه أن يجيره فأجاره ودخل المسجد معه وكان رسول الله ﷺ يشكرها له وكان رجوعه من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة (وفى رجوعه ﷺ) من الطائف نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف إليه سبعة من جن نصيبين وهى مدينة بالشام فلما سمعوا القرآن استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن كما قاله مغلطاى فلما رجعوا إلى قومهم « قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا» وأنزل الله على نبيه قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن كما فى الصحيحين وذلك قوله تعالى «وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن» الآية (وفى السنة) الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار روى أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتتبع آثار الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز فى المواسم ويقول من يؤوينى من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى فله الجنة فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردونه أقبح ردّ ويؤذونه ويقولون قومك أعلم بك إلى أن أراد الله اظهار دينه فساقه ﷺ إلى هذا الحى من الأنصار وهو لقب إسلامى لنصرتهم النبى ﷺ وكانوا يسمون أولاد قيلة والأوس والخزرج فلقى فى منى بعض الخزرج عند العقبة التى بجنب منى فقال من أنتم ؟ قالوا من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لأن يهود المدينة كانوا يقولون لهم إن نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه وأسلم منهم ستة فقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا ندعوا قومنا إلى مادعوتنا اليه فان أجابوا فلا أحد أعز منك

عليه جمع أن فى يوم الاثنين ولادته وبعثه وخروجه من مكة ووصوله المدينة ووفاته ، والمراد بالمدينة ما يشمل قباء لماسيأتى . ولما نزل عليه «ياأيها المدثر» صار يدعو الناس إلى الله تعالى خفية لعدم الأمر بالإظهار وكان من أسلم إذا أراد الصلاة ذهب إلى بعض الشعاب ليستخفى بصلاته من المشركين حتى اطلع نفر من المشركين على سعد ابن أبى وقاص فى نفر من المسلمين وهم يصلون فى بعض الشعاب فناكروهم وعابوا عليهم مايصنعون وقاتلوهم فضرب سعد رجلا منهم فشجه وهو أول دم أهريق فى الإسلام فعند ذلك دخل صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فى دار الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم إلى أن أمره الله تعالى بإظهار الدين وهدى عمر بن الخطاب إلى الإسلام بعد إسلام حمزة ابن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست على الراجح وكانت مدة إخفائه ثلاث سنين وفى هذه المدة كانت قريش تؤذيه صلى الله عليه وسلم وتؤذى من آمن به حتى عذبوا جماعة من المستضعفين عذابا شديدا كبلال وخباب ابن الأرتّ وعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سمية وأخيه عبد الله ثم مات ياسر فى العذاب وطعن أبو جهل سمية سنة خمس بحربة فى فرجها فماتت فهى أول شهيدة فى الإسلام

وموعدك الوسم فى العام القابل وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة فلما وصلوا المدينة لم يبق فيها دار إلا وفيها ذكره ثم فى العام الثانى لقيه اثناعشر خمسة من الستة الأول والبقية من الخزرج أيضا إلا رجلين فمن الأوس ، وهذه هى العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا مااشترطه عليهم ثم رجعوا وأظهر الله الإسلام فيهم وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم أرسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فأرسل إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يده جمع كثير منهم سيد الأوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم بنو عبد الأشهل كلهم فى يوم واحد رجالا ونساء ثم قدم فى العام الثالث فى الوسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود وحضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث [تنبيه] بعضهم يسمى العقبة الثالثة ثانية (وفى السنة) الثانية عشرة من النبوّة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وعرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول قاله ابن الأثير والنووى فى شرح مسلم وقيل فى ربيع الآخر قاله النووى فى فتاويه وقيل فى رجب وعليه العمل الآن وقيل غير ذلك . وأما مناما فوقع له ذلك ثلاثا وثلاثين مرة على ماذكره الشعرانى وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس قيل كما هى الآن فى عدد الركعات وهو الأصح وقيل ركعتين ركعتين ثم فرض عام الهجرة بعدها إتمام الرباعية أربعا والثلاثية ثلاثا فى الحضر وكانت الصلاة أول الاسلام ركعتين بالغداة قال الحلبى أى قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى قال الحلبى أى قبل غروب الشمس والأكثر على أن البداءة بصلاة ظهر اليوم التالى لتلك الليلة قال الخطيب : فان قيل فلم لم يبدأ بالصبح ؟ وأجاب بجوابين : الأول أنه حصل التصريح بأن أول وجوب الخمس من الظهر وعزاه للمجموع . الثانى أن الإتيان بالصلاة متوقف على بيانها ولم تبين الا عند الظهر انتهى وقيل كانت البداءة بصلاة صبحه [فائدة] قال صاحب الكنز المدفون سألنى سائل عن ركوبه صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الإسراء هل انتهى به إلى بيت المقدس خاصة أم صعد عليه إلى السموات ؟ قال فتأملت الأحاديث الواردة فى ذلك فوجدت منها ماهو ساكت عن ذلك ومنها ماهو مصرح بالثانى ومنه حديث أنس أخرجه الإمام أحمد عن عفان أنبأنا همام قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس فذكره ولفظه « ثم أتيت بدابة قال : فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى بى إلى السماء الدنيا ولم يذكر بيت المقدس » وفى رواية حذيفة « والله ساراً بالبراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار » رواه الترمذى قال الحلبى كانت صلاته صلى الله عليه وسلم قبل فرض الصلوات الخمس الى الكعبة وبعده إلى بيت المقدس جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس ليكون مستقبلا لها أيضا فلما قدم المدينة لم يمكنه هذا الجعل فشق عليه استدبار الكعبة فهذا سبب تحويل القبلة (وفى هذه الليلة) شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد وقع شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم خمس مرات : مرة فى طفوليته عند حليمة وهى متفق عليها ، ومرة وهو ابن عشر سنين وأشهر رواها مسلم ، ومرة ليلة الاسراء ، ومرة حين جاءه الملك بالوحى ذكرها بعضهم ، ومرة فى النوم وفى ليلة الاسراء رأى ربه بعينى رأسه على الصحيح وكلمه ، ورؤيته له فى الدنيا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهى مستحيلة شرعا على غيره فى الدنيا ، ولما أصبح أخبر الناس فكذبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعه له جبريل حتى وصفه لهم .

﴿ فصل: فى ذكر الهجرة ومايتصل بها ﴾ قال أهل السير: لما أبرم عقد المبايعة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من ايذاء المشركين ولم يصبروا على

ولكثرة ايذائهم المسلمين هاجر جمع منهم إلى الحبشة بإشارته صلى الله عليه وسلم فأكرمهم النجاشى منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بلوغ خروجهم قريشا خرجوا فى أثرهم فلم يجدوا أحدا منهم وهذه هى الأولى من هجرتى الحبشة وكانت فى رجب سنة خمس من النبوة ثم بعد مكثهم هناك دون ثلاثة أشهر رجع كثير منهم عند ما بلغهم عن المشركين سجودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءة سورة والنجم وظنوا إسلامهم ؛ ولما جهر بالدعاء إلى الله تعالى وتضليل ماعليه المشركون وفشا الإسلام وكثر القرآن مشى كفار قريش إلى عمه أبى طالب يشكون مايسمعون منه من سب آلهتهم وذم دينهم وتكرر ذلك وهو يذب عنه وفى آخر المرات قالوا أعطنا محمدا نقتله وخذ بدله عمارة بن الوليد فقال أكفل ابنكم وأعطيكم ابنى ليقتل هذا لايكون ؛ ولما رأى أبو طالب من قريش مارأى دعا بنى هاشم وبنى المطلب إلى ماهو عليه من الذب عنه صلى الله عليه وسلم فأجابوه إلى ذلك غير أبى لهب فكان من المجاهرين بالظلم له صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به فلما علمت قريش أن أبا طالب لايسلمه لهم زادوا

جفوتهم رخص لهم في الهجرة إلى المدينة روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه في الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج إلى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فخرجوا أرسالا أي قطائع سرا إلا عمر بن الخطاب فإنه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من كفار مكة هو وأخوه زيد بن الخطاب ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب كذا قال ابن إسحاق وغيره ؛ ثم لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منعة وأصحابا بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم تحذروا خروجه صلى الله عليه وسلم واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة وهي دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها وفيها يتشاورون وحجبوا الناس عن الدخول إليهم لئلا يدخل أحد من بني هاشم فيطلع على حالهم قال ابن دريد كانوا خمسة عشر رجلا وقال ابن دحية كانوا مائة رجل ولما جلسوا للتشاور تبدى لهم إبليس في صورة شيخ نجدي جليل وفي رواية وبيده عكازة يتوكأ عليها وعليه جبة صوف وبرنس أخضر متطيلسا فوقف على باب الدار فلما رأوه قالوا من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأي ونصح وإن كنتم تكرهون جلوسي معكم فلا أقعد معكم فقالت قريش بعضهم لبعض هذا رجل من نجد لا من مكة ولا يضركم حضوره فشرعوا في الكلام وقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل يعني محمداً ﷺ قد كان من أمره ما كان وإنا والله لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا فقال أبو البختري بن هشام وفي رواية قال هشام بن عمرو رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ وقال هشام وفي رواية أبو البختري رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به فوالله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحمل على حي من العرب فيغلب عليهم من قوله وحديثه فيبايعوه ثم يسير بهم فيطؤكم به فقالوا صدق والله الشيخ فقال أبو جهل والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ فقال رأيي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضون منا بالعقل قال الشيخ النجدي لعنه الله القول ما قال هذا الفتى وهو أجودكم رأيا ولا أرى لكم غيره فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وقال له لا تبت على فراشك الذي تبيت عليه الليلة وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه أن ينام على فراشه فنام في مضجعه وقال اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه ثم خرج رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا إلى قوله فهم لا يبصرون قال ابن إسحاق إن رسول الله ﷺ فيما بلغني أخبر عليا

في إيذائه وإيذاء من أسلم معه وأجمع رأيهم أن يقولوا هو ساحر وجلسوا في الطريق يحذرون الناس منه وكلما شاع أمره وسار ذكره زادوا في الإيذاء والبغي ثم اجتمعوا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحوننا وتريحوا أنفسكم فأبى بنو هاشم وبنو المطلب فأجمعت قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبي طالب فلما دخلوا الشعب مؤمنهم وكافرهم غير أبي لهب وذلك سنة سبع من النبوة أمر ﷺ من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة فانطلق إليها غالب المؤمنين فكانوا اثنين وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وهذه هي الثانية من هجرتي الحبشة فلما بلغ ذلك قريشا بعثوا عمارة ابن الوليد وعمرو بن العاص وكان إذ ذاك لم يسلم بهدايا إلى النجاشي ليرد من هاجر إليه فلم يرض وردهما بالهدايا وأجمعت قريش على أن لا يبايعوا بني هاشم وبني المطلب ولا يناكحوهم ولا يدخلون إليهم شيئا من الرزق ويقطعوا عنهم الأسواق ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة وتمادوا على العمل بما فيها ثلاث سنين فاشتد البلاء على من

بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته وبات المشركون يحرسون عليا على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ماتنتظرون ههنا فقالوا محمدا فقال قد خيبكم الله والله قد خرج عليكم ماترك منكم أحدا إلا وضع على رأسه التراب وفي رواية أبي حاتم وصححها الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا وذلك قوله تعالى «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت «كان لا يخطىء أن يأتي رسول الله ﷺ بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ماجاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله ﷺ أخرج عني من عندك فقال يانبي الله إنما هما ابنتاي وفي رواية البخاري إنما هم أهلك وماذاك فداك أبي وأمي قال إن الله تعالى قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم وفي الجمل على الهمزية قال أبو بكر فخذ إحدى راحلتي" وكان قد اشترى راحلتين أي ناقتين قبل ذلك بستة أشهر فعلفهما منتظرا الخروج عليهما فقال النبي آخذها بالثمن فأخذها منه بأربعمائة درهم كما اشتراها أبو بكر وقيل إنه أبرأه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبي مدة حياته حتى ماتت في خلافة أبي بكر وتزودا أي أخذا الزاد من بيت أبي بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا إلى غار ثور ليلا فأقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت وليلة الأحد وخرجا منه ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام ولما فقدته قريش طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الأثر عند ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار وروى أنهما باضتا وأمر الله العنكبوت فنسج في أعلاه وجاء فتيان قريش بسلاحهم وجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين فعرفوا أنه ليس فيه أحد وقال بعضهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف لعنه الله وما حاجتكم في الغار إن فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد اهـ روى الشيخان عن أنس قال قال أبو بكر « نظرت إلى أقدام المشركين من الغار على رؤوسنا فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وروى أن النبي ﷺ قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخولهم الغار، وقد أشار لذلك صاحب البردة بقوله :

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا

في الشعب ، فلما كان رأس الثلاث سنين بعث الله على صحيفتهم الأرضة فأكلت ما في الصحيفة من ميثاق وعهد وتركت اسم الله تعالى وقيل بالعكس وجمع بجواز تعدد الصحيفة فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله ﷺ فأخبر بذلك عمه أبا طالب فانطلق أبو طالب في عصابة حتى أتوا المسجد فلما رأتهم قريش ظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ فقال أبو طالب إنما أتيت في أمر هو نصف بيننا وبينكم إن ابن أخي أخبرني بأمر فان كان الحديث كما يقول فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وإن كان الذي يقول باطلا دفعنا لكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم وأخبرهم الخبر فقالوا قد رضينا الذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما قال فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا ثم مشى في نقض الصحيفة قوم وأخرجوا بني هاشم وبني المطلب من الشعب، وروى أن يدكاتبها شلت ثم مات أبو طالب وخديجة في عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ مصيبتان وكان موتهما قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ﷺ سمى ذلك العام عام الحزن وكان موت خديجة في رمضان ودفنت في الحجون ، ولما مات أبو طالب نالت

عبد الله بن الأرقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له إسلام ودفعا راحلتيهما له ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وخرجا وساروا وسار معهم عامر بن فهيرة وأخذوا طريق البحر وبينا هم في الطريق إذ عرض لهم سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه إلى ركبتيها والأرض صلبة فناداهم بالأمان فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا وقالوا أخف عنا فرجع وصار لا يلقى أحدا إلا رده ويقول سبرت الطريق فلم أجد أحدا وإلى هذا أشار البوصيري في الهمزية بقوله :

ونحا المصطفى المدينة واشتا ... قت اليه من مكة الأنحاء

وتغنت بمدحه الجن حتى ... أطرب الإنس منه ذاك الغناء

واقتفى أثره سراقة فاستهـ ... ـوته في الأرض صافن جرداء

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ ... ـف وقد ينجد الغريق النداء

ووقع في طريق الهجرة عجائب منها أنهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقي من يمر بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبنا أو لحما يشترونه فلم يجدوا فنظر ﷺ إلى شاة خلفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحباتها فسألها هل بها لبن ؟ فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم فدعا بها وبإناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته . وفي سيرة الحلبي : أن أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها وأخوها وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة يحلبونها ليلا ونهارا إلى أن ماتت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ومنها مارواه الزمخشري في ربيع الأبرار عن هند بنت الجون نزل رسول الله ﷺ خيمة خالتها أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بثمرة كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها فكنا نسميها المباركة ويأتينا من البوادي من يستشفي بها ويتزود منها حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها ففزعنا فما راعنا إلا نعي رسول الله ﷺ ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها فبينا نحن فزعون مهمومون إذ أتانا خبر قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ويبست على أثر ذلك وذهبت انتهى . ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه ﷺ صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه إلى الظهيرة فانتظروه يوما وعادوا إلى بيوتهم وإذا يهودي ارتقى مكانا عاليا فرآه مقبلا فصاح وقال هذا جدكم أي حظكم يا بني قيلة أي الأوس والخزرج فخرجوا إليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قيل أول ربيع الأول وقيل ثاني عشره وأدركه علي كرم الله وجهه هو ومن معه من ضعفاء المسلمين بقباء ولم يقم بعد خروج النبي ﷺ بمكة إلا ثلاثة أيام ثم أمر رسول الله ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وكانوا قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل وأقام ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف اثنين وعشرين يوما وقيل أربع عشرة ليلة وقيل ثلاثا وقيل أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده على التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله ﷺ من قباء يوم الجمعة

قريش من النبي ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب فخرج وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فلم يجد منهم ذلك وأغروا به عبيدهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون به ويضربونه بالحجارة حتى أدموا رجليه فلما انصرف عنهم أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال له إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة أي بعد نقلهما إلى الطائف وقيل الضمير إلى أهل مكة لأنهم سبب ذهابه إلى ثقيف فقال عليه الصلاة والسلام بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئا قال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رءوف رحيم ، ثم سار إلى حراء وبعث إلى المطعم بن عدي ليجيره فأجابه لذلك وتسلح هو وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد فبعث إليه ﷺ أن ادخل فدخل عليه الصلاة والسلام فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله وفي رجوعه ﷺ من الطائف مر به نفر من جن نصيبين وهو يقرأ سورة الجن فاستمعوا له وآمنوا به ولم يشعر بهم صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن» الآية وكانوا سبعة وقيل أكثر ووقع له ﷺ

حين

حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وكانوا مائة فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونونين ممدودا ثم ركب ﷺ وسار فكان كلما مر بدار من دور الأنصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أى ناقته فإنها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت إلى أن بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت بباب أبى أيوب رئيس بنى النجار أخوال عبد المطلب ثم ثارت وبركت فى مبركها الأول ثم صوتت فنزل عنها وقال هذا المنزل إن شاء الله تعالى وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ فرحا شديدا قال أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت الخدور على الأجاجين عند قدومه ويقلن :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ... مادعا لله داع

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

وروى البيهقى عن أنس قال : لما بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوار من بنى النجار يقلن :

نحن جوار من بنى النجار ... ياحبذا محمد من جار

فقال ﷺ أتحببننى؟ قلن نعم يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام إن قلبى يحبكن وكان مبرك ناقته ﷺ مربدا للتمر بكسر الميم وفتح الموحدة أى محلا لجمعه وتجفيفه ليتيمين فى حجر أسعد بن زرارة فدعا بهما وكان جالسا بدار أبى أيوب وساومهما على المربد فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى أن يقبله هبة وابتاعه منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر ثم بنى فيه مسجده وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوعا وجعل ارتفاعه قامة وجعل قبلته إلى بيت المقدس إلى أن حولت القبلة إلى الكعبة فحولها ثم زاد فيه النبى ﷺ بعد فتح خيبر لكثرة الناس ، فلما استخلف أبوبكر لم يحدث فيه شيئا ، فلما استخلف عمر رضى الله عنه وسعه بدار العباس بن عبد المطلب وكان عمر سأله أن يبيعها فوهبها العباس لله وللمسلمين ، ثم لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه بناه بالحجارة وجعل أعمدته حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه ونقل اليه الحصى من العقيق وبنى ﷺ فى ذلك المربد حجرتى زوجتيه سودة وعائشة وأما بقية حجر زوجاته فبناها بعد عند الحاجة اليها ومكث ﷺ فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر إلى أن تم المسجد والحجرتان وفى شرح المقاصد قال وفى الصحيح فى ذكر بناء المسجد كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ويقول عمار أعوذ بالله من الفتن اه وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الصخر ويقول :

اللهم لاخير إلا خير الآخره ... فانصر الأنصار والمهاجره

وحصل لأبى بكر وبلال وبعض المهاجرين كعامر بن فهيرة وعك بالمدينة روى أن هواء المدينة كان عفنا وخما وكانت مشهورة بالوباء فى الجاهلية فاذا دخلها غريب يقال له إن أردت أن تسلم من الوعك والوباء فانهق مثل الحمار فاذا فعل سلم فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق مزاجهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قياما فكان المشركون والمنافقون يقولون أضناهم حمى يثرب قاله بعضهم . وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك قال القسطلانى بضم الواو وكسر العين أى حم أبوبكر وبلال قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويابلال كيف تجدك ؟ قالت فكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فى مكة بعد هذه المرة مرتين أو ثلاثا اجتماعه بالجن وقراءته القرآن عليهم وإيمانهم به ومر به فى ابتداء البعث أيضا جماعة من الجن وهو يقرأ فاستمعوا له وآمنوا به ولم يشعر بهم حتى نزلت عليه سورة الجن وقيل شعر بهم فى هذه المرة واجتمع بهم ثم صار ﷺ يعرض نفسه فى كل موسم على قبائل العرب ويدعوهم إلى الله تعالى ويطلب منهم أن يؤووه وينصروه ويمنعوه قريشا من تظاهرهم عليه فيعرضون عنه فبينما هو كذلك فى بعض المواسم عند عقبة الجمرة سنة إحدى عشرة من النبوة إذ لقى رهطا من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيرا فكلمهم ودعاهم إلى الله تعالى فأجابوه وانصرفوا راجعين إلى بلدهم من غير مبايعة وهؤلاء هم أهل العقبة الأولى وكانوا ستة وقيل ثمانية فلما كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلا اثنان من الأوس وعشرة من الخزرج منهم خمسة من أهل العقبة الأولى فبايعهم أى عاهدهم رسول الله ﷺ عند العقبة على الإسلام وعلى أن يؤووه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ثم انصرفوا راجعين إلى بلدهم وهؤلاء هم أهل العقبة الثانية وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشــة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اللهم حبب الينا المدينــة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة قال القسـطلانى وكانت إذ ذاك مسـكن اليهود وهى الآن ميقات مصر وفيه جواز الدعاء على الـكفار بالأمراض والهلاك والدعاء للمسلمين بالصحة وإظهار معجزته ﷺ فان الجحفة من يومئذ لايشرب أحـد من مائها إلا حم اه وكان بلال يقول اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء وآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد ثمانية أشهر من مقدمه كذا فى أسد الغابة فعقدوا عقدها وقيل كتبوا بذلك كتاباً وكان ذلك فى دار أنس بن مالك وفى رواية فى المسجد على أن يتوارثوا بعد الممات دون ذوى الأرحام ثم نسخ قيل لم يقع به توارث بل نسخ الحـكم قبل العمل به وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين فى أرض ليست لأحد وفيما وهبته له الأنصار .

﴿فصل : فى ذكر شىء من خصائصه ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم﴾ الـكلام على خصائصه صلى الله عليه وسلم منحصر فى ثمانية أنواع [النوع الأول ما اختص به فى ذاته فى الدنيا] اختص صلى الله عليه وسـلم بأنه أول النبيين خلقا وبتقدم نبوته فـكان نبيا وآدم منجدل فى طينته وتقدم أخـذ الميثاق عليـه وأنه أول من قال بلى يوم ألست بربـكم وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسـائر مافى الملـكوت وذكر الملائكة له فى كل ساعة وذكر اسمه فى الأذان والتبشير به فى الـكتب السـابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمته وحجب إبليس من السموات لمولده وشق صدره على قول وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبـه حيث يدخل الشيطان وسائر الأنبياء كان الخاتم فى يمينهم وبأن له ألف اسم وبأنه سمى من أسماء الله بنحو سبعين اسماً عدها مسلم وبأنه سمى أحمد ولم يسم به أحد قبله وبأنه أرجـح الناس عقلا وبأنه أوتى كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا الشطر وبغطه ثلاثاً عند ابتـداء الوحى عدها البيهقى وبرؤيته جبريل على صورته التى خلق عليها وبانقطاع الـكهانة لمبعثه وحراسة السماء وبإحياء أبويه له حتى آمنا به وبوعده بالعصمــة من الناس وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبـع والقرب إلى قاب قوسـين وبوطئه مكانا ماوطئـه نبى مرسل ولا ملك مقرب وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائـكة وباطلاعه على الجنة والنار ورؤيته للبارى تعالى مرتين وقتال الملائـكة معه وايتائه الـكتاب وهو أمى لايقرأ ولا يـكتب وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ومشتمل على مااشتمل عليه جميع الـكتب وزيادة جامع لـكل شىء مستغن عن غيره ميسر للحفظ وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها .

[النوع الثانى ما اختص به وأمته فى شرعه صلى الله عليه وسلم] اختص صلى الله عليه وسلم باحلال الغنائم وجعل الأرض كلها مسجدا ولم تـكن الأمم تصلى إلا فى البيع والـكنائس والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فـلم يـكن إلا للأنبياء دون أممهم وبمجموع الصـلوات الخمس وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالأذان والاقامة وافتتاح الصلوات بالتـكبير وبالتأمين وبالركوع على ماذكـره جماعة من المفسرين وبقول اللهم ربنا ولك الحمد وباستقبال الـكعبة وبالصف فى الصلاة كصفوف الملائكة

إلى المدينــة عبد الله بن أم مـكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أسلم القرآن ويدعوان من لم يسـلم إلى الإسـلام ، وفى بعض الروايات الاقتصار على ذكر مصعب وكان مصعب يؤم بهم وجمع بهم أول جمعة فى الإسلام حين بلغ المسلمون منهم أربعين رجلا بإرساله ﷺ إليه بالتجميع قال أبو حامد ولم يفعلها صلى الله عليه وسلم بمكة مع فرضها وهو بمكة لعدم التمـكن من فعلها بمكة قال الحلبى ولم يؤمر بها مصعب عند إرساله إلى المدينــة لعدم وجود شرطها من العدد المذكـور حينئذ وفشـا الإسلام بالأنصار وأسـلم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعـد بن عبادة سيـد الخزرج وفى هذا العام وهو سنة اثنتى عشرة من النبوة أسرى بالنبى ﷺ إلى المسجد الأقصى فأم بالأنبياء وعـرج به إلى السموات فما فوق يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول وقيـل من رجب وعليه العمل الآن وقيل غير ذلك وأما مناما فوقع له ذلك ثلاثا وثلاثين مرة على ماذكره سيـدى عبـد الوهاب الشعرانى وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس قيل كما هى

وبالجماعة في الصلاة وبتحية السلام وبالجمعة وبساعة الاجابة وبعيد الأضحى وشهر رمضان وأن الشياطين تصفد فيه وأن الجنة تزين فيه وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وبالغفران في آخر ليلة منه وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر وكان محرّما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في صدر الاسلام وبليلة القدر كما قاله النووى في شرح المهذب وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة وبالاسترجاع عند المصيبة وبالحوقلة وباللحد ولأهل الكتاب الشق وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة وبالعذبة للعمامة وهى سيما الملائكة وبالاتزار في الأوساط وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا واشتق لهم اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون وسمى دينهم الاسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم ورفع الإصر عنهم الذى كان على الأمم قبلهم وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ورفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وأن من هم بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فان عملها كتبت سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت عشرا ووضع عنهم قتل النفس في التوبة وقرض موضع النجاسة وربع المال في الزكاة وشرع لهم نكاح أربع ورخص لهم نكاح الكتابية ونكاح الأمة ومخالطة الحائض سوى الوطء وفى إتيان المرأة على أى شق شاء وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وعصموا من الاجتماع على ضلالة وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا والطاعون لهم شهادة ورحمة ومادعوا استجيب لهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار ووعدوا أن لايهلكوا بجوع ولا بعدوّ من غيرهم يستأصلهم ولايعذبون بعذاب عذب به من قبلهم وإذا شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الأمم السالفة إذا شهدت منهم مائة ردت شهادتهم وهم أقل الأمم عملا وأكثرهم أجرا وأقصرهم أعمارا وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر وفتح عليهم خزائن كل شىء حتى العلم وأوتوا الاسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب ولاتزال طائفة منهم على الحق حتى يأتى أمر الله وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال ومنهم من يصلى إماماً بعيسى بن مريم ومنهم من يجرى مجرى الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح ويقاتلون الدجال وعلماؤهم كأنبياء بنى اسرائيل وتسمع الملائكة في السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحامدون لله على كل حال ويكبرون على كل شرف ويسبحون عند كل هبوط ويقولون عند ارادة فعل الأمر إن شاء الله تعالى وإذا غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبحوا ومصاحفهم في صدورهم وسابقهم سابق ومقتصدهم ناج وظالمهم مغفور له ويلبسون ألوان ثياب الجنة ويراعون الشمس للصلاة وهم أمة وسط عدول بتزكية الله لهم وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا وافترض عليهم ماافترض على الرسل والأنبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وأعطوا من النوافل ماأعطى الأنبياء وقال الله في غيرهم «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» وفى حقهم «وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» ونودوا في القرآن ياأيها الذين آمنوا ونوديت الأمم في كتبهم ياأيها المساكين وشتان مابين الخطابين [النوع الثالث ما اختص به في ذاته في الآخرة] اختص ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعقة وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك ويحشر على البراق ويؤذن باسمه في الموقف ويكسى في الموقف أعظم

الآن في عدد الركعات وهو الأصح ؛ وقيل ركعتين ركعتين ثم فرض عام الهجرة إتمام الرباعية أربعا والثلاثية ثلاثا في الحضر وكانت الصلاة أول الإسلام ركعتين بالغداة قال الحلبى أى قبل طلوع الشمس وركعتان بالعشى قال الحلبى أى قبل غروب الشمس والأكثر على أن البداءة بصلاة ظهر اليوم التالى لتلك الليلة ولم يبدأ بصلاة صبحه لعدم علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب وقيل بصلاة صبحه قال الحلبى كانت صلاته قبل فرض الصلوات الخمس إلى الكعبة وبعده إلى بيت المقدس جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس ليكون مستقبلا لها أيضاً لكن لما قدم المدينة لم يمكنه هذا الجعل فشق عليه استدبار الكعبة فهذا سبب تحويل القبلة وسنتكلم عليه وشق في تلك الليلة صدره الشريف وقد وقع شقه خمس مرات مرة في طفوليته عند حليمة وهى متفق عليها ومرة وهو ابن عشر سنين وأشهر رواه مسلم ومرة ليلة الإسراء ومرة حين جاءه الملك بالوحى ذكرها بعضهم ومرة في النوم كذا في نور النبراس ؛ ورأى في تلك

الحلل من الجنة وبأنه يقوم عن يمين العرش وبالمقام المحمود وأن بيده لواء الحمد وآدم ومن دونه تحت لوائه وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم وأول من يؤذن له بالسجود وأول من يرفع رأسه وأول من ينظر إلى الله تعالى وأول شافع وأول مشفع وبالشفاعة العظمى فى فصل القضاء وبالشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لايدخلها وبالشفاعة فى رفع درجات ناس فى الجنة جوّز اختصاصها النووى والتى قبلها به وبالشفاعة فيمن خلد فى النار من الكفار أن يخفف عنهم وبالشفاعة فى أطفال المشركين أن لايعذبوا وأنه أول من يجوز على الصراط وأن له فى كل شعرة من رأسه ووجهه نورا وليس للأنبياء إلا نوران وبأمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر بنته على الصراط وأنه أول من يقرع أبواب الجنة وأول من يدخلها وبعده أمته وبالكوثر والوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة ومنبره على ترعة من ترع الجنة ومابين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الاسببه ونسبه قيل إن أمته ينسبون اليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لاينسبون إليهم وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة اليه ولاينتفع بسائر الأنساب ، والله أعلم بالصواب [النوع الرابع ما اختص به فى أمته فى الآخرة] اختص صلى الله عليه وسلم بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من بين الأمم ويأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ويكونون فى الموقف على كوم عال ولهم نوران كالأنبياء وليس لغيرهم إلا نور واحد ولهم سيما فى وجوههم من أثر السجود ويؤتون كتبهم بأيمانهم وعجل الله عـذابها فى الدنيا وفى البرزخ لتوافى القيامة ممحصة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها ولهاماسعت وماسعى لها وليس لمن قبلهم إلا ماسعى ، قاله عكرمة ويقضى لهم قبل الخلائق ويدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب [النوع الخامس مااختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات] اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد أى صلاة الليل والسواك والأضحية والمشاورة على الأصح وركعتى الفجر لحديث فى المستدرك وغيره وغسل الجمعة ورد فى حديث ضعيف وقضاء دين من مات من المسلمين معسرا على الصحيح وقيل كان يفعله تكرما وأن يقول إذا رأى مايعجبه لبيك إن العيش عيش الآخرة فى وجه حكاه فى الروضة وأصلها وأن يؤدّى فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردى وغيره ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما فى زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سبع [النوع السادس ما اختص به من المحرمات] اختص صلى الله عليه وسلم بتحريم الزكاة والصدقة عليه وفى صدقة التطوع قولان كذا نقل عن مغلطاى وتحريم الزكاة على آله قيل والصدقة أيضا وعليه المالكية وعلى موالى آله فى الأصح وتحريم كون آله عمالا على الزكاة فى الأصح وصرف النذر والكفارة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسمعيل ورد به حديث فى المسند والمنّ ليستكثر ومد العين الى مامتع به الناس ونكاح الكتابية قيل والتسرى بها ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حرا ولا يلزمه قيمته ولا يشترط فى حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول وله الزيادة على واحدة قال إمام الحرمين ولو قدر نكاح الغرر فى حقه لايلزمه قيمة الولد قال ابن الرفعة وفى تصور ذلك فى حقه نظر [النوع السابع مااختص به من المباحات] اختص ﷺ بإباحة المكث فى المسجد جنبا وفيها خلاف وبأنه لاينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا ولا باللمس أى بلمس المرأة والذكر فى أحد وجهين وبإباحة الصلاة بعد العصر وبإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن

ونكاح

الليلة ربه بعين رأسه على الصحيح وكله. ورؤية الله تعالى فى الدنيا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم مستحيلة شرعا على غيره ، ولما أصبح أخبر الناس فكذبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعه له جبريل حتى وصفه لهم ثم فى سنة ثلاث عشرة من النبوة رجع مصعب بن عمير إلى مكة وخرج من خرج من مسلمى الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك فلما قدموا مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وسط أيام التشريق فلما كانت ليلة الميعاد ذهبوا ينتظرونه فجاءهم وبايعهم على الإسلام وعلى أن يؤووه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وجعل منهم اثنى عشر نقيبا ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج وهؤلاء هم أهل العقبة الثالثة وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين منهم أحد عشر من الأوس والباقى من الخزرج فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سرا عن كفار قومهم وكفار قريش صاح الشيطان يامعشر قريش هذا بنو الأوس والخزرج

ونكاح أكثر من أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا ولىّ وبلا شهود وفى حال الاحرام وبغير رضا المرأة فلو رغب فى نكاح امرأة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها أومزوّجة وجب على زوجها طلاقها وكان له تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها وله أن يتزوجها بغير إذنها وإذن وليها وله إجبار الصغيرة من غير بناته وزوّج ابنة عمه حمزة مع وجود عمها العباس وقدم على الأقرب وقال لأم سلمة مرى ابنك أن يزوجك فزوجها منه وهو يومئذ صغير وزوجه الله من زينب فدخل بها بتزويج الله بغير عقد ، وعبر فى الروضة عن هذه بقوله وكانت المرأة تحل له بتحليل الله وله نكاح المعتدة من غيره فى وجه حكاه الرافعى والجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها فى أحد وجهين وبين المرأة وبنتها فى وجه حكاه الرافعى وعتق أمته وجعل عتقها صداقها وترك القسم بين أزواجه فى أحد وجهين وهو المختار ولايجب عليه نفقتهن فى وجه كالمهر وعلى الوجوب لايتقدر ولا ينحصر طلاقه فى الثلاث فى أحد وجهين وعلى الحصر قيل تحل له من غير محلل وقيل لاتحل له أبدا وكان له أن يستثنى فى كلامه بعد حين ولا يكره له الفتوى والقضاء فى حال الغضب ذكره النووى فى شرح مسلم وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلى إلا على نبى أو ملك وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحى عن غيره إلا باذنه وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها ، وأفتى الغزالى بكفر من عارض أولاد تميم الدارى فيما أقطعه لهم وقال إنه صلى الله عليه وسلم كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى [النوع الثامن مااختص به من الكرامات والفضائل] اختص صلى الله عليه وسلم بأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ويرى فى الليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء وبأن ريقه يعذب الماء الملح ويغذى الرضيع وإبطه أبيض غير متغير اللون لاشعر عليه وما تثاءب قط ولااحتلم قط وكذلك الأنبياء فى الثلاثة وعرقه أطيب من المسك وكان إذا مشى مع الطويل طاله وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ولم يقع ظله على الأرض ولارؤى له ظل فى شمس ولاقمر ولا يقع ذباب على ثيابه ولا آذاه قمل وكانت الأرض تطوى له إذا مشى وأعطى قوة أربعين فى الجماع والبطش عن أنس قال « فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش » كذا فى سيرة مغلطاى ولم ير له أثر قضاء حاجة بل كانت الأرض تبتلعه وكذلك الأنبياء وكان يبيت جائعا فيصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة ولم يضغط فى قبره وكذلك الأنبياء ولا يسلم منها لاصالح ولاغيره ولاتأكل السباع جسده وكذلك الأنبياء ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبى ، وهو حى فى قبره يصلى فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء ، ولهذا قيل لاعدة على أزواجه ؛ وموكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم والمصيبة بموته عامة لأمته إلى يوم القيامة ومن رآه فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لايتمثل بصورته ومن أمره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى أحد وجهين واستحب فى الآخر وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها وتثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعى مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فكان صلى الله عليه وسلم بمجرد مايقع بصره على الأعرابى الجلف ينطق بالحكمة وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة ولا يكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقى فى نكته والمصلى بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو السنة فى سائر المساجد .

تحالفوا مع محمد على قتالكم فأسرع الأنصار إلى رحالهم وجاءت أشراف قريش إلى شعب الأنصار يلومونهم على ذلك فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ماكان من هذا شىء ثم نفر الناس من منى وبحثت قريش عن الخبر فلما تحققوه اقتفوا آثارهم فلم يدركوا إلا سعد ابن عبادة والمنذر بن عمرو فأما سعد فأمسك وعذب ثم أنقذه الله تعالى وأما المنذر فأفلت ، ولما قدم الأنصار المدينة أظهروا الإسلام إظهارا كليا وأمر عليه الصلاة والسلام من كان معه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا أى قطائع سرا إلا عمر ابن الخطاب فإنه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من الكفار ولا قصده بسوء فلما قدموا المدينة أنزلهم الأنصار فى دورهم وواسوهم وأقام صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بعد من حبس ومن عجز إلا أبو بكر وعلىّ ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيع وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج شيعة أصحابه من المهاجرين إليهم حذروا خروجه

ويحرم التقدم عليه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن قذف أزواجه فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس وغيره ولم تبغ امرأة نبي قط وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يتزوج على بناته ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفي هذا القدر كفاية لأولي الأبصار؛ وقد جمع بعض خصائصه صلى الله عليه وسلم جلال الدين السيوطي في رسالة سماها «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب». [وأما دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم] التي في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل فقد أخبر بها الثقات ممن أسلم من علماء اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وأسيد وهم ممن أسلم من علماء اليهود وبحيرا ونسطورا الحكيم وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى، وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم النصارى والمقوقس صاحب مصر، وروى عن كعب الأحبار أنه قال نجد مكتوبا يعني في التوراة: محمد رسول الله عبد مختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحامدون يكبرون الله في كل نجد ويحمدونه في كل منزل رعاة للشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها يأتزرون على أنصافهم ويتوضئون على أطرافهم مناديهم ينادي في السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم دوي في الليل كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجرته بطابة وملكه بالشام، نقله بعضهم عن المصابيح، وعن عبد الله بن سلام: إنا لنجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا تدفع السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتغفر ولن أقبضك حتى أقيم بك الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله وأفتح بك أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا كذا ذكره البيهقي في دلائل النبوة وعن عبد الله بن سلام قال إن في الجزء الآخر الذي تم به التوراة آية من جملتها بالعربية هكذا جاء الله، وفي المواهب تجلى الله من طور سيناء وأشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران وهو اسم عبراني وليست ألفه الأولى همزة وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في أحدها وفيه ابتدأه الوحي وهي ثلاثة أجبل أحدها أبو قبيس والثاني قيقعان والثالث حراء وهو شرق فاران ومنفتحه الذي يلي قعيقعان إلى بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم في أحد الأقوال قال ابن قتيبة وليس في هذا غموض لأنه أراد مجيء كتابه ونوره كما قال الله عز وجل «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» أي أتاهم أمره قال العلماء وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة والمراد إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وظهور أمره وشريعته والله أعلم. ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم خاتمه الذي بين كتفيه، ومن البشائر ما روى عن أبي بن كعب لما قدم تبع المدينة ونزل بقباء بعث إلى أحبار اليهود فقال إني مخرب هذا البلد حتى لا يقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب فقال شامول اليهودي وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك إن هذا البلد يكون اليه مهاجر نبي من ولد إسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كثير في أصحابه قال تبع فمن يقاتله وهو نبي كما تزعمون؟ قال يسير إليه قوم فيقتتلون هنا قال فأين يكون قبره؟ قال بهذا البلد قال فإن قوتل فلمن تكون الدائرة؟ قال تكون عليه مرة وله مرة وبهذا المكان الذي أنت به غلبته فيقتل به أصحابه مقتلة ثم يقتلون في مواطن ثم تكون العاقبة له فيظهر فلا ينازعه في هذا الأمر أحد قال وما صفته؟ قال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يركب البعير ويلبس

الشملة

صلى الله عليه وسلم إليهم فاجتمعوا في دار الندوة ليروا فيه رأيا ودخل معهم إبليس في صورة شيخ جليل متطيلسا زاعما أنه من أهل نجد فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم وإنا والله ما نأمنه من الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا، فأشار بعضهم بحبسه في الحديد وبعضهم بإخراجه من بلادهم فلم يرض بهما إبليس فقال أبو جهل والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه قالوا وما هو يا أبا الحكم؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالفعل الذي فعلنا فقال إبليس هذا هو الرأي ولا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك، فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه وأخبره بمكرهم وأنزل الله عليه

الشملة سيفه على عاتقه لايبالى من لاقى له أخ وابن عم أو عم حتى يظهر أمره قال تبع فـالى بهذا
البلد من سبيل وما كان ليكون خرابه على يدى ، فخرج تبع . وفى المحاضرات والمسامرات لسيدى
محيى الدين:أن كعب الأحبار رأى حبرا من اليهود يبكى فقال مايبكيك ؟ قال ذكرت بعض الأمر فقال
له كعب أنشدك بالله لئن أخبرتك ماأبكاك لتصدقنى قال نعم قال أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله
المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب إنى أجد أمـة فى التوراة خير أمة أخرجت للناس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالـكتاب الأول والـكتاب الآخر ويقاتلون أهل
الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى ؟
قال الحبر نعم قال كعب فأنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال
رب إنى أجد أمة هم الحمـادون رعاة الشمس المحـكمون إذا أرادوا أمرا قالوا نفعله إن شاء الله
فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى؟قال الحبر نعم؟قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل
أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وإذا
هبط واديا حمد الله الصعيـد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يطهرون من الجنابة
طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لايجدون الماء غر محجلون من أثر الوضوء فاجعلهم أمتى
قال هم أمة أحمد ياموسى ؟ قال الحبر نعم ؟ قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن
موسى نظر فى التوراة فقال رب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الـكتاب فاصطفيتهم فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد واحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتى قال
هم أمة أحمد ياموسى؟قال الحبر نعم ؟ قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى
عليـه السلام نظر فى التوراة فقال رب إنى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ثياب أهل
الجنة يصطفون فى صلاتهم كصفوف الملائـكة أصواتهم فى صلاتهم كدوى النحل لا يدخل النار
منهم أحد إلا من برئ من الحسنات مثـل مابرئ الحجر من ورق الشجر قال موسى فاجعلهم
أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى؟قال الحبر نعم ؟ قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل
أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يارب إنى
أجد فى الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد ، قال يارب إنى أجد
فى الألواح أمـة هم المسبحون المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد ، قال
يارب إنى أجد فى الألواح أمة يأكلون الفئ فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد ؟ قال يارب إنى أجد
فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد ، قال
يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذاهم أحدهم بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها
كتبت له عشر حسنات فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا
هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تـكتب وإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة
أحمد ، قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون قرون الضلالة
المسيح الدجال فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد ، قال الحبر نعم . فلما عجب موسى عليه السلام من
الخير الذى أعطاه الله محمدا ﷺ وأمته قال ياليتنى من أصحاب محمد ؟ وفى حـديث أبى هريرة
رضى الله عنـه عن النبى ﷺ قال يارب اجعلنى من أمة محمد قال الحبر نعم فأوحى الله تعالى
إليه ثلاث آيات يرضيه بهن « ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك
وكن من الشاكرين . وكتبنا له فى الألواح من كل شىء إلى قوله دار الفاسقين ومن قوم موسى

وإذ يمكر بك الذين كفروا
الآية فلما جن الليل اجتمعوا
على بابه يرصـدونه حتى
ينام فيثبوا عليه فلما رأى
عليـه الصلاة والسـلام
مكانهم قال لعلى نم على
فراشى وتسج بردائى فانه
لن يخلص إليك شئ تكرهه
منهم وخرج عليهم النبى
ﷺ وأخـذ حفنة من
تراب فجعـل ينـثره على
رءوسهم وهو يتلوهـذه
الآيات يس والقرآن الحكيم
إلى قوله فهم لا يبصرون
وأخذ الله تعالى أبصارهم
عنه فلم يروه ثم انصرف
إلى بيت أبى بكر فأتاهم
آت فقال ما تنتظرون
ههنا ؟ قالوا محمدا فقال قد
خيبكم الله قـد والله خرج
عليكم محمد ثم ماترك منكم
رجلا إلا وضع على رأسه
ترابا فوضع كل منهم يده
على رأسه فاذا عليه تراب
ثم جعـلوا ينظـرون إلى
الفراش فيظنون النائم
عليه محمدا صلى الله عليه
وسلم ولم يزالوا كـذلك
حتى أصبحوا وقام على من
الفراش فتيقنوا الخبر ثم
أذن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الهجرة فخلف
عليـا ليؤدى عنه الودائع
واصطحب معه أبابكر وأعد
أبو بكر ناقتين لهجرتهما
لـكن أبى صلى الله عليـه
وسلم أن يأخذ إحـداهما

أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » انتهى . [وأما أسماؤه صلى الله عليه وسلم فكثيرة] بعضها ورد
في القرآن وبعضها ورد في الأحاديث الصحيحة وبعضها ورد في الكتب السالفة وقد قالوا كثرة الأسماء
تدل على شرف المسمى واختلفوا في أن الاسم هو عين المسمى أو غيره . أما ما في القرآن فمحمد
وأحمد والرسول والنبي والشاهد والبشير والنذير والمبشر والمنذر والداعي إلى الله والسراج المنير
والرءوف والرحيم والمصدق والمذكر والمزمل والمدثر وعبد الله والكريم والحق والمبين والنور
وخاتم النبيين والرحمة والنعمة والهادي وطه ويس على قول . وأما ما في الأحاديث فمنها الماحي
والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم ورحمة مهداة والقتال والمتوكل
والفاتح والخاتم والمصطفى والأمي . وأما ما في كتب الأنبياء فمنها الضحوك وحمياطا أوحمطايا وأحيد
وبارقليط وفار قليط في المواهب اللدنية وحمياطا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال أبو عمرو
سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم من الحرام ويوطىء الحلال وأما
أحيد بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال قال القسطلاني كذا وجدته
في بعض نسخ الشفاء المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وكسر الحاء وسكون المثناة التحتية
فقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اسمي في القرآن
محمد وفي الانجيل أحمد وفي التوراة أحيد وإنما سميت أحيدا لأني أحيد عن أمتي نار جهنم وأما
حمطايا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم فقال الهروي أي حامي الحرم وأما بار قليط وفار قليط
بالوحدة وبالفاء وفتح الراء والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبكسر الراء وسكون القاف
فقد وقع في إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق وقال ثعلب معناه الذي يفرق بين الحق والباطل
ومعلوم أن أكثر هذه الأسماء المذكورة صفات واطلاق الاسم عليها مجاز [فائدة] ذكر الحسين
ابن محمد الدامغاني في كتاب شوق العروس وأنس النفوس نقلا عن كعب الأحبار أنه قال اسم
النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد
وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشيطان عبد القهار وعند الجن
عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن وعند الحيتان
عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام
وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار وفي التوراة موذ موذ وفي الإنجيل طاب طاب
وفي الصحف عاقب وفي الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم
ذكر هذا كله القسطلاني في المواهب وذكر فيه من الأسماء والألقاب والكنى ما يزيد على أربعمائة
قال ابن دحية أسماؤه صلى الله عليه وسلم تقرب من الثلثمائة وأنهاها بعض الصوفية إلى ألف [وأما
ألقابه صلى الله عليه وسلم] فكثيرة مثل صاحب البراق وصاحب التاج والمراد به العمامة لأن العمائم
تيجان العرب كما جاء في الحديث وصاحب المعراج وصاحب الهراوة والنعلين وصاحب الخاتم والعلامة
وصاحب البرهان والحجة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود وصاحب الوسيلة وصاحب الفضيلة
وصاحب الدرجة الرفيعة وصاحب الشفاعة وسيد أولاد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد
الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب ورسول رب
العالمين والمصطفى والمجتبى والمزكى [وأما كنيته] صلى الله عليه وسلم المشهورة فأبو القاسم لأن
أكبر أولاده القاسم والعرب تكنى الشخص بأكبر أولاده في الغالب .

﴿فصل: في ذكر بعض شمائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ في أسد الغابة وغيره كان صلى الله عليه وسلم

إلا بثمنها لتكون هجرته
إلى الله تعالى بنفسه وماله
وإلا فقد أنفق أبو بكر أكثر
ماله عليه صلى الله عليه وسلم
وانطلقا ليلا ماشيين حتى
أتيا غارا بثور فتواريا فيه
ثلاث ليال . قيل لما دخل
أبو بكر الغار صار يلتمس
بيده فكلما رأى حجرا
شق قطعة من ثوبه وسده
بها حتى فعل ذلك بجميع
ثوبه فبقي حجر كان فيه
حية فوضع عقبه عليه فلما
أحست بعقبه لدغته
فتحدرت دموعه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لأن رأسه كان في حجر أبي
بكر فاستيقظ فقال مالك
ياأبا بكر؟ فأخبره فتفل على
محل اللدغة فذهب ما يجده
وفي هذه الليالي كان عبد الله
ابن أبي بكر يمكث نهاره
مع قريش ويأتيهما بخبر
ذلك اليوم وكانت أسماء
بنت أبي بكر تأتيهما ليلا بما
يحتاجانه من الطعام والشراب
وكان عامر بن فهيرة غلام
أبي بكر يغدو ويروح عليهما
بغنم لأبي بكر ليشربا من
لبنها ويختفي بمشيها في محل
مشي عبد الله وأسماء وأثر
أقدامهما وكل ذلك بإشارة
أبي بكر، وتطلبتهما قريش
حين فقدتهما من مكة
فأعماهم الله تعالى عنهما
مع كونهم انتهوا بالقائف
إلى الغار وحول

فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأعظم من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر لايجاوز شعره شحمة أذنه أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم سهل الخدين ليس بالطويل الوجه ولا بالكلثم واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلقة بادنا متماسكا سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد مابين المنكبين جليل الكتدين بين منكبيه خاتم النبوّة وهو شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجرى كخط عارى الثديين والبطن أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنها الماء إذا زال زال تقلعا يخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكر ليس له راحة لاينطق فى غير الحاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه ببسم الله ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لافضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعم وإن دقت لايذم شيئا منها ولايذم مذاقا ولا يمدحه بل إن أعجبه أكل منه وإلا تركه يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابع ويلعق إذا فرغ الوسطى فالتى تليها فالإبهام ويشرب فى ثلاث أنفاس مصا لاعبا قاعدا وشرب قائما يأكل ماوجد ولا يتكلف مافقد وإذا لم يجد شيئا صبر حتى شد الحجر على بطنه وطوى الليالى المتتابعة لاتغضبه الدنيا ولا ما كان لها ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وإذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها كلها وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام وكان أكثر طعامه التمر وما أكل خبزا منخولا ولا على خوان بل كان يأكل على السفرة وربما وضع طعامه على الأرض ولا يأكل متكئا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وما كان هذا لضيق بل باختياره وكان يعجبه من اللحم الذراع وكان يحب الدباء ويتتبعها من جوانب القصعة والبقلة الحمقاء والعسل والحلوى وأحب الفاكهة اليه العنب والبطيخ قال الغزالى كان يأكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعا اه وكان يدفع ضرر الأطعمة بعضها ببعض فربما أكل تمرا بزبد وبطيخا أو قثاء برطب وكان لايأكل وحده ونهى عن أكل الخبز وحده والنوم عقب الأكل وكان يلبس ما يجد وكثيرا مايلبس ثوبا واحدا ولا يسبل القميص والازار بل يجعلهما فوق كعبيه أو إلى نصف ساقه ويجعل كم قميصه إلى الرسغ وكان أحب الثياب إليه القميص وليست عمامته كبيرة ولا صغيرة قال المناوى لم يتحرر فى طولها وعرضها شىء ولبس العمامة البيضاء والسوداء والصفراء والأكثر البيضاء وكان فى الغالب يرخى لعمامته عذبة بين كتفيه أقل ماورد فى قدرها أربعة أصابع وأكثره ذراع ولبسها بالقلنسوة وبغيرها والقلنسوة بدون عمامة وكان يكثر التقنع واشترى السراويل وكان أحب الصبغ إليه الصفرة ولبس خاتما من فضة فصه منه وخاتما من فضة فصه عقيق فى اليمين تارة وفى اليسار أخرى ولكنه فى اليمين أكثر يجعل الفص جهة كفه وكان نقش خاتمه محمد رسول الله ثلاثة أسطر وكان فراشه من أدم حشوه ليف وربما نام على الحصير وعلى الأرض وكان يحب الطيب ويكتحل عند النوم بالإثمد ثلاثا فى كل عين ويدهن رأسه ويأخذ بالمقص أطراف

عند ذلك أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام لاتحزن إن الله معنا وسبب عماهم أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار نسجا مترا كما وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا ببابه وروى أنهما باضتا وفرخ بعض البيض فلما رأوا ذلك جزموا بأن لاأحد فيه . قيل وجميع حمام الحرم من هاتين الحمامتين . وروى أن الله تعالى أمر شجرة أيضاً فنبتت فى وجه الغار وسدته بفروعها وكانا قد استأجرا رجلا يدلهما على الطريق وواعداه أن يأتى براحلتيهما إلى الغار بعد ثلاث فأتاهما فركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة يعقبانه حتى مروا بخيمة أم معبد عاتكة وهى لاتعرفهم فاستسقوها لبنا فقالت ماعندى فنظر المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى شاة قد أضربها الجهد ومابها لبن فمسح ضرعها فحلبت وشربوا وصارت هذه الشاة من حينئذ كثيرة اللبن وبقيت إلى سنة ثمانى عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ثم ساروا وقد كانت قريش جعلت لكل من قتل واحدا منهما أو أسره دية فبينما هم فى الطريق إذ

شاربه ومن عرض لحيته وطولها ويسرحها بالمشط مع الماء وكان صلى الله عليه وسلم لايجلس ولا يقوم الا بذكر الله تعالى ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا جلس إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك يعطى كل من جالسه حقه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ومن سأله حاجة لم يرده إلابها أو مايسره من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء مجلسه حلم وحياء وصبر وأمانة لاترفع عنده الأصوات وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لايشتهى ولا يؤيس ولا يخيب فيه مؤمله قد تطهر من ثلاث المراء والإكثار ومالايعنيه وتزكى الناس نفسه من ثلاث كان لايذم أحداولايعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلافيما يرتجى ثوابه إذاتكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده إن تكلم أنصتوا له حتى يفرغ وكان لايقطع على أحد حديثه خدمه أنس بن مالك رضى الله عنه عشر سنين إلى أن توفاه الله تعالى فما قال لشىء فعله لم فعلته ولا لشىء لم يفعله لم لم تفعله ماعاب طعاما كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه كان يقول فى السراء الحمد لله المنعم المتفضل وكان يقول فى الضراء الحمد لله على كل حال وكان يذكر الله على كل أحيانه وكان يسلم على العبيد والاماء والصبيان وكان يمازح الصغير ويلاعب الوليد ويمازح العجوز ولايقول إلاحقا، روى «أن امرأة جاءته فقالت يارسول الله احملنى على جمل فقال انما أحملك على ولد الناقة قالت لايطيقنى قال لاأحملك إلاعلى ولد الناقة قالت لايطيقنى فقال لها الحاضرون وهل الجمل إلا ولد الناقة» وجاءت له امرأة أخرى فقالت يارسول الله زوجى مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذى فى عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال لها مالك فقالت أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك بياضا فقال وهل أحد إلاوفى عينيه بياض وقالت له امرأة أخرى يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ياأم فلان« إن الجنة لايدخلها عجوز» فولت المرأة باكية فقال صلى الله عليه وسلم «إنهالاتدخلهاوهى عجوزإن الله يقول : إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا» وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويقول «لودعيت إلى كراع لأجبت» وكان يخصف نعله ويحلب شاته ويركب الحمار ردفا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم ويأكل معه ويحمل بضاعته من السوق ويصافح الغنى والفقير ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك وقال «لاتفضلونى على يونس بن متى ولاترفعونى فوق قدرى فتقولون فى ماقالت النصارى فى المسيح إن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا» وكان يأخذ الخبيص ويقول «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» . روى أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل فقام بين يديه وأخذته رعدة من هيبته فقال له هون عليك فإنى لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته . وعن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وكان ينقل اللبن على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده صلى الله عليه وسلم هذا ولسان حاله يفصح عن قوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولافخر» [فائدة] قال أبو هريرة رضى الله عنه سادات الأنبياء خمسة نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وتوفى صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال أبو بكر يارسول الله قد شبت فقال صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود والواقعة

والمرسلات

عرض لهم سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه إلى ركبتيها والأرض صلبة فناداهم بالأمان فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا وقالوا اخف عنا فرجع وصار لا يلقى أحدا إلارده يقول سبرت الطريق فلم أجد أحدا وما مشينا عليه من تقدم الرور بخيمة أم معبد على ملاقاة سراقة هو الصحيح كما فى السيرة الحلبية ولقيه أيضاً فى طريقه بريدة بن الحصيب الأسلمى فى نحو سبعين من قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وقد كانوا خرجوا طمعا فيما جعلته قريش ثم ساروا حتى قدموا قبا يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ومن قال دخلوا المدينة فى اليوم المذكور أراد بها ما يشمل قبا كما قاله الحلبى وكانوا قد تلقاهم المسلمون بظهر الحرة فعدل بهم صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقبا وهم بطن من الأوس فقام أبو بكر للناس وجلس صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يره عليه الصلاة والسلام يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس برأس رسول الله

والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت» رواه الترمذي وفي رواية «شيبتني هود وأخواتها» وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم من أن يحيط ناعت بوصفه ولكن ماوصفه من وصفه الا بقدر ماظهر له منه صلى الله عليه وسلم [وأما معجزاته صلى الله عليه وسلم فكثيرة] : منها القرآن وهو أعظمها وانشقاق القمر فرقتين حين طلبت منه قريش آية فكانت فرقة على جبل أبي قبيس وفرقة دونه وشاهد ذلك الداني والقاصي واستمر كذلك حتى غرب وكانت ليلة أربعة عشر فازداد الذين آمنوا ايمانا وقالت الكفار هذا سحر مستمر وكان انشقاقه في السنة التاسعة من النبوّة وشق صدره وإخباره عن بيت المقدس صبح ليلة الإسراء حين سأله المشركون عن صفته وحبس الشمس له عن الغروب حتى قدمت العير التي لقيته في منصرفه من المعراج وأخبرهم بأنها تقدم في يوم كذا فلما كان ذلك اليوم دنت الشمس للغروب ولم تجيء العير وردها بعد غروبها على علي بن أبي طالب بدعوته صلى الله عليه وسلم ليدرك عليّ صلاة العصر أداء وخروجه على المجتمعين ببابداره ليقتلوه ووضعه التراب على رؤوسهم ولم يشعروا ورميه يوم حنين قبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى ونسج العنكبوت على فم الغار ووقوف الحمامتين الوحشيتين على بابه ونبات الشجرة في بابه وماجرى لسراقة وشاةأم معبد ودعوته لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن يعز الله به الإسلام فكان ذلك ودعوته لعلي رضي الله عنه أن يذهب الله عنه الحر والبرد فلم يشتاك واحدا منهما بعد فكان يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء ولا يتأثر ولعبد الله بن عباس أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين فكان ذلك ولأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش فوق المائة وكان من أكثر الأنصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ذكر من صلبه وشهادة الضب له بالرسالة والذئب كذلك فقد ورد أنه أخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال ألا تتقي الله تنزع مني رزقا رزقه الله إليّ فتعجب الراعي من كلامه فقال له الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأخبار ماقد سبق وبما هو آت فأتى الراعي النبي ﷺ وأخبره بذلك فجاء الذئب فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له شيئا من أموالكم قالوا والله لانفعل وأخذ رجل من القوم حجرا فرماه به فأدبر وله عواء وفي رواية أن الذئب قال للراعي أنت أعجب فقال له لم فقال لأن النبي بعث بيثرب وأنت مع غنمك تارك له وبينك وبينه هذا الجبل فقال للذئب إذا مضيت إليه فمن يحرس غنمي قال الذئب أنا أحرسها لك فذهب والذئب يحرسها الى أن وصل اليه صلى الله عليه وسلم فأسلم ورجع فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها وأطعمها له وحديث الضب مشهور على الألسنة قال الجمل لكنه غريب ضعيف بل قال بعضهم لايصح اسنادا ولامتنا وهو أن أعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال ياضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد؟ قال الذي في السماء عرشه وكلمات أخرى قال من أنا قال أنت رسول رب العالمين فأسلم الأعرابي وشهادة الظبية له بالرسالة وقد روى حديثها البيهقي وأبو نعيم والطبراني قال الحافظ ابن كثير لاأصل له ومن نسبه الى النبي فقد كذب وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء إذ هتف هاتف وقال يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق وأعرابي نائم عندها فقال ماحاجتك فقالت صادني هذا الأعرابي ولي في هذا الجبل ولدان فأطلقني أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أفعل فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي فقال يارسول الله ألك حاجة؟ قال نعم تطلق هذه

صلى الله عليه وسلم فظلل عليه أبو بكر بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة على قول وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه ثم ركب من قبا يوم الجمعة راحلته وهي الجدعاء وقيل العضباء وقيل القصوى مرخيا زمامها وصار يمشي معه الناس حتى دخل المدينة قال جماعة أدركته صلى الله عليه وسلم صلاة الجمعة في مسيره من قبا إلى المدينة فصلاها وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها في الإسلام قال الحلبي كونها أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها واضح إن كان أقام في قبا الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس كما هو قول وأما على أنه أقام بضع عشرة ليلة كما تقدم أو أكثر كما قيل فبعيد أنه لم يصل الجمعة في قبا في تلك المدة والمناسب لهذا ماذكره بعضهم أنه كان يصلي الجمعة في مسجد قبا مدة إقامته هناك ثم بركت ناقته بمحل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مربدا للتمر بكسر الميم وفتح الموحدة أي محلا لجمعه وتجفيفه ليتيمين

الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول أشهد أن لااله إلا الله وأنك رسول الله . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر وكان عمودا من عمدان المسجد إذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضع المنبر الذى بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع أى الجذع وانشق فنزل صلى الله عليه وسلم وضمه إليه حتى سكن وقال والذى نفسى بيده لولم ألتزمه لم يزل يصوّت هكذا إلى يوم القيامة وخيره بين أن يعيده إلى مغرسه فيثمر كما كان وبين أن يغرسه فى الجنة يأكل أهلها من ثمره فقال أختاردار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقد احترق فى حريق المسجد الذى وقع فى القرن السادس انتهى جمل على الهمزية . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم شهادة الشجر له بالرسالة وإتيانه إليه فستره حتى قضى حاجته وسكون جبل أحد لما ضربه عليه الصلاة والسلام برجله وشكوى بعير أعرابى له قلة العلف وكثرة العمل وشكوى بعض الطيور له أخذ بيضه فأمر من أخذه برده وتسبيح الحصى فى كفه وتسبيح الطعام بين أصابعه ونبع الماء من بينها حتى روى الجيش العظيم وسقوا ابلهم وخيلهم وملئوا أسقيتهم وقد وقع ذلك مرارا وإطعام ألف من صاع من شعير بالخندق وقد وقع منه تكثير الطعام القليل مرارا وردّ عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وتفله فى عين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أرمد يوم حنين فعوفى من ساعته ولم ترمد بعد ذلك وعلى عينى رجل ابيضتا حتى لم يبصر بهما شيئا فأبصر ومسحه على رأس الأقرع فذهب داؤه وعلى رجل عبد الله بن عتيك وقد كانت انكسرت فكأنها لم تنكسر قط وإحياء بنت دعا أباها إلى الإسلام فقال لاأومن بك حتى تحيى لى ابنتى فذهب معه إلى قبرها فناداها فقالت لبيك وسعديك فقال أتحبين أن ترجعى إلى الدنيا فقالت لاوالله إنى وجدت الله خيرا لى من أبوىّ ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا واحياء أبويه له حتى آمنا به على ماقيل واعطاؤه عكاشة بن محصن يوم بدر جزلا من حطب فانقلب فى يده سيفا وكذلك وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد وإخباره بالمغيبات كإخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه وبموت النجاشى يوم موته وصلى عليه يوم موته مع أصحابه وقوله لثابت بن قيس «تعيش حميدا وتقتل شهيدا» فقتل يوم اليمامة وقوله للحسن بن على رضى الله عنهما « ان ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فصالح معاوية وإخباره بأن عثمان بن عفان تصيبه بلوة شديدة فحوصر فى داره وقتل وبأن عمر يموت شهيدا وقوله للزبير فى حق علىّ تقاتله وأنت ظالم له وقوله لعمار تقتلك الفئة الباغية فقتل بصفين وقوله لعلى بن أبى طالب «أشقى الناس رجلان الذى عقر الناقة والذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه حتى تبتل منه هذه وأشار إلى لحيته» فكان كما قال وقوله لزوجاته ليت شعرى أيتكن ينبحها كلاب الحوءب أيتكن صاحبة الجمل الأدبب بدال مهملة فموحدتين أى كثير الشعر يقتل حولها كثير فكانت عائشة رضى الله عنها ومعجزاته صلى الله عليه وسلم لاتحصى وفضائله لاتستقصى صلى الله عليه وسلم .

﴿فصل فى ذكر نبذة من أحاديثه الشريفة صلى الله عليه وسلم﴾ ينكشف لك بها وجه قوله صلى الله عليه وسلم «أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا » وكلها صحيحة الأسانيد لم يقع فيها حديث ضعيف إلا نادرا سبق به القلم التقطتها من الجامع الصغير برموزها وهاهى هذه : ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب مايطغيك ابن آدم لابقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى

فى حجر أسعد بن زرارة فقال عليه الصلاة والسلام حين بركت ناقته هذا إن شاء الله تعالى المنزل وقد كان صلى الله عليه وسلم بعد ماسار عن بنى عمرو كلما مر بدار قوم عرّضوا له وقالوا له يارسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة فيقول لهم خلوا سبيلها فإنها مأمورة يعنى ناقته ثم نزل صلى الله عليه وسلم بدار أبى أيوب ودعا بالغلامين فساومهما بالمربد فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى أن يقبله هبة وابتاعه منهما بعشرة دنانير أداهما من مال أبى بكر ثم بنى فيه مسجده وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوعا وجعل ارتفاعه قدر قامة وجعل قبلته إلى بيت المقدس إلى أن حولت القبلة فجعلها إلى الكعبة ثم زاد فيه النبى صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر لكثرة الناس فلما استخلف أبو بكر لم يحدث فيه شيئا واستخلف عمر فوسعه كلم العباس بن عبد المطلب فى بيع داره ليزيدها فيه فوهبها العباس لله وللمسلمين فزادها عمر فى المسجد ثم بناه عثمان فى خلافته بالحجارة والقصة وجعل عمده حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه ونقل

فى جسدك آمنا فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (عد هب) عن ابن عمر. أتانى جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارق واعمل ما شئت فانك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس الشيرازى فى الألقاب (ك هب) عن سهل بن سعد (هب) عن جابر (حل) عن على. أتانى جبريل فقال بشر أمتك انّ من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن شرب الخمر (حم ت ن حب) عن أبى ذر. اتبعوا العلماء فانهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة (فر) عن أنس. اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتى ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء (هب) عن ابن مسعود. اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (حم ت ك هب) عن أبى ذر (حم ت هب) عن معاذ وابن عساكر عن أنس. اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الازار فإن اسبال الإزار من الخيلة ولا يحبها الله وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبنّ أحدا. الطيالسى (حب) عن جابر بن سليم. اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب (حم ت حب) عن أبى هريرة. اتق دعوة المظلوم فإنما يسأل الله تعالى حقه وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه (خط) عن على. اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فى الضعيفين المرأة الأرملة والصبى اليتيم (هب) عن أنس. اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة. ابن عساكر عن ابن عمر. اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (حم خد م) عن جابر. اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة (حم ق) عن عدى. اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت. الحكيم عن عبد الله بن بسر المازنى. اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة قاطع الرحم وجار السوء (فر) عن أنس. اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر (ك هب) عن ابن عباس. اجتنبوا الوجوه لا تضربوها (عد) عن أبى سعيد. اجتنبوا التكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله اكتبوا عبدى هذا فى الجبارين. أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق وعبد الغنى بن سعيد فى إيضاح الإشكال (عد) عن أبى أمامه. أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (ق) عن عائشة. أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله (حب) وابن السنى فى عمل يوم وليلة (طب هب) عن معاذ. أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينا من جوع أو دفع عنه مغرما أو كشف عنه كربا (طب) عن الحكم بن عمير. أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم (طب) عن ابن عباس. أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان (هب) عن أبى جحيفة. أحب الأعمال إلى الله الحب فى الله والبغض فى الله (حم) عن أبى ذر. أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا (طب) عن أسامة بن شريك. أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدى (ع حب هب) والضياء عن جابر. أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما (ت هب) عن أبى هريرة (طب عن ابن عمر عن ابن

إليه الحصباء من العقيق وبنى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المربد حجرتى زوجتيه حينئذ سودة وعائشة أيضاً؛ وأما بقية حجر زوجاته فبناها بعد عند الحاجة إليها ومكث صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب إلى أن تم بناء المسجد والحجرتين وكان بناء ذلك من آخر ربيع الأول إلى صفر من السنة القابلة وقيل غير ذلك وكان فى مدة مكثه فى بيت أبى أيوب يأتى إليه كل ليلة الطعام من سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وغيرهما واستمر طعام سعد بن عبادة بعد ذلك يأتى به كل ليلة إليه ﷺ وهو فى بيوت زوجاته وأرسل ﷺ وهو فى بيت أبى أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع فأتيا بفاطمة وأم كلثوم بنتيه وسودة زوجته وأم أيمن حاضنته زوجة زيد ابن حارثة وابنها أسامة بن زيد، وأما بنته زينب فمنعها من الهجرة زوجها ابن خالها أبو العاص بن الربيع قال الحلبى بكسر الموحدة وتشديد الياء مفتوحة انتهى، والذى عليه غيره كأمير ثم هاجرت وتركته على شركه ثم لما أسلم جمع ﷺ بينهما ولم يفرق بينهما من أول البعثة لأن تحريم

عمرو (قط) فى الإفراد (عد هب) عن على (خد هب) عن على موقوفا . أحب العرب لثلاث لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة فى الجنة عربى (عق طب ك هب) عن ابن عباس . احبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء فانها ساعة تخترق فيها الشياطين (ك) عن جابر . أحسنوا اقامة الصفوف فى الصلاة (حم حب) عن أبى هريرة . احفظ ود أبيك لاتقطعه فيطفىء الله نورك (خد طس هب) عن ابن عمر . أخبرنى جبريل أن حسينا يقتل بشاطىء الفرات . ابن سعد عن على . اختلاف أمتى رحمة . نصر المقدسى فى الحجة والبيهقى فى الرسالة الأشعرية بغير سند وأورده الحليمى والقاضى حسين وامام الحرمين وغيرهم ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل إلينا . اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة (ك) عن أبى عبس بن جبير . أد الأمانة الى من ائتمنك ولاتخن من خانك (تخ دت ك)عن أبى هريرة (قط) والضياء عن أنس (طب عن أبى أمامة (د) عن رجل من الصحابة (قط) عن أبى بن كعب . أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لاظل إلاظله مع أنبيائه وأصفيائه . أبو نصر عبد الكريم الشيرازى فى فوائده (فر) وابن النجار عن على . أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا قاضيا ومقتضيا (حم ن ه ب) عن عثمان بن عفان . ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء (حل) عن أبى هريرة . أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء (حم ت حب) والضياء عن أبى سعيد . أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف . ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت عن الضحاك بن حمزة مرسلا . إذا آتاك الله مالا فلير عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ولا يحب البؤس ولاالتباؤس (تخ طب) والضياء عن زهير بن أبى علقمة . إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه (عد هب) عن عبد الله بن جراد . إذا أتى على يوم لاأزداد فيه علما يقربنى الى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم (طس عد حل) عن عائشة . إذا أتاكم الزائر فأكرموه (ه) عن أنس . إذا أتاكم السائل فضعوا فى يده ولو ظلفا محرقا (عد) عن جابر . إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه (هب فر) عن أبى هريرة (هب) عن ابن مسعود وكردوس موقوفا عليهما . إذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه الماء (ت ك هب) عن قتادة . إذا أحب الله عبدا قذف حبه فى قلوب الملائكة وإذا أبغض الله عبدا اقذف بغضه فى قلوب الملائكة ثم يقذفه فى قلوب الآدميين (حل) عن أنس . إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته فى منزله فليخبره أنه يحبه لله (حم) والضياء عن أبى ذر . إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين وألهمه رشده البزار عن ابن مسعود . إذا أراد الله بأهل بيت خيرا فقههم فى الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق فى معيشتهم والقصد فى نفقاتهم وبصرهم عيوبهم فيتوبوا منها وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملا (قط) فى الأفراد عن أنس . إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة (طب حم حل) عن أبى عزة . إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة (فر) عن أنس وعلى . إذا أراد الله بقوم قحطا نادى مناد فى السماء يا أمعاء اتسعى وياعين لاتشبعى ويابركة ارتفعى . ابن النجار فى تاريخه عن أنس وهو مما بيض له الديلمى . إذا أراد أحدكم من امرأته حاجته فليأتها وإن كانت على تنور (حم طب) عن طلق بن على . إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك . الرافعى

إنكاح المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة، وأما بنته رقية فهاجرت مع زوجها عثمان بن عفان وجاء مع فاطمة ومن ذكر معها عيال أبى بكر فيهم زوجته أم رومان وأولاده عبد الله وعائشة وأسماء زوجة الزبير ابن العوام وهى حاملة بابنها عبد الله بن الزبير وولدته بقباعلى مافى البخارى فكان أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة وخط ﷺ للمهاجرين فى أرض ليست لأحد وفيما وهبته له الأنصار من خططها وأقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقبا عند من نزلوا عليه بها وآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار على المساواة، وألحق التوارث بعد الموت دون الأقارب فى دار أنس بن مالك وكانوا يتوارثون به دون القرابة ثم نسخ وقيل لم يقع توارث به بالفعل بل الحكم نسخ قبل العمل به، وقبل الهجرة آخى ﷺ بين المهاجرين بلا توارث فالإخاء وقع مرتين وكانت المدينة كثيرة الوباء فزال ونقل الله منها الحمى إلى الجحفة ببركة دعائه ﷺ حتى أصابت كثيراً من المهاجرين كأبى بكر وعائشة وبلال وعامر ابن فهيرة وقد نافق جماعة من أهل المدينة وكان

في تاريخ قزوين عن ابن عباس . إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات (دن ه حب ك) عن أبي هريرة وأبي سعيد معا . إذا اشترى أحدكم لحما فليكثر مرقته فان لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا وهو أحد اللحمين (ت ك هب) عن عبد الله المزني . إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني بها خيراً منها (دك) عن أم سلمة (ت ه) عن أبي سلمة . إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تبكر إلى اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فان استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا (ن) وابن خزيمة (هب) عن أبي سعيد . إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته (حم م) عن جابر بن سمرة . إذا أكل أحدكم طعاما فليلعق أصابعه فإنه لايدري في أي طعامه تكون البركة (حم م ت) عن أبي هريرة (طب) عن زيد بن ثابت (طس) عن أنس . إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (حم م د) عن ابن عمر (ن) عن أبي هريرة . إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غفر لهما (د) عن البراء . إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء (حم ق ت) عن أبي هريرة . إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة (حم ق ن) عن ابن مسعود . إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم من أجر بعض شيئا (ق ع) عن عائشة رضي الله عنها . إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لايدري ماخلفه عليه ثم ليضطجع على شقه الأيمن ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (ق د) عن أبي هريرة . إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح (خم ق) عن أبي هريرة . إذا تثاءب أحدكم فليرده مااستطاع فان أحدكم إذا قال هاضحك منه الشيطان (خ) عن أبي هريرة . إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب وإن كان صائما ابن منيع عن أبي أيوب . إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (طب) عن ابن مسعود (عد) عنه وعن ثوبان (عد) عن عمر . إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها (ت) عن أبي هريرة . إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه (م د ه) عن جابر . إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه مايعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق (ع طب ك) عن عامر بن ربيعة . إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها (خط) عن عمر . إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم (حم طب ك هب) عن ابن عمرو (طس) عن جابر . إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص (فر) عن أبي هريرة . إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا مايحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج (حم طب هب) عن عقبة بن عامر . إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان (حم ت) وابن خزيمة (حب ك ن هق) عن أبي سعيد . إذا رأيتم الحريق فكبروا فإنه يطفئ النار (عد) عن ابن عباس . إذا رأيتم العبد ألم الله به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه (فر) عن علي . إذاسمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم

رئيسهم عبد الله بن أبي ابن سلول وهو الذي قال «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» وفيه نزلت سورة المنافقين واشتد حسد يهود المدينة وكثر لغطهم في النبي ﷺ وامتحنوه بأشياء كثيرة فأتى بجوابها على مايعرفون من الصواب فما يزيدهم ذلك إلا حسدا وسحره منهم لبيد بن الأعصم سنة سبع من الهجرة في مشط له ﷺ ومشاطة من شعر رأسه أعطاها له غلام يهودي كان يخدمه ﷺ أحيانا وعقد في وتر إحدى عشرة عقدة فيها إبر مغروزة ودفن ذلك تحت صخرة في بئر ذروان ومكث ﷺ متغير المزاج من ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما وعند اشتداد الحال نزل جبريل وأخبره الخبر فبعث عليا فاستخرج ذلك وصار كلما حلت عقدة وجد خفة حتى قام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وقد مسخ الله ماء تلك البئر حتى صارت كنقاعة الحناء ثم أحضر ﷺ لبيدا فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دنانير جعلتها له اليهود في مقابلة سحره فعفا عنه ولم يؤثر السحر في عقله ﷺ بل

نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا (حم ق د ت) عن أبي هريرة . إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فإنه يصير إلى ما جبل عليه (حم) عن أبي الدرداء . إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر عنه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه (حم ع) عن أبي أسيد وأبي حميد إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع (حم د حب) عن أبي ذر . إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه (ه) عن ابن عباس . إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه (حم م د ن) عن جابر (ت ه) عن أبي قتادة . اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم (د ت ك هق) عن ابن عمر . ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء (طب) عن جرير (طب ك) عن ابن مسعود . ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً (طب) عن سهل بن سعد . إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . مالك (ق) عن ابن عمر . إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه (حم ق) عن أبي هريرة . إذا نمتم فأطفئوا المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت وأغلقوا الأبواب وأوكئوا الأسقية وخمروا الشراب (طب ك) عن عبد الله ابن سرجس . إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة (خ) عن أبي هريرة . إذا وضع الطعام فاخلعوا نعالكم فانه أروح لأقدامكم . الدارمي (ك) عن أنس . أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (حم ق ٣) عن ابن عمر . أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن على البلاء صابر وزوجة لاتبغيه خونا في نفسها ولا ماله (طب هب) عن ابن عباس . أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والنكاح والسواك (حم ت هب) عن أبي أيوب . أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزاني والإمام الجائر (ن هب) عن أبي هريرة . استعد للموت قبل نزول الموت (طب ك هب) عن طارق المحاربي . اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة (حم خ ه) عن أنس . أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل (طب) عن أخت حذيفة . أشكر الناس لله أشكرهم للناس (حم طب هب) والضياء عن الأشعث بن قيس (طب هب) عن أسامة بن زيد (عد) عن ابن مسعود . أشهد بالله وأشهد لله لقد قال لي جبريل يامحمد إن مدمن الخمر كعابد وثن . الشيرازي في الألقاب وأبو نعيم في مسلسلاته وقال صحيح ثابت عن علي . أشيدوا النكاح وأعلنوه . الحسن بن سفيان (طب) عن هبار بن الأسود . أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ماخلا الله باطل * (ق ه) عن أبي هريرة . اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد أتاهم مايشغلهم (حم د ت ه ك) عن عبد الله بن جعفر . اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم . ابن سعد عن القاسم بن محمد مرسلا . اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة لاتظالموا عند قسمة مواريثكم وأنصفوا الناس من أنفسكم ولا تجبنوا عن قتال عدوكم ولاتغلوا غنائمكم وأنصفوا ظالمكم من مظلومكم (طب) عن أبي أمامة . أطفال المشركين خدم أهل الجنة (طس) عن أنس (ص) عن سلمان موقوفا : أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة (حم ك) والبيهقي

في بعض جوارحه ولهذا لم يكن قادحا في منصبه وأما ما في بعض الروايات من أنه ﷺ صار يخيل له أنه يفعل الشيء ولا يفعله فقال أبو بكر بن العربي لاأصل له وأسلم من يهود المدينة عبد الله بن سلام وكان سيدهم وحبرهم وكان إسلامه في السنة الأولى من الهجرة وفيها شرع الأذان والإقامة ثم بعد مكثه ﷺ بضع عشرة سنة يدعو إلى الله تعالى بغير قتال صابرا على إيذاء العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه لأمر الله له بالصبر ووعده له بالفتح أذن بالقتال لكن لمن قاتله بقوله تعالى «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» الآية وهي أول آية نزلت في القتال وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة ثم أذن له في القتال لمن لم يقاتله لكن في غير الأشهر الحرم بقوله تعالى «فإذا انسلخ الأشهر الحرم الآية» ثم أذن له في القتال مطلقا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة الآية . وعدد مغازيه ﷺ وهي التي غزا فيها بنفسه تسع وعشرون على قول وعدد سراياه وهي التي بعثها ولم يكن فيها خمسون على قول أعظمها سرية مؤتة وتسمية

فى البعث عن أبى هريرة . اطلبوا الخير عند حسان الوجوه (تخ) وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ع طب) عن عائشة (طب هب) عن ابن عباس (عد) عن ابن عمر ، ابن عساكر عن أنس (طس) عن جابر ، تمام (خط) فى رواية مالك عن أبى هريرة تمام عن أبى بكرة . اطلبوا المعروف من رحماء أمتى تعيشوا فى أكنافهم ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل عليهم ، ياعلى إن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلا فحببه إليهم وحبب إليهم فعاله ووجه إليهم طلابه كما وجه الماء فى الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة (ك) عن على . اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء (حم م ت) عن ابن عباس (خ ت) عن عمران بن حصين . أطوعكم لله الذى يبدأ صاحبه بالسلام (طب) عن أبى الدرداء . أطول الناس أعناقا يوم القيامة المؤذنون (حم) عن أنس . أطيب الطيب المسك (حم م د ن) عن أبى سعيد . أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور (حم طب ك) عن رافع بن خديج (طب) عن ابن عمر . اعبد الله لا تشرك به شيئا وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكاة المفروضة وحج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله بهم وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه (طب) عن أبى المنتفق اعبد الله ولا تشرك به شيئا واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك فى الموتى واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية (طب هب) عن معاذ بن جبل . اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا (طب) عن أبى الدرداء . اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام (ت) عن أبى هريرة . اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف (طب) عن النعمان بن بشير . اعزل الأذى عن طريق المسلمين (م ه) عن أبى برزة . أعظم النساء أيسرهن مؤنة (حم ك هب) عن عائشة . أفضل الصلوات عند الله تعالى صلاة الصبح يوم الجمعة فى جماعة (حل هب) عن ابن عمر . اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك (ك هب) عن ابن عباس (حم) فى الزهد (حل هب) عن عمرو بن ميمون مرسلا . اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك . البزار (طس) عن أبى بكر . أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين (ك هب) عن أنس . أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (حم) عن رجل . أفضل المؤمنين إسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل (طب) عن ابن عمر . أفضل المؤمنين أحسنهم خلقا (ه ك) عن ابن عمر . أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول (حم م ن) عن حكيم ابن حزام . أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم (ه) عن أبى هريرة . أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين (م) عن ابن مسعود . أفشوا السلام تسلموا (خد ع حب هب) عن البراء . أفشوا السلام بينكم تحابوا (ك) عن أبى موسى . أفشوا السلام كى تعلوا (طب) عن أبى الدرداء . اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى الصلاة (طب) عن ابن عباس . اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو

بعضهم لها غزوة مساهلة وسرية أبى مات عليه الصلاة والسلام بعد تهيئتها وقبل سفرها وأمضاها الصديق لما خلف وهى وسرية مؤتة كلاهما لقتال الروم . فأول مغازيه غزوة ودان وهى غزوة الأبواء وكانت على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة وهو بمعنى قول بعضهم خرج لها لاثنتى عشرة ليلة مضت من صفر ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الأولى وهى غزوة صفوان ثم غزوة بدر الوسطى وهى الكبرى ثم غزوة بنى سليم ثم غزوة بنى قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى مرة ثم غزوة بحران ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الأسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة ثم غزوة بدر الأخيرة وهى غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان ثم غزوة ذى قرد وهى غزوة الغابة ثم غزوة الحديبية وفيها كانت بيعة

غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (حم م) عن أبي أمامة . اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به (حم ع طب هب) عن عبد الرحمن بن شبل . اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم (طس هب) عن حذيفة . اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لايعذب قلبا وعى القرآن . تمام عن أبي أمامة . اقرءوا على موتاكم يس (حم ده حب ك) عن معقل بن يسار . أقيموا الصفوف فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله عز وجل (حم د طب) عن ابن عمر . أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور (خ) عن أنس . أكثر خطايا ابن آدم في لسانه (طب هب) عن ابن مسعود . أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله تعالى وقدره بالعين . الطيالسي (تخ) والحكيم والبزار والضياء عن جابر . اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال (حم ق ٣) عن أنس . اللهم إني أعوذبك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال (خ ن) عن أبي هريرة . أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب ، وأما أول ماياًكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأماشبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها (حم خ ن) عن أنس . أما صلاة الرجل في بيته فنور فنوّروا بها بيوتكم (حم ه) عن عمر . إن الله إذا أنزل عاهة من السماء على أهل الأرض صرفت عن عمار المساجد . ابن عساكر عن أنس . إن الله تعالى افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا ويقينا كان كفارة لما مضى (ن هب) عن عبد الرحمن بن عوف . إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته (ن حب) عن أنس . إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب اليّ عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه ، ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته (خ) عن أبي هريرة . إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته (حم ع) عن شداد بن أوس . إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال (ه) عن عمران . إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها (طب) عن الحسين بن علي . إن الله تعالى يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله بحياة أوموت (خط) وابن عساكر عن أبي ذر . إن الله تعالى يحب أبناء السبعين ويستحي من أبناء الثمانين (حل) عن علي . إن الله لايحب الذواقين ولا الذوّاقات (طب) عن عبادة بن الصامت . إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة (ن) عن ابن عمر . إن الله لايستحي من الحق لاتأتوا النساء في أدبارهن (ن ه) عن خزيمة بن ثابت .

إن

الرضوان ثم غزوة خيبر ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة فتح مكة شرفها الله تعالى ثم غزوة حنين وهي غزوة هوازن وغزوة أوطاس ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك ؛ ولم يقع القتال إلا في تسع منها بناء على القول بعدم وقوع القتال في غزوة وادي القرى وهي غزوة بدر الكبرى وكانت في السنة الثانية من الهجرة وفي هذه السنة حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه صلاة الظهر عند الأكثر فوقع نصفها إلى بيت المقدس ونصفها إلى الكعبة وفيها فرض رمضان والراجح أنه لم يجب صوم قبله وأن صومهم ثلاثة أيام من كل شهر الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وهي الأيام البيض وعاشوراء كانت على الاستحباب وفيها فرضت زكاة الفطر وشرعت صلاة عيده وفرضت زكاة الأموال وشرعت التضحية وصلاة عيدها وغزوة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة وفي هذه السنة حرمت الخمر وغزوة بني المصطلق وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وكانت

إن الله تعالى لايقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذالم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (حم ق ت ه) عن ابن عمر . إن الله تعالى يقول إن الصوم لى وأنا أجزى به إن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح وإذا لقى الله تعالى لجزاه فرح ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك (حم ن) عن أبى هريرة وأبى سعيد معا . إن الله تعالى يقول أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما (د ك) عن أبى هريرة . إن الله تعالى يقول ياابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لاتفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك (حم ت ه ك) عن أبى هريرة . إن الله تعالى يقول إذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى إلا الجنة (ت) عن أنس . إن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأى شىء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا (حم ق ت) عن أبى سعيد . إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدى بى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (طس حل) عن واثلة . إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن فان كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها (د) عن أبى الدرداء . ان العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذى ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (حم ت ن ه حب ك هب) عن أبى هريرة . إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعاً ويفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون ، وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى كنت أقول مايقول الناس فيقال له لادريت ولاتليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه (حم ق د ن) عن أنس . إن الغسل يوم الجمعة يسل الخطايا من أصول الشعر استلالا (طب) عن أبى أمامة . إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ (حم د) عن عطية العوفى . إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على . الحرث عن عوف بن مالك . ان أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر (حم ت) عن أبى سعيد . ان أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس (حم د) عن أسامة بن زيد . إن المتحابين فى الله فى ظل العرش (طب) عن معاذ . إن المجالس ثلاثة سالم وغانم وشاحب (حم ع حب) عن أبى سعيد . إن المرء كثير بأخيه وابن عمه . ابن سعد عن عبدالله بن جعفر . إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها (م ت) عن أبى هريرة . إن المرأة خلقت من ضلع وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها (حم حب ك) عن سمرة . إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا رأى أحدكم

الثلاثة فى السنة الخامسة من الهجرة ، وفى هذه السنة شرع التيمم وكانت قصة الإفك وفرض الحج وغزوة خيبر وكانت فى السنة السابعة من الهجرة وفى هذه السنة كان اتخاذ الخاتم وإرسال الرسل إلى الملوك وعمرة القضاء وغزوة فتح مكة وغزوة حنين وغزوة الطائف وكانت الثلاثة فى السنة الثامنة من الهجرة وفى هذه السنة اتخذ له صلى الله عليه وسلم منبراً من خشب ثلاث درجات بمحل الجلوس وقيل بغيره وكان يخطب قبله على منبر من طين ثلاث درجات أيضاً بنى له لما كثر الناس وكان يخطب قبل هذا مسندا ظهره إلى جذع نخل من سوارى المسجد ولما تركه صلى الله عليه وسلم حن حنين الوالدة بصوت سمعه من فى المسجد حتى ارتج المسجد وبكى الناس فنزل صلى الله عليه وسلم فحضنه فجعل يئن أنين الصبى الذى يسكت فسكت ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده إلا أبى ابن خلف فى أحد وقدم غالب وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة من الهجرة وكانت تسمى سنة الوفود وفيها توفى النجاشى وهجر صلى

امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يردّ مافي نفسه (حم م د) عن جابر . إن المرأة تنكح لدينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك (حم م ت ن) عن جابر . إن أناسا من أمتى يأتون بعدى يود أحدهم لو اشترى رؤيتى بأهله وماله (ك) عن أبى هريرة . إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه . (ت ه ك) عن عثمان ابن عفان . ان الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه . (ه) عن أبى سعيد . إن المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة وإن الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة . الحكيم والبزار والحاكم فى الكنى (هب) عن أبى هريرة . إن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب ولاصورة : رواه ابن ماجه عن على . إن الملائكة لاتدخل بيتا فيه تماثيل أوصورة (حم ت حب) عن أبى سعيد . إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب (حم خد م د ت) عن ابن عمر . ان أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن . (م) عن ابن عمر . إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى فى كل جمعة فيقول لهم تمنوا على ماشئتم فيلتفتون إلى العلماء فيقولون ماذا نتمنى؟ فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا . ابن عساكر عن جابر . إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم جرت وإنهم ليبكون الدم . (ك) عن أبى موسى . إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وإن أول أهل الجنة دخولا هم أهل المعروف . (طب) عن أبى أمامة . إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة . (طب) عن ابن عباس . إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة . (تخ ت حب) عن أبى مسعود . إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيتهما ماكانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا . (حم م د ه) عن ابن عمر . إن أول مايسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد . (ت ك) عن أبى هريرة . إن لصاحب الحق مقالا . (حم) عن عائشة (حل) عن أبى حميد الساعدى . إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك . (ك) عن عائشة . إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولاتستخلقى ثوبا حتى ترقعيه . (ت ك) عن عائشة . إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وماهى أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل . (طب) عن عوف بن مالك . أنزلوا الناس منازلهم (م د) عن عائشة . أنشد الله رجال أمتى لايدخلون الحمام إلا بمئزر وأنشد الله نساء أمتى لايدخلن الحمام . ابن عساكر عن أبى هريرة . انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل كيف أنصره ظالما ؟ قال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره (حم خ ت) عن أنس . أهل الجنة عشرون ومائة ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم (حم ت ه حب ك) عن بريدة (طب) عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أبى موسى . أهل الجور وأعوانهم فى النار . (ك) عن حذيفة . أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف . (طب) عن عبد الله بن جعفر . أوصيك بتقوى الله تعالى فى سر أمرك أو علانيته وإذا سألت فأحسن ولاتسألن أحدا شيئا ولاتقبض أمانة ولاتقض بين اثنين . (حم) عن أبى ذر . أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله وأوصيه بجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم ويوقر عالمهم وأن لايضربهم فيذلهم ولا يوحشهم فيكفرهم وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم . (هق) عن أبى أمامة . ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره

وكثرة

الله عليه وسلم نساءه شهر ، وأمر أبا بكر أن يحج بالناس وفى العاشرة حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ونزل قوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا» ولم يحج بعد الهجرة غيرها وأما بعد النبوّة وقبل الهجرة فحج ثلاث حجات وقيل حجتين وقيل كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وفى كلام ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم حج قبل النبوة ووقف بعرفات وأفاض منها إلى المزدلفة مخالفا لقريش توفيقا من الله تعالى فإنهم كانوا لايخرجون من الحرم ولا يعظمون شيئا من الحل دون بقية العرب ويقولون نحن أهل الحرم وولاة البيت فليس لأحد منزلتنا . وأما عمره صلى الله عليه وسلم فأربع كلها فى ذى القعدة عمرة الحديبيه وعمرة القضاء ويقال لها عمرة القضية لأنه قاضى قريشا عليها أى صالحهم ومن ثم يقال لها عمرة الصلح أيضاً وعمرته حين قسم غنائم حنين وعمرته مع حجة الوداع وأما مافى الصحيحين اعتمر صلى الله عليه وسلم أربع عمر كلها فى ذى القعدة إلا التى

وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط . مالك (حم م ت ن) عن أبي هريرة . ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل تقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد ترقى بها ثلاث مرات (ه ك) عن أبي هريرة . ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب الله الله ربي لا أشرك به شيئا (حم د ه) عن أسماء بنت عميس . ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير دينا أداه الله عنك قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك (حم ت ك) عن علي . ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وان كنت مغفورا لك قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين (ت) عن علي ورواه (خط) بلفظ : إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك ؟ ألا يارب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يارب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم ، ألا يارب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ماله عند الله من خلاق ، ألا وإن عمل أهل الجنة حزن بربوة ، ألا وان عمل أهل النار سهل بسهوة ، ألا يارب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا . ابن سعد (هب) عن أبي البجير . اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين (حب هب) عن معاذ . أيما وال ولي أمر أمتي بعدي أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا نجاه الله بعدله وان كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق به الصراط فأول ما يتقي به النار أنفه ووجهه . أبو القاسم بن بشران في أماليه عن علي . أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكرها وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله عليه بها سخطا . ابن عساكر عن عطية بن قيس . أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله تعالى من حلل الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم (حم د ت) عن أبي سعيد . وفي هذا القدر كفاية والله ولي التوفيق والهداية .

(فصل: في غزواته صلى الله عليه وسلم وما يذكر معها) واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وشهرين ثم توفي صلى الله عليه وسلم . ففي السنة الأولى فرض عليه الجهاد وبعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش في رمضان وبعث عبيدة ابن الحرث في ستين رجلا من المهاجرين إلى بطن رابغ ، بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار بخاء معجمة وراءين عين قرب الجحفة في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش (وأول غزواته صلى الله عليه وسلم غزوة الأبواء على ما قاله ابن اسحق وجماعة) والأبواء قرية بين مكة والمدينة وتسمى غزوة ودان وكانت على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة ، وفي هذه السنة كان بدء الأذان لما استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة ورأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه الأذان وفيها أعرس بعائشة رضي الله عنها وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكانت ركعتين بعد مقدمه بشهر وفيها صلى صلاة الجمعة وأول خطبة خطبها في الإسلام وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجنازة على البراء ابن معرور بعد وفاته بشهر وعلى تبع اليماني وكان قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه

في حجته فمعناه أنه لم يوقع التي في حجته في ذي القعدة بل أوقعها في ذي الحجة تبعا للحج . وأما إحرامه بها فكان في ذي القعدة لخمس بقين منه ، وتوفي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة يوم الاثنين قبيل الزوال لليلتين مضتا من ربيع الأول وقيل لليلة مضت منه وقيل ثنتى عشرة ليلة مضت منه وعليه الجمهور وسنة إحدى عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون بعدها ثلاث عشرة بمكة وعشرة بالمدينة وليس في وجهه ورأسه عشرون شعرة بيضاء بل أقل وأكثره في عنفقته وباقيه في صدغيه ورأسه وجمع بين نفي خضبه في روايات وإثبات خضبه بالصفرة في بعض الروايات وبالحناء والكتم الصابغ أولهما حمرة وثانيهما سواد مائلا إلى الحمرة ومجموعهما لونا بين الحمرة والسواد وفي بعض آخر بحمل النفي على غالب الأوقات لعدم احتياج شيبه إلى الخضب لقلته وحمل الإثبات على بعض الأوقات وكانت مدة شكواه ثلاثة عشر يوما على أحد الأقوال وقبل موته بأربع ليال أمر أبا بكر

بسبعمائة سنة وهو أول من كسا البيت نقله ابن عبد البر وكانت وفاته يوم قدومه المدينة قاله ابن العماد؛ وفي السنة الثانية من الهجرة في نصف شعبان حولت القبلة إلى الكعبة وفيها فرضت زكاة المال قبل فرض رمضان كما أشار إليه النووي في باب السير من الروضة وفرض الصوم في أواخر شعبان وفيها غزوة بدر الكبرى وكانت يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان وفي الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى وضحى بكبشين أملحين أقرنين وفيها أعرس عليّ بفاطمة رضي الله عنهما وفيها غزوة بواط وذي العشيرة وبني قينقاع والسويق وفي المواهب بواط بفتح الباء الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخره طاء مهملة موضع من ناحية رضوى والعشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهي أرض لبني مدلج بناحية الينبع كذا في القاموس وكانت بعد بواط بأيام قلائل وقينقاع بفتح القاف وضم النون (وغزوة السويق) كانت في خامس ذي الحجة من السنة الثانية وذلك أنه لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن يغزو محمدا وأصحابه فخرج من مكة في مائتي راكب حتى نزل قريبا من المدينة بمحل بينه وبينها نحو ميل فقطع جانبا من النخل ولقي رجلين من الأنصار فقتلهما فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة . وفي السنة الثالثة من الهجرة حرمت الخمرة في شوال منها وقيل في الرابعة وولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيها غزوة أحد وحمراء الأسد وغطفان وسرية كعب بن الأشرف وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن الجبال وهو الذي قال في حقه صلى الله عليه وسلم أحد جبل يحبنا ونحبه قيل فيه قبر هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وكانت وقعته يوم السبت في شوال سنة ثلاث بالاتفاق كذا في المواهب وحمراء الأسد مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال . وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير وذات الرقاع وصلاة الخوف وقيل في التي بعدها وفيها مولد الحسين بن علي رضي الله عنهما ونزلت آية التيمم كما قاله في الروضة وفيها كان رجم اليهوديين اللذين زنيا وفيها قصرت الصلاة في السفر . وفي السنة الخامسة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع وتسمى غزوة المصطلق وفيها كان حديث الإفك على مارجحه الحاكم وغيره وقيل في سنة ست على ماقاله ابن إسحق وجزم به الطبري وغيره وقيل سنة أربع قاله موسى بن عقبة وفيها نزلت آية الحجاب وقيل في التي قبلها وفيها سابق الخيل وفيها غزوة الخندق وهي الأحزاب على ماقاله ابن إسحق وقال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وغزوة بني قريظة . وفي السنة السادسة من الهجرة كانت غزوة الحديبية وهي قرب مكة وكانت مستهل القعدة منها وكانوا ألفا فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة وفيها قحط الناس فاستسقى لهم النبي ﷺ فسقوا في رمضان وفيها غزوة بني لحيان وغزوة الغابة . وفي السنة السابعة من الهجرة كانت عمرة القضاء مستهل القعدة منها وكان صلى الله عليه وسلم في ألفين وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها وأقام بمكة ثلاثا ورجعوا وفيها غزوة خيبر وإسلام أبي هريرة وبعثه صلى الله عليه وسلم الرسل إلى الملوك واتخاذ الخاتم لختم الكتب وتحريم الحمر الأهلية والنهي عن متعة النساء وفيها جاءته مارية القبطية وبغلته دلدل وفيها غير ذلك . وفي السنة الثامنة كانت غزوة الفتح فتح مكة وكانت في رمضان منها لنقض قريش العهد وطاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان وحوله ثلاثمائة وستون صنما وكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب في يده قائلا جاء الحق وزهق

أن يصلي بالناس فصلى بهم سبع عشرة صلاة أولاها عشاء ليلة الجمعة وأخراها صبح يوم الاثنين وكان مرضه هذا صداعا شديدا ولما اشتد عليه الأمر صار يدخل يده في قدح ماء ويمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت وإنما اشتد كربه عند الموت لتسلية أمته إذا وقع لهم شيء من ذلك عند الموت ومن ثم قالت عائشة لا أزال أغبط المؤمن بشدة الموت عليه بعد شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحصل لمن شاهد من أهله وغيرهم من المسلمين مزيد الثواب لما يلحقه من المشقة عليه كما قيل بمثل ذلك في حكمة اشتداد كرب الموت على الأطفال ولأن تشبث الحياة الإنسانية ببدنه الشريف أقوى من تشبثها ببدن غيره لأنه أصل الموجودات فيكون انتزاعها منه أصعب، روى أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتك شكوى إلا سأل الله العافية حتى كان مرضه الذي مات فيه فإنه لم يكن يدعو بالشفاء وكان عنده سبعة دنانير أو ستة فأمر بالتصدق بها، وروى أنه أعتق في مرضه هذا أربعين نسمة، وروى أن آخر ماتكلم به : جلال ربي

الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه وفيها كان قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص واسلامهم وفيها غزوة حنين وغزوة الطائف وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه وقيل اتخاذه كان فى سنة تسع قاله ابن الجوزى فى مولده وفيها مولد ابراهيم ابنه صلى الله عليه وسلم ووفاة زينب بنته صلى الله عليه وسلم وفيها غير ذلك . وفى السنة التاسعة كانت غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار وقدوم الوفود وتتابعها وحج فيها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة لينبذ إلى كل ذى عهد عهده وأن لايحج بعد العام مشرك وأن لايطوف بالبيت عريان وفيها مات النجاشى وأم كلثوم بنته صلى الله عليه وسلم وفيها غير ذلك وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الخميس من ذى القعدة ومعه أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وقيل مائة ألف وقيل غير ذلك فكانت وقفته بالجمعة ونزل عليه صلى الله عليه وسلم فيها « اليوم أكملت لكم دينكم » الآية ولم يحج النبى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لايعرف عددها . واعتمر بعد أن هاجر أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضاء وتسمى عمرة القضية وعمرة من الجعرانة فى أثر وقعة حنين وعمرة مع حجته ففى الصحيحين من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر . وقد اختلف فى السنة التى فرض الله عليه فيها الحج فقيل فى سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وفى السنة العاشرة أيضا أسلم جرير بن عبدالله البجلى ونزلت « إذا جاء نصر الله والفتح » بمنى يوم النحر فى حجة الوداع وقيل قبل وفاته بثلاثة أيام ومات فيها إبراهيم ابنه صلى الله عليه وسلم انتهى من حاشية الشنوانى على المولد بتصرف وزيادات من غيرها وهذه أسماء الغزوات التى قاتل فيها صلى الله عليه وسلم بنفسه (بدر وأحد والخندق والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف كذا قال ابن إسحق) ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة إلا رجلا واحدا وهو أبىّ بن خلف يوم أحد والسرفى قتله أنه كان له فرس يطعمه القديد من اللحم والبر وكان إذا لقى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة يقول له أنا أقتلك على فرسى هذا فيقول له صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك وأنت عليه فلما كان يوم أحد جاء ذلك اللعين وهو على فرسه وهو يقول أين محمد لانجوت ان نجا فأراد الصحابة أن يحولوا بينه وبينه فنهاهم صلى الله عليه وسلم وقال افرجوا له ثم تناول حربة من بعض أصحابه ثم نظر درعه صلى الله عليه وسلم فرأى ترقوته من حلقه فضربه فخر صريعا فكبرت الصحابة إذ ذاك فلما رجع إلى قريش قال قتلنى والله محمد قالوا ذهب والله فؤادك والله مابك بأس قال إنه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك وفى رواية قال له أبو سفيان ويلك مابك إلا خدشة فقال مه أبا سفيان والله لو بصق علىّ محمد لقتلنى وقد قال صلى الله عليه وسلم «اشتد غضب الله على من قتل نبيا أوقتله نبى» أما من قتل فظاهر وأما من قتله نبى فلأن اعتناء النبى بقتله أدل دليل على عظم عتوّه وفساده كهذا اللعين ذكره البابلى فى سيرته [وهذه سراياه وبعوثه صلى الله عليه وسلم] سرية عبيدة بن الحرث الى أحياء من أسفل ثنية المرة وهى ماء بالحجاز وتقدمت أول الفصل ، وسرية حمزة إلى ساحل البحر من ناحية العيص وتقدمت كذلك وسرية سعد بن أبى وقاص وبعث محمد بن مسلمة فيما بين أحد و بدر إلى كعب بن الأشرف وسرية عبد الله بن جحش الى نخلة وسرية زيد بن حارثه وسرية مرثد بن أبى مرثد وسرية منذر بن عمرو وسرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وسرية عمر بن الخطاب وسرية على بن أبى طالب وسرية أبى العوجاء السلمى وسرية عكاشة بن محصن

الرفيع قد بلغت ، وعند موته طاشت عقول الصحابة فخبل عمر وأخرس عثمان وأقعد علىّ وأما أبو بكر فجاء وعيناه تهملان فقبله عليه الصلاة والسلام وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ثم قام فصعد المنبر وقال كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت قلوبهم ثم غسل صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبه الذى مات فيه ثلاث غسلات أولاها بالماء القراح وثانيتها بالماء والسدر وثالثتها بالماء والكافور وكان المغسل له عليا والماء من بئر غرس التى بقباء ثم كفن فى ثلاثة أثواب بيض من القطن سحولية أى من عمل سحولة قرية باليمن ليس فيها قميص ولاعمامة أى لم يكن فى كفنه ذلك كما قاله إمامنا الشافعى وجمهور العلماء ثم بخر بالعود والند ثم وضع على سرير وسجى ثم صار الناس يدخلون للصلاة عليه طائفة بعد طائفة أفذاذا لا يؤمهم أحد وقيل لم يصل عليه أحد وإنما كان الناس يدخلون ليدعوا ويتضرعوا؟ وفى المواهب أن الغسل والتكفين والصلاة كانت يوم الثلاثاء ثم اختلفت الصحابة

وسرية أبي سلمة بن عبدالأسد وسرية محمد بن مسلمة وسرية بشر بن سعد وسرية زيد بن حارثة وسرية زيد بن حارثة أيضا وسرية زيد بن حارثة أيضا وسرية عبد الله بن رواحة وسريته أيضا لبشير بن رزام اليهودى وسرية عبد الله بن عتيك وسرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة لمؤتة وفيها استشهد سيدنا جعفر وسرية كعب بن عمرو الغفارى وسرية عيينة بن حصن بن حذيفة بن زيد بن العنبر وسرية غالب بن عبدالله الكلبي وسرية عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة وسرية أبي حدرد وأصحابه إلى بطن آضم قبل الفتح وسرية أبي عبيدة ابن الجراح ذكره ابن إسحق وزاد ابن هشام بعث عمرو بن أمية الضمرى بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بمكة وسرية زيد بن حارثة إلى مدين وسرية سالم بن عمير أبي جعد قال الشيخ محي الدين حدثني به عمرو بن عوف وسرية عمير بن عدى وبعث صلى الله عليه وسلم علقمة بن محرز فى طلب القوم الذين قتلوا وقاص بن محرز بوادى قرد وبعث كرز بن جابر فى طلب الرعاء الذين قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى اليمن مرة أخرى وسرية أسامة بن زيد إلى الروم فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وولى أبو بكر رضى الله عنه فأمضاها وكل سراياه صلى الله عليه وسلم كانت بعد الهجرة كالغزوات وفى سنة سبع من الهجرة جاءت رؤساء يهود المدينة إلى لبيد بن الأعصم وكان ساحرا فقالوا له يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم يصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير فسحره فى مشط له صلى الله عليه وسلم ومشاطة من شعر رأسه أعطاهما له غلام يهودى كان يخدمه صلى الله عليه وسلم أحيانا وعقد فى وتر إحدى عشرة عقدة فيها إبر مغروزة ودفن ذلك فى بئر ذروان فمكث صلى الله عليه وسلم متغير المزاج من ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما فلما اشتد به الحال ونزل جبريل فأخبره فبعث عليا فاستخرج ذلك وصار كلما حل عقدة وجد خفة حتى قام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وقد مسخ الله ماء تلك البئر حتى صار كنقاعة الحناء ثم أحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيدا فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دنانير جعلها له اليهود فى مقابلة سحره فعفا عنه ولم يؤثر السحر فى عقله بل فى بعض جوارحه .

وقد نافق جماعة من أهل المدينة كان رئيسهم عبد الله بن أبى ابن سلول وفيهم أنزل الله سورة المنافقين (وفى السنة السابعة) أيضا من الهجرة بعد فتح خيبر سمته امرأة يهودية ففي البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم قال القسطلانى بتثليث السين أهدتها له زينب بنت الحرث اليهودية امرأة سلام بن مشكم وكانت سألت أى عضو من الشاة أحب إليه فقيل الذراع فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمته ومات منها وعند البيهقى أنه عليه السلام أكل وقال لأصحابه أمسكوا فإنها مسمومة وقال لها ما حملك على ذلك قالت أردت إن كنت نبيا فيطلعك الله وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك قال فما عرض لها وزاد عبد الرزاق واحتجم على الكاهل قال قال الزهرى وأسلمت فتركها وعند ابن سعد أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها انتهى

(فصل فى ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدمه وما يتصل بذلك) فى ذخائر العقبى وكان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب أبوه ثالث عشرهم : الحرث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى أبا الحرث وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار وقثم وعبد الكعبة وحجل ويسمى المغيرة وحمزة والعباس انتهى ولم يعقب منهم إلا خمسة الحرث والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبدالله

وكان

فى الموضع الذى يدفن فيه فقال بعضهم يدفن فى المسجد وبعضهم فى البقيع وبعضهم ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل فقال أبو بكر ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدفن نبى إلا حيث قبض فاتفقوا على ذلك فحفر قبره وصنع له لحد ووضع فيه وأطبق عليه بتسع لبنات ثم أهيل التراب وكان دفنه على قول الأكثر ليلة الأربعاء فيكون مكث بعد موته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء وبعض ليلة الأربعاء والسبب فى تأخير دفنه اشتغالهم ببيعة أبى بكر حتى تمت وقيل عدم اتفاقهم على موته صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر من طلع من قبره الشريف على الأصح قثم بن العباس رضى الله عنهما وكان آخر الصحابة عهدا به صلى الله عليه وسلم .

(ذكر نبذة من حليته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه)

ورد أنه كان عليه الصلاة والسلام ربعة لكنه إلى الطول أقرب بعيد ما بين المنكبين عظيم الهامة رجل الشعر لم يجاوز شعره شحمة أذنه فهو وفرة ، وفى رواية أنه

وكان أكبرهم الحرث وبه كان يكنى عبد المطلب وشهد معه حفر زمزم ولم يدرك الإسلام منهم إلا أربعة أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس ولم يسلم إلا حمزة والعباس قال ﷺ سيد الشهداء يوم القيامة حمزة وقال صلى الله عليه وسلم عمى وصنو أبى العباس روى العباس خمسة وثلاثين حديثا (وأما عماته) فست صفية وإسلامها معروف محقق وهى أم الزبير بن العوّام وأروى وعاتكة وفى إسلامهما خلاف وأم حكيم وبرة وأميمة ولاخلاف فى عدم إسلامهن وكلهن شقيقات عبد الله والد النبى ﷺ الاصفية [وأما زوجاته] اللاتى دخل بهن ولم يفارقهن فثنتا عشرة امرأة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل (الأولى منهن) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشية الأسدية وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأعصم وكان صداقها اثنتى عشرة أوقية ونصفا من الذهب ولم يتزوج عليها حتى ماتت وروت حديثا واحدا (الثانية) سودة بنت زمعة تزوجها فى السنة العاشرة من النبوّة وكانت قبله تحت ابن عمها ولما كبرت أراد طلاقها صلى الله عليه وسلم فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة وعاشت إلى أن ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه (الثالثة) عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة القرشية تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين وقيل عشر وكان مولدها سنة أربع من النبوة كذا فى المواهب وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه إليه وكنيتها أم عبد الله ابن أختها أسماء بنت أبى بكر وروت عائشة رضى الله عنها ألفى حديث ومائتى حديث وعشرة أحاديث وتوفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى أبو هريرة عليها ودفنت بالبقيع ليلا (الرابعة) حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية أمها زينب بنت مظعون بن حبيب تزوجها صلى الله عليه وسلم فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة على الأشهر وكان مولدها قبل النبوّة بخمس سنين وكان صداقها أربعمائة درهم روت ستين حديثا وتوفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ (الخامسة) زينب بنت خزيمة بن الحرث العربية الهلالية تزوجها صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع وكان عمرها إذ ذاك ثلاثين سنة ولم يمت من أزواجه فى حياته إلا هى وخديجة وريحانة على القول بأنها زوجة (السادسة) أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فى آخر شوال سنة أربع وقيل سنة اثنتين قالت لولدها زوجنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها واستدل به على أن الابن يلى عقد أمه وهو خلاف مذهبنا معاشر الشافعية روت ثلثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثا توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح وعاشت أربعا وثمانين سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع (السابعة) زينب بنت جحش بن رباب العربية أمة أميمة بنت عبد المطلب كان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة فلما فارقها زيد تزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وأصدقها أربعمائة درهم وهى إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة روت عشرة أحاديث وتوفيت سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين وقد بلغت ثلاثا وخمسين سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفنت بالبقيع (والثامنة) جويرية بنت الحرث بن أبى

مجاوزها فيكون الا بكسر اللام وفى رواية أنه يصل إلى منكبيه فيكون جمة بضم الجيم وجمع بأن شعر رأسه صلى الله عليه وسلم كان يقصر ويطول بحسب الأوقات فاذا بعد جداعن تقصيره أوحلقه وصل إلى منكبيه والافتارة ينزل عن شحمة أذنه وتارة لاينزل عنها قال ابن القيم ولم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم إلا أربع مرات اه أى فى نسكه إذ لم يثبت حلق رأسه فى غيره كما فى المواهب وكان أولا يسدل شعره موافقة لأهل الكتاب ومخالفة للمشركين الذين يفرقونه ثم فرقه . مستنير الوجه بعض تدوير فيه أزهر اللون وأما رواية كان أسمر فالمراد بالسمرة فيها الحمرة التى شرب بها بياضه وأما رواية ليس بالأبيض فالمراد بالبياض المنفى فيها البياض الشديد الخالص عن الحمرة فلا تنافى ، واسع الجبين أزج الحواجب من غير قرن وفى رواية بقرن وجمع بأن الاختلاف بحسب نظر الرائى لأن الفرجة التى كانت بين حاجبيه يسيرة لاتبين إلا لمن دقق النظر بينهما ، أقنى العرنين له نور يعلوه ، سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان يفتر عن

ضرار الخزاعية المصطلقية قال ابن هشام اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس وأعتقها ثم تزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ويقال أسلم أبوها وزوجه إياها روت سبعة أحاديث وتوفيت بالمدينة فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وكان عمرها سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم (التاسعة) ريحانة بنت يزيد من بنى النضير كانت من سبى بنى قريظة فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وأعرس بها فى المحرم سنة ست وطلقها صلى الله عليه وسلم لشدة غيرتها عليه فأكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت فى مرجعه من حجة الوداع ودفنت بالبقيع وقيل كانت موطوءة له بملك اليمين والدالم يعدها أكثر أهل السير من زوجاته (العاشر) أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان بن مظعون زوجها إياه خالد بن سعيد بن العاص بالحبشة وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وثبتت هى على الإسلام فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية إلى النجاشى فامهرها النجاشى عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشى للنبى صلى الله عليه وسلم سنة سبع على خلاف فى جميع ذلك ماتت سنة أربع وأربعين (الحادية عشرة) صفية بنت حيى بن أخطب النير العربية من بنى النضير من بنى إسرائيل من سبط هرون بن عمران أمها برة بنت شمول كان أبوها سيد بنى النضير قتل مع بنى قريظة اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه من سبى خيبر فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة روت عشرة أحاديث توفيت فى رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع (الثانية عشرة) ميمونة بنت الحرث العربية الهلالية أمها هند بنت عوف بن زهير وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد روت ستة وسبعين حديثا وماتت سنة احدى وخمسين وعاشت ثمانين سنة وهى آخر زوجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفى من أزواجه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسع منهن جمعت أسماؤهن فى قول بعضهم :

توفى رسول الله عن تسع نسوة … اليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية … وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة … ثلاث وست ذكرهن مهذب

[تنبيه] قال الشيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى بهجة الحاوى : وأفضلهن خديجة وعائشة وفى أفضليتهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها لا والله مارزقنى الله خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس وفى شرح عبد السلام على الجوهرة مانصه وأما الزوجات الشريفات فأفضلهن خديجة وعائشة وفى أفضليتهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة وفاطمة فتكون أفضل من عائشة ولما سئل السبكى عن ذلك فقال الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة واختار السبكى أن مريم أفضل من خديجة لقوله صلى الله عليه وسلم «خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون» وللاختلاف فى نبوتهما وقال شيخ الإسلام فى شرح البخارى الذى أختاره الآن أن الأفضلية محمولة على أحوال فعائشة

مثل حب الغمام أدعج العينين مع بعض حمرة فى بياضهما . وكون بياضهما فيه بعض حمرة هو المراد من رواية أشهل العينين ورواية أشكل العينين فلا تنافى ، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، كث اللحية معتدل الخلق فى السمن والنحافة لكنه لما أسن صار أكثر لحما منه قبل ذلك متماسك اللحم عريض الصدر مستوى البطن والصدر ضخم الكراديس عبل العضدين والذراعين والفخذين والساقين طويل الزندين رحب الراحة سائل الأصابع كفه ألين من الخز أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدغين شثن الكفين والقدمين خمصان الأخمصين مسيح القدمين سبابتاهما أطول أصابعهما يمشى هونا ويخطو تكفؤا كأنما ينحط من صبب ذريع المشية إذا التفت التفت جميعا ولا يلوى عنقه جهير الصوت حسن النغمة طيب الريح دائما وإن لم يمس طيبا عرقه أطيب من المسك خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة ، بين كتفيه خاتم النبوة مائلا

أفضلهن من حيث العلم وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله عليه وسلم فى المهمات وفاطمة من حيث القرابة ومريم من حيث الاختلاف فى نبوتها وذكرها فى القرآن مع الأنبياء وآسية امرأة فرعون من هذه الحيثية لكن لم تذكر مع الأنبياء وعلى ذلك تنزل الأخبار الواردة فى أفضليتهن وهذا جيد إن قلنا إن التفضيل بالأحوال وكثرة الخصال الجميلة وأما إن قلنا إنه باعتبار كثرة الثواب فالأقرب الوقف كما هو قول الأشعرى رضى الله عنه . وفى كلام البرهان الحلبى أن زينب بنت جحش تلى عائشة رضى الله عنهما ولم يقف أستاذنا على نص فى باقيهن ولا فى مفاضلة بعض أبنائه الذكور على بعض ولا فى المفاضلة بينهم وبين البنات الشريفات سوى ماشرف الله به الذكور على الإناث مطلقا ولا بينهن سوى فاطمة فإنها أفضل بناته الكريمات ولا باقى البنات سوى فاطمة مع الزوجات الطاهرات وإن جرت علة فاطمة بالبضعة فى الجميع فالوقف أسلم والله أعلم انتهى (أما سراريه) صلى الله عليه وسلم فأربع مارية القبطية أهداها له المقوقس مع أختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطى مصر وخصيا يقال له مأبور وبغلة شهباء وهى دلدل وحمارا أشهب وهو عفير ويقال له يعفور وعسلا من عسل بنها فأعجب العسل النبى صلى الله عليه وسلم ودعا لعسل بنها بالبركة قال ابن الأثير بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبى فى عسلها والناس اليوم يفتحون الباء انتهى قال صلى الله عليه وسلم «ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم رحما وصهرا» والمراد بالرحم أم إسمعيل ابن إبراهيم الخليل جده صلى الله عليه وسلم وعليهما أفضل الصلاة والسلام فإنها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم وهى مارية فإنها كانت أيضا قبطية ولما ولدت مارية إبراهيم قال النبى أعتقها ولدها توفيت فى خلافة سيدنا عمر سنة عشرة وصلى عليها ودفنت بالبقيع وريحانة على خلاف وجارية وهبتها له زينب بنت جحش وجارية أخرى قرظية (وأما أولاده) صلى الله عليه وسلم فسبعة على الأصح ثلاثة ذكور وأربع بنات وأول مولود له القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ولم يعرف لها اسم ثم عبد الله وكان يسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله وكلهم ولدوا بمكة من خديجة إلا إبراهيم فولد بالمدينة وأمه مارية (فأما القاسم) فمات بمكة وعمره سنتان وقيل أقل وقيل أكثر وهو أول ميت مات من ولده (وأما عبد الله) فمات أيضا بمكة صغيرا (وأما إبراهيم) فولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وعق عنه صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبشين وسماه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة ومات سنة عشر وعمره إذذاك سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع (وأما زينب) فقال ابن إسحق سمعت عبد الله ابن محمد بن سليمان يقول ولدت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وأدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها انتهى وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى قال الحلبى الربيع بكسر الوحدة وتشديد الياء المفتوحة اه قال بعضهم والذى عليه غيره أنه كأمير ثم لما أسلم زوجها جمع صلى الله عليه وسلم بينهما قال بعضهم ولم يفرق بينهما من أول البعثة لأن تحريم نكاح المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان الإسلام فرق بين زينب وبين أبى العاص إلا أن رسول الله ﷺ لا يقدر أن يفرق بينهما وكان مغلوبا بمكة وولدت زينب لأبى العاص عليا وأمامة فأما على فمات مراهقا وأما أمامة فتزوجها على بن أبى طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت على رضى الله عنه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بوصية من على وكان رسول الله

إلى جهة اليسار التى هى جهة القلب وهى لحم ناتىء أحمر إلى سواد نحو بيضة الحمامة عليه شعرات جعل فى الكتب القديمة آية على نبوته يسوق أصحابه أمامه ويقول خلوا ظهرى للملائكة يبدأ من لقيه بالسلام حتى الصبيان ألين الناس عريكة وأحسنهم خلقا وأعظمهم حلما وعفوا وأرجحهم عقلا وأسخاهم كفا وأصدقهم حديثا وأوفرهم حياء وأكثرهم إغضاء واحتمالا وتواضعا وأرعاهم لحق الصحبة وأرقهم قلبا وأشدهم خوفا من الله تعالى وأشجعهم عند المخاوف دائم البشر ضحوك السن وفى رواية متواصل الأحزان دائم الفكرة وجمع بأن الاختلاف بحسب رؤية المخبر وبأن الأولى فى وقت عشرته مع أهله وملاقاة القادمين عليه وتكلمه مع أصحابه والثانى فى وقت سكوته وعبادته وخلوته طويل السكوت لا يتكلم من غير حاجة يتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير ربما أعاد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه ليس بالجافى ولا بالمهين يعظم النعمة وإن دقت لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه بل إن أعجبه الطعام أكل منه

صلى الله عليه وسلم يحب أمامة وهي التي كان يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه
من السجود أعادها وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة (وأما رقية) بنته ﷺ فولدت ولرسول
الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن أبي لهب وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه فلما
نزلت تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لهما رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاها
ولم يكونا دخلا بهما. عن قتادة أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج
نحو الشام تاجرا فقال له صلى الله عليه وسلم أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه فخرج في تجر
من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقاء ليلا فجاء الأسد تلك الليلة فجعل عتبة
يقول ياويل أمي هو والله آكلي كما دعا على محمد أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام
فعدى عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه فدغه، وقيل إن عتبة هو الذي أكله السبع لا عتيبة
بالتصغير وأن الذي أسلم عتيبة وهو ما في الشفاء [تنبيه] أبو كبشة جد من أجداده صلى الله عليه
وسلم من جهة أمه كذا في تفسير الخطيب وإنما نسب إليه النبي صلى الله عليه وسلم لأن أبا كبشة
خالف قريشا وعبد الشعرى فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قال مشركو
قريش نزعه أبو كبشة وقيل إن أباه من الرضاع زوج حليمة السعدية كان يدعى بأبي كبشة
كذا في ذخائر العقبى. ثم تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية بمكة وكان بوحي من الله تعالى
فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله أوحى إليّ أن
أزوج كريمتي عثمان بن عفان» أخرجه الطبراني في معجمه وزاد غيره بعد قوله كريمتي يعني رقية
وأم كلثوم وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال. وفي حياة الحيوان
لما هاجرت إلى الحبشة كان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها
ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا وولدت لعثمان بالحبشة ولدا سماه عبد الله وكان يكنى به قال
مصعب وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات وقال غيره وصلى عليه
رسول الله ﷺ ونزل في حفرته أبوه عثمان رضي الله عنه، توفيت رقية بالمدينة وكان عثمان قد
تخلف عن بدر لأجلها فجاء زيد بن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها ولما عزى بها
رسول الله ﷺ قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي وكانت وفاتها لسنة
وعشرة أشهر وعشرين يوما من مقدمه ﷺ المدينة ذكره ابن قتيبة (وأما أم كلثوم) ابنته
صلى الله عليه وسلم فقد تقدم أن عتيبة بن أبي لهب كان تزوجها ثم فارقها قبل الدخول فلما ماتت
رقية أختها تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بوحي من الله وأمر منه تعالى فعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال «لقي النبي ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال ياعثمان هذا جبريل أخبرني أن
الله تعالى قد أمرني أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها» خرجه ابن ماجه والحافظ
أبو القاسم الدمشقي والإمام أبو الخير القزويني الحاكم وعنه قال قال عثمان «لما ماتت امرأته بنت
رسول الله بكيت بكاء شديدا فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك قلت أبكي على انقطاع صهري
منك قال فهذا جبريل يأمرني بأمر الله أن أزوجك أختها وأن أجعل صداقها مثل صداق أختها»
أخرجه الفضائلي وعن سعيد بن المسيب قال «آم عثمان من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال له هل لك في حفصة وكان عثمان
قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هل لك في خير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيرا منها أم كلثوم»

وإلا تركه يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابع ويلعق إذا فرغ الوسطى فالتي تليها فالإبهام ويشرب في ثلاثة أنفاس وفي نفس مع التسمية أول كل نفس والحمد لله آخره مصا لا عبا قاعدا وشرب قائما لعذر أو لبيان الجواز وكان يأكل ما يجد ولا يتكلف ما فقد وإذا لم يجد شيئا صبر حتى شد الحجر على بطنه وطوى الليالي المتتابعة وما شبع من خبز ولا من لحم مرتين في يوم ولا من خبز ثلاثة أيام متتابعة وكان أكثر خبزه الشعير وكان أكثر طعامه التمر والماء وما أكل خبزا منخولا ولا على خوان بل كان يأكل على السفرة وربما وضع طعامه على الأرض ولا يأكل متكئا ويقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وما كان هذا الضيق إلا باختياره وإيثار القليل على التبسط فقد بعث الله إليه إسرافيل بمفاتيح خزائن الأرض وعرض عليه أن يسير معه جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فاختار بإشارة جبريل العبدية وكان يحب اللحم لاسيما الذراع والدباء ويتتبعها من جوانب القصعة إذ لا تعاف النفوس شيئا

خرجه أبو عمرو وقال حديث صحيح وعن ربعى بن حراش عن عثمان «أنه خطب إلى عمر ابنته فبلغ ذلك النبي ﷺ فلما راح إليه عمر قال ياعمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك ؟ قال نعم يانبي الله قال زوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي» خرجه الخجندي ؛ وأم كلثوم عرفت بكنيتها ولم يعرف لها اسم ، واختلف في أيهما أكبر هي أم رقية وهي أكبر سنا من فاطمة ماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها أبوها ﷺ ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة ابن زيد وأبو طلحة الأنصاري وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب عمتها وشهدت أم عطية غسلها ولم تلد رضي الله عنها (وأما فاطمة) بنته ﷺ فولدت وقريش تبني الكعبة قبل النبوّة بخمس سنين وهي أصغر بناته وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما ، عن أبي جعفر قال دخل العباس على علي وفاطمة وأحدهما يقول للآخر أينا أكبر فقال العباس ولدت ياعلي قبل بناء قريش البيت بسنوات وولدت أنت وقريش تبني البيت ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين خرجه الدولابي وكان رسول الله ﷺ يحبها حبا شديدا فعن عائشة قالت قلت يارسول الله «مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها فكأنك تريد أن تلعقها عسلا فقال ﷺ إنه لما أسري بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في ظهري فلما نزلت من السماء واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها» خرجه أبو سعد في شرف النبوة وفي رواية قالت عائشة «إنك تكثر تقبيل فاطمة فقال ﷺ إن جبريل ليلة أسري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماء في صلبي فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها» خرجه الفضل ابن خيرون كذا في ذخائر العقبى قال بعضهم وهذه الروايات تقتضي كون ولادة فاطمة بعد البعثة لأن الاسراء كان بعد البعثة وصرح أبو عمرو بأن ولادة فاطمة كانت سنة احدى وأربعين من مولده ﷺ انتهى وفي درر الأصداف رد ذلك وعبارته : وأما خبر أتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسري بي فأتت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت لرائحة الجنة شممت رقبة فاطمة فقال الأئمة ردا على تصحيح الحاكم له إنه كذب موضوع جلي الوضع لأن فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن ليلة الإسراء ذكر ذلك ابن حجر في شرح الهمزية انتهى روى البخاري ومسلم والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال «إنه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد» وفي كتاب معالم العترة النبوية مرفوعا إلى قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «خير نسائها فاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون» وعن عائشة رضي الله عنها قالت لفاطمة رضي الله عنها ألا أبشرك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» وعن النبي ﷺ قال «إذا كان يوم القيامة قيل ياأهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ فتمر وعليها ريطتان خضراوان» وفي بعض الروايات حمراوان وفي المسند للامام أحمد بن حنبل عن حذيفة بن اليمان قال «سألتني أمي متى عهدك بالنبي ﷺ فقلت لها منذ كذا وكذا وذكرت مدة طويلة فنالت مني وسبتني فقلت لها دعيني فأني آتي رسول ﷺ وأصلي معه المغرب ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ذلك قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب والعشاء ثم انفتل صلى الله عليه وسلم من صلاته فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فتبعته فسمع مشيتي خلفه فقال من هذا فقلت حذيفة فقال مالك؟ فحدثته بحديث أمي فقال غفر الله لك ولأمك ثم قال أما رأيت العارض الذي عرض لي فقلت بلى يارسول الله

منه عليه الصلاة والسلام فلا يرد حديث كل ممايليك والبقلة الحمقاء والعسل والحلاوى ، وفي الشمائل للترمذي أنه أكل من لحم الدجاج والحبارى ، وروى الشيخان أنه أكل من لحم حمار الوحش والجمل والأرنب ، ومسلم أنه أكل من دواب البحر وأحب الفاكهة إليه العنب والبطيخ قال الغزالي كان يأكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعا اهـ وقال المناوي لم يصح أنه رأى السكر وخبر أنه حضر ملاك أنصاري وفيه سكر قال السهيلي غير ثابت اهـ ويدفع ضرر بعض الأطعمة ببعض كتمر بزبد وبطيخ أو قثاء برطب ولا يأكل وحده ونهى عن أكل الخبز وحده والنوم عقب الأكل ، يلبس مايجد وأكثر لبسه خشن الثياب ايثارا للمسكنة وكثيرا ما يلبس ثوبا واحدا ولا يسبل القميص والإزار بل يجعلهما فوق كعبيه أو إلى نصف ساقيه ويجعل كم قميصه إلى الرسغ أو الأصابع وأحب الثياب إليه القميص كما في الشمائل عن أم سلمة وفيها وفي الصحيحين عن أنس إن أحبها إليه الحبرة وجمع بينهما بأنه أحب ما خيط وهي أحب ما يرتدى

قال هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هـذه الليلة استأذن ربى فى أن يسلم على ويبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين» وفى المسند أيضا عن عائشة قالت «أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ مرحبا بابنتى ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثا فبكت فقلت استخصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ثم أسرّ لها حديثا أيضا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قيل لها؟ فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ حتى قبض رسول الله ﷺ فسألتها فقالت أسر إلىّ فقال إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وإنه عارضنى به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلى وإنك أوّل أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك فبكيت فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين فضحكت لذلك» وأخرج تمام والبزار والطبرانى وأبو نعيم أنه ﷺ قال «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار» وفى رواية «فحرمها الله وذريتها على النار» وأخرج الديلمى مرفوعا «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار» . وأخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال لها «إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك» وروى عن مجاهد قال «خرج النبى ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمـد وهى بضعة منى وهى قلبى وهى روحى التى بين جنبى من آذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله» وروى الأصبغ بن نباتة عن أبى أيوب الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين فى صعيد واحـد ثم ينادى مناد من بطنان العرش إن الجليل جل جلاله يقول نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن هـذه فاطمة بنت محمد ﷺ تريد أن تمر على الصراط» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه «أنه ﷺ مر فى السماء السابعة قال فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولآسية امرأة فرعون ولخـديجة بنت خـويلد قصورا من ياقوت ولفاطمة بنت محمـد سبعين قصرا من مرجان أحمر مكللا باللؤلؤ أبوابها وأسرتها من عود واحد» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أوّل شخص يدخل الجنة على وفاطمة بنت محمد ﷺ» (تزوّجها) على بن أبى طالب رضى الله عنه فى شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة نقل الشيخ أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعا إلى أنس رضى الله عنه قال «كنت عند رسول الله ﷺ فغشيه الوحى فلما أفاق قال لى يا أنس أتدرى ما جاءنى به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عز وعلا قلت بأبى أنت وأمى ما جاءك به جبريل؟ قال قال لى إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوّج فاطمة من على فانطلق وادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدتهم من الأنصار قال فانطلقت فدعوتهم فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله ﷺ : الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المهروب إليه من عذابه النافذ أمره فى أرضه وسمائه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله عز وجل جعل المصاهرة نسـبا لاحقا وأمرا مفترضا وحـكما عادلا وخـيرا جامعا وشـج به الأرحام وألزمها الأنام فقال عز وجل : وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قـديرا . وأمر الله تعالى يجرى إلى قضـائه وقضـاؤه يجرى إلى قـدره ولـكل قضـاء قـدر ولـكل قـدر أجـل ولـكل أجـل كـتاب يمحـو الله ما يشـاء ويثبت وعنـده أم الـكتاب ، ثم إن الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من على وأشهدكم أنى زوجت فاطمة من علىّ على

به أو أحبيته حين يكون بين نسائه وأحبيتها حين يكون بين صحبه أو أحبيته من حيث كونه أسـتر لإحاطته بالبدن بالخياطة من غير تكلف وربط أو لف أو إمساك وأحبيتهـا من حيث التجمل، ولبس من الثياب الأبيض والأسود والأحمر والأصفر خالصا وذا خطوط من غير الحمرة والأخضر قيل المراد منه الخالص وقيل ذو الخطوط الخضر ولبسه الأحمـر الخالص والمزعفـر مع نهيه عنهما لبيـان الجواز والإشـارة إلى أن النهى للتنزيه ومن حرم المصبوغ بكثير الزعفران حمل صبغه عليه الصلاة والسلام به على الصبغ بقليله ،ليست عمامته كبيرة ولا صغيرة قال المنـاوى لم يتحرر فى طولها وعرضها شىء اه ، ولبس العمامة البيضـاء والسـوداء والصفـراء والأكثر البيضاء وكان غالبا يرخى لعمامته عذبة بين كتفيه أقل ما ورد فى قـدرها أربعة أصابع وأكثره ذراع ولبسهـا بالقلنسوة وبدونها والقلنسوة بدون عمامة وكان يكثر التقنع واشترى السراويل واختلف فى كونه لبسها وكان أحب الصبغ إليـه الصفرة لبس خاتما من فضة

أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال وكان على رضى الله تعالى عنه غائباً فى حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه فيها ثم أمر لنا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال انتهبوا فبينما نحن كذلك إذ أقبل على رضى الله عنه فتبسم إليه رسول الله ﷺ وقال ياعلى إن الله أمرنى أن أزوجك فاطمة وإنى قد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة فقال على رضيت يارسول الله ثم إن علياً خر ساجدا شكرا لله فلما رفع رأسه قال له رسول الله ﷺ بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب» ولم تضحك فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم قط . وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سارت إلى قبر أبيها بعد موته صلى الله عليه وسلم ووقفت عليه وبكت ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على عينيها ووجهها ثم أنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ولها رضى الله عنها ترثى أباها صلى الله عليه وسلم :

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبى كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان ... فليبكه شرق البلاد وغربها
ولتبكه مضر وكل يمان ... وليبكه الطود الأشم وجوه ... والبيت ذو الأستار والأركان
ياخاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

توفيت رضى الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهى بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها على رضى الله تعالى عنه وقيل صلى عليها العباس رضى الله تعالى عنه ونزل فى قبرها هو وعلى والفضل بن العباس . وفى كتاب الذرية الطاهرة للدولابى قال لبثت فاطمة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشهر وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر ومثله عن ابن شهاب الزهرى وهو الصحيح روى أن عليا رضى الله تعالى عنه لما ماتت فاطمة رضى الله عنها وفرغ من جهازها ودفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعا شديداً ثم أنشأ يقول :

أرى علل الدنيا على كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل ... لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الفراق قليل ... وإن افتقادى فاطما بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وروى جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما قال لما ماتت فاطمة رضى الله عنها كان على رضى الله تعالى عنه يزور قبرها فى كل يوم قال فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى وأنشأ يقول :

مالى مررت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلم يرد جوابى
ياقبر مالك لا تجيب مناديا ... أمللت بعدى خلة الأحباب

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب ... أكل التراب محاسنى فنسيتكم
وحجبت عن أهلى وعن أترابى ... فعليكم منى السلام تقطعت ... منى ومنكم خلة الأحباب

(وأما أولادها) رضى الله عنها فالحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب ،

فصه منه وخاتما من فضة فصه عقيق فى اليمين تارة وفى اليسار أخرى لكنه فى اليمين أكثر ويجعل الفص جهة بطن كفه غالبا ، وكان نقش خاتمه محمد رسول الله ثلاثة أسطر قيل تقرأ من أسفل وقيل من أعلى على العادة ، وفى شرح الشمائل للمناوى عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام كره لبس الخاتم الذى فصه من غيره فراشه من أدم محشو ليفا أو ثوب خشن من صوف يثنى طاقتين وربما نام على الحصير وعلى الأرض جردا وكان ينام على جنبه الأيمن واضعا كفه تحت خده وكان إذا نام نفخ وكان يمشى منتعلا وحافيا والانتعال أكثر وكانت نعلاه من جلد البقر لا شعر عليهما ولهما قبالان وشراك يجمعهما أحدهما بين الإبهام والسبابة والآخر بين الوسطى والبنصر طولهما شبر وأصبعان وعرضهما مما يلى الكعب سبع أصابع ومما يلى الأصابع ست ومن الوسطى خمس كذا قال الحافظ العراقى وفى كلام المناوى أنه كان له نعلان طاق واحد ونعلان أكثر من طاق ، يركب الفرس والبعير والحمار بإكاف وعريا لكن

وزاد الليث بن سعد رقية وماتت وهى صغيرة لم تبلغ ولم يتزوج على رضى الله عنه على فاطمة رضى الله
عنها حتى ماتت وكانت أول أزواجه رضى الله عنهما [وأما خدمه ﷺ] فمنهم أنس بن مالك
الأنصارى وكان من أخصهم ، خدمه من حين قدومه المدينة إلى أن توفى وعبدالله بن مسعود وكان
صاحب سواكه ونعليه إذا قام ﷺ ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه وكان يمشى
أمامه بالعصا حتى يدخل الحجرة ومعيقيب الدوسى وكان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم وعقبة
ابن عامر الجهنى وكان صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم يقودها فى الأسفار وأسلع بن شريك وكان
صاحب راحلته صلى الله عليه وسلم كان يرحلها له وبلال وكان على نفقاته [وأما مواليه صلى الله
عليه وسلم الذين أعتقهم] فزيد بن حارثة وهبته له خديجة قبل النبوة فتبناه وكان حبه عليه الصلاة
والسلام وابنه أسامة وأخو أسامة لأمه أيمن ابن أم أيمن بركة الحبشية وأبو رافع وكان قبطياً
أعتقه صلى الله عليه وسلم لما بشره باسلام العباس وشقران بضم الشين كما فى المواهب والسيرة
الحلبية واسمه صالح وكان حبشياً وقيل فارسياً وثوبان وأنجشة وكان أسود ورباح وكان أسود
ويسار وكان نوبيا وكان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قتله العرنيون وسفينة
وكان أسود وهو الذى لقيه سبع حين ضل فى بعض الأمكنة فقال له يا أبا الحرث أنا مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمشى أمامه حتى أقامه على الطريق وسلمان الفارسى لأنه صلى الله عليه وسلم
هو الذى أدى عنه نجوم الكتابة لكنه حر فى الأصل واسترق ظلما ، وخصى أهداه له المقوقس
يقال له مأبور لم يسلم بل بقى نصرانيا وآخر يقال له سندر . ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين
وقيسر اللتان أهداهما له المقوقس مع مارية وهما أختاها ، وذكر بعضهم أنه وهب سيرين لحسان
بن ثابت ووهب قيسر لجهم بن قيس (وروى) أنه صلى الله عليه وسلم أعتق فى مرض موته
أربعين رقبة [وأما نقباؤه صلى الله عليه وسلم فاثنا عشر نقيباً] وفى المحاضرات ولم يكن لنبى
قبله هذا القدر بل كان لكل نبى سبعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وجعفر بن أبى
طالب ومصعب بن عمير وبلال وعمار والمقداد وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود اهـ .
[وأما نجباؤه صلى الله عليه وسلم فكلهم من الأنصار] وهم سعد بن خيثمة من بنى عمرو بن
عوف وسعد بن الربيع من بنى النجار وسعد بن عبادة من بنى عبد الأشهل وعبدالله بن رواحة
وأبو الهيثم بن التيهان والبراء بن معرور ورافع بن مالك الأزرقى وعبدالله بن عمرو بن حرام
وهو أبو جابر وعبادة بن الصامت من بنى سلمة والمنذر بن عمرو من بنى ساعدة اهـ من
المسامرات [وأما حواريوه صلى الله عليه وسلم فكلهم من قريش] وهم اثنا عشر رجلا أبو بكر
وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن
عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون ، فالذى جمع بين
النجابة والحوارية أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وجعفر وعثمان بن مظعون فهؤلاء الستة جمعوا بين
الشرفين رضى الله عنهم أجمعين اهـ من المحاضرات للشيخ محيى الدين [وأما نوابه صلى الله عليه وسلم
الذين استعملهم على المدينة فى وقت خروجه لغزو أو عمرة أو حج] فأبو لبابة وبشير بن عبد المنذر
وعثمان بن عفان وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى وأبو ذر الغفارى وعبد الله بن عبد الله بن أبى
ابن سلول الأنصارى وسباع بن عرفطة وغيلة بن عبد الله الليثى وعوف بن أضبط الديلى
وأبو رهم كلثوم ومحمد بن مسلمة وزيد بن حارثة والسائب بن عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن
عبد الأسد وسعد بن عبادة وأبو دجانة الساعدى ، وما استعملهم فيه صلى الله عليه وسلم مذكور

أكثر ركوبه الأول وأما
البغل فكان قليلا فى أرض
العرب لكن أهدى له
فركبه وركب منفردا
ومردفا خلفه عبده أو
زوجته أو غيرهما وكان
أكثر جلوسه محتبيا بيديه
يحب الطيب ويكره الريح
الكريه ، يتطيب بالمسك
والغالية ويتبخر بالعود
والعنبر والكافور ويكتحل
بالإثمد عند النوم ثلاثا فى
كل عين ويدهن رأسه
ويأخذ بالمقص أطراف
شاربه ومن عرض لحيته
وطولها ويسرحها غبا
بالمشط مع الماء ويطلى
عانته بالنورة وفى رواية
كان يحلقها ولا يتنور ؛
ويمكن الجمع بأن هذا
تارة وذاك تارة ، يداوى
ويتداوى بالأدوية الطبية
والإلهية ، يعرف فى وجهه
غضبه ورضاه لا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها وإنما
يغضب للحق حتى ينصره ،
إذا أشار أشار بكفه كلها
وإذا تعجب قلبها وإن
تحدث ضرب بكفه اليمنى
بطن إبهام اليسرى دفعا
لما قد يعرض للنفس من
الفتور عن التحدث ،
لا يستخفه فرح ولا غم وإذا
أهمه أمر أكثر مس لحيته
يمزح ولا يقول إلا حقا
ويورى ولا يقول إلا صدقا
جل ضحكه التبسم يكرم

في المحاضرات [وأما أمراؤه صلى الله عليه وسلم] فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام أمره على
اليمن وهو أول أمير في الإسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم وخالد بن سعيد أمره
على صنعاء وزياد بن لبيد الأنصاري البياضي أمره على حضرموت وأبو موسى الأشعري وأمره على
زبيد وعدن ومعاذ بن جبل وأمره على الجند وأبو سفيان بن حرب وأمره على نجران ويزيد ابنه
وولاه تيماء وعتاب بتشديد الفوقية بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وولاه مكة [وأما كتابه
صلى الله عليه وسلم] فعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية وخالد
ابن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن الربيع وعبد الله بن سعد
ابن أبي سرح أخو عثمان من الرضاع فهؤلاء كتاب الوحي رضي الله عنهم أجمعين . وفي حياة الحيوان
وكان الداوم على الكتابة زيدا ومعاوية انتهى وكان الزبير بن العوام وجهم بن السلت يكتبان
أموال الصدقات وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن
نمير يكتبان المداينات والمعاملات وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك وقد كتب له
أبو بكر رضي الله عنه حين هاجر في الطريق [وأما من جمع القرآن حفظا على عهده صلى الله عليه وسلم]
فأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصاري وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان
وتميم الداري وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري أورده العلامة الدميري في حياة الحيوان
[وأما من كان يضرب الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم] فعلي والزبير ومحمد بن مسلمة والمقداد
وعاصم بن أبي الأفلح [وأما من كان يحرسه صلى الله عليه وسلم] فسعد بن أبي وقاص وسعد بن
معاذ وعباد بن بشر وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة الأنصاري فلما نزل قوله تعالى «والله يعصمك
من الناس» ترك الحراسة انتهى من حراسة الحيوان [وأما من كان يفتي على عهده صلى الله عليه وسلم]
فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ
ابن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وأبو موسى
الأشعري كذا في حياة الحيوان [وأما مؤذنوه صلى الله عليه وسلم] فبلال بن رباح وأمه حمامة
وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما فتح الشام أذن بلال فتذكر الناس
النبي صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا قال أسلم مولى عمر رضي الله تعالى عنهما لم أر باكيا
أكثر من يومئذ توفي بلال سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة من الهجرة بداريا بباب كيسان وله
بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وابن أم مكتوم واسمه عمرو القرشي الأعمى وفي
الكشاف اسمه عبد الله وأم مكتوم أم أبيه هاجر إلى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل
الله «عبس وتولى أن جاءه الأعمى» وسعد بن عائذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي أذن
بقباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو محذورة الجمحي المكي كان يؤذن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة نقله بعضهم .

[فائدة] قال النيسابوري الحكمة في كونه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن أنه لو أذن لكان كل من تخلف
عن الإجابة كافرا وقال أيضا ولأنه كان داعيا فلم يجز أن يشهد لنفسه وقال غيره لو أذن وقال أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لتوهم أن ثم نبيا غيره وقيل لأن الأذان رآه غيره في المنام فوكله إلى
غيره وأيضا كان لا يتفرغ إليه من أشغاله وأيضا قال عليه الصلاة والسلام «الإمام ضامن والمؤذن أمين»
فدفع الأمانة إلى غيره وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام انما لم يؤذن لأنه كان إذا عمل عملا

كريم كل قوم ولا يدخر
عن الناس ، يحذر الناس
ويحترس منهم من غير أن
يطوي عن أحد منهم
بشره يسمع الشعر من
الشعراء ويعطيهم لأن كل
مدحهم فيه حق بخلاف
غيره فكذب فلهذا قال
احثوا في وجوه المداحين
التراب فلا تنافي ، يتفقد
أصحابه ويسأل الناس عما
في الناس ويأمر بإبلاغه
حاجة من لا يستطيع إبلاغها
وينهى عن إبلاغه عن أحد
من أصحابه سوءا ويقول
إني أحب أن أخرج
إليكم وأنا سليم الصدر ،
يحسن الحسن ويصوبه
ويقبح القبيح ويهينه
لا يجالس ولا يقوم إلا عن
ذكر ولا يوطن الأماكن
وينهى عن إيطانها وإذا
انتهى إلى قوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر
بذلك يكره القيام له ولعلم
أصحابه بذلك كانوا إذا
رأوه لم يقوموا كذا في
الشمائل عن أنس وعورض
بظاهر ما رواه البيهقي عن
أبي هريرة «كان ﷺ
إذا أراد الانصراف عنا
وقام ليدخل بيته قمنا له »
وجمع بأنهم إذا رأوه
من بعد مارا غير قاصد
نحوهم أو تكرر قيامه وعوده
إلى المجلس لم يقوموا وإذا
قدم عليهم أولا أو انصرف

أثبته أي جعله دائما وكان لا يتفرغ لذلك لأشغاله بتبليغ الرسالة وهذا كما قال عمر لولا الخلافة لأذنت
قال : وأما من قال إنه امتنع لئلا يعتقد أن الرسول غيره فخطأ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته
وأشهد أن محمدا رسول الله أورده شهاب الدين أحمد بن العماد في كتابه كشف الأسرار عما خفي
عن الأفكار انتهى [وأما قضاته عليه الصلاة والسلام] فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاذ بن
جبل وأبو موسى الأشعري ولي كل منهم القضاء باليمن [وأما رسله صلى الله عليه وسلم] فعمرو بن
أمية الضمري ودحية بن خليفة الكلبي وعبد الله بن حذافة السهمي وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي
وشجاع بن وهب الأسدي وسليط بن عمرو العامري وعمرو بن العاص والعلاء بن الحضرمي
[وأما شعراؤه صلى الله عليه وسلم] الذين كانوا يذبون عن الإسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن
رواحة الخزرجي الأنصاري وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام الأنصاري دعا له النبي
ﷺ فقال اللهم أيده بروح القدس يقال أعانه جبريل بسبعين بيتا [وأما إخوته صلى الله عليه
وسلم من الرضاع] فعمه حمزة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب على ولدها مسروح فهو أخوهما
وأخوه أيضا صلى الله عليه وسلم عبد الله وأنيسة وجذامة وهي الشيما وأمهم حليمة وأبوهم الحرث
ابن عبد العزى السعدي والشيما هي التي كانت في سبي حنين وأرته صلى الله عليه وسلم عضته في ظهرها
فعرفها وبسط لها رداءه وزودها وردها إلى قومها حسبما سألت [وأما حيواناته صلى الله عليه وسلم]
فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة عدوه
وهو أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم وكان سرجه صلى الله عليه وسلم دفتين من ليف وكان له
من البغال ست منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له مقوقس مصر وهي أول بغلة ركبت في الإسلام
وعاشت حتى ذهبت أسنانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها علي رضي الله تعالى عنه الخوارج
بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل
وكان له صلى الله عليه وسلم حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عفير بضم العين المهملة على الصواب
وكان له من الإبل ثلاث ناقة يقال لها القصوى وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهي التي
كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا
من الدنيا إلا وضعه» ويقال إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت
وقيل إن التي لم تسبق فسبقت هي القصوى وقيل الأسماء الثلاثة لواحدة وقيل القصوى واحدة والجدعاء
والعضباء واحدة وكان له من الغنم مائة وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب
لبنها وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئا منها واقتنى صلى الله عليه وسلم الديك الأبيض وكان يبيت معه
في البيت نقله بعضهم وكان له صلى الله عليه وسلم شاة تسمى غوثة وقيل غيثة وعنز تسمى اليمن كذا
في أسد الغابة [وأما سيوفه صلى الله عليه وسلم] فالعضب والرسوب والبتار والحتف وذو الفقار
وكان مكتوبا على أحد سيوفه صلى الله عليه وسلم هذا البيت :

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ... والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وهو الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي دجانة يوم أحد وكان قد طلبه أبو بكر وعمر وعلي
فلم يعطهم إياه وقال لا أعطيه إلا بحقه فقال أبو دجانة ما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به في
العدو حتى ينحني فقال أنا آخذه بحقه فأخذه وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وذو
الفقار كان في وسطه مثل فقرات الظهر وكان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم في حرب من الحروب
يقال إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة ونقل غير واحد أن ذا الفقار كان لمنبه

ابن

عنهم قاموا ، يعطي كل
جليس له نصيبه حتى لا يحسب
جليسه أن أحدا أكرم
عليه منه يعود المرضى
حتى بعض الكفار وأهل
النفاق ويشهد الجنائز
ويجيب دعوة الداعي وما
أخذ أحد بيده فأرسلها
حتى يرسلها الآخر وما خير
بين أمرين إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن مأثما ،
يخصف نعله ويرقع ثوبه
وينقي الهوام عنه ، وقيل لم
يكن في ثوبه قمل ويحلب
شاته ويخدم أهله وما انتهز
خادما ولا قال له في شيء
صنعه لم صنعته ولا في شيء
تركه لم تركته ولا اتخذ من
نوع اثنين لا قميصين ولا
إزارين ولا رداءين وهكذا
يجالس الفقير ويؤاكل
المسكين ويؤثر الداخل
بوسادته ويبسط له ثوبه
ولم ير قط مادا رجليه بين
أصحابه ولا مقدما ركبتيه
على ركبتي جليسه من سأله
حاجة لا يرده إلا بها أو بما
يسر من القول ويسعى في
حاجة ذي الحاجة وسع
الناس بسطه وخلقه فصار
لهم أبا وصاروا عنده في
الحق سواء متفاضلين
بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم
وحياء وأمانة لا ترفع فيه
الأصوات ولا تحصل فيه
فلتات يتغابطون فيه
بالتقوى متواضعين ليس

ابن الحجاج السهمي كان مع ابنه العاص يوم بدر فقتله علي وجاء بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقاتل به يوم أحد وفيه قال يوم أحد ابن أبي نجيح :

لاسيف إلاذوالفقا ر ولا فـتى إلا علي

(وفي الفصول المهمة) يروى أن بلقيس أهدت إلى سليمان عليه السلام سبعة أسياف كان ذوالفقار منها ، وقد جاء في بعض الروايات عن علي رضى الله تعالى عنه أنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له إن صنما باليمن معفرا بالحديد فابعث إليه فادققه وخذ الحديد قال علي رضى الله تعالى عنه فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثني إليه فذهبت ودققت الصنم وأخذت الحديد وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستضرب منه سيفين فسمى أحدهما ذا الفقار والآخر مخذما فتقلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار وأعطاني مخذما ثم أعطاني ذا الفقار بعد ذلك فرآني وأنا أقاتل به يوم أحد فقال : لاسيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

قال ابن إسحق وفي هذا اليوم هاجت ريح فسمع هاتف يقول :

لاسيف إلاذوالفقا ر ولا فتى إلا علي فإذا ندبتم هالكا فابكوا الولي بن الولي

وأنشد الخطيب ضياء الدين أخطب خوارزم الموفق أحمد الخوارزمي المالكي رحمه الله تعالى :

أسـد الإله وسيفه وقناته كالظفر يوم صياله والناب جاء النداء من الاله وسيفه
بدم الكماة يسح في تسكاب لاسيف إلاذو الفقار ولافتى إلاعلي هـازم الأحـزاب

[وأما دروعه صلى الله عليه وسلم فسبعة] السعدية وفضة وذات الفضول وذات الوشاح وذات الحواشي والبتراء والخرنق [وأما قسيه صلى الله عليه وسلم] فثلاثة الروحاء والصفراء والبيضاء وقيل ستة [وأما رماحه صلى الله عليه وسلم] فثلاثة وقيل خمسة قال الشيخ محيي الدين لم يسمها لنا أحد ممن روينا عنهم (وكان) له ثلاثة أتراس وكان له ثلاث جباب وكان اسم عمامته السحاب واسم رايته العقاب واسم لوائه الحمد واسم قصعته الغراء وكان يحملها أربع رجال فيها أربع حلق حديد (وكان له من الحراب) خمس منها حربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة بفتح العين المهملة والنون والزاى كانت تحمل بين يديه يوم العيد وتركز بين يديه ويصلي إليها في أسفاره . وفي أسد الغابة وكانت تحمل معه في العيد تجعل بين يديه يصلي اليها وله حربة كبيرة اسمها البيضاء (وكان له محجن) قدر ذراع أوأكثر بيسير ذورأس يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره وكان له قضيب من شوحط قيل هو الذي كان تداوله الخلفاء وكان له مخصرة بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة وهي مايمسكه بيده من عصا أو مقرعة وكان له خودتان والخودة مايجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة وكان له صلى الله عليه وسلم قدحان اسم أحدهما الريان والآخر المضبب وله تور من حجارة يقال له المخضب يتوضأ منه وله مخضب من شبه والشبه النحاس الأصفر وله كوة تسمى الصادر وله فسطاط يسمى الركي وله مرآة تسمى المدلة ومقراض يسمى الجامع ونعل يسميها الصفراء

﴿تتمة في مرضه صلى الله عليه وسلم الذي مات فيه وما يتصل به﴾

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة تمام سنة عشر ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام المحرم وصفر وفي يوم الأربعاء من آخر صفر بدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه حم وصدع وأشار فيه إشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بثنائه على المنبر عليه كما فهم دون بقية الصحابة قوله في آخر خطبته «إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ماعنده فاختار ما عنده» أنه صلى الله عليه وسلم يعني نفسه فبكى وقال فديناك يارسول الله بآبائنا وأمهاتنا فقابله

بصخاب ولا فحاش لايذم أحدا ولا يعيره ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لايتنازعون عنده الحديث بل من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، جمع الله له مكارم الأخلاق وأدبه فأحسن تأديبه وعصمه في صغره وكبره من جميع القبائح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ تفسير غريب هذه النبذة ﴾

(قول الواصف ربعة) بفتح الراء وسكون الموحدة أي متوسطا بين الطويل المفرط والقصير (قوله بعيد مابين المنكبين) كناية عن سعة صدره الدالة على النجابة (قوله عظيم الهامة) أي ضخم الرأس لأن ضخامته دليل على كمال القوى الدماغية (قوله رجل الشعر) بكسر الجيم أي شعره متوسط بين شديد السبوطة وهي امتداد الشعر وعدم تكسره وشديد الجعودة وهي تكسره (قوله يسدل شعره) المراد بسدله هنا إرسال مقدمه على الجبهة واتخاذه كالقصة وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض نصفين يمينا ويسارا

صلى الله عليه وسلم بقوله «إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوّة الإسلام ثم قال لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر » ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحا أن يصلى بالناس فصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة وبقية الصلاة في مدة مرضه صلاها بهم وقد ورد أنه صلى الله عليه وجد خفة في اليوم الذي توفي فيه فخرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يصلي بالناس الصبح فصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه مؤتما به وأذن له نساؤه أن يمرض في بيت عائشة لما رأين من حرصه على ذلك فدخل بيتها يوم الاثنين وفي البخاري أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول إن من نعم الله عليّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذ لك فأشار برأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه وقلت ألينه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده اه . ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت عقول الصحابة فخبل عمر رضي الله عنه وأخرس عثمان رضي الله عنه وأقعد عليّ رضي الله عنه ، وعن أنس رضي الله عنه قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب في المسجد خطيبا فقال لا أسمعن من أحد يقول إن محمدا قد مات ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة . وفي تتمة المختصر لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم قال عمر من قال إن رسول الله ﷺ مات علوت رأسه بسيفي هذا وإنما ارتفع إلى السماء انتهى وفي البخاري عن أبي سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها قال الزهري وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر : أما بعد من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل إلى قوله الشاكرين » وقال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها [فائدة] روى «أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدي؟ فقال نعم يا رسول الله أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الأرض قال يا جبريل وما ترفع منها ؟ قال الأوّل أرفع البركة من الأرض الثاني أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الأقارب الرابع أرفع العدل من الأمراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الأغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الإيمان» (وغسله صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضروا أوس ابن خولي جد بني عوف فكان علي يسنده ويغسله وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان

(قوله موافقة لأهل الكتاب) أي لأنه حين قدم المدينة كان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر فيه بشيء تألفا لهم (قوله ثم فرقه) أي لأنه أنظف وأبعد عن الإسراف في غسله؛ وفي الشمائل عن أم هانئ قالت « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع » (قوله أزهر اللون) أي أبيض مشربا بحمرة (قوله واسع الجبين) الجبينان ما اكتنفا الجبهة يمينا ويسارا فوق الصدغين (قوله أزج الحواجب) زججهما طولهما مع دقة وتقوس (قوله من غير قرن) بالتحريك أي اتصال بينهما ، وعدمه يسمى بالبلج (قوله أقنى العرنين) هو الأنف كله أو ما صلب من عظمه ، وقناه طوله ودقة أرنبته واحديداب وسطه : أي ارتفاعه ، ولا تنافي بين هذا وروايةأنه كان أشم الأنف من الشمم وهو استواء أعلى قصبة الأنف مع ارتفاع الأرنبة قليلا لأن الاحديداب كان يسيرا لأن زيادته غير ممدوحة فيترا آى قبل التأمل أنه أشم ويصرح بذلك قول ابن أبي هالة في روايته أقنى العرنين يحسبه من لم يتأمل أشم (قوله سهل الخدين) أي ليس في خديه نتوّ

أسامة بن زيد وشقران يصبان الماء عليه وأعينهم معصوبة روى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال أوصانى رسول الله لايغسله غيرى فإنه لايرى أحد عورتى إلا طمست عيناه (وكفن صلى الله عليه وسلم) فى ثلاثة أثواب بيض سحولية أى من عمل سحولة قرية باليمن ليس فيها قميص ولا عمامة قال ابن إسحق ثوبان سحريان وبرد حبرة وأدرج فيها إدراجا انتهى ثم بخر بالعود وصار الناس يدخلون للصلاة عليه طائفة بعد طائفة أفذاذا أفذاذا لم يؤمهم أحد وقيل لم يصل عليه أحد وإنما كان الناس يدخلون ليدعوا ويتضرعوا (واختلفت الصحابة فى الموضع الذى يدفن فيه) فقال بعضهم يدفن بالبقيع وبعضهم ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل فقال أبو بكر ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لايدفن نبي إلا حيث قبض» فاتفقوا على ذلك فحفر قبره وصنع له لحد ووضع فيه (وأنزله فى قبره صلى الله عليه وسلم) على بن أبى طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأوس بن خولى وكان دفنه صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء فيكون مكث بعد موته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومها وبعض ليلة الأربعاء لأنه توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وسبب تأخير دفنه اشتغالهم ببيعة أبى بكر حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم على موته صلى الله عليه وسلم وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وقيل أربعة عشر وقيل اثناعشر وقيل غير ذلك وتوفى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح وكذا أبوبكر وعمر وعائشة .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ﴾ يقال كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله ؛ وهو رضى الله تعالى عنه ابن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن أسد بن تيم بن مرة يلتقى هو ورسول الله فى مرة بن كعب بين كل منهما وبين مرة ستة أشخاص، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر وهى بنت عم أبى قحافة وقيل اسمها ليلى بنت صخر بن عامر أسلمت قديما حين كان المسلمون فى دار الأرقم ، وسمى عتيقا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إليه فقال هذا عتيق من النار وفى رواية من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر وقيل غير ذلك وسماه النبي صلى الله عليه وسلم صديقا فقال يكون بعدى اثناعشر خليفة أبوبكر الصديق لايلبث إلا قليلا وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحلف بالله إن الله تعالى أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق لتصديقه خبر الاسراء وكان مولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام فيكون أصغر من النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين وأربعة أشهر وأيام وأسلم وهو ابن سبع وثلاثين وقيل ثمان وعاش فى الإسلام ستا وعشرين سنة وهو أول من أسلم من الرجال قال فى عمدة التحقيق رأيت فى بعض الكتب أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما كان تاجرا فى زمن الجاهلية كان سبب إسلامه أنه رأى يوما فى منامه وهو بالشام أن الشمس والقمر نزلا فى حجره ثم أخذهما بيده وضمهما إلى صدره وأسبل عليهما رداءه فانتبه وذهب إلى راهب النصارى يسأله عن الرؤيا فحضر عند الراهب وسأله عن الرؤيا وطلب منه التعبير فقال الراهب من أين أنت؟ قال من مكة قال ومن أى قبيلة ؟ قال من بنى تيم قال وما شأنك ؟ قال التجارة فقال له يخرج فى زمانك رجل يقال له محمد الأمين تتبعه ويكون من قبيلة بنى هاشم وهو نبي آخر الزمان لولاه ماخلق الله السموات

وارتفاع ، وهذا معنى رواية أسيل الخدين (قوله ضليع الفم) بالضاد المعجمة أى واسعه وهذا هو المحمود فى الرجال عند العرب (قوله أشنب) قيل الشنب رونق الأسنان وقيل دقتها وتحريرها وقيل عذوبة الريق (قوله مفلج الأسنان) بالفاء ثم الجيم أى مفرج الثنايا والرباعيات (قوله يفتر عن مثل حب الغمام) أى إذا ضحك بانت أسنانه كالبرد (قوله أدعج العينين) أى شديد سوادها (قوله دقيق المسربة) بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء خيط الشعر الذى من الصدر إلى السرة (قوله جيد دمية) هى بضم الدال المهملة صورة حسنة تتخذ من نحو العاج والمراد من تشبيه عنقه بعنقها المبالغة فى حسن عنقه لأنها يبالغ فى تحسينها (قوله كث اللحية) أى كثير شعرها (قوله متماسك اللحم) أى لحمه ممسك بعضه بعضا ليس مسترخيا (قوله مستوى البطن والصدر) أى بطنه ضامر بحيث يساوى صدره (قوله ضخم الكراديس) جمع كردوس كعصفور وهو كل ملتقى عظمين كالمنكب والمرفق والركبة

السموات والأرضين وما يكون فيها وماخلق آدم وماخلق الأنبياء والمرسلين وأنت تدخل في دينه
وتكون وزيره وخليفته من بعده وقد وجدت نعته وصفته في الانجيل والزبور وإني أسلمت وآمنت به
وكتمت إسلامي خوفا من النصارى قال فلما سمع أبو بكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم رق قلبه واشتاق
إلى رؤيته وقدم مكة فوجده فكان يحبه ولا يصبر ساعة عن رؤيته ، فلما طال الأمر قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما ياأبابكر كل يوم تجيء إليّ وتجلس معي ولا تسلم فقال أبو بكر إن كنت نبيا
فلا بد لك من معجزة فقال النبي ﷺ أما يكفيك المعجزة التي رأيتها بالشام وعبرها لك الراهب فلما سمع
ذلك أبو بكر قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله انتهى . وأسلم على يده من العشرة
سيدنا عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم (بويع له) في السقيفة
يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب هو وعمر بن الخطاب إلى سقيفة بني ساعدة
من الأنصار يتشاورون في أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الأنصار منا أمير
ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الأصوات فقال عمر لأبي بكر ابسط يدك فبسط
يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الأنصار ثم كانت بيعة العامة من الغد وتخلف عن بيعته علي بن
أبي طالب وبنوهاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة الأنصاري ثم
بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أحدا الى
أن مات وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر من موت فاطمة على الصحيح ولما ولي خطب الناس فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم وإن أقواكم عندي
الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه ، أيها الناس إنما أنا متبع
ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني [صفة أبي بكر] كان نحيفا خفيف اللحم
أبيض خفيف العارضين معروق الوجه ناتىء الجبهة غائر العينين يخضب بالحناء والكتم وقوله
معروق الوجه أي قليل اللحم ولم يشرب الخمر لا جاهلية ولا إسلاما ولم يسجد لصنم قط شهد المشاهد
كلها (وقد ورد في فضله آيات وأحاديث كثيرة) ففي الكشاف وغيره أن قوله تعالى «رب أوزعني
أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ» الآية نزلت في أبي بكر وأبيه أبي قحافة عثمان وأمه
أم الخير بنت صخر بن عمرو قال علي بن أبي طالب الآية نزلت في أبي بكر الصديق أسلم أبواه
جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره قال البغوي في تفسيره اجتمع لأبي بكر
اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبو قحافة النبي صلى الله عليه وسلم وابنه أبو بكر وابنه عبد
الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة انتهى .
ومن الآيات قوله تعالى «ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله
سكينته عليه» أجمع المسلمون على أن الصاحب أبو بكر ومنها «والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم
لشتى» قال بعض المفسرين نزلت في أبي بكر وأبي سفيان بن حرب ومنها قوله تعالى «وسيجنبها الأتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى» إلى آخر السورة قال البغوي في حق أبي بكر عند الجميع وعن ابن عباس
في رواية عطاء في قوله تعالى «أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما» أنها نزلت في أبي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه كذا في تفسير البغوي وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين
حتى أنزل الله آية كفارة اليمين وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى والذي
جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية ولعلها قراءة لعلي وعن ابن
عباس في قوله تعالى «وشاورهم في الأمر» قال نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن أبي حاتم عن شوذب

(قوله عبل) بكسر الموحدة أي ضخم (قوله رحب الراحة) بسكون الحاء المهملة أي واسعها، وسعتها علامة الجود (قوله طويل الزندين) بفتح الزاي تثنية زند وهو طرف عظم الذراع من جهة الكف ، والمراد طويل الذراعين بدون إفراط (قوله سائل الأصابع) بسين مهملة وهمزة قبل اللام : أي طويلها بدون إفراط (قوله شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون المثلثة وقد تفتح وقد تكسر أي ضخم (قوله خمصا الأخمصين) تثنية أخمص بفتح الميم وهو وسط بطن القدم وخمصانه بضم الخاء المعجمة تجافيه عن الأرض (قوله مسيح القدمين) أي أملسهما ليس فيهما تكسر ولا شقاق (قوله يمشي هونا) أي برفق ووقار فلا ينافي وصف أبي هريرة مشيته بالسرعة كأن الأرض تطوى له (قوله تكفؤا) يروى بفاء مضمومة بعدها همزة وبفاء مكسورة بعدها تحتية أي يتمايل إلى قدام طبعا لا تكلفا (قوله كأنما ينحط من صبب) بفتحتين أي ينزل من موضع منحدر وذلك علامة قوة المشي (قوله ذريع

فى قوله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» قال نزلت فى أبى بكر وعن ابن عمر وابن عباس فى قوله تعالى «وصالحو المؤمنين» أنها نزلت فى أبى بكر وعمر وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه» قال هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتد العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام (ومن الأحاديث) ماأخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم قال أتت امرأة إلى النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال إن لم تجدينى فائتى أبا بكر وعن أنس قال بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أسأله إلى من ندفع له صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال إلى أبى بكر وعن ابن عباس قال جاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم تسأله شيئا فقال لها تعودين فقالت يارسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال إن جئت ولم تجدينى فأتى أبا بكر فإنه الخليفة من بعدى وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ادعى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مانفعنى مال أحد قط مانفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال جئت بأبى قحافة إلى النبى ﷺ فقال له هلا تركت الشيخ حتى آتيه قال بل هو أحق أن يأتيك قال إنا نحفظه لأيادى ابنه عندنا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأجد عندى أعظم من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أما إنك ياأبا بكر أوّل من يدخل الجنة من أمتى وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام وعن أبى الدرداء قال رآنى النبى صلى الله عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر فقال ياأبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبى بكر رضى الله تعالى عنه وعن على بن أبى طالب قال مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبى بكر عمر رضى الله تعالى عنهما وعن على رضى الله تعالى عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر فقال ياعلى هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ولا تخبرهما ياعلى قال فما أخبرتهما حتى ماتا؛ وستأتى أحاديث أخر عامة فيهما رضى الله تعالى عنهما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار وعن عامر ابن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم» قال أبو بكر يارسول الله لو أمرنى أن أقتل نفسى لفعلت قال صدقت وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر وشكره واجب على كل أمتى وعن عائشة مرفوعا كلهم يحاسبون إلا أبا بكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر عتيق فى السماء عتيق فى الأرض رواه الديلمى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أفضل هذه الأمة إلا أن يكون نبى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

المشية) بفتح الذال المعجمة وكسر الميم أى واسعها (قوله إذا التفت التفت جميعا) أى بسائر جسده، قيل ينبغى أن يخص هذا بالتفاته وراءه، أما التفاته يمنة أو يسرة فالظاهر أنه بعنقه، وقيل المراد أنه لايسارق النظر (قوله ولايلوى عنقه) أى كما يفعله أهل الخفة والطيش (قوله نظره) أى فى حال سكوته (إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء) لأن النظر إلى الأرض أجمع للفكرة وأطولية حال السكوت لا تنافى كثرة نظره إلى السماء حال التحدث الواردة فى خبر أبى داود «كان إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء» وهذه الجملة كالتفسير لقوله خافض الطرف، وقيل خفض الطرف كناية عن شدة الحياء (قوله جل نظره الملاحظة) أى أكثر نظره النظر باللحاظ بفتح اللام وهو شق العين ممايلى الصدغ، وأما الذى يلى الأنف فالموق والماق، قيل هذا فى حالة العبادة وقيل فى غير وقت الخطاب (قوله عريكة) أى طبعا (وقوله وأشدهم خوفا من الله تعالى) قال أبو الحسن الأشعرى فى كتابه

لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أبي بكر مثل اللبن في الصفاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أبي بكر كالغيث أينما وقع نفع (ومن الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر معا) ماروى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر فيها وعن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وذكر تمام العشرة وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينتبسمان إليه ويتبسم إليهما وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر وعمر وعن أبي أروى الدوسي قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذي أيدني بكما وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر بن الخطاب منذ مالبث نوح في قومه مانفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر وعن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ماخالفتكما وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حب أبي بكر وعمر ومعرفتهما من السنة وعن بسطام بن مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر لا يتأمر عليكما أحد من بعدي وعن أنس مرفوعا حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لكل نبي خاصة من أمته وأنا خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر [تنبيه] خص الله أبا بكر بأربع خصال سماه الصديق ولم يسم أحد الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الهجرة وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود وعن أبي جعفر قال كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وثانيه في الغار وثانيه في العريش يوم بدر وثانيه في القبر ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا (روى) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها إلى الغار جعل طورا يمشي أمامه وطورا يمشي خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه الصلاة والسلام ماهذا ياأبا بكر فقال رسول الله أذكر الرصيد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لابأس عليك ياأبا بكر الله معنا (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفي فحمله أبو بكر رضي الله تعالى عنه على كاهله حتى انتهى إلى الغار فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لاتدخله حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده الغار في ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله ﷺ فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله ﷺ الغار (وروى) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه رأى في الغار أحجارا

متعددة

الإيجاز: كان عليه الصلاة والسلام يخاف الله بلا خوف إلا أن خوفه كان لماذا، فقال أهل الحق كان خوفه من عقاب الله قبل أن آمنه الله منه ومن عتابه في الدنيا بعد تأمينه كما قيل له لما أعرض عن ابن أم مكتوم «عبس وتولى» الآية فأما بعد تأمينه من عقابه فلا يجوز أن يخافه لأن ذلك يؤدي إلى عدم الوثوق بخبره تعالى، وقيل بل كان خوفه من العقاب لقوله تعالى «فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» وقوله تعالى «وما أدري مايفعل بي» ولقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» وقوله «اللهم إني أعوذ بك من النار وفتنة المحيا والممات» ولاحتمال أن يكون التأمين امتحانا ومكرا أو مشروطا بشيء في علم الله. وأجيب بأن الآية الأولى مخصوصة بغير الأنبياء والملائكة وبأن الثانية منسوخة أو معناها ما أدري ما يفعل بي في الدنيا وبأنه عليه الصلاة والسلام لشدة خوفه من الله تعالى قد يذهل عن تأمين الله له فتصدر منه أمثال هذه الاستعاذات وبأن الاحتمال السابق

متعددة فصار يقطع ثوبه ويسدبه الأجحار فبقى جحر لم يفضل له شيء من الثوب فجلس قريبا منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والأفاعي تضربه وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبي قد نام وجعل رأسه في حجره فصار يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبي فتنبه فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما أصبح سأله النبي عن ثوبه فأخبره الخبر فتوجه ودعا له وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فنودي إنه قد استجيب لك (وروى) أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى القافة وفتيان قريش بسهامهم وسيوفهم وقوفا على فم الغار اشتد حزنه وقال إن قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت يارسول الله هلكت الأمة فقال له لاتحزن إن الله معنا وأنزل الله سكينته عليه أى على أبي بكر لأنه هو الذى انزعج وهى أمنة تسكن لها القلوب ، وفضائل أبي بكر رضى الله تعالى عنه لاتحصى ومناقبه لاتستقصى (كان رضى الله تعالى عنه) أشجع الصحابة وأثبتهم في دين الله ؛ ففي معالم التنزيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر خبر وفاته ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين ومنع بعضهم الزكاة فهم أبو بكر بقتالهم فكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم فقال له أبو بكر أليس قد قال إلا بحقها ومن حقها إقامة الصلاة وايتاء الزكاة والله لو منعونى عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى فقال عمر بن الخطاب فوالله ماهو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر القتال فعرفت أنه الحق قال عمر بن الخطاب والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعا في قتال أهل الردة انتهى . وفي مدة خلافته اليسيرة فتح فتوحات كثيرة فأول مابدأ به بعد خلافته أنه أنفذ جيش أسامة وكان قد استصغر قوم من الصحابة أسامة وقالوا لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قل لأبي بكر يرجع بالمسلمين فإن أبي أن لايفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة فجاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر وذكر له ذلك فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع عمر إلى الأنصار وذكر لهم مقالة أبي بكر رضى الله تعالى عنه فقالوا له لابد وأن تراجع أبا بكر في ذلك فراجعه عمر رضى تعالى عنه فقام أبو بكر وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك ياابن الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمره وتأمرنى أن أنزعه فعند ذلك رجع عمر رضى الله تعالى عنه إلى الناس وأخبرهم فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لأبي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر والله لا أركب ولاتنزل وماضرنى أن أغبر قدمى ساعة في سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش إلى الروم فلما وصل أسامة إلى ابنى كحبلى شن عليهم الغارة وسبي حريمهم وحرق منازلهم وأصاب الغنائم وكان أسامة على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه لأن أباه كان قد استشهد في سرية مؤتة وكانت كذلك بالروم (وفتح) أبو بكر اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب وقاتل جموع أهل الردة إلى أن رجعوا إلى دين الله وفتح أطراف العراق وبعض الشام .

﴿فصل : في ذكر بعض كلامه﴾ في المحاضرات كان رضى الله تعالى عنه يقول في خطبته : أين القضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور

طرح للقوى جدا بالضعيف جدا وهو لايليق كذا في الشهاب على الشفاء مع تلخيص وبعض زيادات (قوله فصلا) أى مفصولا ممتازا بعضه من بعض لتأنيه في كلامه بحيث لايخفى حرف منه على السامع (قوله ذواقا) بفتح الذال المعجمة أى شيئا من طعام أو شراب (قوله ولا على خوان) هو بكسر الخاء المعجمة وتضم هو شيء مرتفع يهيأ لأكل الطعام عليه (قوله ولا يأكل متكئا) أى متمكنا معتمدا على وطاء تحته أو مائلا إلى أحد شقيه قال المناوى ومن فهم أن المتكئ ليس إلا المائل إلى أحدها فقد وهم إذ كل من استوى قاعدا على وطاء فهو متكئ اه . وقال في محل آخر الاتكاء أربعة أنواع : الأول أن يضع جنبه على الأرض مائلا . الثانى أن يتربع . الثالث أن يضع يده على الأرض ويعتمد عليها . الرابع أن يسند ظهره وكلها مذمومة حالة الأكل لكن الثانى لاينتهى إلى الكراهة وكذا الرابع فيما يظهر بل هما خلاف الأولى . والسنة قال القسطلانى يقعد مائلا إلى الطعام

الوحا الوحا النجاء النجاء . وفى المحاضرات أيضا قال : لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده أبو بكر الصديق رضى الله عنه فشفى رسول الله ﷺ ومرض أبو بكر فعاده رسول الله ﷺ فشفى حين عاده كما مرض حين عاده فقال الصديق رضى الله تعالى عنه فى ذلك :

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذرى عليه
شفى الحبيب فعادنى ... فشفيت من نظرى إليه

ومن كلامه رضى الله تعالى عنه كما فى طبقات الشعرانى : أكيس الكيس التقوى ، وأحمق الحمق الفجور ، وأصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة . وكان يقول رضى الله تعالى عنه : إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول لمن يعظه : يا أخى إن أنت حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك ، وكان يقول : إن العبد إذا دخله العجب بشىء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة ، وكان يقول : يامعشر المسلمين استحيوا من الله فوالذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء متقنعا استحياء من ربى عز وجل ، وكان يقول رضى الله تعالى عنه : ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد وكان إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه فيقال له هلا أمرتنا فيقول: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن لا أسأل الناس شيئا ؛ وكان إذا أكل رضى الله تعالى عنه طعاما فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول : اللهم لا تؤاخذنى بما شربته العروق وخالط الأمعاء انتهى . ولما ولى الخلافة قال : إنى وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصرى قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه وكان رضى الله تعالى عنه إذا مدح قال : اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفرلى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون .

[لطيفة] سئل بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا فى زى مسكين . وفى المحاضرات والمسامرات لما حضرته رضى الله تعالى عنه الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال : إنى أوصيك بوصية إن أنت قبلتها عنى إن لله عز وجل حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل وإنه عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة . واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول القائل : أين يقع عملى فى عمل هؤلاء وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن سيئ أعمالهم ولم يثرّبه . واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ويقول قائل : أنا خير من هؤلاء عملا وذلك أن الله عز وجل رد عليهم أحسن أعمالهم فلم يقبله ألم تر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه فى الآخرة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل ألم تر إنما خفت موازين من خفت موازينه فى الآخرة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخف ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يخف ، ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الرخاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرخاء لكى يكون العبد راغباً راهباً لا يلقى بيده إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فإن أنت حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت ولابد لك منه وإن أنت ضيعت وصيتى هذه فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كتب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وصية بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظنى به

منحنيا عليه وقال الحافظ ابن حجر أن يقعد جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى اه ولو قال أن يميل إلى أحد شقيه معتمدا على إحدى يديه لكان أحسن ؛ وينبغى حمل قول القسطلانى أن يقعد على قعود لا اتكاء فيه ليلائم ما قبله (قوله كما يأكل العبد) أى كأكل العبد فى هيئة التناول ومصاحبة الرضا بما حضر تواضعا لله لا كما يأكل أهل الكبر وأهل الشره ، والمراد بالعبد هنا الإنسان المتذلل المتواضع لربه كما قاله المناوى (قوله وأجلس) أى فى حالة الأكل (كما يجلس العبد) لأن التخلق بأخلاق العبودية أشرف الأوصاف لا كما يجلس أهل الكبر وأهل الشره من الاتكاء ولكون جلوسهم عند الأكل ذما عنده (قوله والدباء) هى القرع (قوله والبقلة الحمقاء) هى الرجلة وإنما قيل لها الحمقاء لأنها تنبت فى مجارى السيول فتقطعها فتطؤها الأرجل (قوله والبطيخ) الأصح أن المراد به الأصفر وقيل الأخضر (قوله وبطيخ أو قثاء برطب) بأن يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة على ما

ورجائى فيـه ، وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب وسـيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . قال أبو سليمان : والذى كتب وصية أبى بكر عثمان بن عفان رضى الله عنهما . وكان قاضيـه عمر بن الخطاب وكاتبه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وحاجبه شـديدا مولاه وصاحب شرطته أبا عبيدة ابن الجراح وهو أول من اتخذ الحاجب وصاحب الشرطة فى الإسلام وكان خاتمه خاتم رسول الله ﷺ وكان من ورق نقشه محمد رسول الله وكان بعده فى يد عمر ثم كان فى يد عثمان حتى وقع فى بئر أريس من معيقيب ، ومروياته من الأحاديث مائة حديث واثنان وأربعون حديثا وفى المحاضرات مائة واثنان وثلاثون ، والله أعلم .

[تتمة فى مرضه وموته وغسله ومايتصل بذلك وأولاده رضى الله تعالى عنه] عن ابن شهاب أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لأبى بكر فقال الحرث لأبى بكر ارفع يدك ياخليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد فرفع أبو بكر يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل إنه اغتسل فى يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوما لايخرج للصلاة وكان عمر يصلى بالناس وقيل سبب موته تحرك سم الحية التى لدغته فى الغار ذكره ابن الأثير ، وقيل غير ذلك . ومات ليلة الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سـنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سـنة على الصحيح وفى الاكتفاء آخر ماتكلم به أبو بكر : رب توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين . ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم موت رسول الله ﷺ ، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته فهى أول امرأة غسلت زوجها فى الإسلام . وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وقال إذا أنامت جيئوا بى على الباب يعنى باب البيت الذى فيه قبر رسـول الله ﷺ فادفعوه فإن فتح لـكم فادفنـونى ، قال جابر فانطلقنا فدفعنا الباب وقلنا هذا أبو بكر الصديق قد اشتهى أن يدفن عند النبى صلى الله عليه وسلم ففتح الباب ولاندرى من فتح لنا وقال ادخـلوا ادفنوه كرامة ولا نرى شخصا ولا شيئا كذا فى الصـفوة . وفى رواية سمعوا صوتا يقول : ضموا الحبيب إلى الحبيب . وصلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والمنبر وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرير عائشة رضى الله تعالى عنها وكان من خشبتين ساجا منسوجا بالليف وبيع فى ميراث عائشة رضى الله تعالى عنها بأربعـة آلاف درهم فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسـلمين ويقال إنه بالمدينة . ونزل فى قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبـد الرحمن بن أبى بكر ودفن ليـلا فى بيت عائشة مع النبى صلى الله عليه وسـلم وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسـلم . (وأما أولاده) فستة ثلاثة بنين وثلاث بنات . أما الذكور (فعبدالله) وهو أكبر أولاده الذكور وأمه قتيلة ويقال قتلة بدون تصغير من بنى عامر بن لؤى شهد عبد الله فتح مكة وحنينا والطائف مع النبى صلى الله عليه وسلم وجرح بالطائف رماه أبو محجن الثقفى بسهم فاندمل جرحه إلى خلافة أبيه ومات فى خلافته فى شوال سنة إحدى عشرة دفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه ونزل فى قبره أخوه عبد الرحمن وعمر وطلحة بن عبيد الله أخرجه أبو نعيم وابن منده وأبو عمر كذا فى أسد الغابة (وعبد الرحمن) ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد وقيل غير ذلك أمه أم رومان بنت الحرث من بنى فراس بن غنم بن كنانة أسلمت وهاجرت وكان عبد الرحمن شقيق عائشة رضى الله تعالى عنها شهد بدرا وأحـدا مع المشركين وكان من الشـجعان وكان راميا حسن الرمى له مواقف

فى خبر ضعيف ذكره المناوى (قوله وأحب الثياب إليه الخ) الثوب مايلبس مطلقا والقميص ماخيط من قطن أو كتان وأحاط بالبدن وكان ذا كمين والحبرة بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة برد يمانى من قطن محبر أى مزين محسن (قوله بقلنسوة) هى بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين المهملة ما تلبس فى الرأس كالعرقيـة (قوله ولهما قبالان الخ) القبال ككتاب الزمام والشراك السـير الذى على ظهـر القـدم (قوله التقنع) هو تغطية الرأس أو أكثر الوجه بطرف العمامة أو رداء أو نحو ذلك ، ويقـال له الطياس والقناع والطيلسان بفتح اللام ما يغطى به الرأس أو أكثر الوجه (قوله غبا) بكسر الغين المعجمة وتشديد الموحدة أى يوم دون يوم لأن المبالغة فى التسريح شأن أهـل الترفه (قـوله يخصف نعله) أى يخرزها (قـوله ليس بسخاب) بسين مهملة مفتوحة فخـاء معجمة مشددة ثم موحدة : أى سباب .

﴿ذكر نبذة من معجزاته صلى الله عليـه وسلم﴾ منها القرآن وهو أعظمها ،

في الجاهلية والإسلام مشهورة دعا إلى البراز يوم بدر فقام إليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ متعني بنفسك ثم من الله عليه فأسلم في هدنة الحديبية وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة من أكابرهم وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة ومات بمكة قبل أن تتم البيعة ليزيد فجأة سنة ثلاث وخمسين ، ومروياته في كتب الأحاديث ثمانية وله عقب نقله بعضهم (ومحمد) ويكنى أبا القاسم أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وهي من المهاجرات الأول وكانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة ولما استشهد جعفر بمؤتة من أرض الشام تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمدا بذي الحليفة لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة وهي شاخصة إلى الحج في حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فأمرها النبي ﷺ أن تغتسل وترحل ثم تهل بالحج وتصنع ما يصنع الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت فكانت سببا لحكم شرعي إلى قيام الساعة رضي الله عنها ولما توفي أبو بكر رضي الله تعالى عنه تزوجها علي بن أبي طالب فنشأ محمد ولدها في حجر علي رضي الله تعالى عنهما وكان معه يوم الجمل وشهد معه صفين وولاه سيدنا عثمان مصر وكتب له العهد فكان سببا لاستشهاده وولاه أيضاً علي رضي الله تعالى عنه مصر مكان قيس بن سعد بعد رجوعه من صفين وفي تاريخ ابن خلكان وغيره أن علي بن أبي طالب ولى محمد بن أبي بكر الصديق مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين من الهجرة فأقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم في آخره هكذا ضبطه بعضهم فاقتتلوا وانهزم محمد بن أبي بكر واختفى في بيت مجنونة فمر أصحاب معاوية بن حديج ببيت المجنونة وهي قاعدة على الطريق وكان لها أخ في الجيش فقالت تريدون قتل أخي قالوا لا قالت هذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به إلى معاوية فقال له محمدا احفظني لأبي بكر فقال له قتلت من قومي في قصة عثمان ثمانين رجلا وأتركك وأنت صاحبه لا والله فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين وأمر به معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لذلك وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار وقيل وضعه حيا في جيفة حمار ميت وأحرقه هذا وسببه دعوة أخته عائشة لما أدخل يده في هودجها يوم الجمل وهي لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت من هذا الذي يتعرض لحريم رسول الله أحرقه الله بالنار قال يا أختاه قولي بنار الدنيا قالت بنار الدنيا (ودفن) في الموضع الذي قتل فيه فلما كان بعد سنة من دفنه أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه إلا الرأس فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة وقيل في القبلة (وأما البنات) فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها شقيقة عبد الرحمن تزوجها رسول الله ﷺ وكانت أحب الناس إليه وورد «قيل من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال عائشة فقيل ومن الرجال؟ قال أبوها» وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بها في الكلام على أزواجه صلى الله عليه وسلم (وأسماء) بنت أبي بكر شقيقة عبد الله وهي أكبر بناته وتدعى ذات النطاقين لأنها قطعت نطاقها وربطت به فم الجراب الذي فيه زاد الهجرة وكان في بيت أبي بكر . قالت عائشة في حديث الهجرة فجهزناهما أحسن الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ذكر أهل السير أن أسماء بنت أبي بكر قالت لما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقال أين أبوك ؟ فقلت والله

لا أدري

وانشقاق القمر ، طلب كفار قريش منه صلى الله عليه وسلم آية فسأل الله تعالى فانشق القمر فرقتين فرقة فوق أبي قبيس وفرقة دونه شاهد ذلك الداني والقاصي واستمر كذلك حتى غرب وكان ليلة أربعة عشر فزاد الله الذين آمنوا إيمانا وقال الكفار هذا سحر مستمر ، وفي رواية فرقة بالمشرق وفرقة بالمغرب قال الحلبي ولعل الفرقة التي كانت فوق أبي قبيس كانت جهة المشرق والتي دونها جهة المغرب فلا تنافي ، وكان انشقاقه في السنة التاسعة من النبوة قيل وهو الذي يلي من المعجزات القرآن في الرتبة ، وشق الصدر ، وإخباره عن بيت المقدس صبح ليلة الإسراء حين سأله المشركون عن صفته ولم يكن رآه قبل فرفعه له جبريل حتى وصفه لهم ، وحبس الشمس له عن الغروب حتى قدمت العير التي لقيته في منصرفه من المعراج وأخبرهم بأنها تقدم في يوم كذا فلما كان ذلك اليوم دنت الشمس للغروب ولم تجيء العير، وردها بعد غروبها على علي بن أبي طالب بدعوته ﷺ ليدرك علي

لأدرى فلطم خدى لطمة حتى خر منها قرطى ولما لم ندر أين توجه سمعنا صوت جنى ولم نر
شخصه ينشد أبياتا فقال :

جزى الله رب الناس خير جزائه   رفيقين حلا خيمتى أم معبد

إلى آخر الأبيات ، فلما سمعنا قوله علمنا أين توجه النبى صلى الله عليه وسلم . تزوج أسماء سيدنا الزبير بن العوام بمكة وولدت له عدة أولاد ذكور وإناث (فأما الذكور) فالمنذر وعبدالله وعروة وهو أحد الفقهاء السبعة (وأما الإناث) فخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة فجملتهن ستة ثلاثة ذكور وثلاث إناث ثم طلقها فكانت مع ولدها عبد الله بن الزبير بمكة حتى قتله الحجاج وغسلته بماء زمزم بمحضر من الصحابة وغيرهم ولم ينكر عليها أحد منهم واستدل به الفقهاء على جواز ازالة النجاسة بماء زمزم فكانت سببا لاظهار حكم إلى يوم القيامة رضى الله عنها وعاشت بعده قليلا وعمرت مائة سنة ولم يسقط لها سن وماتت بمكة (وأم كلثوم) وهى أصغر بنات أبى بكر رضى الله تعالى عنه أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد كان أبو بكر قد نزل عليه فى الهجرة فتزوجها وتوفى عنها وتركها حبلى فولدت بعده أم كلثوم هذه وتزوجها طلحة بن عبيد الله ذكره ابن قتيبة وغيره ولم أقف لها على وفاة .

(فصل: فى ذكر مناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) هو أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عدى بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، يلتقى هو ورسول الله فى كعب وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان مولده فى السنة الثالثة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عمر وكناه رسول الله ﷺ بأبى حفص وهو ولد الأسد وكان يوم بدر ذكره ابن إسحق وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاروق يوم أسلم فى دار الأرقم وبه تم المسلمون أربعين فخرجوا وأظهروا الإسلام ففرق الله بعمر الحق من الباطل ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر . وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبى بكر بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان وأول من حمل الدرة لتأديب الناس وتعزيرهم ووضع الخراج ومصر الأمصار واستقضى القضاة وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظا ياعمر وكان يختم بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى سبب إسلامه رضى الله عنه أقوال أشهرها ماروى أن قريشا اجتمعت فتشاورت فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أى رجل يقتله ؟ فقال عمر بن الخطاب أنا لها فقالوا أنت لها ياعمر فخرج متقلدا سيفه طالبا للنبى صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى منزل حمزة فى الدار التى فى أصل الصفا فلما خرج عمر إلى الصفا لقيه سعد بن أبى وقاص الزهرى فقال أين تريد ياعمر؟ فقال أريد أن أقتل محمدا قال أنت أحقر وأصغر من ذلك فكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا فقال عمر ما أراك الا قد صبأت وتركت الدين الذى أنت عليه وفى رواية لعلك قد صبأت إلى محمد فأبدأ بك فأقتلك فعند ذلك قال سعد اعلم أنى آمنت بمحمد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وكشف سعد عن سيفه وشد كل واحد منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا فقال سعد مالك ياعمر لا تصنع هذا بأختك آمنة بنت الخطاب وفى المواهب فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال أأسلما؟ قال نعم فتركه عمر وسار إلى منزل آمنة مسرعا حتى أتاهما وعندها رجل من الأنصار يقال له خباب بن

صلاة العصر أداء كما سيأتى بسطه وخروجه على المجتمعين على بابه لقتله ووضعه التراب على رءوسهم من غير أن يروه ورميه يوم حنين بقبضة من تراب فى وجوه القوم فهزمهم الله تعالى . ونسج العنكبوت بفم الغار ووقوف الحمامتين الوحشيتين على بابه ونبات الشجرة فى وجهه وماجرى لسراقة بن مالك وشاة أم معبد فى قصة الهجرة ودعوته لعمر أن يعز الله به الإسلام فكان ذلك، ولعلى أن يذهب الله عنه الحر والبرد فلم يشتك واحدا منهما بعد وكان يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر . ولعبد الله بن عباس بأن يعلمه الله التأويل ويفقهه فى الدين فكان ذلك . ولجمل جابر فصار سابقا بعد أن كان مسبوقا . ولأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش فوق المائة وكان من أكثر الأنصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ذكر من صلبه كما فى نور النبراس . ولجابر بالبركة فى تمر حائطه فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقا . وعلى عتيبة بن أبى لهب بأن يسلط الله عليه كلبا فافترسه الأسد من بين

الأرتّ وهم يقرءون سورة طه فلما سمع خباب صوت عمر توارى فى البيت فدخل عمر عليهما فقال ماهذه الهينمة التى سمعتها عندكم ؟ فقالا ماعدا حديثا حدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبأتما فقال له ختنه أرأيت ياعمر إن كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على ختنه سعيد وبطش بلحيته فتواثبا وكان عمر رجلا شديدا قويا فضرب بسعيد الأرض وجلس على صدره فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فلطمها عمر لطمة شج بها وجهها فلما نظرت إلى الدم على وجهها غضبت وقالت ياعدو الله أتضربنى على أن أوحد الله ؟ قال نعم وفى رواية قالت ياعمر إن كان الحق فى غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لقد أسلمنا على رغم أنفك فاصنع ماأنت صانع فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها فقصد ناحية ثم قال اعرضوا علىّ الصحيفة التى كنتم تدرسونها وكان عمر يقرأ الكتب فقالت أخته لاأفعل قال ويحك قد وقع فى قلبى ماقلت فأعطنيها أنظر إليها وأعطيك من المواثيق أن لاأخونك حتى تحرزيها حيث شئت قالت له أخته إنك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فإنه كتاب لايمسه إلا المطهرون فخرج عمر ليغتسل وخرج إليها خباب بن الأرت فقال أتدفعين كتاب الله إلى عمر وهو كافر ؟ قالت نعم إنى أرجو أن يهدى الله أخى فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعت إليه الصحيفة فإذا بها بسم الله الرحمن الرحيم طه ماأنزلنا عليك القرآن إلى قوله إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فقال عمر عند هذه ينبغى لمن يقول هذا أن لايعبد معه غيره فقال عمر دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت وقال أبشر ياعمر فإنى أرجو أن تكون سبقت فيك دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة قال اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام وذكر الدارقطنى أن عائشة قالت إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعز عمر بالإسلام لأن الإسلام يعز ولا يعز فقال عمر ياخباب انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وسعيد معه حتى أتوا منزل حمزة دار الأرقم التى بأصل الصفا فدقوا الباب فخرج بعض الأصحاب فنظر فى شق الباب فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا عمر نعوذ بالله من شره فقال افتحوا له الباب فإن جاء بخير قبلناه وإن جاء بشرّ قتلناه ففتح لعمر الباب فدخل فاستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وفى رواية أخذ ساعده وهزه فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلس فقال أما أنت بمنته حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة يعنى الخزى والنكال اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد وفى رواية سمعت بطرف مكة فقال رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا قال بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم فقال ففيم الإخفاء وفى رواية قال يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال ياعمر إنا قليل وقد رأيت مالقينا فقال عمر والذى بعثك لايبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان ثم خرج فى صفين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر له كديد ككديد الطحين حتى دخلوا المسجد فنظر قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق وكان إسلامه رضى الله تعالى عنه بعد إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست على الراجح [صفته] كان أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين فى عارضيه خفة أضبط وهو الذى يعمل بكلتايديه على السواء وصفته فى التوراة قال وهب قرن من حديد أمين شديد والقرن الجبل الصغير

قومه ، وعلى عامر بن أبى الطفيل بأن يشغله الله عنه بداء يقتله فأصابه طاعون فى عنقه ومات ، وقوله لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد ، وقوله فى امرأة خطبها فقال أبوها إن بها برصاً امتناعا من الإجابة ولم يكن بها برص فلتكن كذلك فبرصت حالا ، وقوله للحكم بن أبى العاص حين جاء يرتعش مستهزئا كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات ، وشهادة الضب والذئب له بالرسالة وشهادة الشجر له بالرسالة وإتيانه اليه فستره حتى قضى حاجته وإتيانه اليه فأظله من الحر ، وتسليم الشجر والحجر عليه . وسكون جبل أحد لما ضرب به عليه الصلاة والسلام برجله وقال له حين صعد عليه هو وأبو بكر وعمر وعثمان فاضطرب بهم اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان ، وحنين الجذع الذى كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر وتأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه كما سيأتى ، وشكوى بعير أعرابى له قلة العلف وكثرة العمل ، وشكوى

وقد ورد في فضله رضي الله تعالى عنه آيات وأحاديث كثيرة منها ماهو خاص به ومنها ماهو مشترك بينه وبين أبي بكر وقد مر بعضها في ترجمة أبي بكر . [وهذه نبذة من الأحاديث الخاصة به] عن أم سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي منهم فهو عمر قال بعضهم المحدث بالكسر على صيغة اسم الفاعل راوي الحديث وبالفتح على صيغة اسم المفعول الملهم صاحب الكشف والمكاشفة ولعله المراد اهـ . وقال رسول الله ﷺ قال لي جبريل ليبكين الإسلام على موت عمر رواه الطبراني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر رواه الديلمي وقال رسول الله ﷺ لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب ماأفلت إلا ابن الخطاب رواه ابن مردويه وقال رسول الله ﷺ عمر معي وأنا مع عمر والحق مع عمر حيث كان رواه الطبراني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة رواه البزار وقال رسول الله ﷺ مالقي الشيطان عمر إلا خر لوجهه وما سمع حسه إلا فر رواه الحكيم الترمذي في النوادر وقال صلى الله عليه وسلم ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأخي ياعمر لاتنسنا من دعائك رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ كاد أن يصيبنا في خلافك شر ياعمر رواه الديلمي في مسند الفردوس وقال رسول الله ﷺ رضا الرب رضا عمر رواه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم أبعث لبعث بعدي عمر رواه الديلمي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر إنك لذو رأي رشيد في الإسلام رواه أبو داود [ومن الأحاديث المشتركة زيادة على مامر] صالحو المؤمنين أبو بكر وعمر رواه الطبراني . أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر رواه الترمذي . أبو بكر وعمر سراجا أهل الجنة رواه الديلمي أبو بكر وعمر مني بمنزلة هرون من موسى رواه الخطيب (بويع له بعد موت أبي بكر رضي الله عنه) لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . ولما دفن أبو بكر رضي الله عنه صعد المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس إني داع فأمنوا اللهم إني غليظ فألني إلى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المؤن قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة أبتغي بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فإني كثير الغفلة والنسيان وألهمني ذكرك على كل حال ثم قال ألا ورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ثم نزل رضي الله عنه . عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال استأذن عمر رضي الله تعالى عنه على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما أذن له النبي صلى الله عليه وسلم تبادرن الحجاب فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر فأنت يارسول الله بأبي وأمي كنت أحق أن يهبنك ثم أقبل عليهن فقال أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيها ياابن الخطاب فوالذي نفس محمد بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك وكان في أيامه فتوح الأمصار منها دمشق من أيدي الروم وطبرية

بعض الطيور له أخذ بعضه فأمر من أخذه برده ، وتسبيح الحصى في كفه وتسبيح الطعام بين أصابعه ، ونبع الماء من بينها حتى روى الجيش العظيم وسقوا إبلهم وخيلهم وملئوا أوعيتهم وقد وقع منه ذلك مرارا ، وإطعام ألف من صاع شعير بالخندق ، وإطعام الجيش العظيم من فضل أزواد يسير حتى شبعوا وملئوا أوعيتهم وقد وقع منه تكثير الطعام القليل مرارا ، ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه ، وتفله في عين علي وهو أرمد يوم خيبر فعوفي من ساعته ولم ترمد بعد ذلك ، وعلى أثر سهم أصاب وجه أبي قتادة فما ضرب عليه ولا قاح . وعلى شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤلمه ، وعلى ضربة بساق سلمة بن الأكوع فبرئت ، وعلى رجل ورأس زيد ابن معاذ حين أصيبا بسيف فبرئا ، وعلى يد معاذ بن عفراء وقد قطعت فالتصقت وعلى ضربة بعاتق خبيب أمالت شقه فبرئت وارتد شقه مكانه ، وعلى عيني رجل ابيضتا حتى لم يبصر بهما شيئا فأبصر وكان وهو ابن ثمانين سنة

وقيسارية وفلسطين وعسقلان وسار بنفسه ففتح بيت المقدس صلحا وفتحت أيضا بعلبك وحمص وحلب وقنسرين وأنطاكية وجلولاء والرقة وحران والموصل والجزيرة ونصيبين وآمد والرها والقادسية والمدائن وزال ملك الفرس وانهزم يزدجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك وفتحت أيضا كور دجلة والأبلة وفتحت كور الأهواز والجابية وفتحت نهاوند واصطخر واصفهان وبلاد فارس وتستر وسوس وهمذان والنوبة والبربر وأذربيجان وبعض أعمال خراسان نقله بعضهم عن الرياض النضرة وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص غرة المحرم سنة عشرين وفتح أيضا الاسكندرية وطرابلس الغرب ومايليها من الساحل . وفى حياة الحيوان عد مما فتح فى أيامه رأس العين وخابور وبيسان ويرموك والرى ومايليها [كرامتان : الأولى] لما فتح عمرو بن العاص مصر أتاه أهلها وقالوا إن النيل يحتاج فى كل سنة إلى جارية بكر من أحسن الجوارى فنلقيها فيه وإلا فلا يجرى وتخرب البلاد وتقحت فبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بالخبر فبعث إليه عمر : الإسلام يجب ماقبله وبعث إليه بطاقة وأمره أن يلقيها فى النيل فأخذها عمرو بن العاص فقرأها فإذا فيها « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر ذكرها غير واحد [الثانية] عن عمرو بن الحرث قال بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة ونادى ياسارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لمجنون ترك الخطبة ونادى ياسارية الجبل فدخل عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط إليه فقال ياأمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالا بينما أنت فى خطبتك إذ ناديت ياسارية الجبل أى شىء هذا فقال والله ماملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض إلا أيام حتى جاء رسول سارية بكتابه ان القوم لاقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلاة الصبح إلى أن حضرت الجمعة فسمعنا صوت مناد ينادى ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله اه من الرياض النضرة ، قال بعضهم يقال فى جبل نهاوند غار سمع منه سارية نداء عمر وإلى الآن يعظم ذلك الغار ويتبرك به [نوادر : الأولى] رفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحطيئة آذى الناس بهجائه فاستحضره وأنبه وأوهمه أنه يقطع لسانه فقال الحطيئة بالله ياأمير المؤمنين إلا ما قتلتنى فقد هجوت والله أمى وأبى وامرأتى ونفسى فقال له عمر ما الذى قلت فى أمك وأبيك ؟ قال قلت فيهما :

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى   وأبا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت فيها أيضا :

تنحى فاجلسى منى بعيدا   أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا   وكانونا على المتحدثينا

ثم قلت فى امرأتى :

أطوّف ما أطوف ثم آوى   إلى بيت قعيدته لكاع

ثم نظرت فى بئر فرأيت وجهى فاستقبحته فقلت :

تدخل الخيط فى الإبرة ، وتفجر ماء البئر وانقلابه عذبا بتفله فيها ، ومسحه على رأس الأقرع فذهب داؤه ، وعلى رجل عبدالله ابن عتيك وقد انكسرت فكأنها لم تنكسر قط ، وعلى جسد عتبة بن فرقد السلمى فكان يشم منه رائحة الطيب دائما ولا يمس طيبا ، وتساقط الأصنام المعلقة حول الكعبة يوم فتح مكة حين أشار صلى الله عليه وآله وسلم إليها وقال «جاء الحق وزهق الباطل» الآية وإعطاؤه عكاشة بن محصن يوم بدر جذلا من حطب فصار فى يده سيفا ولم يزل عنده ، وكذلك وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد . وإحياء بنت دعا أباها إلى الإسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لى بنتى فذهب معه إلى قبرها فناداها فقالت لبيك وسعديك فقال أتحبين أن ترجعى إلى الدنيا فقالت لا والله إنى وجدت الله خيراً لى من أبوى ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا ، وإحياء أبويه صلى الله عليه وآله وسلم حتى آمنا به على ماقيل وإبراء الأمراض كما بين فى السير واستسقاؤه فأمطرت السماء أسبوعا فشكوا له من المطر فاستصحى لهم فانجاب

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما ... بشر فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجها قبح الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

فأمر به فسجن ، فكتب إليه بعد أيام يقول :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ ... ضمر الحواصل لاماء ولا شجر ... ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله ياعمر ... أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ... ألقت إليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها إذ قدموك لها ... لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

فأمر به فأحضر فاستتابه وخلى سبيله كذا فى المحاضرات [الثانية] مر سيدنا عمر رضى الله عنه فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول :

ألا طال هذا الليل وازور جانبه ... وليس إلى جنبى خليل ألاعبه ... فوالله لولا الله تخشى عواقبه

لحرك من هذا السرير جوانبه ... مخافة ربى والحياء يعفنى ... وأكرم بعلى أن تنال مراتبه

فسأل عمر رضى الله عنه عنها فقيل له إنها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر [الثالثة] ذكر ابن الجوزى فى كتابه تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ... إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل

سهل المحيا كريم غير ملجاج ... تنميه أعراق صدق حين تنسبه ... أخا وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف العواتق به فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لاتساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبى ؟ قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التى سمع عمر منها ما سمع أن يبدو من عمر إليها شىء فدست إليه المرأة أبياتا وهى :

قل للامام الذى تخشى بوادره ... مالى وللخمر أو نصر بن حجاج ... لا تجعل الظن حقا أن تبينه

إن السبيل سبيل الخائف الراجى ... إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه ... حتى يقر بالجام وإسراج

قال فبكى عمر رضى الله عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى إزار ورداء وبيده الدرة فقالت له ياأمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والأودية فقال لها إن ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريدا إلى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فان بريدا خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك ياأمير المؤمنين أما بعد فاسمع الأبيات منى هذه :

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى ... وما نلت من عرضى عليك حرام

فأصبحت منفيا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكتين مقام

لئن غنت الذلفاء يوما بمنية ... وبعض أمانى النساء غرام

ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء ومالى جرمة فألام

السحاب ، قيل وتأثير قدمه فى بعض الأحجار ، وعدم تأثير قدمه فى الرمل قال بعضهم لعل هذا كان ليلة الغار لإخفاء أثر سيره عن المشركين ، وإخباره عن المغيبات كاخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه وبأن طائفة من أمته يغزون البحر منهم أم حرام بنت ملحان فكان ذلك ، وبموت النجاشى يوم موته وصلى عليه مع أصحابه ، وبقتل الأسود العنسى الذى ادعى النبوة وهو بصنعاء ليلة قتله ، وبمن قتله ، وبقتل كسرى وهو بفارس يوم قتله ، وقوله لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب فى خلافة الصديق رضى الله عنه ، وقوله فى الحسن ابن على «إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فصالح معاوية وحقن دماء الفئتين كما سيأتى بسطه انتهى وإخباره بأن عثمان بن عفان تصيبه بلوى شديدة فأصابته حوصر فى داره وقتل ، وبأن عمر يموت شهيدا فطعنه الشقى أبو لؤلؤة عبد المغيرة

فيمنعني مما تقول تكرمي ... وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها ممـا تقول صـلاتها ... وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر هذه الأبيات قال أماولي السلطان فلا وأقطعه دارابالبصرة ، فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اه من المستطرف [فوائد : الأولى] جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو سـاكت لايرد عليها فانصرف الرجل قائلا إذاكان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه ماحاجتك ياأخي؟ فقال ياأمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علىّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذاكان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال له عمر تحملتها لحقوق لهـا علىّ فإنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها وسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أتحملها لذلك فقال الرجل ياأمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فتحملها ياأخي فإنمـا هي مدة يسيرة اه عبد البر من حاشية البجيرمي على المنهج [الثانية] وقف أعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال :

ياعمر الخير جزيت الجنه ... اكس بنياتي وأمهنه ... أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر رضي الله عنه فإن لم أفعل يكون ماذا ؟ قال :

تكون عن حالي لتسئلنه ... يوم تكون الأعطيات منه
والواقف المسئول بينهنه ... إما إلى نار وإما جنـــه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال لغلامه ياغلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لالشعره وقال أما والله لاأملك غيره وكان عمر رضي الله عنه يدني يده من النار ثم يقول ياابن الخطاب هل لك على هذا صبر ويبكي حتى كان بوجهه خطان أسودان من البكاء ؟ وكان يقول ألا من يأخذها بما فيها يعني الخلافة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أكن شيئا ليتني كنت نسيا منسيا [الثالثة] خرج عمر رضي الله عنه من المسجد والجارود العبدي معه فبينما هما خارجان إذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت السـلام ثم قالت رويدك ياعمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها قولي قالت ياعمر عهدي بك وأنت تسمى عميرا في سوق عـكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت فبكى عمر رضي الله عنه فقال الجارود هيه قد اجترأت على أمـير المؤمنين وأبكيته فقال عمر دعها أما تعرف هـذه ياجارود هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر والله أحـرى أن يسمع كلامها أراد بذلك قوله تعالى «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله» [الرابعة] روى من حديث أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حرة واف كما في رواية وهي منزلة بظاهر المدينة فرأى نارا فقال ياأسلم انظر إلى تلك النار هـل هـو ركب أضر بهم الليل والبرد فقلت لاأعلم ياأمير المؤمنـين قال انطلق بنا إليهم قال فخرجنا نهرول فإذا امرأة معها صغار ولها قدر منصـوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضي الله عنه السلام عليكم يا أهـل هـذا الضوء وكره أن يقول يا أهـل هـذه النار ، فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أو فدع فقـال لها ما بال هـذه الصبية يتضاغون ؟

قالت

قلت ، وقوله للزبير بن العوام في حق علىّ تقاتله وأنت ظالم له فكان ذلك في وقعة الجمل حين خرج هـو وطلحة وعائشـة وجيشهم على علىّ مطالبين بدم عثمان بن عفان، وقوله لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب أيتكن صاحبة الجمل الأدبب بدال مهملة فوحـدتين أي كثير الشعر يقتل حولها كثير وتنجو بعد ما كادت فكانت تلك عائشة جرى لها ذلك في وقعة الجمل ، وقوله لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فقتله جيش معاوية بصفين وكان عمار مع علي، وقوله لعلي بن أبي طالب أشقى الناس رجلان الذي عقر النـاقة والذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه حتى تبتل منه هـذه وأشار إلى لحيتـه فوقع له ذلك وقتـل كما سيأتي بسطه ،وقوله لقيس القيسي وقد قال له يارسول الله أبايعك على ماجاء من الله وعلى أن أقـول الحق ياقيس عسى إن مر بـك الدهر أن يليـك ولاة لاتستطيع أن تقول معهم الحق فقال قيس لا والله لا أبايعـك على شيء إلا وفيت به فقال له صلى الله عليـه وسلم إذن لا يضرك بشر فكان قيس يعيب

قالت من الجوع قال فما هذا القدر؟ قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال إى يرحمك الله ومايدرى عمر بكم؟ قالت يتولى أمرنا ثم يتغافل عنا قال فأقبل على فقال انطلق بنا فخرجنا حتى أتينا دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق وكبة من شحم فقال احمله على فقلت أنا أحمله عنك فقال أنت تحمل وزرى لاأم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها وهو يهرول حتى أتينا إليها فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن وألقاها فى القدر وجعل يقول للمرأة ذرى وأنا أحرك لك كذا فى المحاضرات؛ وفى رواية قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال لها أعطينى شيئا فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول ياأمير المؤمنين ماخلقت لهذا فلم يلتفت إلى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى ثم قصدنا المدينة وقال لى ياأسلم إن الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون [الخامسة] قال الأعمش كنت جالسا عنده يوما فأتى باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به وكان كثيرا مايتصدق بالسكر فقيل له فى ذلك فقال إنى أحبه وقد قال الله تعالى «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» [السادسة] أعتق رضى الله عنه ألف عبد كان إذا رأى عبدا من عبيده ملازما للصلاة أعتقه فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له [السابعة] قيل لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز فى خباء لها فقصدها فقالت مافعل عمر رضى الله عنه قال قد أقبل من الشام سالما فقالت ياهذا لاجزاه الله خيرا عنى قال ولم؟ قالت لأنه ماأنالنى من عطاياه منذ ولى أمر المسلمين دينارا ولادرهما فقال ومايدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع؟ قالت سبحان الله والله ماظننت أن أحدا يلى على الناس ولايدرى مابين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضى الله عنه وقال واعمراه كل واحد أفقه منك حتى العجائز ياعمر ثم قال ياأمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فإنى أرحمه من النار؟ فقالت لاتهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر رضى الله عنه لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا مما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر برىء منه شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفعها إلى ولده وقال إذا أنا مت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى اهـ من إعلام الناس ﴿لطيفة﴾ لما استخلف عمر رضى الله عنه حمل إليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضى الله عنهما فالتفت إليه ولده عبد الله وقال ياأبت أنا أحق أن تقدمنى بالعطية لمكانك فى الخلافة فقال له هات لك أبا كأبيهما أو جدا كجدهما حتى أقدمك بالعطية فأعادا مقالة عمر على أبيهما رضى الله عنه فالتفت إليهما وقال سيرا له وفرحاه بأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل «إن عمر سراج أهل الجنة فجاآ وبشراه بذلك ففرح فرحا شديدا وقال خذا بهذا الذى ذكرتما خط على رضى الله عنه فجاآ إليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضى الله عنه

زيادا وابنه عبيد الله وأمثالهما فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فأرسل إليه فقال له أنت الذى تفترى على الله وعلى رسوله؟ فقال لا والله ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفترى على الله وعلى رسوله قال ومن هو؟ قال من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال ومن ذاك؟ قال أنت وأبوك ومن أمركما قال وأنت الذى تزعم أنك لايضرك بشر؟ قال نعم قال لتعلمن اليوم أنك كاذب ائتونى بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات، ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى.

﴿ذكر نبذة من خصائصه صلى الله عليه وسلم﴾

هى أربعة أنواع: مااختص بوجوبه عليه لعلم الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام أقوم به وأصبر عليه من غيره ولزيادة ثواب الفرض على ثواب النفل غالبا، ومن غير الغالب إبراء المعسر فإنه سنة وإنظاره واجب والأول أفضل، والتطهير قبل الوقت فإنه سنة وبعده واجب والأول أفضل، وابتداء السلام فإنه سنة ورده واجب والأول أفضل. ومااختص بتحريمه

قال لولده إذا مت فادفنوا معى خط الإمام على رضى الله عنه ففعل ذلك نقله الإسحاقى . عن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب خرج فى سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعد فقال لها مابال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى فقال طلحة ثكلتك أمك ياطلحة لعثرات عمر تتبع ومناقبه الحسنة وسيرته المستحسنة وزهده وشجاعته وهيبته مشهورة وحسبك أنه كان وزير رسول الله ﷺ . (وكان كاتبه) عبد الرحمن بن خلف الخزاعى وزيد بن ثابت وزيد ابن أرقم (وأما قضاته) فزيد بن أبى النمر بالمدينة وأبو أمية شريح بن الحرث الكندى بالكوفة وكان القاضى بمصر قيس بن العاص السهمى ثم كعب بن يسار وحاجبه مولاه يرفأ وقيل اسمه بشر. (وأما أمراؤه) فكان بمصر عمرو بن العاص السهمى ثم صرفه عن الصعيد ورد أمره إلى عبدالله ابن سعد بن أبى سرح العامرى وكان أمير الشام معاوية بن أبى سفيان نقله بعض المؤرخين واستعمل أول سنة . ولى على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم لم يزل عمر يحج بالناس فى خلافته كلها فحج بها عشر سنين وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر حجة حجها قال ابن عباس حججت مع عمر إحدى عشرة حجة واعتمر فى خلافته ثلاث مرات وقالت عائشة رضى الله عنها لما كانت آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول أين كان عمر أمير المؤمنين وسمعت رجلا آخر يقول ههنا قد كان فأناخ راحلته ورفع عقيرته وقال

عليك سلام من إمام وباركت ... يد الله فى ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق فى أكمامها لم تفتق

قالت عائشة فلم ندر ذلك الراكب من هو فكنا نحدث أنه من الجن قالت فقدم عمر من تلك الحجة فطعن فمات كذا فى المحاضرات وغيره . وعن سعيد بن المسيب قال حج عمر رضى الله عنه فلما كان بضجنان قال لا إله إلا الله العظيم المعطى لمن شاء كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف وكان فظا يتعبنى إذا عملت ويضربنى إذا قصرت وقد أصبحت وأمسيت ليس بينى وبين الله أحد ثم تمثل بهذه الأبيات :

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوما كما وردوا

وعن سعيد بن المسيب أيضا لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كوّم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداء فاستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال اللهم كبر سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط ثم قدم المدينة فخطب الناس فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل ﴿ فصل : فى ذكر نبذة من كلامه رضى الله عنه ﴾ كان رضى الله عنه يقول: اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسول الله وكان رضى الله عنه يقول لولا خوف الحساب لأمرت بكبش يشوى لنا فى التنور وكان رضى الله عنه يقول من خاف من الله تعالى لم يشف غيظه ومن يتق الله لم يضيع مايريد وصعد يوما إلى المنبر فقال الحمد لله الذى صيرنى ليس فوقى أحد فقيل له ماحملك على ماتقول ؟ فقال إظهار الشكر ثم نزل وكان يقول ليتنى كنت كبشا أهلى سمنونى مابدا لهم ثم ذبحونى فأكلونى وأخرجونى عذرة ولم أكن بشرا . ولما مرض كانت

رأسه

لعلم الله أنه أصبر على تركه ولزيادة ثواب ترك الحرام على ترك المكروه والمباح . وما اختص بإباحته تسهيلا عليه . وما اختص باتصافه به لمزيد فضله وشرفه . (فمن النوع الأول) ركعتا الضحى وركعتا الفجر وصلاة الوتر والتضحية ، ونظر فى وجوب الأربعة عليه بما هو مبين فى السيرة الحلبية والتهجد وقيل نسخ وجوبه فى حقه والعقيقة والسواك وغسل الجمعة ومشاورة العقلاء فى الأمور الاجتهادية ومصابرة العدو فى الحرب وإن كثر وقضاء دين من مات معسرا من المسلمين وأداء الجنايات والكفارات عمن لزمته من معسرى المسلمين ، وتخيير نسائه بين الدنيا والآخرة وطلاق من اختارت الدنيا وإمساك من اختارت الآخرة ، وقيل لا يجب عليه إمساكها قال شيخ الإسلام وغيره وهو الأصح (ومن النوع الثانى) أكل الصدقة ولو منذورة أو نفلا والكفارة والوقوف إلا على جهة عامة كالآبار الموقوفة على المسلمين ويشاركه فى الصدقة الواجبة فقط آله صلى الله عليه وسلم وهل بقية الأنبياء يشاركون فى ذلك

رأسه في حجر ولده عبد الله فقال له يا ولدى ضع رأسى على الأرض فقال له عبد الله وما عليك أن كانت على فخذى أم على الأرض ؟ فقال ضعها على الأرض فوضع عبد الله رأسه على الأرض فقال ويلى وويل أمى ان لم يرحمنى ربى ثم قال وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجرلى ولا وزرعلىّ . وكان رضى الله عنه إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتماما بأمرهم وكان يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحما يومين متتابعين يضربه بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج فاعتذر إلى الناس وقال إنما حبسنى عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره وحج رضى الله عنه من المدينة إلى مكة فلم يضرب فسطاطا ولا خباء حتى رجع وكان إذا نزل يلقى له كساء أو نطع على شجرة فيستظل بذلك وكان رضى الله عنه لايجمع فى سماطه بين أدمين وقدمت إليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه زيتا فقال أدمان فى إناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل وكان فى قميصه أربع رقاع بين كتفيه وكان إزاره مرقوعا بقطعة من جراب وعدّ وا مرة فى قميصه أربع عشرة رقعة إحداها من أدم أحمر . وكان رضى الله عنه أبيض يعلوه حمرة وإنما صار فى لونه سمرة فى عام الرمادة حين أكثر من أكل الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن واللبن وكان قد حلف أنه لا يأكل إداما غير الزيت حتى يوسع الله على المسلمين ومكث الغلاء تسعة أشهر وكانت الأرض صارت سوداء مثل الرماد وكان يخرج يطوف على البيوت ويقول من كان محتاجا فليأتنا وكان يقول اللهم لاتجعل هلاك أمة محمد صلى الله عليه وسلم على يدى ؛ أورد ذلك كله الشعرانى فى طبقاته . ومن كلامه أيضا حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم من الحساب غدا ، ومن كلامه أيضا من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل مايريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون ﴿تتمة فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه﴾ روى أن عمر كان لايأذن لمشرك قد احتلم أن يدخل المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يستأذنه فى غلام صنع اسمه فيروز أبو لؤلؤة فقال إن لديه أعمالا كثيرة حداد ونقاش ونجار ومنافع للناس فأذن له فأرسل به المغيرة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر فجاء الغلام إلى عمر واشتكى فقال له عمر ماتحسن من الأعمال ؟ فذكرها فقال له عمر ماخراجك بكثير وعن أبى رافع قال كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة كل يوم يستغله أربعة دراهم فلقى أبو لؤلؤة عمر فقال يا أمير المؤمنين إن المغيرة أثقل علىّ غلتى فكلمه لى يخفف عنى فقال له عمر اتق الله وأحسن إلى مولاك فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيرى فأضمر على قتله فاصطنع خنجرا له رأسان وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال كيف ترى هذا فقال إنك لاتضرب بهذا أحدا الاقتله انتهى من الرياض النضرة . حكى الطبرى قال جاء كعب الأحبار إليه رضى الله عنه فقال له ياأمير المؤمنين اعهد فإنك ميت بعد ثلاث فقال عمر ومايدريك ؟ قال أجد صفتك وحليتك فى التوراة وإنه قد اقترب أجلك وكان عمر رضى الله عنه حينئذ لايجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الأحبار وقال ياأمير المؤمنين ذهب يومان وبقى يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس فدخل أبو لؤلؤة فى الناس وفى يده الخنجر الذى له الرأسان فصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات وفى رواية ستا إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثى فلما وجد رضى الله عنه حر الحديد سقط فى الأرض وقال

نبينا صلى الله عليه وسلم أولا ؟ ذهب الحسن البصرى إلى الأول وسفيان بن عيينة إلى الثانى ، وأن يعطى شيئا لأجل أن يأخذ أكثر منه، وتعلم الكتابة وإنشاء الشعر وروايته لا التمثل به ؛ والفرق بين روايته والتمثل به اشتمال الرواية على قوله قال فلان ففيه رفعه للقائل بسبب قوله وهذا يتضمن رفع شأن الشعر المطلوب منه صلى الله عليه وسلم ترك رفع شأنه بخلاف التمثل ، ونزع لأمته إذا لبسها للقتال قبل أن يحكم الله بينه وبين عدوه ويشاركه فى هذا بقية الأنبياء وخائنة الأعين وهى الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب مع إظهار خلافه ، ونكاح الكتابية قيل والتسرى بها والمرجح خلافه ونكاحه الأمة المسلمة (ومن النوع الثالث) القبلة فى الصوم مع الشهوة والخلوة بالأجنبية والدخول بامرأة خلية رغب فيها من غير لفظ نكاح أو تزوج منه وهبة منها ؛ وقيل يشترط لفظ نكاح أو تزوج منه فى غير التى زوجه الله إياها واعتمدوه ومن غير ولى وشهود ومن غير رضاها ورضا وليها ، وطلب امرأة متزوجة رغب فيها أو أمة رغب

أفي الناس عبدالرحمن بن عوف؟ قالوا نعم ياأمير المؤمنين قال فليتقدم يصلي بالناس فصلى عبدالرحمن ابن عوف وعمر طريح على الأرض ثم حمل إلى داره ثم قال لولده وقيل لعبد الله بن عباس اخرج فانظر من قتلني فقال له ياأمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل قتلي إلا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة ياعبد الله اذهب إلى عائشة فاسألها هل تأذن لي أن أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ياعبد الله ان اختلف القوم فكن مع الأكثر ولو ثلاثة ياعبد الله ائذن للناس أن يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون من المهاجرين والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم أعن ملأ منكم كان هذا فيقولون معاذ الله ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول :

وواعدني كعب ثلاثة أعدها ... ولا شك أن القول ماقاله كعب

وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

وفي رواية قتل أبو لؤلؤة لعنه الله سبعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح جماعة فأخذ عبد الرحمن بن عوف بساطا ورماه عليه وقبضه ولما رأى الكلب أنه قد أخذ قتل نفسه وكان طعن عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وبقي ثلاثة أيام وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة وقيل توفي يوم الاثنين وعاش ثلاثا وستين سنة وقيل خمسا وقيل غير ذلك وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر إلا يوما وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنها . ومروياته في كتب الأحاديث خمسمائة حديث واثنان وثلاثون حديثا كذا في المسامرات (وأما أولاده رضي الله عنه) فثلاثة عشر ولدا تسعة بنين وأربع بنات . أما الذكور فعبدالله ويكنى أبا عبد الرحمن آمن بمكة في صغره مع أبيه وهاجر معه وهو ابن عشر سنين وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأحد وكان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة ومات بمكة ودفن بفخ بالفاء والخاء المعجمة المشددة موضع قريب من مكة وهو ابن أربع وثمانين سنة وله عقب ومروياته ألف وستمائة وثلاثون حديثا وعبد الرحمن الأكبر شقيقه وأمهما زينب بنت مظعون الجمحي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحفظ عنه وزيد الأكبر وأمه أم كلثوم بنت الإمام علي كرم الله وجهه بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال إنه رمي بحجر بين حيين في حرب فمات ولا عقب له ويقال إنه مات هو وأمه في ساعة واحدة فلم يرث أحدهما من الآخر وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدم زيدا على أمه فصار سنة وكان بسببهما حكمان، وعاصم وأمه أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت وعاصم هذا هو الذي تزوج بابنة المرأة التي كانت تغش اللبن . فعن أبي وائل قال مر عمر رضي الله عنه بعجوز تبيع لبنا معها في سوق الليل فقال لها ياعجوز لاتغشي المسلمين وزوار بيت الله ولا تشوبي اللبن بالماء فقالت نعم ياأمير المؤمنين ثم مر بعد ذلك فقال لها ياعجوز ألم أتقدم إليك أن لاتشوبي لبنك بالماء فقالت والله مافعلت فتكلمت ابنة لها من داخل الخباء فقالت ياأمه أغشا وكذبا جمعت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز فتركها لكلام ابنتها ثم التفت إلى بنيه فقال أيكم يتزوج هذه فلعل الله عز وجل أن يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر أنا أتزوجها ياأمير المؤمنين فزوجها إياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة ففيها قيل ليست حفصة من رجال أم عاصم وتوفي عاصم سنة سبعين وله عقب وعياض وأمه عاتكة بنت زيد وزيد الأصغر وعبيدالله أمهما مليكة بنت جرول الخزاعية ، وكان

فيها مع وجوب الطلاق على الزوج والهبة على السيد وتزوجه حال إحرامه وقيل يحرم عليه كغيره واعتمدوه وبلا مهر قال الحلبي قال المحققون معنى مافي البخاري وغيره من أنه ﷺ جعل عتق صفية صداقها أنه أعتقها بلاعوض وتزوجها بلامهر فقول أنس أمهرها نفسها معناه أنه لم يصدقها شيئا فكان العتق كأنه المهر وإن لم يكن في الحقيقة كذلك اه وتزوجه أكثر من أربع ، ومثله في هذا بقية الأنبياء ، وتزويجه المرأة لمن شاء بغير رضاها ورضا وليها وبغير ولي وشهود وبغير مهر وبغير حضور الزوج فيتولى الطرفين ، واصطفاؤه من الغنيمة قبل القسمة ماشاء ودخول مكة بلا إحرام ، وقضاؤه بعلمه ولنفسه ولولده ، وشهادته لنفسه ولولده ، والشهادة له بما ادعاه مع عدم علم الشاهد وقيامه مقام شاهدين ، وقضاؤه حال غضبه وإقطاعه الأرض قبل أن يفتحها ، وأخذ طعام أو شراب احتاج إليه من مالكه المحتاج إليه ، والصلاة بعد النوم قبل واللمس بلا تجديد طهر ، وعدم إخراج زكاة المال وشاركه في هذين بقية الأنبياء

عبيدالله شديد البطش لماقتل عمر والده رضى الله عنه جرد سيفه وقتل الهرمزان وجفينة وهو رجل نصرانى من أهل الحيرة وقتل بنتا صغيرة لأبى لؤلؤة قاتل عمر والده فأخذ عبيدالله ليقتص منه فاعتذر بأن عبدالرحمن بن أبى بكر أخبره أنه رأى أبالؤلؤة والهرمزان وجفينة يدخلون فى مكان يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه فى وسطه فقتل عمر صبيحة تلك الليلة فاستدعى عثمان رضى الله عنه عبد الرحمن فسأله فى ذلك فقال انظروا إلى السكين فان كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله فنظروا اليها فوجدوها كما وصف عبدالرحمن فقال عمرو بن العاص قتل أمير المؤمنين بالأمس ويقتل ابنــه اليوم لاوالله لا يكون هذا أبدا فترك عثمان قتــل عبيد الله ثم لحق عبيد الله بمعاوية وقتــل فى صفين معه وله عقب وأخو زيد الأصغر وعبيد الله لأمهما عبد الله بن أبى جهم ابن حذيفة وحارثة بن وهب الخزاعى وعبد الرحمن الأوسط أمه لهية أم ولد وعبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد ويكنى أحد الثـلاثة أباشحمة ويلقب آخر مجبرا ، فأما أبوشحمة فهو الذى ضربه عمر فى الحد حتى مات ولاعقب له ، وأما مجبر فكان له عقب فبادوا ولم يبق منهم أحد ذكره ابن قتيبة . وفى أسد الغابة عبد الرحمن الأصغر هو أبو المجبر والمجبر أيضا اسمه عبد الرحمن وإنما قيل له المجبر لأنه وقع وهو غلام فتكسر فأتى به إلى عمته حفصة أم المؤمنين فقيل لها انظرى إلى ابن أخيك انكسر فقالت ليس بالمنكسر ولكنه المجبر قاله أبو عمرو قال الدارقطنى عبد الرحمن الأوسط هو أبوشحمة المجلود فى الحد ؛ وقطع به عن عمرو بن العاص قال: بينا أنا بمنزلى بمصر إذ قيل لى هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك وفى رواية غيره عبد الرحمن ورجل يعرف بعقبة بن الحارث فقلت يدخلان فدخلا وهما منكسران فقالا أقم علينا حد الله فإنا أصبنا البارحة شرابا وسكرنا قال فزبرتهما وطردتهما فقال عبــدالرحمن إن لم تفعله أخبرت والدى إذا قدمت عليه فعلمت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب على عمر وعزلنى فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد ودخل عبــد الرحمن ناحية إلى بيت فى الدار فحلق رأســه وكانوا يحلقون مع الحدود والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان حتى إذا كتابه جاءنى فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص عجبت لك وجراءتك علىّ وخلافك عهدى فما أرانى إلا عازلك تضرب عبد الرحمن فى بيتك وتحلق رأسه فى بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفنى إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ماتصنع بغــيره من المسلمين ولكن قلت هو ابن أمير المؤمنين وعرفت أن لاهوادة لأحد من الناس عندى فى حق فاذاجاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سـوء ماصنع فبعث به كما قال أبوه وكتب عمرو إلى عمر يعتذر اليــه إنى ضربته فى صحن دارى وبالله الذى لايحلف بأعظم منه إنى لأقيم الحدود فى صحن دارى على المسلم والذمى وبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر فقدم به عبد الرحمن على أبيه فدخل وعليه عباءة ولايستطيع المشى من سوء مركبه فقال يا عبدالرحمن فعلت وفعلت فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد فلم يلتفت اليــه فجعل عبد الرحمن يصيح ويقول إنى مريض وأنت قاتلى قال فضربه الحد ثانية وحبسه فمرض ثم مات . وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه فقيل له ياابن عم رسول الله حدثنا كيف أقام الحد على ولده فقتله فيه ؟ فقال كنت ذات يوم فى المسجد وعمر جالس والناس حوله إذ أقبلت جارية فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال عمر وعليك السلام ورحمة الله ألك حاجة ؟ قالت نعم خذ ولدك هذا منى فقال عمر إنى لاأعرفه فبكت الجارية وقالت يا أمير المؤمنــين إن لم يكن من

(ومن النــوع الرابع وهو أكثر الأنواع) أنه أول الأنبيــاء خلقا وآخرهم بعثا . ومعنى كونه أولهم خلقا أن الله تعــالى خلق روحه قبــل سائر الأرواح وشرّفها بالنبوة إعلاما للملاء الأعلى برتبته ، فالنبوة صفــة روحه فهى باقية بعــد موته ولا يضر انقطاع الوحى بعــد كمال دينه وعلى ماذكر حمــل ماورد أن الله خلق نوره قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام كذا فى شرح الشهاب على الشفاء ، والأوفق بقوله فهى باقية بعد موته أن مراده بالنبوة قوة الاستعداد للايحاء بشرع لانفس الايحــاء ولاينافى مامر حــديث « كنت نبياً وآدم بين الروح والجســد » وفى رواية « وإن آدم لمنجدل فى طينته » أى ملقى على الجدلة أى الأرض لأن الإخبار بحصول النبوة فى وقت متأخر لاينافى حصولها فى وقت سابق عليــه أيضا وأنه أول من أخذ عليــه الميثاق يوم « ألست بربكم » وأول من قال بلى ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يكسى فى الموقف من حلل الجنة أى بعد كسوة إبراهيم الخليل كما فى حديث

ظهرك فهو ولد ولدك فقال أيّ أولادي ؟ قالت أبو شحمة فقال أبحلال أم بحرام ؟ فقالت من قبلي بحلال ومن جهته بحرام قال عمر وكيف ذلك اتق الله ولاتقولي إلاحقا قالت يا أمير المؤمنين كنت مارة في بعض الأيام إذ مررت بحائط بني النجار إذ أتاني ولدك أبوشحمة يتمايل سكرا وكان شرب عند نسيكة اليهودي قالت ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الحائط ونال مني ماينال الرجل من المرأة وقد أغمي عليّ فكتمت أمري عن عمي وجيراني حتى أحسست بالولادة فخرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام وهممت بقتله ثم ندمت على ذلك فاحكم بحكم الله بيني وبينه فأمر عمر منادياً فنادى فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال لاتفرقوا حتى آتيكم ثم خرج فقال يا ابن عباس أسرع معي فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب وقال ههنا ولدي أبوشحمة فقيل له إنه على الطعام فدخل عليه وقال كل يابنيّ فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا قال ابن عباس فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد وسقطت اللقمة من يده فقال عمر يابنيّ من أنا ؟ فقال أنت أبي وأمير المؤمنين فقال فلي حق طاعة أم لا ؟ قال لك طاعتان مفترضتان لأنك والدي وأمير المؤمنين قال عمر بحق نبيك وبحق أبيك هل كنت ضيفا لنسيكة اليهودي فشربت الخمر عنده فسكرت؟ قال قدكان ذلك وقد تبت فإن رأس مال المؤمنين التوبة قال يابنيّ أنشدك بالله هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعتها ؟ فسكت وبكى قال عمر لابأس اصدق يابني فان الله يحب الصادقين قال قدكان ذلك وأنا تائب نادم فلما سمع ذلك عمر منه قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد فقال ياأبت لاتفضحني وخذ السيف واقطعني أرباً أرباً قال أماسمعت قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ؟ ثم جره إلى بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ في المسجد وقال صدقت المرأة وأقر أبوشحمة بما قالت وكان له مملوك يقال له أفلح فقال يا أفلح خذ ابني هذا إليك واضربه مائة سوط ولاتقصر في ضربه فقال لاأفعل وبكى فقال ياغلام إن طاعتي طاعة الله ورسوله ﷺ فافعل ما آمرك به قال فنزع ثيابه وضج الناس بالبكاء والنحيب وجعل الغلام يشير إلى أبيه ياأبت ارحمني فقال له عمر وهو يبكي وإنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني ثم قال يا أفلح اضرب فضربه وهو يستغيث وعمر يقول اضربه حتى بلغ سبعين فقال ياأبت اسقني شربة من ماء فقال يابني إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد ﷺ شربة لاتظمأ بعدها أبداً ياغلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين فقال ياأبت السلام عليك فقال وعليك السلام إن رأيت محمدا أقرئه مني السلام وقل له خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود ياغلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله ﷺ قالوا ياعمر انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر فقال كما لم تؤخر المعصية لاتؤخر العقوبة وجاء الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت أحج بكل سوط حجة ماشية وأتصدق بكذا وكذا درهما فقال إن الحج والصدقة لاينوبان عن الحد فضربه فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتاً فصاح وقال يابني محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول بأبي من قتله الحق بأبي من مات عند انقضاء الحد بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه فنظر الناس اليه فاذا هو قد فارق الدنيا فلم تر يوما أعظم منه وضج الناس بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يوما أقبل حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله ﷺ أقرئ عمر مني السلام وقل هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام ياحذيفة أقرئ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرتني أخرجه الديلمي في كتاب المنتقى اهـ من الرياض النضرة

وخرجه

في مسند أحمد وإنما قدم جزاء لما فعله نمروذ حين عراه ليلقيه في النار قاله الشهاب، وأول من يؤذن له في السجود، وأول من ينظر إلى الرب وأول من يمر على الصراط، وأول من يدخل الجنة ومعه فقراء المسلمين وأنه أكرم الخلق على الله، وأن دار هجرته التي هي المدينة آخر الدنيا خرابا، وأن جميع ما في الكون خلق لأجله، وأن اسمه مكتوب على العرش وعلى كل سماء وما فيها وعلى الجنان وما فيها وعلى بعض الأحجار وبعض أوراق الشجر وبعض الحيوانات، وأنه أعطى من كنز تحت العرش أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وسورة الكوثر ولم يعط منه غيره ؛ والأصح أن المراد بالكوثر في السورة نهر في الجنة أعطيه صلى الله عليه وسلم أحلى من العسل وأبيض من الثلج طينه مسك وحصاه در وياقوت يسيح على وجه الأرض بلا أخدود كبقية أنهار الجنة يصب منه ميزابان في حوضه عليه الصلاة والسلام الذي هو خارج الجنة، وأنه يحرم نكاح أزواجه وإن لم يدخل بهن على المعتمد

وخرجه غير الديلمي مختصرا بتغيير اللفظ (وأما البنات الأربع) فحفصة زوج النبي ﷺ وهي شقيقة عبدالله وعبد الرحمن الأكبر ، ورقية وهي شقيقة زيد الأكبر تزوجها ابراهيم بن نعيم بن عبد الله فماتت عنده ولم تلد له ، وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة تزوجها ابن عمها عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فولدت له عبد الله ذكره الدارقطني وزينب أمها فكيهة تزوجها عبد الله بن سراقة العدوي وروت عن أختها حفصة ذكره ابن قتيبة وغيره .

﴿ فصل : في ذكر مناقب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾ هو أبو عبد الله عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف فبين عثمان وعبد مناف أربعة آباء وبين النبي وعبد مناف ثلاثة فهو أقرب الأربعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد علي رضي الله عنه . وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب وأسلمت رضي الله عنها قديما وهاجرت الهجرتين. وولد عثمان رضي الله عنه بالطائف في السنة السادسة من عام الفيل وكان إسلامه على يد أبي بكر رضي الله عنهما قبل دخول النبي دار الأرقم وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقيل ثلاث وثلاثين سنة قال ابن إسحق هو أول الناس إسلاما بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة وهو ثالث الخلفاء وشهد المشاهد كلها إلا بدراً قيل خلفه النبي لأجل ابنته رقية يمرضها وضرب له بسهمه وأجره ولذا يعد من أهل بدر فكان كمن شهدها وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في بيعة الرضوان ودعا له بالخصوصية غير مرة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل إلى طلوع الفجر يقول «اللهم اني رضيت عن عثمان فارض عنه » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك ياعثمان ماقدمت وما أخرت وماأسررت وماأعلنت وماهو كائن إلى يوم القيامة » وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في فضله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشدّ أمتي حياء عثمان بن عفان» رواه الطبراني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عثمان في الجنة » رواه ابن عساكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عثمان أحيا أمتي وأكرمها » رواه أبو نعيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عثمان حيي تستحي منه الملائكة» رواه ابن عساكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عثمان رفيقي معي في الجنة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عثمان وليي في الدنيا والآخرة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحمك الله ياعثمان ماأصبت من الدنيا ولا أصابت منك» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعثمان إنك ستبلى بعدي فلا تقاتلن» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم يموت عثمان يصلي عليه ملائكة السماء» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يشفع عثمان في سبعين ألفا عند الميزان ممن استوجبوا النار » وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما زوّج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان رضي الله عنه قال لها « إن بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم عليه السلام وأبيك محمد » وروى عن عليّ رضي الله عنه أنه قال : دخل عثمان رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلي فلم تغطها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لأستحيي ممن استحيت منه الملائكة » وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصلّ عليها فقيل له يارسول الله مارأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا ؟ قال إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل .

وسراريه على غيره ومثله في ذلك بقية الأنبياء كما قاله جماعة ورؤية أشخاصهن في الأزر وسؤالهن من غير حجاب، وأن الله تعالى أخذ الميثاق على سائر النبيين أن يؤمنوا به وينصروه إن أدركوه وأن يأخذوا العهد على أممهم بذلك وأنه يحشر على البراق وأما بقية الأنبياء فعلى الدواب وأنه شق صدره المرات العديدة وأما غيره من الأنبياء فلم يقع له ذلك رأسا على قول ووقع بلا تكرار على قول آخر ، وأن خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وأما بقية الأنبياء فخواتمهم في أيمانهم على نزاع في ذلك ، وأنه لافيء له ، وأن الذباب لايقع على ثيابه فضلا عن جسده ، وأن نحو البعوض والقمل لايمتص دمه وإن كان يوجد في ثيابه ومن ثم كان عليه الصلاة والسلام يفلي ثوبه ، وأنه اذا ركب دابة لاتبول ولا تروث وهو راكبها ، وأنه إذا ماشاه الطويل طاله واذا فارقه كان ربعة ،وأنه إذا جلس يكون كتفه أعلى من أكتاف الجالسين،وأن الشيطان لايتمثل به في المنام لكن اختلفوا فقيل محله إذا رآه النائم بصورته

[نادرة] عن أبي قلابة قال كنت بالشام مع رفقة فسمعت رجلا يقول : واويلاه من النار فقمت اليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين أعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال إني كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار . قال فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هارباً ولم يبق من دعائه إلا النار .

[موعظة من مواعظ سيدنا عثمان رضي الله عنه] عن يزيد بن عثمان قال آخر خطبة خطبها عثمان : أيها الناس إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة فلم يعطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى لاتبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية آثروا مايبقى على مايفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغيرة ، والزموا جماعتكم لاتصيروا أحذانا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .

[صفة عثمان رضي الله عنه] كان أبيض اللون ، وقيل أسمر رقيق البشرة كثير شعر الرأس عظيم اللحية ، وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه ضخم الكراديس بعيد مابين المنكبين وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب ، عن عبدالله بن حزام المازني قال : رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجها منه وبويع له بعد وفاة عمر رضي الله عنه يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين، وقيل يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام. قال في المختصر: ولما كان في اليوم الثالث من وفاة عمر خرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه وصعد المنبر ثم قال : أيها الناس إني سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان وقال قم ياعلي فقام علي فوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده وقال هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر فقال اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي فأرسل يده ثم نادى قم ياعثمان فقام فأخذ بيده وقال أبايعك فهل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر فقال اللهم نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد وقال : اللهم اسمع قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فازدحم الناس يبايعون عثمان وقعد عبدالرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر وقعد عثمان في الدرجة الثانية تحته فجعل الناس يبايعونه ، ويقال لسيدنا عثمان ذوالنورين لأن النبي صلى الله عليه وسلم زوجه ابنته رقية فلما ماتت زوجه أم كلثوم فلما ماتت قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها ، وفي أسد الغابة لو كان لنا ثالثة لزوجناك . وفي أسد الغابة أيضا عن أبي محبوب عقبة بن علقمة قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لوأن لي أربعين بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لاتبقى منهن واحدة» .

[نكتة] قيل للمهلب بن أبي صفرة لم قيل لعثمان ذوالنورين قال لأنه لم نعلم أحدا أرسل ستراً على ابنتي نبي غيره وكان عثمان رضي الله عنه شديد الحياء حتى إنه ليكون في البيت والباب مغلق عليه فما يضع الثوب عنه عند الغسل ليفيض الماء ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه . وفي طبقات الشعراني وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله وكان يختم القرآن في كل ركعة كثيرا وكان يخطب الناس وعليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته

يأكل

المعروفة التي كان عليها قبل موته وقيل لايتمثل به سواء رآه النائم بصورته المعروفة أو بغيرها وأن مسجده لو وسع جدا لم تختلف أحكامه الثابتة له كمضاعفة الأجر على الأصح ومثله مسجد مكة ، وأنه أرسل للناس كافة إنسها وجنها إجماعا وكذا الملائكة على الأصح عند جماعة ، وأن الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال يا آدم يانوح ياإبراهيم ياداود يازكريا يايحيى ياعيسى بل خاطبه صلى الله عليه وسلم ياأيها النبي ياأيها الرسول ياأيها المدثر ياأيها المزمل ، وأنه تعالى أقسم بحياته حيث قال « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » وأنه رأى جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها مرتين مرة حين سأله أن يريه نفسه وذلك في أوائل مبعثه وهذه المرة هي المعنية بقوله تعالى « ولقد رآه بالأفق المبين» وقوله تعالى « فاستوى وهو بالأفق الأعلى» ومرة ليلة الإسراء وهي المعنية بقوله تعالى : «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى» ولم يره نبي غيره على صورته ، وأن إسرافيل هبط عليه ولم

يأكل الخل والزيت وكان يردف غلامه خلفه فى أيام خلافته ولا يستعيب ذلك وكان إذا مر على المقبرة بكى حتى تبتل لحيته رضى الله عنه اه واشترى بئر رومة بأربعين ألف درهم ووقفها على المسلمين وأصاب الناس قحط فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبى بكر وقالوا ياخليفة رسول الله إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع؟ فقال لهم انصرفوا واصبروا فإنى أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان جاءت من الشام وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هى ألف بعير موسوقة براوزيتا وزبيبا فأناخت بباب عثمان رضى الله عنه فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا إنك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذى وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس قال حبا وكرامة كم تربحونى على شرائى قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا ياأبا عمرو مابقى فى المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذى أعطاك قال ان الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين اه من الغرر والعرر، وجهز رضى الله عنه جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا بأحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرسا وعن قتادة حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرسا فقال عليه الصلاة والسلام ماعلى عثمان بعد هذا. وأصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى طعاما يسع العسكر ﴿ فائدة ﴾ اختصم عثمان هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح فقال أبو عبيدة ياعثمان تخرج على فى الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان وماهن؟ قال الأولى إنى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت، أما يوم البيعة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى فى حاجة ومد يده عنى وقال هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدى وأما يوم بدر فإن رسول الله ﷺ استخلفنى على المدينة ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامى يوم أحد فإن الله عفا عنى وأضاف فعلى إلى الشيطان فقال تعالى «ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم» فخصمه عثمان وغلبه . ومناقبه رضى الله عنه مشهورة وفتح فى أيام خلافته سابور وأفريقية وسواحل الأردن وسواحل الروم وإصطخر الأخيرة وفارس الأولى وطبرستان وسجستان والأساورة . ومروياته مائة وستة وأربعون حديثا (وكاتبه) مروان بن الحكم. (وقاضيه) كعب بن سور وعثمان بن قيس بن أبى العاص (وأميره بمصر) أخوه من الرضاعة عبدالله ابن سعد بن أبى سرح (وحاجبه) حمران مولاه (وصاحب شرطته) عبد الله بن معبد التيمى وفى المحاضرات ابن قنفذ التيمى . ونقش خاتمه آمنت بالله مخلصا وقيل آمنت بالذى خلق فسوى وكان فى يده خاتم رسول الله ﷺ يطبع به إلى أن وقع فى بئر أريس ﴿ تتمة : فى ذكر أولاده واستشهاده ﴾ أما أولاده رضى الله عنه فستة عشر تسعة ذكور وسبع بنات أما الذكور (فعبد الله) ويعرف بالأصغر وأمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فاختة بنت غزوان ومات صغيرا وقيل بلغ ست سنين ونقره ديك فى عينه فمرض ومات (وعبد الله الأكبر) وكان أسنهم وأشرفهم عقبا وولدا ومات بمنى (وأبان) ويكنى أبا سعيد وهو من رواة الحديث وشهد حرب الجمل مع عائشة قيل وكان أول من انهزم وكان أبرص أحول أصم، ولى المدينة فى أيام عبد الملك

يهبط على نبى قبله، وأنه يحرم التزوج على بناته وقيل على فاطمة خاصة (قال الحلبى) وأما التسرى عليهن فلم أقف على حكمه وما علل به منع التزوج عليهن حاصل فى التسرى إلا أن يفرق اه وأن فضلاته طاهرة قال بعضهم وكذا بقية الأنبياء، وأنه يخص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة اثنين وترخيصه لأم عطية فى النياحة على جماعة مخصوصة وأنه خاتم الأنبياء، وأنه الشفيع فى فصل القضاء، وأنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة، وأنه خطيب الأمم وإمامهم فى ذلك اليوم، وأن له الوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة والمقام المحمود وهو قيامه على يمين العرش على أحد الأقوال أى إقامته ومكثه على يمين العرش فلا ينافى ماروى أنه يجلس على منبر على يمين العرش كما فى شرح الشفاء للشهاب، وأن أمته خير الأمم وكتابه خير الكتب ولسانه خير الألسنة، وأنه لا يقرأ فى الجنة إلا كتابه ولا يتكلم فيها إلا بلسانه، وأنه لم ير أثر لقضاء حاجته بل كانت الأرض تبتلعه ويشم من مكانه رائحة

ابن مروان ، ومات في خلافة يزيد بن عبد الملك وعقبه كثير وله ولد في الأندلس (وخالد) وكان في يد أولاده المصحف الذي قطر عليه دم عثمان يوم قتل ؛ توفي في خلافة أبيه بركض دابة وله عقب وهو الذي يقال له الكسير (وعمرو) وله عقب أيضا وأمهم بنت جندب من الأزد (وسعيد والوليد) أمهما فاطمة بنت الوليد وكان سعيد يكنى أبا عثمان ولاه معاوية خراسان وكان حاكما بها من قبل معاوية وقتل هناك (وعبد الملك) مات غلاما وأمه مليكة وهي أم البنين بنت عيينة ابن حصن الفزاري (وأما البنات) فمريم الكبرى أخت عمرو لأمه وأم سعيد أخت سعيد لأمه وتزوجها عبد الله وعائشة وتزوجها الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثم خلف عليها بعده عبدالله ابن الزبير ، وأم أبان تزوجها مروان بن الحكم بن أبي العاص ، وأم عمرو أمها رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبدشمس ، ومريم الصغرى أمها نائلة بنت الفرافصة الكلبية وتزوجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وأم البنين أمها أم ولد نقله بعض المؤرخين [وأما سبب قتله] فروى عن ابن شهاب قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان وما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد ﷺ قال قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا فقلت وكيف كان ذلك؟ قال لما ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه فولي اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب رسول الله وكان يستغاث عليهم فلا يغيثهم فلما كان في الستة الحجج الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وأمرهم وولى عبدالله بن أبي سرح مصر فشكا أهل مصر وكان من قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر وكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لأجل عبد الله بن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم حنقت على عثمان لأجل عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه يهدده فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان ومن أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج جيش أهل مصر في سبعمائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم وقال قد سألوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم وإن وجب عليه حق فأنصفهم من عاملك فقال لهم اختاروا رجلا فأشاروا إلى محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم مدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطا حتى كأنه يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم ؟ أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا الذي أريد فأخبروا بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجالا فأخذوه وجاءوا به إليه فقال غلام من أنت؟ فاعتل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكان معه إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل فراودوه ليخرجه فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابه وقف على عملك حتى يأتيك أمري إن شاء الله تعالى فلما قرءوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وختم

محمد

السلك ، وأنه كان ينظر من خلفه كما ينظر من أمامه ، قيل وكان ينظر في الظلمة كما ينظر في النور ، وأن تنفله قاعدا كتنفله قائما ، وأنه يحرم رفع الصوت عنده ونداؤه باسمه ومن وراء الحجرات والتكني بكنيته المشهورة أبي القاسم مطلقا على الأصح من مذهب الشافعي وقيل في حياته ﷺ لأن النهي عنه لئلا يجد المنافقون فرصة لأذاه بإجابته من دعا بها غيره وهذا يزول بوفاته ﷺ ورجحه النووي لمن اسمه محمد فقط لحديث « من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي » وأن من دعاه في الصلاة يجب عليه إجابته قولا وفعلا وإن كثر وكذا بقية الأنبياء ولا تبطل صلاته بالنسبة لنبينا فقط ، وأنه لا يقع منه ذنب كبيرا أو صغيرا عمدا أو سهوا قبل النبوة أو بعدها على نزاع في بعض ذلك ولا يورث ولا يتثاءب ولا يحتلم وكذا بقية الأنبياء في الأربعة .

﴿ ذكر نبذة من جوامع عباراته ، ورقائق براعاته صلى الله عليه وسلم ﴾

اعلم أن كلامه عليه الصلاة والسلام لا يحصيه إلا الله تعالى ؛ وقد اشتمل هذه

محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من أصحاب محمد ﷺ ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم فقرءوا الكتاب عليهم وأخبروهم بقصة العبد فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من غضب ابن مسعود وأبي ذر وعمار وقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منازلهم وما منهم من أحد إلا مغتم وحاصر الناس عثمان ، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له على هذ الغلام غلامك ؟ قال نعم قال وهذا البعير بعيرك قال نعم قال فأنت كتبت الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وسألوه أن يدفعه إليهم وكان معه في الدار فأبى وخشى عليه القتل فخرج أصحاب رسول الله ﷺ من عنده غضابا وعلموا أن عثمان لا يحلف باطلا فحاصره الناس ومنعوه الماء وأشرف على الناس وقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد ؟ قالوا لا فقال ألا أحد يسقينا من ماء فبلغ ذلك عليا فبعث إليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل حتى جرح بسببها عدة من موالي بنى هاشم وبنى أمية ثم بلغ عليا أنهم يريدون قتل عثمان فقال إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا فقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه اخراج مروان فلما رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بدمائه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمد بن طلحة وشج قنبر مولى عليّ ، ثم إن بعض من حضر عثمان خشى أن تغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة فأخذ بيده رجلان وقالا إن جاء بنو هاشم ورأوا الدم على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن اذهبوا بنا نتسور الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة فصعدت إلى الناس فقالت إن أمير المؤمنين قتل فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوه مذبوحا فانكبوا عليه يبكون ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولا فبلغ عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد ابن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير وخرج على وهو غضبان فلقيه طلحة فقال مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين وكان يرى أنه أعان على قتل عثمان فقال عليك كذا وكذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو أخرج مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة وخرج على فأتى منزله . وفي الاستيعاب روى سعيد المقبرى عن أبي هريرة وكان محصورا مع عثمان في الدار قال رمى رجل منا فقلت يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا قال عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك فإنما يراد نفسي وسأقي المؤمنين بنفسي قال أبو هريرة فرميت سيفي لا أدرى أين هو حتى الساعة وأما أحسن قول كعب بن مالك فيه :

وكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل

الكتاب فمامر وفيما سيأتى على جملة منه (ولنذكر) هنا زيادة على ذلك مائة حديث من جوامع عباراته ورقائق براعاته لينكشف للناظر قوله ﷺ « أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا » فنقول قال عليه الصلاة والسلام : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى . اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . اتقوا الدنيا فوالذى نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت . أجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له . أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل . أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما . احفظ الله يحفظك . أخلص دينك يكفك القليل من العمل . أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك . إذا أحب الله قوما ابتلاهم . إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وألهمه رشده . إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منهم إذا سرتك حسنتك

وقال لأهل الدار لاتقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

وكان أول من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر الصديق فأخذ بلحيته فقال له دعها ياابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحيا وخرج ، وفي رواية فلما دخل أخذ بلحيته وهزها وقال ماأغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبي سرح وما أغنى عنك عبد الله بن عامر فقال ياابن أخي أرسل لحيتي فوالله لتجبذ لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا مني فيقال إنه حينئذ تركه وخرج عنه ويقال حينئذ أشار إلى من معه فطعنه واحد منهم فقتلوه انتهى . روى أنه ضربه يسار بن علياص أو يسار بن عياض الأسلمي وسودان بن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله تعالى «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» وفي رواية وجلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطىء عمير بن ضابىء على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه ، وفي رواية لما خرج محمد دخل رومان بن سرحان رجل أزرق محدود عداده في مراد وهو من ذي أصبح معه خنجر فاستقبله به وقال على أي دين أنت يانعثل؟ فقال لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه على صدغه الأيمن وفي رواية على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة ودخل رجل من أهل مصر ومعه السيف صلتا فقال والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها وفي رواية فعالجت امرأته وقبضت على السيف فقطع يدها فقالت لغلام لعثمان يقال له رباح ومعه سيف عثمان أعني على هذا وأخرجه عني فضربه الغلام بالسيف فقتله . وفي أسد الغابة اختلف فيمن باشر قتله بنفسه فقيل محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص وقيل بل حبسه محمد بن أبي بكر وأشعره غيره وكان الذي قتله سودان بن حمران وقيل بل قتله رومان اليمامي وقيل بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة وقيل بل أسود التجيبي من أهل مصر ويقال جبلة بن الأيهم رجل من أهل مصر وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة وقطرت قطرة من دمه على فسيكفيكهم الله وكان يومئذ صائما . عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال تقتل وأنت مظلوم وتسقط قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال إنها إلى الساعة لفي المصحف والله أعلم وقال له رسول الله ﷺ ياعثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يوم القيامة . قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة في ذي الحجة يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت منه يوم التروية سنة خمس وثلاثين من الهجرة ذكره المدائني عن ابن معشر عن نافع . وقال ابن إسحق قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت بعد الظهر وكان مدة حصاره أربعين يوما وقيل خمسين وعاش سبعا وثمانين سنة وقيل ثمانين على ماقاله ابن إسحق وقيل قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل غير ذلك وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا يوما وقيل غير ذلك . قال أبو عمرو : ولما قتل عثمان أقام مطروحا يومه ذلك إلى الليل فحمله رجال على باب ليدفنوه فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه فوجدوا قبرا كان حفر لغيره فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم . وعن عروة أنه قال أرادوا أن يصلوا على عثمان فمنعوا فقال رجل من قريش وهو أبو جهم بن حذيفة دعوه فقد صلى عليه رسول الله ﷺ قال الواقدي دفن ليلا ليلة

وساءتك سيئتك فأنت مؤمن . إذا غضب أحدكم فليسكت . إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولاتكلم بكلام تعتذر منه واجمع الاياس مما في أيدي الناس . إذالم تستح فاصنع ماشئت . ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس . استعد للموت قبل نزول الموت . استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود . استنزلوا الرزق بالصدقة . أشكر الناس لله أشكرهم للناس . أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر . أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولاذكره في سعة إلا ضيقها عليه . إن الله تعالى كريم يحب الكريم ، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها . إن الله تعالى لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . إن الصبر عند الصدمة الأولى . إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم . إن أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل باع دينه بدنيا غيره . إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة ، وإن

السبت فى موضع أوقال فى أرض يقال له حش كوكب وأخفى قبره وكوكب رجل من الأنصار والحش البستان كان عثمان رضى الله عنه قد اشتراه وزاده فى البقيع فكان أول من قبر فيه (وروى) محمد بن عبد الله بن الحكم وعبد الملك بن الماجشون عن مالك قال لما قتل عثمان ألقى على المزبلة ثلاثة أيام فلما كان فى الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وجدى فاحتملوه فلما صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه فاذاهم بقوم من بنى مازن قالوا والله لئن دفنتموه ههنا لنخبرن الناس غدا فاحتملوه وكان على باب وإن رأسه على الباب يقول طق طق حتى صاروا به إلى حش كوكب فاحتفروا له وكانت عائشة ابنة عثمان معها مصباح فى حق فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير والله لئن لم تسكتى لأضربن الذى فيه عيناك فسكتت فدفنوه أخرجه القلعى . وعن الحسن قال شهدت عثمان بن عفان دفن فى ثيابه بدمائه خرجه ابن الجوزى ورواه عبد الله ابن الإمام أحمد فى زيادات المسند وزاد فيه ولم يغسل ، وشهدت الملائكة عثمان رضى الله عنه . فعن سهل بن خنيس وكان ممن شهد قتل عثمان قال : لما أمسينا قلت لئن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فانطلقنا به إلى بقيع الغرقد فأمكنا له من جوف الليل ثم حملناه فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا أن نتفرق فإذا مناد ينادى لاروع عليكم اثبتوا فإنا جئنا لنشهد معكم وكان ابن خنيس يقول هم الملائكة رواه الضحاك . عن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا بأخى فقلت يسرنى لو كنت فداءك ياأمير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله ﷺ وقد مثل لى فى هذه الخوخة وأشار عثمان بيده إلى خوخة فى أعلى داره فقال ياعثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا شربت منه فيا أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديى وبين كتفى فقال إن شئت أفطرت عندنا وإن شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر نقله الإسحاقى . وفى أسد الغابة عن أبى سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكا وهو محصور ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها لافى جاهلية ولا فى إسلام وقال إنى رأيت رسول الله ﷺ البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر فقالوا لى اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة رضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين . ولما قتل عثمان رضى الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان يشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين برحمة الله اهـ . من المحاضرات .

﴿فصل: فى ذكر مناقب سيدنا على بن أبى طالب ابن عم الرسول وسيف الله المسلول﴾ ولد رضى الله عنه بمكة داخل البيت الحرام على قول يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين وقبل البعث باثنتى عشرة سنة وقيل بعشر سنين ولم يولد فى البيت الحرام قبله أحد سواه قاله ابن الصباغ (وأمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تجتمع مع أبى طالب فى هاشم جد النبى ﷺ أسلمت وهاجرت مع النبى ﷺ نقل عنها أنها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلى رضى الله عنه فى بطنها لم يمكنها يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها من ذلك ولذلك يقال عند ذكره كرم الله وجهه أى عن أن يسجد لصنم وهى أول هاشمية ولدت هاشميا ولما ماتت كفنها صلى الله عليه وسلم

الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة . أنزلوا الناس منازلهم . إن من كنوز البر كتمان المصائب . الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة ، والتودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم . بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا عن النساء تعف نساؤكم ومن تنصل إليه فلم يقبل فلن يرد على الحوض . ترك الشر صدقة . تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . تعلموا ماشئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله حتى تعملوا بما تعلمون . التؤدة فى كل شىء خير إلا فى عمل الآخرة . جف القلم بما أنت لاق . حبك الشىء يعمى ويصم . حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء . حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات . الحرب خدعة . الحياء خير كله . خير الأمور أوسطها . خير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله . الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان . الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . الدين

بقميصه لأنها كانت عنده بمنزلة أمه وأمر ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسود فحفروا قبرها بالبقيع فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه فلما فرغ اضطجع فيه وقال اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين فقيل يارسول الله رأيناك صنعت شيئا لم تكن صنعته بأحد قبلها فقال ﷺ ألبستها قميصى لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت فى قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعا إلىّ بعد أبى طالب (وتربى على) رضى الله عنه عند النبى ﷺ وذلك أنه لما أصاب أهل مكة جدب وقحط أجحف بذى المروءة وأضر بذى العيال قال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضى الله عنه وكان من أيسر بنى هاشم ياعم إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله عنه فتأخذ أنت رجلا وأنا آخذ رجلا فنكفلهما عنه فقال العباس افعل فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ماشئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه فلم يزل على رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعث النبى ﷺ فتبعه على رضى الله عنه وآمن به وصدقه وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة . وقال ابن إسحق أسلم على بن أبى طالب وهو ابن عشر وقيل غير ذلك . وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا فى تبوك فإن رسول الله ﷺ خلفه فى أهله فقال يارسول الله أتخلفنى فى النساء والصبيان قال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبى بعدى أخرجه الشيخان (صفته) كان آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية .وفى ذخائر العقبى كان ربعة من الرجال أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه كأنه قمر بدرى عظيم البطن وكان رضى الله عنه عريض مابين المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضارى لاتبين عضده من ساعده أدمج إدماجا شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه إبريق فضة . وفى أسد الغابة عن رازم بن سعد الضبى قال سمعت أبى ينعت عليا قال كان رجلا فوق الربعة ضخم المنكبين طويل اللحية وإن شئت قلت إذا نظرت إليه قلت آدم وإن تبينته من قرب قلت أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم ﴿لطيفة﴾ عن أبى سعيد التيمى أنه قال كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان فى السوق فإذا رأينا عليا قد أقبل علينا قلنا بزرك أشكم قال على مايقولون ؟ قالوا يقولون عظيم البطن قال أجل أعلاه علم وأسفله طعام وأشكم بالعجمية البطن وبزرك بضم الباء والزاى وسكون الراء عظيم [وقد ورد فى فضله آيات وأحاديث جمة] نقل الواحدى فى كتابه المسمى بأسباب النزول أن الحسن والشعبى والقرطبى قالوا إن عليا رضى الله عنه والعباس وطلحة ابن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت مفتاحه بيدى ولو شئت كنت فيه وقال العباس رضى الله عنه وأنا صاحب السقاية والقائم عليها فقال على رضى الله عنه لاأدرى لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فى سبيل الله فأنزل الله تعالى «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله إلى أن قال الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال «صليت مع رسول الله ﷺ يوما من الأيام

يسر ولن يغالب الدين أحد إلا غلبه . الدين النصيحة . رب قائم حظه من قيامه السهر ، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش . رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم . الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل . زرغبا تزدد حبا . السعيد من وعظ بغيره . السكينة مغنم وتركها مغرم . الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه . صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر . الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الظلم ظلمات يوم القيامة . عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير . العبد عند ظنه بالله وهو مع من أحب . فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم . القرآن حجة لك أوعليك . القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى . كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ماسمع . كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول . كفى بالمرء علما أن يخشى الله وبالمرء جهلا أن يعجب بنفسه . كما تدين تدان . كن فى الدنيا كأنك

الظهر

الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا فرفع السائل يديه إلى السماء وقال اللهم إنى سألت فى مسجد نبيك محمد ﷺ فلم يعطنى أحد شيئا وكان على رضى الله عنه فى الصلاة راكعا فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبى ﷺ وهو فى المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال اللهم إن أخى موسى سألك فقال ربى اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهو قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى فأنزلت عليه قرآنا سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما اللهم وإنى محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لى صدرى ويسرلى أمرى واجعل لى وزيرا من أهلى عليا أشدد به ظهرى قال أبو ذر رضى الله عنه فما استتم دعاءه حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عزوجل وقال يامحمد اقرأ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » نقله أبو إسحق أحمد الثعلبى فى تفسيره . ونقل الواحدى فى تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان مع على رضى الله عنه أربعة دراهم لايملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فأنزل الله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « لما نزلت هذه الآية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أنت وشيعتك تأتى يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتى أعداؤك غضابا مقمحين » وعن مكحول عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى « وتعيها أذن واعية » قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن يجعلها أذنك ياعلى ففعل فكان على رضى الله عنه يقول ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما إلا وعيته وحفظته ولم أنسه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « لما نزل قوله تعالى إنما أنت منذر ولكل قوم هاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا المنذر وعلى الهادى وبك ياعلى يهتدى المهتدون » . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس آية من كتاب الله تعالى ياأيها الذين آمنوا إلا وعلى أولها وأميرها وشريفها . ونقل الإمام أبو إسحق الثعلبى رحمه الله فى تفسيره « أن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى سئل عن قوله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع » فيمن نزلت فقال للسائل لقد سألتنى عن مسألة لم يسألنى عنها أحد قبلك حدثنى أبى عن جعفر ابن محمد عن آبائه رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد على رضى الله عنه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه فشاع ذلك فطار فى البلاد وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال يامحمد أمرتنا عن الله عز وجل أن نشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلى خمسا فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شىء منك أم من الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لاإله إلا هو إن هذا من الله عزوجل فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم إن كان مايقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عز وجل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله فأنزل الله عز وجل سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج » (تنبيه) قال العلماء لفظ المولى يستعمل

غريب أو عابر سبيل . الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى . لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا . ليس الخبر كالمعاينة . ليس الشديد من غلب الناس ، إنما الشديد من غلب نفسه . ليس منا من غش . ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر . ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . ماخاب من استخار ولاندم من استشار ولاعال من اقتصد . ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . ما نقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . مداراة الناس صدقة . ملاك الدين الورع . من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه . من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على ما يفنى . من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس . من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . منهومان لايشبعان

بازاء معان متعددة ورد بها القرآن العظيم فتارة يكون بمعنى أولى قال الله تعالى فى حق المنافقين «مأواكم النار هى مولاكم» أى أولى بكم وتارة بمعنى الناصر قال الله تعالى «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم» وبمعنى الوارث قال الله تعالى «ولكل جعلنا موالى مماترك الوالدان والأقربون» أى ورثة وبمعنى العصبة قال تعالى «وإنى خفت الموالى من ورائى» أى عصبتى وبمعنى الصديق قال الله تعالى «يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا» أى صديق عن صديق وبمعنى السيد المعتق وهو ظاهر فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن عليا كذلك [ومن الأحاديث] ماأخرجه الترمذى والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم قيل يارسول الله سمهم لنا قال على منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان» . وأخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن حبشى بن جنادة قال قال رسول الله ﷺ «على منى وأنا من على ولايؤدى عنى إلا على» . وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال «آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال ﷺ أنت أخى فى الدنيا والآخرة» . وأخرج مسلم عن على قال «والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى به أنه لايحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق» . وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال «كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا» . وأخرج الحاكم وصححه عن على قال «بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت يارسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء فضرب صدرى ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذى فلق الحبة ماشككت فى قضاء بين اثنين» . وسبب قوله ﷺ «أقضاكم على» ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع جماعة من الصحابة فجاء خصمان فقال أحدهما يارسول الله إن لى حمارا وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حمارى فبدأ رجل من الحاضرين فقال لاضمان على البهائم فقال صلى الله عليه وسلم اقض بينهما ياعلى فقال على لهما كانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدودا والآخر مرسلا فقالا كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها فقال على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر صلى الله عليه وسلم حكمه وأمضى قضاءه . عن أبى عثمان النهدى عن على كرم الله وجهه قال «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بيدى ونحن نمشى فى بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة قال فقلت يارسول الله ماأحسنها من حديقة فقال ماأحسنها ولك فى الجنة أحسن منها ثم مررنا بأخرى فقلت يارسول الله ماأحسنها من حديقة فقال ماأحسنها ولك فى الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق وكل ذلك أقول له ماأحسنها ويقول لك فى الجنة أحسن منها فلما خلا له الطريق اعتنقنى ثم أجهش باكيا فقلت يارسول الله مايبكيك قال ضغائن لك فى صدور أقوام لايبدونها لك إلا من بعد موتى قال قلت يارسول الله فى سلامة من دينى قال فى سلامة من دينك» ﴿لطيفة﴾ روى أن رجلا أتى به إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحت ؟ قال أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصدق اليهود والنصارى وأومن بمالم أره وأقر بما لم يخلق فأرسل عمر إلى على رضى الله عنهما فلما جاء أخبره بمقالة الرجل فقال صدق يحب الفتنة قال الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة ويكره الحق يعنى الموت قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ويؤمن بمالم يره يؤمن بالله عز وجل ويقر بمالم يخلق يعنى الساعة فقال عمر رضى الله عنه أعوذ بالله من معضلة لاعلى بها . قال

طالب علم وطالب دنيا . المجاهد من جاهد نفسه . المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه . المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه . المؤمن من آمنه الناس . لاإيمان لمن لا أمان له ، ولا دين لمن لا عهد له . لاتظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك . لاتنزع الرحمة إلا من شقى . لاخير فى صحبة من لا يرى لك مثل ماترى له . لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه . لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالابأس به حذرا لما به بأس . لايجنى جان إلا على نفسه . لايغنى حذر من قدر . لايلدغ المؤمن من جحر مرتين .

﴿ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم﴾

الأصح عند العلماء أن أولاده ﷺ سبعة ثلاثة ذكور وأربعة إناث . فأول من ولد له القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم واسمها كنيتها ثم فى الإسلام عبدالله وكان يسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله المذكور ولدا فى بطن

سعيد بن المسيب كان عمر يقول : اللهم لاتبقنى لمعضلة ليس لها أبو الحسن [نادرة] وهى أن رجلا تزوج بخنثى لها فرج كفرج النساء وفرج كفرج الرجال وأصدقها جارية كانت له ودخل بالخنثى وأصابها فحملت منه وجاءت بولد ثم إن الخنثى وطئت الجارية التى أصدقها لها الرجل فحملت منه الجارية بولد فاشتهرت قصتها ورفع أمرها إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فسأل عن حال الخنثى فأخبر أنها تحيض وتطأ وتوطأ وتمنى من الجانبين وقد حبلت وأحبلت فصار الناس متحيرى الأفهام فى جوابها وكيف الطريق إلى حكم قضائها وفصل خطابها فاستدعى على رضى الله عنه غلاميه وأمرهما أن يذهبا إلى هـذه الخنثى ويعدا أضلاعها من الجانبين إن كانت متساوية فهى امرأة وإن كان الجانب الأيسر أنقص من الجانب الأيمن بضلع واحد فهو رجل فذهبا إلى الخنثى كما أمرهما وعدا أضلاعها من الجانبين فوجدا أضلاع الجانب الأيسر أنقص من أضلاع الجانب الأيمن بضلع فجاآ وأخبراه بذلك وشهدا عنده فحكم على الخنثى بأنها رجل وفرق بينها وبين زوجها . ودليل ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وحيدا أراد الله سبحانه وتعالى لإحسانه إليه ولخفى حكمته فيه أن يجعل له زوجا من جنسه ليسكن كل واحد منهما إلى صاحبه فلما نام آدم عليه السلام خلق الله عز وجل من ضلعه القصرى من جانبه الأيسر حواء فانتبه فوجدها جالسة إلى جانبه كأحسن ما يكون من الصور فلذلك صار الرجل ناقصا من جنبه الأيسر عن المرأة بالضلع والمرأة كاملة الأضلاع من الجانبين والأضلاع الكاملة أربعة وعشرون ضلعا هذا فى المرأة وأما الرجل فثلاثة وعشرون ضلعا اثنا عشر فى الأيمن وأحد عشر فى الأيسر وباعتبار هذه الحالة ضلع المرأة أعوج اه من الفصول المهمة ولنرجع إلى مانحن بصدده . وأخرج الطبرانى والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا على» . وأخرج الطبرانى والحاكم باسناد حسن عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «النظر إلى على عبادة» . وأخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من آذى عليا فقد آذانى» . وأخرج الطبرانى بسند عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب عليا فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله» . وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سب عليا فقد سبنى» . وأخرج الطبرانى بسند ضعيف أن عليا قال «إن خليلى صلى الله عليه وسلم قال ياعلى إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم أعداؤك غضابا مقمحين» ثم جمع على رضى الله عنه يده إلى عنقه يريهم الإقماح . وشيعته هم أهل السنة لأنهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله لا الروافض وأعداؤه الخوارج . وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن على قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «إن فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذى ليس به» ألا وإنه يهلك فى اثنان محب مفرط يطرينى بما ليس فى ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى . وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض» وأخرج الحاكم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله» . وأخرج الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على منى بمنزلة رأسى من بدنى» . وأخرج البيهقى والديلمى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على يزهو فى الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا» . وأخرج الترمذى والحاكم أن النبى ﷺ

قبل البعثة وغير ذلك ، وكل هؤلاء ولدوا بمكة من خديجة ثم إبراهيم بالمدينة من مارية القبطية . (فأما القاسم) فمات بمكة وقد بلغ سنتين وقيل أقل وقيل أكثر وهو أول ميت مات من ولده ثم عبد الله مات أيضاً بمكة صغيرا ولما مات قال العاص ابن وائل قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى «إن شانئك هو الأبتر» . (وأما إبراهيم) فولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وعق عنه ﷺ يوم سابعه بكبشين وسماه يومئذ وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة ودفنوا شعره فى الأرض ومات سنة عشر وقد بلغ سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن فى البقيع . (وأما زينب) فتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ابن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه هالة بنت خويلد فولدت عليا وأمامة . فأما على فأردفه النبى ﷺ وراءه يوم الفتح ومات مراهقا . وأما أمامة فتزوجها على ابن أبى طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت على المغيرة بن نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب بوصية

قال «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علىّ وعمار وسلمان». وأخرج الشيخان عن سهل «أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد عليا مضطجعا فى المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب» وكانت هذه الكنية أحب الكنى إليه رضى الله عنه فى صحيح البخارى عن أبى حازم أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليا عند المنبر قال فيقول ماذا؟ قال يقول له أبو تراب فضحك قال والله ماسماه إلا النبي صلى الله عليه وسلم وما كان له اسم أحب إليه منه فاستطعمت الحديث سهلا وقلت ياأبا عباس كيف؟ قال دخل على على فاطمة رضى الله عنهما ثم خرج فاضطجع فى المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين ابن عمك قالت فى المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول اجلس ياأباتراب مرتين قال الفقهاء وفيه جواز النوم فى المسجد واستحباب ملاطفة الغضبان وممازحته والمشى إليه لاسترضائه ومن كتاب الآل لابن خالويه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه «حبك إيمان وبغضك نفاق وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النار مبغضك». وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى: طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك» وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبي ﷺ نظر إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة من أحبك فقد أحبنى ومن أبغضك فقد أبغضنى وبغيضك بغيض الله فالويل كل الويل لمن أبغضك». وأخرج البخارى عن على رضى الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال. كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعنى عليا وقد تقدم، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها على. وأخرج الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: ماأنزل الله ياأيها الذين آمنوا إلا وعلى أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد فى غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير وقد تقدم صدره أيضا. وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: مانزل فى أحد من كتاب الله تعالى مانزل فى على رضى الله عنه. وأخرج عنه أيضا قال: نزلت فى على ثلاثمائة آية وفضائله رضى الله عنه كثيرة مشهورة؛ وحسبك أنه أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على فاطمة وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ. وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد وغيرهما عن غيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل منهم يرجو أن يعطاها فقال صلى الله عليه وسلم أين على بن أبى طالب فقيل يارسول الله أرمد قال فأرسلوا إليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على رضى الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال فانفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم قال فمضى ففتح الله على يديه [فائدتان: الأولى] اشترى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه تمرا بدرهم فحمله فى ردائه فسأل بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله [الثانية] قال على كرم الله وجهه «من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة وإخوانه صالحين وأولاده

أبرارا

من على فولدت له يحيى ابن المغيرة وماتت عنده وكان عليه الصلاة والسلام يحبها كثيرا حتى حملها فى الصلاة، ولدت زينب سنة ثلاثين من مولده ﷺ وماتت سنة ثمان من الهجرة. (وأما رقية) فتزوجها عثمان بن عفان قيل فى الجاهلية وقيل بعد إسلامه وهاجر بها هجرتى الحبشة وولدت له عبد الله مات بعدها وقد بلغ ست سنين نقره ديك فى عينه فورم وجهه فمات؛ ولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة المدينة بشيرا بقتلى بدر من المشركين ولما عزى فيها ﷺ قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات (وأما أم كلثوم) فتزوجها عثمان بعد موت رقية ولهذا سمى ذا النورين روى ابن ماجه وابن عساكر عن أبى هريرة قال «أتى النبي صلى الله عليه وسلم عثمان عند باب المسجد فقال ياعثمان هذا جبريل لقد أمرنى أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها» ولم تلد له ماتت سنة تسع من الهجرة ولما ماتت قال عليه الصلاة والسلام «زوجوا عثمان لو كان لى

أبرارا ورزقه فى بلده الذى هو فيه . وبالجملة فتعداد فضائله ومناقبه ومكانته فى العلم والفهم والاستقامة والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة وشدته فى نصر الإسلام ورسوخ قدمه فى الإيمان وسخائه وصدقته مع ضيق الحال وشفقته على المسلمين وزهده وتواضعه وتحمله وتفاصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات . ولذلك قال الامام أحمد بن حنبل والقاضى إسمعيل بن إسحق وأبو على النيسابورى والنسائى لم نرو فى فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ماروى فى فضل على بن أبى طالب قال السيد السمهودى فى جواهر العقدين والسبب فى ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على مايكون بعده مما ابتلى به على رضى الله عنه وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة باشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبينها نصحا للأمة ثم أيضا لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بنى أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج بل قالوا بكفره اشتغل جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث الفضائل حتى كثرت نصحا للأمة ونصرة للحق اه من بغية الطالب لمعرفة أولاد على بن أبى طالب

﴿ فصل: فى ذكر بعض من كلامه رضى الله عنه ﴾ فمن كلامه كما نقله غير واحد : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم. قيمة كل امرىء مايحسنه . من عرف نفسه فقد عرف ربه . المرء مخبوء تحت لسانه . من عذب لسانه كثر إخوانه . بالبر يستعبد الحر . بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لاتنظر إلى من قال وانظر إلى ماقال. الجزع عند البلاء تمام المحنة . لاظفر مع البغى . لاثناء مع الكبر. لابرّ مع الشح. لاصحة مع الهمّ. لاشرف مع سوء الأدب . لااجتناب لمحرم مع الحرص . لاراحة مع الحسد . لاسودد مع الانتقام . لامحبة مع المراء . لاصواب مع ترك المشورة . لامروءة لكذوب. لازيارة مع زعارة . لاوفاء لملول . لا كرم أعز من التقى . لاشرف أعلى من الإسلام . لامعقل أحصن من العقل . لاشفيع أنجح من التوبة . لالباس أجمل من العافية . لاداء أعيا من الجهل . لامرض أضنى من قلة العقل . لسانك يقضيك ماعودته . المرء عدوّ ماجهله . رحم الله امرأ عرف نفسه ولم يتعد طوره . إعادة الاعتذار تذكير للذنب . النصح بين الملا تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب . نفاق المؤمن ذلة . نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر . المسئول حر حتى يعد . أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة . من طلب مالايعنيه فاته مايعنيه . السامع للغيبة أحد المغتابين . الذل مع الطمع . العز مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه حقد عليه واستخف به . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . الحاسد يغتاظ على من لاذنب له . منع الجود سوء ظن بالمعبود . كفى بالظفر شفيعا للمذنب رب ساع فيما يضره . لاتتكل على المنى فإنها بضائع النوكى . اليأس حر والرجاء عبد . ظن العاقل كهانة . من نظر اعتبر. العداوة شغل القلب. القلب إذا أكره عمى . الأدب صورة العقل . من لانت أسافله صلبت أعاليه . من أبى مجانة قل حياؤه وبذؤ لسانه. السعيد من وعظ بغيره . البخل جامع لمساوى العيوب. كثرة الوفاق نفاق. كثرة الخلاف شقاق . رب رجاء يؤدى إلى الحرمان . رب ربح يؤدى إلى خسران. رب طمع كاذب. البغى سائق إلى الحين. فى كل جرعة شرقة . ومع كل أكلة غصة . من كثر فكره فى العواقب لم يشجع . إذا حلت المقادير بطلت التدابير . إذا حل القدر بطل الحذر . الإحسان يقطع اللسان الشرف بالعقل والأدب بالأصل . أكرم النسب حسن الأدب . أفقر الفقراء الحمق . أوحش وحشة العجب . أغنى الغنى العقل . الطامع فى وثاق الذل . ليس العجب ممن هلك

ثالثة لزوجته إياها وما زوجته إلا بوحى من الله تعالى» (واعلم) أن رقية وأم كلثوم تزوج إحداهما عتبة بن أبى لهب والأخرى عتيبة بن أبى لهب الذى أكله الأسد بدعوته صلى الله عليه وسلم وطلقاهما قبل أن يدخل بهما بأمر أبى لهب قيل كان المتزوج برقية عتبة والمتزوج بأم كلثوم عتيبة (وأما فاطمة) فتزوجها على وهو ابن إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وهى بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر عقب رجوعهم من بدر كذا فى السيرة الحلبية وعليه تكون ولادتها قبل النبوة بنحو سنة وقيل غير ذلك وتوفيت بعد أبيها بستة أشهر على الصحيح ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة ودفنها على ليلا . وفاطمة كما قال ابن دريد مشتقة من الفطم وهو القطع أى المنع يقال فطمت المرأة الصبى إذا قطعت عنه اللبن سميت بذلك لأن الله تعالى فطمها عن النار كما وردت به الأخبار الآتية فى الباب الثانى فهى فاطمة بمعنى مفطومة وقد كان خطبها قبله أبو بكر ثم عمر فأعرض

كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا . احذروا كفران النعم فما كل شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . من أبدى صفحته للخلق هلك . إذ أملقتم فبادروا بالصدقة . من لان عوده كثرت أغصانه . قلب الأحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه . من جرى فى ميدان أمله عثر فى عنان أجله . إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه . ما أضمر أحد شيئا فى قلبه إلا ظهر عليه فى فلتات لسانه وصفحات وجهه . البخيل يستعجل الفقر يعيش فى الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء . لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه (وعنه أيضا رضى الله عنه فى العلم) العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع . العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه (وعنه رضى الله عنه) قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك هذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه (وعنه) أقل الناس قيمة أقلهم علما إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه ؛ وكفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح به إذا نسب إليه ؛ وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه ؛ والناس عالم أو متعلم وسائرهم همج رعاع (وعنه فى العقل) الإنسان عقل وصورة فمن أخطأه العقل لزمته الصورة ولم يكن كاملا وكان بمنزلة جسد بلا روح (وعنه فى صفة الدنيا) كان ما هو كائن من الدنيا لم يكن وكان ما هو كائن من الآخرة لم يزل ، وكل ما هو آت قريب ، فكم من مؤمل أمرا لا يدركه ، وكم جامع مالا لا يأكله وداخر ما عساه أن يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حرام رفعه أصابه حراما وورثه عدوانا واحتمل وزره وباء منه بما يضره خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (وعنه) لا تكون غنيا حتى تكون عفيفا ، ولا تكون زاهدا حتى تكون متواضعا ، ولا تكون متواضعا حتى تكون حليما ، ولا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وكفى بالمرء جهلا أن يرتكب ما عنه نهى ، وكفى به عقلا أن يسلم الناس من شره ، وأعرض عن الجهل وأهله ؛ اكفف عن الناس ما تحب أن يكف الناس عنك ، وأكرم من صافاك وأحسن مجاورة من جاورك وإن جانبك ، واكفف الأذى واصفح عن سوء الأخلاق ، ولتكن يدك العليا إن استطعت ، ووطن نفسك على الصبر على ما أصابك ، وألهم نفسك القناعة وأكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان ، ولا تنافس على الدنيا ، ولا تتبع الهوى ، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناويك (وعنه) قل عند كل شدة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تكف ، وقل عند كل نعمة : الحمد لله تزد منها ، وإذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسع عليك ، مفتاح الجنة الصبر ، مفتاح الشرف التواضع ، مفتاح الكرم التقوى ، من أراد أن يكون شريفا فليلزم التواضع ، عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله (وقال رضى الله عنه) لا شرف لبخيل ، ولا همة لمهين ، ولا سلامة لمن أكثر من مخالطة الناس ، ولا كنز أغنى من القناعة ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت (وقال رضى الله عنه) من كثرت عوارفه كثرت معارفه ؛ من أجمل فى الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب ، من كثر دينه لم تقر عينه ، من فعل ما شاء لقى ما ساء ، من استعان بالرأى ملك ، ومن كابد الأمور هلك ، من أمسك عن الفضول عدله أرباب العقول ، من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالا ، من كساه الغنى ثوبا حجبت عن العيون عيوبه ، من حسنت سياسته دامت رياسته ، ومن ركب العجلة لم يأمن الكبوة ، من تقدم بحسن النية نصره التوفيق (وقال كرم الله وجهه) الوحدة راحة ، والعزلة عبادة ، والقناعة غنى ، والاقتصاد بلغة ، والعزيز بغير الله ذليل ، والغنى الشره فقير ، ولا تعرف الناس إلا بالاختبار ، فاختبر أهلك وولدك فى غيبتك ، وصديقك فى مصيبتك ، وذا القرابة عند فاقتك ، والتودد والملق عند عطلتك لتعلم

بذلك

صلى الله عليه وسلم عنهما فلما خطبها على أجابه وجعل صداقها درعه ولم يكن له غيرها وبيعت بأربعمائة درهم وثمانين درهما وجعل لها ﷺ وسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت رملا مبسوطا وأعطاها إهاب كبش يفرشه وخميلة وسقاء وجرتين كما جاءت بذلك الروايات . وفى حديث مسلم عن جابر قال : حضرنا عرس على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فما رأينا عرسا أحسن منه هيأ لنا رسول الله ﷺ زبيبا وتمرا . وروى الطبرانى من حديث أسماء قالت لما أهديت فاطمة إلى على ابن أبى طالب لم تجد فى بيته إلا رملا مبسوطا ووسادة حشوها ليف وجرة وكوزا فأرسل ﷺ يقول له لا تقربن أهلك حتى آتيكما فجاء فدعا بإناء فسمى فيه وقال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر على ووجهه ثم دعا فاطمة فقامت تعثر فى مرطها من الحياء فنضح عليها من ذلك . وفى حديث بريدة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على على ثم قال اللهم

بذلك منزلتك . وقال رضى الله عنه ماذب عن الأعراض كالصفح والإعراض . وقال رضى الله عنه خير الكلام مادل وقل وجل ولم يمل. وقال كرم الله وجهه فى إغضائك راحة أعضائك . أجل النوال ماوصل قبل السؤال . الحكيم لايعجب بقضاء محتوم حل بمخلوق . عفة اللسان صمته . من الفراغ تكون الصبوة . وقال رضى الله عنه لاتحدث عن غير ثقة تكن كذابا ، وقارن أهل الخير تكن منهم وأبن أهل الشر تبن عنهم، واعلم أن من الحزم العزم، وساعد أخاك ان جفاك ، وان قطعته فاستبق له بقية من نفسك ولاترغب فيمن زهد فيك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه ، واعلم أن عاقبة الكذب الذم وعاقبة الصدق النجاء .(وقال كرم الله وجهه) خير أهلك من كفاك ، ترك الخطيئة أهون من التوبة . عدو عاقل خير من صديق جاهل . التوفيق من السعادة . من تجنب عيوب الناس بنفسه بدأ . من سلم من ألسنة الناس فهو السعيد . من تحفظ من سقط الكلام أفلح . كم من غريب خير من قريب . خير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك . خير مالك ماأعانك على حاجتك . من أحب الدنيا جمع لغيره. المعروف فرص ، والدنيا دول . من كان فى النعمة جهل قدر البلية . من قل سروره كان فى الموت راحته . السؤال مذلة ، والعطاء محبة والمنع مبغضة . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار . الحر حر واومسه الضر . ماضل من استرشد ، ولاخاب من استشار. الحازم لايستبدل به. آمن من نفسك عندك من وثقته على سرك . المودة بين الآباء صلة بين الأبناء. من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه . من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته . من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها . رب مفتون بحسن القول فيه . الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، فإن كان لك فلاتبطر، وان كان عليك فلاتضجر. الراكن إلى الدنيا مع مايعاين فيها جاهل. الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار له عجز . البخل جامع لمساوى الأخلاق . نعم الله على العبد جالبة حوائج الناس إليه ، فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام ، ومن لم يقم بها عرضها للزوال والفناء ، والعفاف زينة الفقراء . الناس أبناء الدنيا فلالوم عليهم فى حبهم أمهم . الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب . الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب ان قربت من أحدهما بعدت عن الآخر . الطمع ضامن غير وفى . الامانى تعمى أعين البصائر، ولا تجارة كالعمل الصالح ولاربح كالثواب ، ومن أطال الأمل أساء العمل (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال) ما انتفعت بكلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعى بكتاب كتبه إلىّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فإنه كتب إلى : أمابعد فإن المرء يسوءه فوت مالم يكن ليدركه ويسره إدراك مالم يكن ليفوته ؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على مافات منها ، ومانلت من دنياك فلا تكن به فرحا ، ومافاتك منها فلاتأس عليه . وليكن همك لمابعد الموت والسلام . وقال رضى الله عنه يخاطب سيدنا عمر رضى الله عنه ان أردت أن تلحق بصاحبيك فأقصر الأمل وكل دون الشبع وارقع القميص والبس الازار واخصف النعل تلحق بهما . وقال رضى الله عنه الشىء شيئان شىء قصر عنى لم أرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقى وشىء لاأناله دون وقته ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرض ؛ فما أعجب الإنسان يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، ولو أنه فكر لأبصر ولعلم أنه مدبر واقتصر على ماتيسر ولم يتعرض لما تعسر واستراح قلبه مما استوعر فكونوا أقل ماتكونوا فى الباطن آمالا وأحسن ماتكونوا فى الظاهر أعمالا فإن الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدبا حسنا فقال عز من قائل «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا» ماأحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله تعالى، وأحسن

بارك فيهما وبارك لهما فى نسلهما ، وفى رواية فنضح الماء على رأسها وبين ثدييها وقال اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يتزوج عليها حتى ماتت وقد كان خطب عليها بنت أبى جهل فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال «والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله عند رجل واحد أبدا» فترك على الخطبة (وقد ولدت فاطمة من على رضى الله عنهما ستة) ثلاثة ذكور وثلاث إناث فالذكور الحسن والحسين والمحسن بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة .والإناث زينب وأم كلثوم ورقية ، كذا زاد الليث بن سعد رقية قال وماتت ولم تبلغ نقله ابن الجوزى .فأما الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب وسيأتى الكلام عليهما . وأما محسن فأدرج سقطا وأما زينب فتزوجها ابن عمها عبدالله بن جعفر ابن أبى طالب فولدت له عليا وعونا الأكبر وعباسا ومحمدا ، وأم كلثوم وذريتها موجودون إلى الآن بكثرة وسيأتى الكلام عليها. وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب رضى

منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله . (ومن كلامه رضي الله عنه) يوم العدل على الظالم شر من يوم الجور على المظلوم. خير ماساس الإنسان به نفسه ضبط اللسان. خصلتان لا تجتمعان الكذب والمروءة خير المعروف مالم يتقدمه المطل ويقارنه التعبيس ويتبعه المن. خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته ، وارجه رجاء لا تأمن فيه عقابه. رب حيلة أهلكت المحتال . إذا نزل القضا كان العطب في الحيلة. خفاء عيب الإنسان عليه أشد عيوبه مضرة عليه. أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . الحيوان جسم نام حساس. إذا ارتفع الوضيع وضع الرفيع . علة الفرار في الحرب المعصية دليله قوله تعالى «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان» الآية . ومن كلامه رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه : يابني ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة وأعطه كل المواساة ولا تفش له كل الأسرار . ومن كلامه المنظوم رضي الله عنه مانقله صاحب الكنز المدفون :

ألا لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة ... وإرشاد أستاذ وطول زمان

ومن كلامه رضي الله عنه كما في الفصول المهمة :

وكن معدنا للحلم واصفح عن الأذى ... فإنك لاق ماعملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ... فإنك لاتدري متى الحب راجع
وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا ... فإنك لاتدري متى البغض رافع

ومن كلامه رضي الله عنه من الديوان المنسوب له :

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئك بملئها يوما ويوما ... تجئك بحمأة وقليل ماء
لنعم اليوم يوم السبت حقا ... لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأن فيه ... تبدى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت فيه ... ستظفر بالنجاح وبالثراء
ومن يرد الحجامة فالثلاثا ... ففي ساعته سفك الدماء
وإن شرب امرؤ يوما دواء ... فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج ... ففيه الله يأذن بالدعاء
وفي الجمعات تزويج وعرس ... ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لم يعلمه إلا ... نبي أو وصي الأنبياء

ومنه أيضاً :

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

ومنه أيضاً :

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا ... فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال ... وكتمان السرائر في الفؤاد

ومنه أيضاً :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجود من ذوي نسب ... فإن نسبتنا جود وعلياء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

ومن كلامه رضي الله عنه ماأورده صاحب الفصول المهمة أيضا :

فارق تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
فالأسد لولا فراق الغاب مااقتنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم تصب

ومنه

الله تعالى عنه وولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا وتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات معها ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات معها ثم تزوجها بعده أخوه عبدالله فماتت عنده ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئا ذكره السيوطي في رسالته الزينبية ، وفي المواهب أنها ولدت للثاني بنتا وماتت صغيرة .

﴿ ذكر أعمامه صلى الله عليه وسلم وعماته ﴾

أما أعمامه صلى الله عليه وسلم فاثنا عشر حمزة والعباس وهما المسلمان ، وأبو طالب والصحيح أنه مات كافرا واسمه عبدمناف، وأبو لهب واسمه عبدالعزى، والحرث والزبير وجحل بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة وقيل بتقديم الحاء المهملة المفتوحة على الجيم الساكنة ويسمى المغيرة وعبد الكعبة وقثم بقاف مضمومة فثلثة مفتوحة، وضرار والغيداق بفتح الغين المعجمة وهو لقبه واسمه مصعب وقيل نوفل، والمقوم بفتح الواو وكسرها ؛ ومن الناس من يعدهم عشرة ويجعل عبدالكعبة والمقوم واحدا وحجلا والغيداق واحدا . فأما حمزة فهو عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من

ومنه أيضاً : وإن تعط نفسك آمالها فعند مناها يحل الندم

فكم آمن عاش فى نعمة فما حس بالفقر حتى هجم إذا كنت فى نعمة فارعها

فإن المعاصى تزيل النعم وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

ومنه أيضاً : أحمد ربى على خصال خص بها سادة الرجال

لزوم صبر وخلع كبر وصون عرض وبذل مال

عن جابر رضى الله عنه قال : دخلت على على كرم الله وجهه فى بعض علاته وقد تغير فلما نظر إلى قال لى : ياجابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه فإن قام فيها بما أمر الله تعالى عرضها للدوام والبقاء ، وإن لم يعمل فيها بما أمر الله تعالى عرضها للزوال والفناء ثم أنشأ يقول :

من لم يواس الناس من فضله عرض للادبار إقبالها فاحذر زوال الفضل ياجابر

وأعط من الدنيا لمن سألها فإن ذا العرش جزيل العطا يضعف بالحبة أمثالها

قال جابر رضى الله عنه : ثم هز بضبعى هزة خيل لى أن عضدى خرجت من كاهلى وقال : ياجابر حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحل بكم النقم ، واعلموا أن خير المال ما أكسب حمدا وأعقب أجرا ثم أنشأ يقول :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك وهن منك فى الدين واسأل الملك مما فى خزائنه

فإنما هى بين الكاف والنون إنا نرى كل من نرجو ونأمله فى البرية مسكين ابن مسكين

ماأحسن الجود فى الدنيا وفى الدين وأقبح البخل ممن صيغ من طين

قال جابر رضى الله عنه : فهممت أن أقوم قال وأنا معك ياجابر فلبس نعليه وألقى ازاره عن منكبيه وخرجنا نساير فذهب بنا إلى جبانة الكوفة فسلم على أهل القبور فسمعت ضجة وهدة فقلت ماهذه ياأمير المؤمنين ؟ فقال هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فارقونا لاتسل عن أحوالهم فهم إخوان لايتزاورون وأوداء لايتعاودون ثم خلع نعليه وحسر عن ذراعيه وقال : ياجابر أعطوا من دنياكم الفانية لآخرتكم الباقية ومن حياتكم لموتكم ومن صحتكم لسقمكم ومن غناكم لفقركم اليوم أنتم فى الدور وغدا فى القبور وإلى الله تصير الأمور ثم أنشأ يقول :

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا فى المجالس

ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يأكلوا مابين رطب ويابس

ألا فاخبروا فى أى قبر ذليلكم وقبر العزيز الباذخ المتشاوس

ومنه : إذا عقد القضاء عليك أمرا فليس يحله غير القضاء

فمالك قد أقمت بدار ذل وأرض الله واسعة الفضاء

ومن كلامه رضى الله عنه كما فى الفصول :

صن النفس واحملها على مايزينها تعش سالما والقول فيك جميل

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول

وماأكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم فى النائبات قليل

ومن كلامه أيضاً رضى الله عنه :

وعش موسرا شئت أومعسرا فلابد تلقى بدنياك غم ودنياك بالغم مقرونة

فلا يقطع العمر إلا بهم حلاوة دنياك مسمومة فلاتأكل الشهد إلا بسم

محامدك اليوم مذمومة فلا تكسب الحمد إلا بذم

الرضاعة أرضعتهما ثويبة الأسلمية وكان أسن منه ﷺ بيسير وكان أسد الله وأسد رسوله كما جاء فى الخبر ، شهد بدرا وأحدا وبها استشهد على يد وحشى ووجدوا فيه يومئذ بضعا وثمانين جرحا مابين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم ولم يعقب أحد من أولاده وورد أنه سيد الشهداء وفى رواية خير الشهداء يوم القيامة حمزة أى الشهداء من هذه الأمة فلا ينافى ماجاء أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا قائدهم إلى الجنة وذابح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة فى يده والناس ينظرون إليه ، وإنما اختص دون غيره من الأنبياء بذبح الموت لاشتقاق اسمه من ضده ، ولا ينافى مامر قوله عليه الصلاة والسلام يوم بدر «مهجع سيد الشهداء» لامكان إرادة الشهداء يوم بدر وورد أيضاً «خير أعمامى حمزة» . وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريقا فى الخمر رواه الدارقطنى على شرط الشيخين؛ وقال ابن هشام بلغنى أن وحشيا لم يزل

إذا تم أمر بدا نقصــه   توقع زوالا إذا قيل تم

﴿فصل : في ذكر شيء من شجاعته رضي الله عنه﴾ فمن شجاعته نومه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمره بذلك وقد اجتمعت قريش على قتل النبي ﷺ ولم يكترث على رضي الله عنه بهم . قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أن انزلا إلى علي واحرساه في هذه الليلة إلى الصباح فنزلا إليه وهم يقولون بخ بخ من مثلك ياعلي قد باهى الله بك ملائكته (وأورد) الإمام الغزالي في كتابه احياء العلوم : أن ليلة بات على رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي ويقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عز وجل «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد» وفي تلك الليلة أنشأ علي رضي الله عنه :

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصى   وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبت أراعي منهــم مايســوءني   وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رســـول الله في الغــار آمنا   ومازال في حفظ الاله وفي الستر

(ومن شجاعته رضي الله عنه) ماوقع على يديه في غزوة بدر وكان عمره إذ ذاك سبعا وعشرين سنة . قال بعضهم إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قتل من المشركين يوم بدر سبعون رجلا قال قتل علي رضي الله عنه منهم أحدا وعشرين تسعة باتفاق الناقلين وأربعة شاركه فيهم غيره وثمانية مختلف فيهم . روى عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد فنادى عتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد أخرج لنا أكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة من شبان الأنصار فقال لهم عتبة من أنتم فانتسبوا فقال لاحاجة لنا في مبارزتكم إنما طلبنا بني عمنا فقال رسول الله ﷺ للأنصار ارجعوا مواقفكم ثم قال قم ياعلي قم ياحمزة قم ياعبيدة قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم فقاموا فصفوا في وجوههم وكان على رؤوسهم البيض فلم يعرفوهم فقال عتبة من أنتم ياهؤلاء ؟ تكلموا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم فقال حمزة بن عبد المطلب أنا حمزة بن عبد المطلب أنا أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة كفء كريم وقال علي أنا علي بن أبي طالب وقال عبيدة أنا عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقال عتبة لابنه الوليد قم ياوليد ابرز لعلي وكان أصغر الجماعة سنا فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد ووقعت ضربة على رضي الله عنه على اليد اليسرى من الوليد فأبانتها ثم ثنى عليه بأخرى فخر قتيلا . روى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا ذكر بدرا وقتله الوليد قال في حديثه كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله عندما أبنت يده وبها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعروس . وبارز عتبة حمزة وبارز عبيدة شيبة وكان من أسن القوم فاختلفا بضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها فاستنقذه علي وحمزة رضي الله عنهما وقتلا شيبة وحمل عبيدة فمات بالصفراء (ومن شجاعته) رضي الله عنه قتاله يوم أحد . ومحصل القول في هذه الغزوة أن أشراف قريش لما كسروا يوم بدر وقتل بعضهم وأسر بعض آخر دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم وأشرافهم فتجمعوا وبذلوا أموالا

واستمالوا

يحد في الخمر حتى خلع من الديوان، فكان عمر يقول: لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمـزة . وأما العباس فكان أصغر أعمامه أسن منه عليه الصلاة والسلام بسنتين أو ثلاث شهد بدرا مع المشركين مكرها وأسر مع من أسر وفدى يومئذ نفسه وأسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه إلى يوم فتح مكة ، وقيل أسلم قبـل يوم بدر وكان يكتم ذلك وشهـد يوم حنـين وثبت وكان ﷺ يجله ويمدحه توفى سنة اثنين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان . وولد له من الذكور عشرة : الفضل وكان أكبرهم وعبـد الله وعبيد الله ومعبد الله وقثم وعبـد الرحمن والحرث وكثير وعوف وتمام وكان أصغـرهم . ومن الإناث ثلاث أم حبيب وأم كلثوم وأميمة (روى ابن عساكر وغيره) أن النبي ﷺ قال «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا ، ياعم أما علمت أن المهدي من ولدك موفقا راضيا مرضيا» لكن قال بعض الحفاظ الأحاديث الناصة على أن المهدي من ولد فاطمة أصح إسنادا ؛ وسيأتي في الكلام على المهدي مايدفع

واستمالوا جمعا من كنانة وغيرهم ليقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة لاستئصال المسلمين وتولى ذلك أبوسفيان بن حرب فحشد وحث وقصد المدينة فخرج النبي ﷺ بالمسلمين فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع قريب من ثلثهم وبقي مع النبي صلى الله عليه وسلم سبعمائة من المسلمين فالتقى الجمعان واشتد الحرب واضطرب المسلمون واستشهد حمزة وجماعة من المسلمين وقتل من مقاتلة المشركين اثنان وعشرون رجلا. نقل أصحاب المغازى أن عليا رضى الله عنه قتل منهم سبعة طلحة بن أبي طلحة وعبد الله بن جميل وأبا الحكم ابن الأخنس وسباع بن عبد العزى وأبا أمية بن المغيرة وهؤلاء الخمسة متفق على أنه رضى الله عنه قتلهم والاثنان مختلف فيهما . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أحد فكان صاحب لواء المشركين فقال ياأصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأيكم يبرز إلى فبرز إليه على بن أبي طالب رضى الله عنه وقال والله لاأفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار فاختلفا بضربتين فضربه على رضى الله عنه على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض فأراد أن يجهز عليه فقال أنشدك الله والرحم ياابن عم فانصرف عنه إلى موقفه فقال المسلمون هلا أجهزت عليه فقال ناشدني الله ولن يعيش فمات من ساعته وبشر النبي ﷺ بذلك فسر وسر المسلمون قال ابن إسحق كان الفتح يوم أحد بصبر على رضى الله عنه . روى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذى فى كتابه معالم العترة النبوية مرفوعا إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول أصابتنى يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض فى أربع منهن فجاء رجل حسن الوجه طيب الريح وأخذ بضبعى فأقامنى ثم قال أقبل عليهم فإنك فى طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان قال على فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ياعلى أقر الله عينيك ذاك جبريل عليه السلام اهـ ثم رجع أبو سفيان ومن معه إلى مكة والنبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهذه الغزوة ذكرها الله فى سورة آل عمران فى قوله « وإذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم » (ومن شجاعته) رضى الله عنه فى غزوة الخندق وذلك أنه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا تجمعت وقائدهم أبوسفيان بن حرب وأن غطفان تجمعت وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر واتفقوا مع بنى النضير من اليهود على قصد رسول الله ﷺ وحصار المدينة أخذ النبي صلى الله عليه وسلم فى حراسة المدينة بحفر الخندق عليها وعمل النبي ﷺ فيه بنفسه الشريفة وأحكمه فى أيام فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش بجموعها وجيوشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة فى عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال تعالى « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم » فخرج النبي ﷺ ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم واتفق اليهود مع المشركين على قتال رسول الله ﷺ فلما رأى المسلمون ذلك اشتد الأمر عليهم وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبدود وكان من مشاهيرهم الصناديد وعكرمة بن أبي جهل وجاءوا حتى وقفوا على الخندق ثم قصدوا مكانا ضيقا منه وضربوا خيولهم فاقتحمت وجالت خيولهم بين الخندق وبين المسلمين فلما رأى ذلك على رضى الله عنه خرج ومعه نفر من المسلمين وبادروا الثغرة التى دخلوا منها وأخذوا عليهم المضيق الذى اقتحمته خيولهم فرجع عمرو بن عبدود من بينهم ومعه ولده حنبل وقال هل من مبارز فأراد على أن يبرز إليه فأرسل النبي ﷺ لعلى أن لا يبرز إليه فجعل عمرو ينادى هل من مبارز

به التنافى، وروى ابن ماجه والحاكم وأبو نعيم عن بن عمر أنه ﷺ قال « إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ومنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة كهاتين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين » . وأما أبوطالب : فولد له طالب وعقيل وجعفر وعلى وكل منهم أكبر ممن يليه بعشر سنين وأم هانىء واسمها فاختة على الأشهر وجمانة وقد أسلموا جميعا إلا طالب فإنه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم إسلامه وأما أبولهب فولد له عتبة ومعتب ودرة وهؤلاء قد أسلموا وعتيبة عقير الأسد . وأما الحرث وهو أكبر أولاد عبد المطلب وبه كان يكنى فلم يدرك الإسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبوسفيان وكان أخاه من رضاع حليمة وكان ممن ثبت معه يوم حنين وعبد الله وقال ابن عبد البر خمسة خامسهم المغيرة وقيل غير ذلك وكان نوفل أسن إخوته وأسن من أسلم من بنى هاشم . وأما الزبير فولد له عبد الله وضباعة وصفية وأم الحكم وأم الزبير أسلموا جميعا . وأما حجل فولد له وانقطع عقبه وكذلك

وجعل يقول أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل دخلها أفلا يبرز إلى رجل منكم فجاء على رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنا له يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنه عمرو قال وإن كان عمرا فأذن له فى مبارزته ونزع عمامته صلى الله عليه وسلم عن رأسه وعمم عليا رضى الله عنه بها وقال امض لشأنك فخرج على رضى الله عنه وعمرو يقول :

ولقد بححت من الندا ء بجمعكم هل من مبارز ووقفت إذ وقف الشجا
ع مواقف القرن المناجز وكذاك إنى لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فأجابه على رضى الله عنه : لاتعجلن فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

ثم قال ياعمرو إنك كنت قد أخذت على نفسك عهدا أن لايدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته إلى واحدة منهما قال أجل فقال على رضى الله عنه إنى أدعوك إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام فقال أما هذه فلاحاجة لى فيها فقال له على رضى الله عنه فإذا كرهت هذه فإنى أدعوك إلى النزال قال ولم يابن أخى؟ فما أحب أن أقتلك ولقد كان أبوك خلالى فقال على رضى الله عنه أما أنا والله فأحب أن أقتلك فحمى عمرو وغضب من كلامه واقتحم عن فرسه إلى الأرض وضرب وجهها ونزل على رضى الله عنه عن فرسه وأقبل كل منهما على الآخر فتصاولا وتجاولا ساعة ثم ضربه على رضى الله عنه على عاتقه بالسيف رمى جنبه الأرض وتركه قتيلا ثم ركب على رضى الله عنه فرسه وكر على ابنه حنبل فقتله أيضا فخرجت خيول قريش منهزمة ورمى عكرمة بن أبى جهل رمحه وفر وأرسل الله عليهم ريحا وجنودا « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال » .

﴿ فصل : فى الكلام على وقعة الجمل وقتال صفين ﴾ فى ذخائر العقبى عن محمد بن الحنفية قال : أتى رجل عليا وعثمان محصور فقال إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة فقام على قال محمد أخذت بوسطه تخوفا عليه فقال خل لا أم لك فأتى على الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه وأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك فقال لهم على رضى الله عنه لاتريدونى فإنى لكم وزيرا خيرا لكم منى أميرا فقالوا والله لانعلم أحدا أحق بها منك قال فإن أبيتم على فإن بيعتى لاتكون سرا ولكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعنى بايعنى قال فخرج إلى المسجد فبايعه الناس أخرجه الإمام أحمد فى المناقب . قال ابن إسحاق إن عثمان لما قتل بويع على ابن أبى طالب بيعة العامة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايع له أهل البصرة وبايع له بالمدينة طلحة والزبير . وفى الفصول المهمة أول من بايعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فنظر إليه رجل يقتاف يقال حبيب بن ذؤيب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لايتم هذا الأمر ثم بايعه الزبير رضى الله عنه ثم بقية الناس من المهاجرين والأنصار غير نفر يسير لأنهم كانوا عثمانية منهم محمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وكانت البيعة يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فما كان من النعمان بن بشير إلا أن أخذ قميص عثمان رضى الله عنه الذى قتل فيه ملطخا بالدم وأخذ أصابع زوجته نائلة وهرب إلى الشام عند معاوية . وأما طلحة والزبير

رضى

للقوم . وأما عبد الكعبة فلم يدرك الإسلام ولم يعقب . وأما قثم فمات صغيرا . وأما ضرار فإنه مات أيام أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلم وكان من فتيان قريش جمالا وسخاء . وأما الغيداق فكان أجود قريش وأكثرهم طعاما ومالا ولهذا لقب بالغيداق . والأشقاء لعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم من هؤلاء ثلاثة أبو طالب والزبير وعبد الكعبة . وأما عماته صلى الله عليه وسلم فست صفية وإسلامها معروف محقق وهى أم الزبير بن العوام . وأروى وعاتكة وفى إسلامهما خلاف وأم حكيم وبرة وأميمة ولا خلاف فى عدم إسلامهن وهذه الخمس شقيقات عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم .

﴿ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وسراريه ﴾

روى عبد الملك بن محمد النيسابورى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل » فأول من تزوج صلى الله عليه وسلم خديجة وقد

رضى الله عنهما فهرب إلى مكة بعد المبايعة بأربعة أشهر، ثم إن عليا رضى الله عنه فرق إلى البلدان عماله وكتب إلى بعض عمال عثمان رضى الله عنه يستقدمهم عليه وكتب إلى معاوية أيضا يستقدمه فعند فراغه من كتابة الكتاب جاء المغيرة بن شعبة فقال ماهذا ياأمير المؤمنين ؟ قال كتاب كتبته إلى معاوية وأريد أن أبعث الرسول فقال ياأمير المؤمنين عندى لك نصيحة فاقبلها منى قال إنه ليس أحد يتشغب عليك غير معاوية وفى يده بلاد الشام وهو ابن عم عثمان وعامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك فإذا استقرت قدماك رأيت فيه رأيك فقال على لاوالله لايرانى الله مستعينا بمعاوية أبدا ولكن إلى مانحن فيه فإن أجاب وإلا حاكمته إلى الله فخرج عنه المغيرة فلما كان الغد جاء المغيرة وقال ياأمير المؤمنين إنى قد جئتك بالأمس وأشرت عليك بما أشرت وخالفتنى ثم إنى رأيت ليلتى هذه أن الرأى مارأيت فأرسل إلى معاوية الكتاب الذى كتبت فان قدم وإلا فاعزله فقال أفعل ان شاء الله تعالى فخرج المغيرة بن شعبة وفر إلى مكة وكان يقول نصحت عليا فلما لم يقبل غششته . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أتيت عليا رضى الله عنه بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فقلت له بعد أن خرج ما كان يقول لك هذا ؟ فقال قال لى مرة قبل مرته هذه إن النصيحة أن تقر معاوية على عهده وابن عامر وعمال عثمان حتى يأتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت منهم وأبق من شئت منهم فأبيت عليه ذلك ثم عاد إلىّ الآن فقال إنى رأيت أن تصنع الذى رأيت أن تعزل من تختار وتقر من تثق به قال ابن عباس فقلت لعلى أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال وكيف نصحه لى؟ قلت لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى أثبتهم على عملهم سكنوا ومتى عزلتهم يقولون أخذ الأمر بغير حق وهو قتل صاحبنا عثمان مع أنى لا آمن عليك من طلحة والزبير وأنا أشير عليك أن تبقى معاوية فإن بايع فلك على أن أقلعه من منزله فقال على رضى الله عنه لاأعطيه الا السيف فقلت له افعل فإن أيسر مالك عندى الطاعة وإنى باذلها لك فقال على رضى الله عنه أريد منك أن تسير إلى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ماهذا برأى إن معاوية رجل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان ولست آمن أن يضرب عنقى بعثمان وإن أدنى ماهو صانع بى إن أحسن إلى أن يحبسنى ويتحكم فىّ لقرابتى منك وكل ماحمل عليك حمل على ولكن ارسل إليه الكتاب الذى كتبته تستقدمه فيه وانظر بماذا يجيب قال فأرسل على الكتاب الذى كتبه بيد الجهنى فلما قدم على معاوية بالكتاب أخذه منه ووقف على مافيه ولم يجب عنه بشىء حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان وذلك فى أواخر صفر دعا معاوية رجلا من بنى عبس فدفع إليه طومارا مختوما من غير كتابة ليس فى باطنه شىء عنوانه من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب وقال للعبسى إذا دخلت المدينة فادخلها نهارا واعط عليا الطومار على رؤوس الناس فإذا قبضه وفتحه إلى آخره ولم يجد فيه شيئا يقول لك ما الخبر؟ فقل له كيت وكيت بكلام أسره للرسول ثم دعا معاوية الجهنى رسول على فجهزه مع رسوله فخرجا معا فقدما المدينة فى اليوم العاشر من ربيع الأول فرفع رسول معاوية الطومار على يده عند دخوله المدينة وتبعه الناس ينظرون ماأجاب به معاوية ودخل الرسول على على وأعطاه الطومار ففض خاتمه وفتحه إلى آخره فلم يجد فيه كتابة فقال للرسول ماوراءك قال آمن أنا؟ قال نعم ان الرسول لايقتل قال إنى تركت ورائى أقواما يقولون لانرضى الا بالقود قال ممن؟ قال يقولون من خيط رقبة على وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه فقال على رضى الله عنه أمنى يطلبون دم عثمان اللهم إنى أبرأ إليك

تقدم ذكرها وقد جاء « أن رسول الله ﷺ أمر أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » قال الحلبى أى من درة مجوفة ليس فيه رفع صوت ولا تعب اه وقالت عائشة له صلى الله عليه وسلم يوما وقد مدح خديجة : ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيرا منها فغضب رسول الله ﷺ وقال ما أبدلنى الله خيراً منها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها . ثم سودة بنت زمعة فى السنة العاشرة من النبوة كانت تحت ابن عمها السكران ابن عمرو وأسلم معها قديما وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية فلما مات تزوجها ﷺ ولما كبرت عنده أراد طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها ، ماتت فى خلافة عمر على المشهور . ثم عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما فى شوال سنة اثنتى عشرة من النبوة على قول وكانت بنت سبع على قول وبنى بها فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة

على قول وهى بنت تسع وقبض عنها وهى بنت ثمانى عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت أحب نسائه إليه ومناقبها كثيرة كانت تكنى بابن أختها أسماء عبدالله بن الزبير توفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع ليلا وقد قاربت سبعا وستين سنة ، ومن الناس من يقول تزوج عائشة قبل سودة وحمله بعضهم على أن المراد عقد على عائشة قبل الدخول بسودة فلا ينافى ما مر . ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة على الأشهر وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين وتوفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها بعض الطريق ثم حمله أبو هريرة إلى قبرها وقد كان صلى الله عليه وسلم طلقها لأنها أفشت أمرا أسرّه إليها لعائشة وكان بينهما مصادقة ومصافاة فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال له راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها

من دم عثمان اخرج قال وأنا آمن قال وأنت آمن فخرج العبسى وأراد الناس أن يقتلوه ولولا أمان على لقتلوه ثم أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأى على رضى الله عنه فى معاوية رضى الله عنه هل يقاتله أو يتركه ؟ وقد بلغهم أن الحسن ابنه دعاه إلى القعود فدسوا إليه زياد بن حنظلة التيمى وكان يتردد إلى على رضى الله عنه فجلس إليه ساعة فقال له على رضى الله عنه يازياد تيسر فقال لأى شئ يا أمير المؤمنين فقال لحرب الشام فقال زياد الأناة والرفق أمثل يا أمير المؤمنين فقال لا إلا السيف فخرج زياد من عنده والناس ينتظرونه فقالوا ماوراءك ؟ قال السيف فعرفوا ماهو فاعل ؟ ثم إن عليا رضى الله عنه تجهز يريد الشام لقتال معاوية رضى الله عنه ودعا بمحمد بن الحنفية فأعطاه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ميمنته وعمرو بن مسلمة ميسرته وجعل أبا ليلى عمرو بن الجراح ابن أخى عبيدة رضى الله عنه على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس رضى الله عنهما وكتب إلى العراق إلى قيس بن سعد وإلى عثمان وإلى أبى موسى الأشعرى أن يندبوا الناس إلى الخروج إليه إلى أهل الشام فبينما هم كذلك على قصد التوجه إلى الشام إذ أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم أنهم على الخلاف وأنهم قد سخطوا إمارته وهم يريدون الخروج إلى البصرة . وكان سبب ذلك أن طلحة والزبير لما قدما من المدينة إلى مكة وجدا عائشة رضى الله عنها بها فقالت لهما ماوراءكما ؟ فقالا إنا تحملنا هربا من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوما حيارى لايعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولايمنعون أنفسهم فقالت تنهض إلى هذه الغوغاء فقالا كيف يكون ؟ قالت نأتى الشام فقال ابن عامر وكان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان لاحاجة لكم فى الشام فقد كفاكم معاوية ولكن نأتى البصرة فإن لى بها صنائع ولى بها المال ولأهل البصرة فى طلحة هوى وهو الأوفق بنا والأليق فاستقل رأيهم على التوجه إلى البصرة وأجابتهم عائشة رضى الله عنها إلى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يسير معهم فأبى وقال أنا من أهل المدينة أفعل مايفعلون فتركوه وأرادت حفصة أخته زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن تسير معهم فمنعها (ثم) إن يعلى بن منية جهزهم بستمائة ألف درهم وستمائة بعير وكان من عمال عثمان رضى الله عنه على اليمن قدم مكة بعد مقتل عثمان ونادى منادى عائشة رضى الله عنها إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد اعزاز الدين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا على ستمائة بعير وساروا فى ألف من أهل مكة ولحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل وأعطى يعلى بن منية جملا لعائشة اسمه عسكر اشتراه بمائة درهم قالوا وخرجت عائشة ومن معها من مكة وخرج معها أمهات المؤمنين رضى الله عنهن مودعات لها إلى ذات عرق وبكوا على الإسلام بكاءا شديدا فى هذا اليوم وكان يسمى يوم النحيب ثم إنهم ساروا متوجهين نحو البصرة ونقل غير واحد أنهم مروا بمكان اسمه الحوأب فنبحتهم كلابه فقالت عائشة أى ماء هذا ؟ قيل هذا ماء الحوأب فصرخت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه «ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب» ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت ردونى فأناخوا يوما وليلة وقال لها عبد الله بن الزبير إنه كذب يعنى ليس هذا ماء الحوأب ولم يزل بها وهى تمتنع فقال النجاء النجاء فقد أدرككم على بن أبى طالب فارتحلوا ونزلوا على البصرة واستولوا عليها بعد قتال شديد مع عثمان بن حنيف عاملها وقتل من أصحابه أربعون رجلا وأمسك فنتفت لحيته ورأسه وأشفار عينيه وحاجباه وسجن ؟ هذا وقد سار على رضى الله عنه من المدينة فى عسكره على قصد الشام وكان ذلك فى آخر ربيع الآخر سنة ست

وثلاثين

وثلاثين ، فبينا هو فى مسيره إذ أتاه رسول أم الفضل يخبره عن طلحة والزبير وعائشة بما كان منهم فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوّله فانصروا الله ينصركم ويصلح أمركم ، ثم إنه أعرض عن السير إلى الشام وحث عليه إلى جهة البصرة رجاء أن يدرك طلحة والزبير وعائشة فلما انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوا إلى البصرة وقد نزلوا بفنائها ، ثم إنه كتب وهو بالربذة إلى طلحة والزبير : أما بعد ياطلحة ويا زبير فقد علمتما أنى لم أرد الناس حتى أرادونى ولم أبايعهم حتى أكرهونى وأنتما أوّل من بادر إلى بيعتى ولم تدخلا فى هذا الأمر لسلطان غالب ولا لغرض حاضر وأنت يازبير فارس قريش وأنت ياطلحة فارس المهاجرين ودفعكما هذا الأمر قبل دخولكما فيه كان أوسع لكما من خروجكما عنه الآن وهؤلاء هم بنو عم عثمان وأولياؤه المطالبون به وأنتما رجلان من المهاجرين وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذى أمرها الله أن تقر فيه والله حسبكما والسلام . وكتب إلى عائشة رضى الله عنها ، أما بعد : فإنك خرجت من بيتك تطلبين أمرا كان عنك موضوعا ثم تزعمين أنك لم تريدى إلا الإصلاح بين الناس فخبرينى ما للنساء وقود العسكر وزعمت أنك مطالبة بدم عثمان وعثمان رجل من بنى أمية وأنت امرأة من بنى تيم بن مرة لعمرى إن الذى أخرجك لهذا الأمر وحملك عليه لأعظم ذنبا إليك من كل أحد فاتقى الله ياعائشة وارجعى إلى منزلك واسبلى عليك سترك والسلام . وكتب علىّ رضى الله عنه إلى أهل الكوفة كتابا يحثهم على الخروج معه وأرسله مع محمد بن أبى بكر ومحمد ابن جعفر فقدموا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب بذى قار وكانوا اثنى عشر ألفا فلقيهم فى ناس من وجوه أصحابه منهم عبدالله بن عباس رضى الله عنهما . ثم إن عليا رضى الله عنه دعا بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال له ألف هذين الرجلين يعنى طلحة والزبير فذهب إليهم واستمالهم للصلح فمالوا فرجع القعقاع إلى على رضى الله عنه وأخبره بذلك فسر به وأعجبه وأشرف القوم على الصلح فكره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه ثم قال على رضى الله عنه ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا فشق ذلك على الذين خرجوا على عثمان وباتوا بأسوإ ليلة وهم يتشاورون فقال رئيسهم عبدالله بن بشار وهو الشهير بابن السوداء ياقوم إن عزكم فى مخالطة الناس فلا تتركوا عليا والزموه فإذا كان الغد والتقى بالناس فانشبوا القتال فمن كنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع فإذا اشتغل الناس تنظروا ماذا يكون فتفرقوا على رأيه وأصبح على رضى الله عنه وأخذ فى المسير إلى البصرة مع الجيش فقام إليه الأعور بن بيان المنقرى فقال يا أمير المؤمنين ماتريد باقدامك على البصرة قال الإصلاح وإطفاء الثائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم يتركوا قال دفعناهم عن أنفسنا ، وسار طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم فالتقوا عند قصر عبد الله بن زياد فنزل الجيشان هناك ثلاثة أيام وكان نزولهم فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وكان أصحاب علىّ رضى الله عنه عشرين ألفا وأصحاب طلحة والزبير وعائشة ثلاثين ألفا وأرسل على رضى الله عنه عشية اليوم الثالث من نزولهم عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير بالسلام فأرسل طلحة والزبير إلى على رضى الله عنه بالسلام وترددت الرسل بينهم فى الصلح فتداعوا إليه وشاع ذلك فى الفئتين فسر الناس بذلك وباتوا تلك الليلة فى غاية السرور والفرح وبات الذين أثاروا أمر عثمان رضى الله عنه بأسوإ ليلة لما رأوه من تراسل القوم وتصافيهم فباتوا يتشاورون ليلتهم فاجتمع رأيهم على إنشاب الحرب مع الفجر فلما كان غلس الصبح ثاروا على أصحاب طلحة ووضعوا فيهم السلاح فثارت كل قبيلة إلى أختها وقام الحرب بينهم ولم يدر الناس كيف الأمر فقام فى ميمنة أصحاب

زوجتك فى الجنة ، وفى رواية «طلق صلى الله عليه وسلم حفصة فبلغ ذلك عمر فحثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم من الغد وقال له إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر» وقال جماعة لم يطلقها بل همّ بتطليقها فقط وعليه يراد بمراجعتها مصالحتها والرضا عنها . ثم زينب بنت خزيمة سنة ثلاث وكانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثا ثم ماتت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع وقد بلغت نحو ثلاثين سنة ولم يمت من أزواجه صلى الله عليه وسلم فى حياته إلا هى وخديجة وريحانة على القول بأنها زوجته وسيأتى . ثم أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة فى آخر شوال سنة أربع ولما أرسل إليها صلى الله عليه وسلم يخطبها قالت مرحبا برسول الله إن فىّ خلالا ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصبية وأنا امرأة ليس لى أحد من أوليائى فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلحة عبد الله بن الحرث وفى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وفى وسطهم طلحة والزبير وقالا لأصحابهم كيف كان هذا الأمر قالوا لاندرى إلاوقد طرقونا واضعين فينا السيوف وكانت عائشة رضى الله عنها إذ ذاك راكبة فى هودجها على الجمل ؛ هذا وعلىّ رضى الله عنه راكب على بغلة رسول الله ﷺ وعليه قميص ورداء وعمامة فلما أسفر النهار خرج رضى الله عنه ومشى بين الصفين ونادى بأعلى صوته أين الزبير بن العوام فليخرج إلىّ فخرج إليه الزبير ودنا كل منهما إلى الآخر فقال له على رضى الله عنه ماحملك على ماصنعت يازبير قال حملنى على ذلك الطلب بدم عثمان فقال علىّ إن أنصفت من نفسك فأنت وأصحابك قتلتموه ولكنى أنشدك الله يازبير أما تذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يازبير ؟ تحب عليا فقلت وما يمنعنى من حبه وهو ابن خالى فقال لك أما إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له فقال اللهم بلى قدكان ذلك وقال أنشدك الله ثانيا أما تذكر يوم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته فسلمت عليه فضحك فى وجهى وضحكت إليه فقلت أنت لايدع ابن أبى طالب زهوّه فقال لك صلى الله عليه وسلم مهلا يازبير ليس بعلى زهو ولتخرجن عليه وأنت ظالم له فقال الزبير اللهم بلى ولكنى نسيت ذلك وبعد أن أذكرتنى لأمضين ولو ذكرت هذا قبل ماخرجت عليك ماخرجت ولكن هذا تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم ثم كر راجعا فقالت له عائشة رضى الله عنها ماوراءك يازبير فقال والله ماوقفت موقفا ولا شهدت مشهدا فى شرك ولا فى إسلام إلا ولى فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمرى وما أكاد أبصر موضع قدمى وشق الصفوف وخرج من بينهم آخذا طريق مكة فنزل على قوم فقام إليه عمرو بن جرموز فضيفه وخرج معه إلى وادى السباع وأراه أنه يريد مسايرته ومؤانسته فقتله غيلة وهو ساجد وقيل وهو نائم وأخذ سيفه وخاتمه ومضى يؤم عليا رضى الله عنه فلما وصل إليه سلم عليه وأخبره بقتله الزبير فقال على رضى الله عنه أبشر بالنار فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشروا قاتل الزبير بالنار » فقال ابن جرموز إنالله وإنا إليه راجعون ان قاتلنا كم فنحن فى النار وان قتلنا لكم فنحن فى النار فقال على رضى الله عنه هذاشىء سبق لابن صفية وفى ذلك قال عمرو بن جرموز:

أتيت عليا برأس الزبير وقد كنت أحسبها زلفه فبشر بالنار قبل العيان

فبئس البشارة والتحفه وسيان عندى قتل الزبير وضرطة عير بذى الجحفه

(وأما طلحة) فأصابه سهم من مروان بن الحكم وهو من مقاتلة عائشة فمات به وقيل من غيره . ثم إن جماعة طلحة والزبير وعائشة انهزمت وقد أحاطت الخيل بالجمل واختلط القوم بعضهم ببعض ووقعت مقتلة عظيمة وكان الآخذ بزمام الجمل نحو سبعين رجلا من قريش لم ينج منهم واحد وكان من جملتهم محمد بن طلحة وكان معروفا عندهم بالسجاد لكثرة صلاته وكان على جانب عظيم من العبادة والزهد واعتزال الناس وإنما خرج برا بأبيه وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعا وثلاثين جراحة ، وفى الغرر والعرر وأطاف بنوضبة والأزد بالجمل وأقبلوا يرتجزون :

نحن بنوضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل

فالموت أحلى عندنا من العسل نبغى ابن عفان بأطراف الأسل

وفيه وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة اه وكان لايأخذ بخطام الجمل إلا من ينتسب ويقول أنا فلان بن فلان وقتل فى هذه الوقعة خلق كثير . قال أصحاب السير عدة من قتل من أصحاب الجمل

فقال لها أما ماذكرت من غيرتك فإنى أرجو الله أن يذهبها وأما ماذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم وأماماذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهنى فقالت لابنها زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه بها واستدل به على أن الابن يلى عقد أمه وهو خلاف مذهبنا معاشر الشافعية ودفع بأنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها كما بين فى السير توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح وقد بلغت أربعا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبوهريرة . ثم زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم زينب خشية أن يقال خرج من عند برة وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها فلما حلت زوّجه الله إياها سنة أربع على أحد الأقوال وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة بقوله « فلماقضى زيد منها وطرازوجنا كها » وكانت تفخر على نسائه صلى الله عليه وسلم تقول إن آباءكن أنكحوكن وإن الله تعالى أنكحنى إياه من فوق

ستة عشر ألفا وسبعمائة وتسعون رجلا وكانت عدتهم ثلاثين ألفا فكانت القتلى أكثر من الأحياء وقتل من أصحاب على منهم ألف رجل وسبعون رجلا وكانت جماعته عشرين ألفا وقيل غير ذلك؛ ولما كثر القتل على خطام الجمل قال على رضى الله عنه اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط نقل صاحب الغرر أنه لما سمع صارخ يقول راقبوا الله فى حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على رضى الله عنه لابنه الحسن هلكت قال نهيتك عن مسيرك قال لم أكن أرى أن الأمر يصير إلى هذا انتهى وبقيت عائشة رضى الله عنها فى هودجها إلى الليل وأدخلها أخوها محمد بن أبى بكر الصديق البصرة إلى دار عبدالله بن خلف الخزاعى وتسللت الجرحى ليلا من بين القتلى وأمر على رضى الله عنه بالنداء فى الناس أن لايتبعوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يدخلوا دارا وأقام رضى الله عنه بظاهر البصرة ثلاثة أيام وطاف على القتلى فصلى عليهم وأمر بدفنهم ودفن الأطراف ولما رأى طلحة قال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد كنت أكره أن أرى قريشا صرعى أنت والله ياأبامحمد كما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى عن صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

[تنبيه] سيدنا طلحة هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم الله ، وهو ابن عم أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وأحد العشرة المبشرين بالجنة وكنيته أبو محمد وأمه الصعبة بنت أبى سفيان صخر بن حرب قتل وهو ابن أربع وستين سنة ودفن بالبصرة وقبره ومسجده بها . وأما قبر سيدنا الزبير رضى الله عنه فبوادى السباع وهو مشهور أيضا يزار وإضافة هذا الوادى للسباع لكثرتها فيه وفيه قال سحيم :

مررت على وادى السباع ولا أورى كوادى السباع حين يظلم واديا

وأمر على رضى الله عنه بجمع ماكان فى العسكر من سلاح وثياب وقال من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا كان فى الخزائن عليه سمة السلطان ودخل يوم الاثنين البصرة فبايعه أهلها ثم أمر عائشة رضى الله عنها بالرجوع إلى مكة وجهزها بما احتاجت إليه وسير معها أولاده مسيرة يوم فأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة واستعمل على البصرة عبد الله بن عباس ثم نزل على الكوفة وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان هذا ومعاوية بالشام وأهل الشام مطيعون له فأرسل إليه على رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلى ليأخذ البيعة عليه فماطله معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان فقال لهم عمرو أنتم على الحق واتفق مع معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر كذا فى تتمة المختصر

﴿ وقعة صفين ﴾ على وزن سجين . موضع قريب من الرقة بشاطئ الفرات وهو من الصف أو من الصفون فعلى الأول النون زائدة وعلى الثانى أصلية كذا فى المصباح . ولما اتفق معاوية وعمرو على حرب على قدم جرير بن عبدالله البجلى على على رضى الله عنه فأعلمه بذلك . قال صاحب الفصول المهمة فخرج وعسكر بالنخيلة واستنفر الناس للمسير إلى الشام لقتال معاوية رضى الله عنه فبلغه فخرج هو أيضا وعمرو بن العاص رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين وهيأ الجيوش معاوية وأعطى لواء لعمرو بن العاص ولواءين لابنيه عبدالله ومحمد ولواء لغلامه وردان ثم سار كل منهما للقاء الآخر فاجتمعوا على الفرات فدعا على رضى الله عنه أباعمرو بشير بن عمرو ابن محصن الأنصارى بن قيس الهمدانى وشبيب بن ربعى التميمى وقال لهم اذهبوا إلى هذا يعنى معاوية رضى الله عنه وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة فلعل الله أن يهديه ويلم شمل هذه الأمة وكان ذلك فى أول يوم السبت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين فأتوه ودخلوا عليه فابتدأ بشير فحمد الله وأثنى عليه وقال : يامعاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله

سبع سمواته وفيها نزل الحجاب وهى أول نسائه لحوقا به كما أشار إلى ذلك الصادق المصدوق ؛ ففى مسلم عن عائشة « أن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن له أينا أسرع بك لحوقا ؟ قال أطولكن يدا» فكانت أسرعهن لحوقا به زينب بنت جحش فعلموا أن طول يدها بسبب أنها كانت تعمل وتتصدق كثيرا توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين وقد بلغت ثلاثا وخمسين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر ابن الخطاب وكانت عائشة تقول هى التى تساوينى فى المنزلة عنده صلى الله عليه وسلم وما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة . ثم جويرية بنت الحارث وقعت يوم المريسيع فى سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها على تسع أواق من الذهب فأداها عليه الصلاة والسلام عنها وتزوجها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية لما تقدم وكانت ذات جمال وعند ما تزوجها قال الناس فى حق بنى المصطلق

محاسبك على ذلك ومجازيك عليه وإنى أنشدك بالله تعالى أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها فيما بينها فقطع معاوية رضى الله عنه كلامه وقال هلا أوصيت صاحبك ؟ فقال إن صاحبي ليس أحد مثله وهو صاحب السابقة فى الإسلام والفضل من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما عندك ياابن عمرو وما الذى تأمرنى به ؟ قال الذى عندى والذى آمرك به تقوى الله تعالى وإجابة ابن عمك إلى مايدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دينك ودنياك قال معاوية وأترك دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا ، ثم تكلم سعد بن قيس وشبيب فلم يلتفت معاوية إلى كلامهما وقال انصرفوا عنى فليس عندى إلا السيف فقال له شبيب أتهوّل علينا بالسيف والله لنعجلها إليك فأتوا عليا رضى الله عنه فأخبروه بذلك فجعل على رضى الله عنه بعد إتيان كلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أن يخرج فى خيل فيخرج إليه جماعة من أصحاب معاوية فى خيل مثلها فيقتتلان ثم تنصرف كل خيل إلى أصحابها وذلك خوفا من استئصال العسكرين وذهاب الفئتين وهلاك المسلمين فاقتتلوا أيام ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين ثم دخلت سنة سبع وثلاثين فحصل فى شهر المحرم منها بين على ومعاوية موادعة على الحرب طمعا فى الصلح فاختلفت الرسل بينهما فلم يتفق صلح فلما انسلخ المحرم أمر على رضى الله عنه مناديا فنادى فى أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين على بن أبى طالب إنى قد استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تفعلوا ولم تنتهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى طاعة وإنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ثم أصبح على رضى الله عنه فجعل على خيل الكوفة الأشتر وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وجعل مسعر بن مذكى على قراء أهل الكوفة وقراء أهل البصرة وأعطى الراية هاشم بن عتبة وخرج إلى مصافهم وذلك فى أوّل يوم من صفر فخرج إليهم معاوية وقد جعل على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميرى وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى وعلى مقدمته أبا الأعور السلمى وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق أسلم بن عيينة المزنى وعلى بقية أصحابه الضحاك بن قيس وبايع رجالا من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بعمائمهم وكانوا خمسة صفوف فلما تواقفت الأبطال وتصافت الخيل للمبارزة والنزال خرج من عسكر معاوية فارس من أهل الشام معروف بشدة البأس وقوة الرأس يقال له المخراق بن عبد الرحمن فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له عبيد المرادى فتطاعنا بالرماح ثم تضاربا بالصفاح فظفر به الشامى وقتله ثم نزل عن فرسه وحز رأسه وحك بوجهه الأرض وتركه مكبوبا على وجهه ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه فتى من الأزد يقال له مسلم بن عبدربه فقتله الشامى أيضا وفعل به كما فعل بالأول ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه متنكرا فتجاولا ساعة ثم ضربه الإمام البطل الهمام على رضى الله عنه ضربة بالسيف على عاتقه رمت بشقه إلى الأرض وسقط فنزل على رضى الله عنه وحز رأسه وجعل وجهه إلى السماء ثم ركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس آخر من فرسان أهل الشام فقتله وفعل به كما فعل بصاحبه الأول وهكذا إلى أن قتل منهم سبعة فأحجم الناس عنه ولم يقدر على مبارزته أحد بعد أولئك فجال بين الصفين جولة ورجع إلى أصحابه ولم يعرفه أهل الشام فانه كان متنكرا رضى الله عنه (وخرج) فى بعض أيامها وقد تقابل الجيشان فارس من أبطال عسكر الشام يقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له المبرقع الخولانى فقتله الشامى ثم خرج

وأرسلوا ما بأيديهم من سبايا بنى المصطلق قالت عائشة فلم نعلم امرأة كانت أكثر بركة على قومها منها توفيت بالمدينة فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وقد بلغت سبعين سنة وصلى عليها مروان ابن الحكم . ثم ريحانة بنت يزيد من بنى النضير لكن كانت تحت رجل من بنى قريظة فوقعت فى سبى بنى قريظة فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وأصدقها وأعرس بها فى المحرم سنة ست وطلقها صلى الله عليه وسلم لشدة غيرتها عليه فأكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع ودفنها بالبقيع وقيل كانت موطوءة له بملك اليمين . ثم أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وتنصر هو وثبتت هى على الإسلام فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية الضمرى إلى

الحارث الحكمى فقتله الشامى أيضا فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد فخرج إليه على رضى الله عنه بنفسه الكريمة فوقف بازائه وقال من أنت أيها الفارس ؟ قال له أنا كريب بن الصباح الحميرى فقال له على رضى الله عنه ويحك إنى أحذرك الله فى نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ فقال له كريب من أنت ؟ فقال أنا على بن أبى طالب يا كريب الله الله فى نفسك فإنى أراك فارسا بطلا فيكون لك مالنا وعليك ماعلينا ولا يغررك معاوية فقال ادن منى ياعلى وجعل يلوّح بسيفه فجعل يلوح الامام على رضى الله عنه بسيفه ودنا منه فتجاولا ساعة ثم اختلفا بضربتين فسبقه الامام بالضربة فقتله وسقط كريب إلى الأرض ثم نادى هل من مبارز فخرج إليه الحارث الحميرى فقتله هكذا فلم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس إلى أن قتل منهم أربعة وهو يقول «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين» ثم صاح على كرم الله وجهه يامعاوية هلم إلى مبارزتى لئلا تفنى العرب بيننا فقال معاوية لاحاجة لى فى مبارزتك بعد أربعة أبطال من العرب فحسبك فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة ياابن أبى طالب ان كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا لها وجرد سيفه وخرج للامام فتجاولا ثم إنه سبق الإمام بضربة فتلقاها الإمام فى سيفه ثم ان عليا رضى الله عنه ضربه ضربة على رأسه ألقاه إلى الأرض قتيلا فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كان من أعظم شجعانهم ومشاهيرهم ثم حجز الليل بينهم (واتفق) فى بعض الأيام وقد تقابل الجيشان أن خرج على رضى الله تعالى عنه متنكرا فدعا بالمبارزة فقال معاوية لعمرو بن العاص عزمت عليك الا ماخرجت لمبارزة هذا الفارس فخرج إليه عمرو وهو لايعرف أنه على فلما رآه على عرفه فانهزم بين يديه ليبعده من أصحابه فتبعه عمرو وهو يقول :

ياقادة الكوفة ياأهل الفتن أضربكم ولا أرى أبا الحسن

فكر عليه على رضى الله عنه وهو يقول :

أبو الحسين فاعلمن والحسن قد جاك يقتاد العنان والرسن

فعرفه عمرو فولى عنه راكضا وهو يقول مكره أخاك لابطل فلحقه على رضى الله عنه فطعنه طعنة جاءت فى فصول درعه فألقته إلى الأرض وظن أن عليا قاتله فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف على رضى الله عنه وجهه راجعا إلى عسكره وهو يقول: عورة المؤمن حمى ، فقام عمرو وركب فرسه وأقبل على معاوية فجعل معاوية يضحك فقال عمرو مم تضحك والله لو تكون أنت وبدا له من صفحتك مابدا من صفحتى لضرب قذالك وما أقالك فقال له معاوية لو كنت أعلم أنك ماتحمل مزاحا ما مازحتك فقال عمرو ماأحملنى للمزاح ولكن أرأيت ان لقى رجل رجلا فصد أحدهما الآخر أتقطر السماء دما قال لاولكنها سوأة تعقب فضيحة الأبد أماوالله لو عرفته ما أقدمت عليه وفى ذلك يقول أبو فراس :

ولا خير فى رد الردى بمذلة كما ردها يوما بسوأته عمرو

ثم ان فارسا من فرسان معاوية كان مشهورا بالشجاعة يقال له بشر بن أرطاة حدثته نفسه بالخروج إلى على كرم الله وجهه ومبارزته وكان له غلام شجيع يقال له لاحق فشاوره فى ذلك فقال ماأشير عليك الا أن تكون واثقا من نفسك أنك من أقرانه ومن فرسان ميدانه فابرزله فانه الأسد الخادر والشجاع المطرق وأنشد العبد :

فأنت له يابشر إن كنت مثله وإلا فان الليث للضبع آكل

متى تلقه فالموت فى رأس رمحه وفى سيفه شغل لنفسك شاغل

النجاشى فزوجه إياها وأمهرها عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد بن سعيد بن العاص لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشى إليه سنة سبع على خلاف فى جميع ذلك ماتت سنة أربع وأربعين . ثم صفية بنت حيى بن أخطب من سبط هرون بن عمران عليه السلام كان أبوها سيد بنى النضير فقتل مع بنى قريظة ، اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه من سبى خيبر فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة ماتت فى رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع . ثم ميمونة بنت الحرث فى شوال سنة سبع تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو محرم فى عمرة القضاء كما عليه الجمهور وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة لما تقدم ماتت سنة إحدى وخمسين وقد بلغت ثمانين سنة وقيل غير ذلك وهى آخر من تزوج بها صلى الله عليه وسلم وآخر من توفى من أزواجه وقال ابن شهاب هى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم

فقال له ويحك هل هو إلا الموت ؟ والله لابد لى من مبارزته على كل حال فخرج بشر بن أرطاة لمبارزة علىّ كرم الله وجهه فلما رآه على حمل عليه ودقه بالرمح فسقط إلى الأرض على قفاه فرفع رجله فبدت سوأته فصرف على رضى الله عنه وجهه فوثب بشر قائما فسقط المغفر عن رأسه فعرفه أصحاب على رضى الله عنه فصاحوا ياأمير المؤمنين إنه لبشر بن أرطاة لايذهب فقال ذروه فركب جواده ورجع إلى معاوية يضحك منه ويقول لاعليك ولابأس لاتستحى فقد نزل بعمرو مثلها فصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم ياأهل الشام أما تستحون من كشف السوآت وأنشد :

أفى كل يوم فارس بعد فارس ... له عورة تحت العجاجة باديه
يكف علاعنه على سنانه ... ويضحك منها فى الخلاء معاويه
فقولا لعمرو وابن أرطاة انظرا ... سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيه
ولا تحمد إلا الحيا وخصاكما ... فإنهما والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجيا من سنانه ... وتلك مافيها عن العود كافيه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة ... وفيها علىّ فاتركا الخيل ناحيه

فجعل بشر بن أرطاة يضحك من عمرو وصار عمرو يضحك منه وخاف أهل الشام من على رضى الله عنه خوفا شديدا ولم يجسر واحد منهم على مبارزته وصار لايخرج إلى مبارزتهم إلا متنكرا ثم إن مولى من موالى عثمان رضى الله عنه يقال له الأحمر وكان شجاعا خرج يبغى المبارزة فخرج إليه مولى لعلى رضى الله عنه يقال له كيسان فحمل كل واحد منهما على صاحبه فسبقه الأحمر بالضربة فقتله فقال على كرم الله وجهه قتلنى الله ان لم أقتلك به فكر على رضى الله عنه على العبد فرجع العبد عليه بالسيف فضربه فتلقاه على رضى الله عنه فى سيفه فنشب بالسيف فدنا منه علىّ ومد يديه إلى عنقه فقبض عليها ورفعه عن فرسه ثم جلد به الأرض فكسر ظهره وأضلاعه ثم رجع عنه (وكان) لمعاوية عبد يقال له حريث وكان فارسا بطلا شجاعا ومعاوية يحذره من التعرض لعلى بن أبى طالب فخرج على متنكرا يطلب المبارزة وقد عرفه عمرو بن العاص فقال لحريث عليك بهذا الفارس لا يفوتك اقتله وتشيع به فخرج له حريث وهو لايعرفه أنه على بن أبى طالب فما كان بأسرع من أن ضربه الإمام بالسيف على أم رأسه ضربة سقط منها إلى الأرض قتيلا وتبين لمعاوية ولأهل الشام أن قاتله على بن أبى طالب فشق ذلك على معاوية وقال لعمرو أنت قتلت عبدى وغررته ولم يقتله أحد غيرك (واتفق) فى أيامها أن خرج العباس بن ربيعة الهاشمى من أصحاب على رضى الله عنه وخرج إليه فارس مشهور يقال له عرار من أصحاب معاوية رضى الله عنه فقال له ياعباس هل لك فى المبارزة فقال له عباس هل لك فى المنازلة قال نعم فنزل كل واحد منهما عن فرسه وتلاقيا وكف أهل الجيشين عنهما لينظرا مايكون من أمرهما فتجاولا ساعة بسيفهما فلم يقدر أحدهما على الآخر ثم إنهما تجاولا ثانية فتبين للعباس وهن فى درع الشامى وكان سيف العباس قاطعا فضربه بالسيف على وسط الدرع فقسمه نصفين فكبر الناس وعجبوا لذلك وعطف العباس على فرسه فركبها وجال بين الصفين فقال معاوية لأصحابه من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندى ديتان فخرج فارسان من لخم وقال كل واحد منهما أنا له فقال اخرجا فأيكما قتله كان له عندى ماقلت وللآخر مثل نصفه فخرجا معا ووقفا فى مقر المبارزة ثم صاحا ياعباس هل لك فى المبارزة فابرز لأينا اخترت فقال أستأذن أميرى ثم أرجع إليكما فجاء إلى على رضى الله عنه فاستأذنه فقال له على رضى الله عنه أنا لهما ادن منى ياعباس وهات لبسك وفرسك وجميع ماعليك وخذ لبسى وفرسى ثم إن عليا رضى الله عنه خرج إليهما فجال بين الصفين وكل من رآه يظنه العباس فقال له اللخميان استأذنت أميرك فتحرر على رضى الله عنه من الكذب وقال «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» فتقدم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين وسبقه أمير المؤمنين

بضربة

فهؤلاء نساؤه اللاتى دخل بهن ولم يطلقهن اثنتا عشرة امرأة توفى عن تسع منهن . وأما غيرهن ممن وهبته نفسها أوخطبها ولم يعقد عليها أو عقد ولم يدخل بها لموت أو طلاق أو دخل وطلقها فنحو ثلاثين امرأة مبينة فى السير [وأما سراريه] ﷺ فأربع . مارية القبطية وكان عليه الصلاة والسلام معجبا بها لأنها كانت بيضاء جميلة وهى أم ولده إبراهيم كما تقدم جاء أنه ﷺ قال «ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم رحما وصهرا» والمراد بالرحم أم إسمعيل بن إبراهيم جده ﷺ فإنها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم فإنها كانت قبطية كما علمت . وريحانة على ماتقدم من الخلاف وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . وأخرى اسمها زليخا القرظية .

(تتمة) اختلف الناس فى أفضل أزواجه ﷺ بل أفضل النساء مطلقا والأقرب عند كثير أن أفضل النساء مريم ثم خديجة ثم فاطمة ثم عائشة ثم آسية امرأة فرعون وقال شيخ الإسلام فى شرح البهجة الذى اختاره أن الأفضلية محمولة

بضربة فجاءت على مراق بطنه فقطعته نصفين فتقدم إليه الآخر فما كان بأسرع من أن ألحقه بالآخر وجال بين الصفين جولة ورجع إلى مكانه فتبين لمعاوية ولأهل الشام أنه على رضى الله عنه ولكنه تنكر فقال معاوية قبح الله اللجاج إنه لقعود ماركبه أحد إلا خذل قال فقال عمرو المخذول والله اللخميان (ومما وقع) فى أيامها ليلة الهرير قال بعضهم شبهت بليلة القادسية التى كلما أردى على رضى الله عنه قتيلا أعلن عليه بالتكبير فأحصيت تكبيراته تلك الليلة خمسمائة تكبيرة وثلاثا وعشرين تكبيرة بخمسمائة قتيل وثلاثة وعشرين قتيلا وكان الناس يتلاطمون فى هذه الليلة تلاطم الأمواج ويتصادمون تصادم الفحول عند الهياج . ولما أسفر صبح هذه الليلة عن ضيائه وحسر الليل عن ظلمائه كانت عدة القتلى من الفريقين ستة وثلاثين ألفا وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة وأصبح أمير المؤمنين على بن أبى طالب والمعركة كلها خلف ظهره وهو فى قلب عسكره والأشتر فى الميمنة وابن عباس فى الميسرة والناس يقتلون من كل جانب ولوائح النصر لائحة لأمير المؤمنين على رضى الله عنه والأشتر بالميمنة يقاتل ويقول لأصحابه ارجعوا قيد رمح ويزحف بهم ويقول قيد هذا القوس وكلما فعلوا يزحف بهم نحو أهل الشام ولما رأى على رضى الله عنه الظفر من ناحية الأشتر أمده بالرجال فلما رأى عمرو بن العاص وهن أهل الشام وتخيل منهم الهزيمة والفرار قال لمعاوية هل لك فى أمر أعرضه عليك لايزيدنا إلا اجتماعا ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ قال نعم قال نرفع المصاحف على رؤوس الرماح ثم نقول لهم ندعوكم إلى كتاب الله وهذا حكم بيننا فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغى أن نقبل كتاب الله تعالى فتكون فرقة وإن قبلوا أخرنا القتال عنا إلى أجل فرفعوا المصاحف فوق الرماح وقالوا هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم فلما رآها الناس قالوا نجيب إلى كتاب الله تعالى فقال على رضى الله عنه عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم فى قتال عدوكم فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبى سرح والضحاك أنا أعرف بهم منكم ليسوا بأصحاب قرآن وقد صحبتهم أطفالا ورجالا ويلكم والله مارفعوها إلا مكيدة وخديعة وقدوهنوا فقال أصحاب على رضى الله عنه القراء منهم لايسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل ونأبى أن نقبله فقال لهم على رضى الله عنه إنى إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فقال له مسعود بن فدك التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد ياعلى أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم وكان الأشتر فى الميمنة وعلىّ بالوسط وابن عباس بالميسرة كما علمت فكف على وابن عباس عن القتال ولم يكف الأشتر وذلك لما رأى من علامات النصر والظفر فقالوا ابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال فبعث إليه على رضى الله عنه يزيد بن هانئ يستدعيه فقال الأشتر قل لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التى ينبغى أن يزيلنى بها عن مكانى فإنى وجدت ريح الظفر فأتى عليا رضى الله عنه فأخبره بمقالة الأشتر فرده إليه ثانيا وهو يقول له أقبل إلىّ فإن الفتنة تريد أن تقع فجاء الأشتر وقال والله لقد ظننت أنها سترجع اختلافا وفرقة وإنها لمشورة عمرو بن العاص فأقبل الأشتر على القوم من أصحابه وقال ياأهل العراق ياأهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وعرفوا أنكم قاهرون لهم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى مافيها ويلكم أمهلونى فواقا فإن الفتح قد حصل والنصر قد أقبل قالوا لا يكون ذلك أبدا قال أمهلونى عدو الفرس قالوا إذا تدخل معه فى خطئه قال خبرونى عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون وخياركم يقتلون أم الآن حين أمسكتم عن القتال فقالوا دعنا عنك ياأشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله قال خدعتم فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ياأصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة

على أحوال : فعائشة أفضل من حيث العلم ، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله عليه وسلم فى المهمات، وفاطمة من حيث البضعية والقرابة ، ومريم من حيث الاختلاف فى نبوتها وذكرها فى القرآن مع الأنبياء وآسية من حيث الاختلاف فى نبوتها وإن لم تذكر مع الأنبياء اه . ونقل عن الأشعرى الوقف . قال صاحب نور النبراس الذى يظهر أن الأفضل من أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش والله أعلم اه . وأما المفاضلة بين أبنائه فلم يثبت فيها شىء وكذا بين بناته سوى فاطمة كما سيظهر وهل هى أفضل من أبنائه بقطع النظر عن الذكور والأنوثة ؟ لم أر من تعرّض لذلك وقد يؤخذ من حديث «أحب أهلى إلىّ فاطمة» أنها أفضل منهم والله أعلم .

﴿ذكر المشاهير من خدمه ﷺ ومواليه وسلاحه وحيواناته﴾

أما خدمه صلى الله عليه وسلم : فمن رجالهم أنس ابن مالك الأنصارى كان من أخصهم وخدمه صلى الله عليه وسلم من حين قدم المدينة إلى أن توفى ،

في الدنيا وشوقا إلى الله تعالى فلا أرى مرادكم الا الدنيا يا أشباه البقر الجلالة ما أنتم برائين بعدها
عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته فصاح به وبهم علي
رضي الله عنه (فاتفق) الناس على أن يجعلوا القرآن حكما ورضوا بذلك فقام الأشعث بن قيس
إلى علي رضي الله عنه فقال أرى الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن بينهم فإن شئت
أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه فقال يا معاوية لأي شيء رفعتم المصاحف قال لنرجع نحن
وأنتم إلى ما أمر الله تعالى في كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما أن
يعملا بما في كتاب الله تعالى لا يتعديانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا الحق وعاد إلى
علي رضي الله عنه وأخبره بما قال معاوية فقال الناس قد رضينا ذلك وقبلناه فقال أهل الشام
رضي عمرا وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد نرضى بأبي موسى
الأشعري فقال لهم علي كرم الله وجهه قد عصيتموني أول الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى أن
تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو ومكايده فقال الأشعث ومن معه لا نرضى إلا به
فإنه حذرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع وكان أبو موسى ممن اعتزل القتال فقال علي إن أبا موسى
لا يكمل في هذا الأمر ولكن هذا ابن عباس دعوني أوليه ذلك فإنه أدرى منه بهذا الأمر
فقالوا والله لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء فقال دعوني أجعل الأشتر قالوا وهل
سعر الأرض نارا الا الأشتر فقال قد أبيتم الا أبا موسى؟ قالوا نعم قال اصنعوا ما أردتم فبعثوا إلى
أبي موسى وجاءوا به وكان معتزل القتال عن الفئتين كما تقدم وحضر عمرو بن العاص رضي الله
عنه عند علي رضي الله عنه ليكتب القصة بحضوره فكتب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما تقاضيا عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ومن معهما
فقال عمرو بن العاص هو أميركم وأما أميرنا فلا امح اسم الامرة فقال الأحنف بن قيس يا أمير
المؤمنين لا تمحها ولو قتل الناس بعضهم بعضا فاني أتخوف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبدا فأبى
علي ذلك مليا من النهار وإن الأشعث بن قيس كله في ذلك فمحاه وقال علي رضي الله عنه الله أكبر
سنة لسنة والله إني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وكتبت محمدا رسول الله
فقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمحوه فقلت لا أستطيع فقال أرنيه فأريته اياه فمحاه فقال إنك ستدعى لمثلها فتجيب فقال عمرو
سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون؟ فقال اكتبوا فكتبوا هذا ما تقاضيا عليه علي بن أبي
طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضي معاوية على أهل
الشام ومن معهم أنا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه وأن لا يكون بيننا غيره وأن كتاب الله تعالى
بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى وهما
أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به ومالم يجدا في كتاب الله تعالى
فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية عهودا ومواثيق ومن جنديهما
أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه وعلى أبي موسى عبد
الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ولا يرداها ولا فرقة
حتى يتقاضيا وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن يقضيا مكان قضيتهما
مكان عدل بين الناس من أهل الكوفة وأهل الشام وكتب في الصحيفة الأشعث بن قيس وعدي
ابن حجر وسعد بن قيس الهمداني وورقاء بن شمس وعبد الله بن عكل العجلي وحجر بن عدي الكندي

وعبد الله بن مسعود وكان
صاحب سواكه ونعليه
إذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه إياها
وإذا جلس جعلهما في
ذراعيه وكان يمشي أمامه
بالعصا حتى يدخل الحجرة،
ومعيقيب الدوسي كان
صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم وعقبة
ابن عامر الجهني كان
صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم
يقودها في الأسفار،
وأسلع بن شريك كان
صاحب راحلته صلى الله
عليه وسلم يرحلها له، وبلال
كان على نفقاته. ومن النساء
أمة الله وخولة ومارية
أم الرباب ومارية جدة
المثنى بن صالح وقيل هي
التي قبلها. وأما مواليه
الذين أعتقهم: فمن رجالهم
زيد بن حارثة وهبته له
خديجة قبل النبوة فتبناه
وكان حبه عليه الصلاة
والسلام، وابنه أسامة
وأخو أسامة لأمه أيمن ابن
أم أيمن بركة الحبشية،
وأبو رافع وكان قبطيا
وأعتقه صلى الله عليه وسلم لما بشره
بإسلام العباس، وشقران
بضم الشين كما في المواهب
والسيرة الحلبية واسمه
صالح وكان حبشيا وقيل
فارسيا، وثوبان وأنجشة
وكان أسود وكان يحدو
بالنساء، ورباح وكان
أسود، ويسار وكان نوبيا
وكان على لقاح رسول الله

وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجرة التيمي ومالك بن كعب الهمداني هؤلاء كلهم من
أصحاب علي رضي الله عنه وكتب من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن سلمة ورميل
ابن عمرو العدوي وحمزة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد المخزومي وسبيع بن يزيد
الأنصاري وعتبة بن أبي سفيان ويزيد بن الحر العبسي وخرج الأشعث بن قيس فقرأه على الناس
وكتابته كانت يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يكون
اجتماع الحكمين بدومة الجندل وهو موضع كثير النخل والزرع وبه حصن اسمه مارد . وكانت
عدة من قتل من أصحاب عليّ رضي الله عنه خمسة وعشرين ألفا منهم عمار بن ياسر وخمسة
وعشرون من البدريين وكانت عدة عسكره تسعين ألفا وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون
ألفا وكانت عدتهم مائة ألف وعشرين وأقاما بصفين مائة يوم وعشرة أيام وكان بينهم سبعون
وقعة وقيل تسعون ذكر ذلك كله صاحب الفصول المهمة وغيره . وفي عقائد الشيخ أبي إسحق
الفيروزابادي أن عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلما قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال
وتابعه على ذلك خلق كثير فقال له معاوية لم لاتقاتل ؟ قال قتلناهذا الرجل وقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فدل على أنا نحن بغاة قال له معاوية اسكت فوالله
لا تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا ، وفي رواية
قال قتله من أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك عليا فقال إن كنت قتلته
أنا فالنبي صلى الله عليه وسلم قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار (وقتل) مع علي رضي الله
عنه خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وأويس القرني زاهد التابعين (ولما رجع) علي رضي
الله عنه ودخل الكوفة خالفت الحرورية وخرجت وأنكرت التحكيم وقالت لاحكم إلا لله ولا
طاعة لمن عصى الله وكان ذلك أول ما ظهر من أمرهم ورجعوا على غير الطريق الذي كانوا عليه
وأتوا حروراء فنزلوا بها وبذلك سموابها وكانوا اثني عشر ألفا . وفي الفصول المهمة ونادى مناديهم
إن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والأمر
شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزعموا أن عليا رضي
الله عنه كان إماما إلى أن حكم الحكمين فشك في دينه وحار في أمره وأنه الحيران الذي ذكره
الله تعالى في القرآن بقوله تعالى «حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا» وأنهم أصحابه الداعون
له إلى الهدى ولكن كذبوا فيما زعموا قاتلهم الله تعالى وإنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلا
لغيره كما هو معلوم في كتب التفسير وليس علي رضي الله عنه بحيران بل به يهتدي الحيارى (ولما)
سمع علي رضي الله عنه هو وأصحابه بذلك بعث إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وقال لاتعجل
إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فإني في أثرك فلما أتاهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
أكرموه ورحبوا به وقالوا له ما جاء بك ياابن عباس قال قد جئتكم من عند صهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقالوا ياابن عباس إنا
أذنبنا ذنبا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى وإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا
رجعنا إليه فلم يصبر ابن عباس عن محاورتهم وقال أنشدكم الله إلا ماصدقتم أماقال الله تعالى «فابعثوا
حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما» في أمر المرأة وزوجها
قالوا اللهم نعم قال فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت الخوارج أما ما جعل الله تعالى
حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم وأما ما حكم به وأمضاه فليس للعباد أن ينظروا

صلى الله عليه وسلم وهو
الذي قتله العرنيون ،
وسفينة وكان أسود وهو
الذي لقيه سبع حين ضل
في بعض الأمكنة فقال له
يا أبا الحرث أنا مولى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمشى أمامه حتى
أقامه على الطريق ، وسلمان
الفارسي لأنه صلى الله عليه
وسلم هو الذي أدى عنه
نجوم كتابته لكنه حرّ
في الأصل واسترق ظلما ،
وخصي أهداه له المقوقس
يقال له مابور ولم يسلم بل
بقي نصرانيا ، وآخر يقال
له سندر . ومن النساء أم
أيمن وأميمة وسيرين
وقيسر اللتان أهداهما له
المقوقس مع مارية وهما
أختاها . وذكر بعضهم
أنه وهب سيرين لحسان
ابن ثابت ووهب قيسر
لجهم بن قيس العبدري
وتقدم أنه روى أن النبي
ﷺ أعتق في مرض
موته أربعين رقبة (وأما
سلاحه) فكان له ﷺ
من السيوف تسعة أو
أحد عشر : منها سيف يقال
له مأثور بهمزة فمثلثة
ورثه من أبيه وقدم به
المدينة ويقال إنه من عمل
الجن ، وسيف يقال له
ذو الفقار وكان في وسطه
مثل فقرات الظهر تنفله
يوم بدر وكانت قائمته

في هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما وقال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم فقالوا يجعل الحكم فى الصيد وشقاق الرجل وزوجته كالحكم فى دماء المسلمين ثم قالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا وإن كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد أمضى الله تعالى حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا وقد كتبتم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية ثم خرج على رضى الله عنه فى أثر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فانتهى إليهم وهم يخاصمونه فقال له على رضى الله عنه ألم أنهك عن كلامهم ثم قال لهم على رضى الله عنه من زعيمكم قالوا عبد الله بن الكواء فقال علىّ به فلما حضر قال له على رضى الله عنه ماأخرجكم علينا هذا المخرج ؟ قال تحكيم يوم صفين فقال لهم على رضى الله عنه أنشدكم الله تعالى ألم أقل لكم حين رفع المصاحف أنا أعلم بالقوم منكم إنهم استحر بهم القتل وإنما رفعوها خديعة ومكيدة لكم ليفتنوكم ويثبطوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم الدوائر وذكرهم جميع ماقاله لهم فى ذلك اليوم فلم تسمعوا منى واشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أماته فإن حكموا بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء ، فقالوا فأخبرنا عن عمرو بن العاص أتراه عدلا حتى تحكمه فى الدماء ؟ قال إنما حكمت القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال قالوا فأخبرنا عن الأجل لمجعلته بينكم ؟ قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله عز وجل أن يصلح الأمة فى مدة هذه الهدنة ويلهمها رشدها قالوا فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فحوت اسمك من إمرة المؤمنين وقلت للكاتب اكتب ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فلست بأميرنا فقال على رضى الله عنه ياهؤلاء أنا كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فقال النبى ﷺ اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو فقال سهيل لو علمنا أنك رسول الله ماصددناك ولا قاتلناك فأمرنى رسول الله ﷺ فمحوت اسمه من الكتاب وكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وإنما محوت اسمى من إمرة المؤمنين كما محا رسول الله ﷺ اسمه من الرسالة وكان لى به أسوة فهل عندكم شىء غيرهذا تحتجون به علىّ؟ فسكتوا فقال لهم على رضى الله عنه قوموا فادخلوا مصركم يرحمكم الله فقالوا ندخل ولكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذى بينك وبين القوم ههنا ليحيا المال ويسمن الكراع ثم ندخل فانصرف عنهم على رضى الله عنه وهم كاذبون فيما زعموا قاتلهم الله تعالى (ولما جاء) وقت الحكمين أرسل على رضى الله عنه مع أبى موسى الأشعرى أربعمائة راكب وعليهم شريح بن هانئ الحارثى ومعهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يصلى بهم وأرسل معاوية مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشام وتوافقوا بدومة الجندل وحضر معهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبدالرحمن بن الزبير وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرى وأبو الجهم بن حذيفة العدوى والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن أبى وقاص على ماء لبنى سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له إن أبا موسى وعمرو بن العاص قد حضرا للحكومة وقد شهدهم نفر من قريش فاحضر معهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الستة الذين كانت

وقبيعته وحلقته وعلائقه فضة وكان لا يفارقه فى حرب من الحروب ويقال إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة ، وسيف يقال له الصمصامة بفتح الصاد المهملة كان مشهورا عند العرب ، وسيف يقال له الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملة أحد السيوف التى أهدتها بلقيس لسليمان عليه الصلاة والسلام . وكان له من الدروع سبع . منها درع يقال لها ذات الفضول بفتح الفاء وضم الضاد المعجمة لطولها وهى التى مات عنها وهى مرهونة عند أبى الشحم اليهودى على ثلاثين صاعا من شعير وكان الدين إلى سنة ، ودرع يقال لها السغدية بضم المهملة وسكون الغين المعجمة يقال إنها من دروع داود التى لبسها لقتال جالوت. وكان له من القسى ست . ومن الأترس ثلاثة. ومن الرماح خمسة . ومن الحراب خمس: منها حربة صغيرة كانت تشبه العكاز يقال لها العنزة بفتح العين المهملة والنون والزاى كانت تحمل بين يديه يوم العيد وتركز بين يديه ويصلى إليها فى أسفاره وكان له محجن

الشورى بينهم ولم تدخل فى أمر تكرهه هذه الأمة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل ، وقيل بل حضر ثم ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس وتوجه إلى مكة محرما وكان عمرو بن العاص بعد تحكم على ومعاوية له ولأبى موسى يقدم أبا موسى فى كل شئ ويظهر له الاحترام والإعظام ويقول له لاأتقدم عليك فى أمر من الأمور ولا فى شئ من الأشياء لا فى كلام ولا فى غيره لأنك أسن منى وأنت صاحب رسول الله ﷺ وقد دعالك فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما حتى استقر ذلك فى نفس أبى موسى وسكن فى خاطره وظن أنه يقدمه على نفسه تعظيما وتكريما وإنما هو دهاء وخديعة منه له ، ولما اجتمعا للحكومة وتفاوضا فى الكلام كان من كلام عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعرى ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال أشهد قال ألم تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال أعلم قال فما يمنعك من توليته وبيته فى قريش كما علمت وإن خفت أن يقول الناس ليس له سابقة فقد وجدته ولى عثمان الخليفة المقتول ظلما وهو المطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكاتب وحى رسول الله ﷺ وعرض له بسلطان فقال أبو موسى الأشعرى ياعمرو اتق الله أما ماذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين والفضل مع أنى لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا لأعطيته على بن أبى طالب وأما قولك إن معاوية ولى دم عثمان فوله هذا الأمر فلم أكن أوليه وأدع المهاجرين الأولين وأما تعريضك لى بالسلطان فوالله لو خرج معاوية عن سلطانه ماوليته فقال له عمرو فما تقول فى ابنى عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه فقال قد غمست ابنك فى هذه الفتنة لايكون ذلك فقال عمرو إن هذا الأمر لايصلح إلا لرجل يأكل ويطعم فسمع ابن الزبير كلامه فقال ياأبا موسى تفطن وتنبه لكلام عمرو وقال يابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد ماتنازعوا بالسيوف وأشرفوا على الحتوف فلا تردنهم فى فتنة واتق الله ولما راود عمرو بن العاص أبا موسى على معاوية وعلى ابنه عبد الله فأبى أبو موسى راوده على توليته عبد الله بن عمر فأبى عمرو ثم قال هات رأيا غير هذا فقال أبو موسى أرى أن نخلع هذين الرجلين يعنى عليا ومعاوية ونجعل الأمر شورى بينهم فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا فقال الرأى مارأيت فأقبلا على الناس بوجوههم وهم مجتمعون ينظرون مايتفقان عليه فقال عمرو تكلم ياأبا موسى وأخبرهم أن رأينا اتفق فقال أبو موسى أيها الناس إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأمة ويلم شعثها ويجمع كلمتها فقال عمرو صدق أبو موسى وبر فياقال تقدم ياأبا موسى فتكلم فقام إليه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقال له ياأبا موسى إن كنت وافقته على أمر فقدمه يتكلم به قبلك فإنى أخشى من خديعته لك وإنى لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت فى الناس خالفك فقال أبو موسى قد توافقنا وتراضينا وما ثم مخالفة أبدا وكان أبو موسى سليم القلب فتقدم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشملها من أمر قد اجتمع عليه رأيى ورأى عمرو وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويستقبل الناس هذا الأمر بأنفسهم فيولوا عليه من أحبوا واختاروا وإنى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم فولوا عليكم من رأيتموه أهلا لذلك ثم تنحى وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن أبا موسى قد خلع صاحبه وقد قال ماسمعتم وأنا أيضا قد خلعت صاحبه وأبقيت صاحبى معاوية على الخلافة فإنه ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه والمطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ثم تنحى فقال له أبو موسى

قدر ذراع أو أكثر يسير ذو رأس يمشى به ويعلق بين يديه على بعيره، وكان له قضيب من شوحط قيل هو الذى كانت تتداوله الخلفاء وكان له مخصرة بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة وهى ما يمسكه بيده من عصا أو مقرعة وكان له خودتان والخودة والمغفر مايجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة . وأما حيواناته فكان له صلى الله عليه وسلم من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر : منها فرس يقال لها السكب تشبيها بسكب الماء أو انصبابه لشدة جريه وهو أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم وكان أغر محجلا طلق اليمين كميتا أى بين السواد والحمرة وكان سرجه صلى الله عليه وسلم دفتين من ليف . وكان له من البغال ست : منها بغلة شهباء يقال لها دلدل بضم الدالين المهملتين أهداها له المقوقس وهى أول بغلة ركبت فى الإسلام وكان عليه الصلاة والسلام يركبها فى المدينة وفى الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها على كرم الله وجهه

مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت وإنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو لأبي موسى وأنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا فقال سعد لأبي موسى ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده فقال أبو موسى ما أصنع وافقني على أمر وغدر وقال ابن عباس لا ذنب لك يا أبا موسى وإنما الذنب لمن قدمك وأقامك في هذا المقام وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو غاب الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيرا له وحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فضربه بعصا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شئ ندامتي إلا من أن أكون ضربت عمرا بالسيف عوضا عن السوط والتمس الناس أبا موسى رضي الله عنه فوجدوه قد ركب راحلته وهرب إلى مكة وكان أبو موسى يقول حذرني ابن عباس غدر عمرو ولكني اطمأننت إليه لما يظهر لي وانصرف عمرو بن العاص وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة . قيل إن معاوية قام في الناس فقال أما بعد فمن كان متكلما في هذا الأمر بعد ذلك فليطلع لنا قرنه وخرج شريح بن هانئ مع ابن عباس إلى علي رضي الله عنه فأخبراه الخبر فقام في أهل الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة وكنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري فأبيتم ونحلتكم رأيي فما لويتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

أما إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين فقد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة مضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشدا استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام واصبحوا في معسكركم يوم الاثنين ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهروان بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب وعبد الله بن الكواء ومن معهم من الناس أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ولم يعملا بالسنة ولم ينفذا حكم القرآن فإذا وصلكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه ؟ فكتبوا إليه أما بعد فإنك لم تغضب لله تعالى وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين ؟ فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله وداهن في أمره كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نوره وقاتلوا الخاطئين الضالين فبينما علي رضي الله عنه معهم في الكلام اتاه الخبر أن الخوارج خرجوا على الناس وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ وبقروا بطن امرأته وهي حامل وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أم سنان فلما بلغ علي رضي الله عنه ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه ولا يكتمه شيئا من أمرهم فلما دنا منهم وسألهم قتلوه وأتى عليا رضي الله عنه الخبر بذلك وهو بمعسكره فقال الناس يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام وجاءهم منجم يقال له مسافر بن عدي الأزدي فقال يا أمير المؤمنين إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرها

لقيت

الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده علي ابنه الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية ، وسئل ابن الصلاح أكانت أنثى أم ذكر والتاء للوحدة فأجاب الأول قال بعضهم وإجماع أهل الحديث على أنها كانت ذكرا وموتها بسهم رماها به رجل . وكان له حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عفير بضم العين المهملة على الصواب ؛ وعد بعضهم حمره أربعة وكان له من الإبل المعدة للركوب ثلاثة ناقة يقال لها القصوى وناقة يقال لها الجدعاء بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وناقة يقال لها العضباء بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة وهي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام « إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » ويقال إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته ﷺ حتى ماتت وقيل التي كانت لا تسبق فسبقت هي القصوى ، وقيل الأسماء الثلاثة لواحدة ، وقيل القصوى والجدعاء والعضباء واحدة .

لقيت أنت وأصحابك ضررا شديدا ومشقة عظيمة فخالف على رضى الله عنه قوله ولما قرب على رضى الله عنه منهم بحيث يرونه ويراهم نزل وأرسل اليهم أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم وأتاركـكم وأكف عنـكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله أن يأخذ بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم فقالوا كلنا قتلناهم وكلنا مستحلون لدمائـكم وأموالـكم ودمائهم ، فخرج إليهم قيس بن عبادة رضى الله عنه فقال لهم عباد الله أخرجوا إلينا قتلة اخواننا منـكم وادخلوا فى هذا الأمر الذى خرجتم منه وعودوا إلى قتال عدونا وعدوكم فانـكم قد ركبتم عظيما من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ، فقال عبدالرحمن بن صخر السلمى إن الحق قدأضاء لنا فلسنا بتابعيكم ؛ ثم إن عليا رضى الله عنه خرج إليهم بنفسه فقال لهم أيتها العصابة التى أخرجها عداوة المراء والحجاج وصدها عن الحق اتباع الهوى واللجاج ان أنفسكم الأمارة سولت لـكم فراقى لهذه الحـكومة التى أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لهـا كاره وأنبأتـكم أن القوم انما فعلوها مكيدة فأبيتم على إباء المخالفين وعندتم على عناد العاصين حتى صرفت رأيى إلى رأيكم وان معاشركم والله صغار الهـام سفهاء الأحلام وأجمع رأى رؤسائـكم وكبرائـكم أن اختاروا رجلين وأخذنا عليهما أن يحـكما بالقرآن ولايتعديانه فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه فبينوا النابم تستحلون دماءنا والخروج عن جماعتنا ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم ان هذا لهو الخسران المبين فتنادوا لاتخاطبوهم ولا تـكلموهم وتهيئوا للقتال الرواح الرواح إلى الجنة فرجع على رضى الله عنه إلى أصحـابه فهيأهم للقتال فجعل ميمنته حجر بن عدى وميسرته شبيب بن ربعى وقيل معقل بن قيس الرياحى وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصارى وفى مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهم وأعطى على رضى الله عنه لأبى أيوب الأنصارى راية أمان فناداهم أبو أيوب رضى الله عنه فقال من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل ولاتعرض لأحد من المسلمين بسوء ومن انصرف منـكم إلى الـكوفة فهو آمن ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لاحاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا فى سفك دمائـكم فانصرف فورة بن نوفل الأشجعى فى خمسمائة فارس وخرج طائفة أخرى منصرفين إلى الـكوفة وطائفة أخرى إلى المدائن وتفرق أكـثرهم بعد أن كانوا اثنى عشر ألفا فلم يبق منهم غير أربعة آلاف جعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدى وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدى وقال على رضى الله عنه لأصحابه كفوا حتى يبدءوكم فتنادوا الرواح الرواح إلى الجنة وحملوا على الناس فانفرقت خيل على رضى الله عنه فرقتين حتى صاروا فى وسطهم وعطفوا عليهم من الميمنة إلى الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطف عليهم الرجالة بالسيوف والرماح فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم وكانوا أربعة آلاف ولم يفلت منهم إلا تسعة رجال لاغير رجلان هربا إلى خراسان وبها نسلهما إلى الآن ورجلان سارا إلى حران وبها نسلهما ورجلان سارا إلى اليمن وبها نسلهما وهم الذين يقال لهم الأباضية أصحاب عبد الله بن أباض ورجلان سارا إلى الجزيرة ورجلان سارا إلى تل مؤذن ، وغنم جماعة على رضى الله عنهم منهم غنائم كثيرة وقتل من جماعته رجلان ولم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة وهذه كرامة من أمير المؤمنين على رضى الله عنه فإنه قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة [تنبيه] الخوارج هؤلاء الذين خرجوا على على رضى الله عنه لما حكم الحـكمين وقالوا لاحكم الا لله هم الذين قال فيهم النبى ﷺ

وكان له من الغنم قيل مائة وقيل سبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها . وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئا منها ، واقتنى صلى الله عليه وسلم الديك الأبيض وكان يبيت معه فى البيت ، والله أعلم .

﴿ الباب الثانى فى فضل أهل البيت ومزاياهم على العموم أو خصوص اثنين فأ كثر ﴾

قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى . قال فى المواهب المراد بالقربى من ينسب إلى جده الأقرب عبدالمطلب اه . وقال فى الصواعق المراد بأهل البيت والآل وذوى القربى فى كل ما جاء فى فضلهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب اه . وكان الثلاثة العترة فالألفاظ الأربعة بمعنى واحد كما فى المواهب . وقال ابن عطية قريش كلها عندى قربى وإن كانت تتفاضل وخير الأقوال أوسطها وينافيه ماروى الطبرانى وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس أنها لما نزلت قالوا يارسول الله من قرابتك الذين نزلت فيهم الآية ؟ قال على وفاطمة وابناها إلا أن يجعل هذا الحديث ونحوه من باب « الحج

«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» كما جاء فى حديث البخارى ومنهم عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى الذى جاء إلى النبى صلى الله عليه وهو يقسم الصدقات فقال اعدل يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل إن لم أعدل فقال عمر رضى الله عنه فأذن لى يارسول الله فى أن أضرب عنقه فقال له ﷺ دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيهم نزل ومنهم من يلمزك فى الصدقات ويقال لهم الحرورية بحاء مهملة وراء مكررة بينهما واو ثم ياء نسبة إلى حروراء أرض نزلوا بها لما خرجوا على على رضى الله عنه اهـ من الفصول المهمة . وفى كلام بعض المؤرخين أن عليا همّ بقتال معاوية فلم يتمكن على كرم الله وجهه من المسير إلى الشام لقتال معاوية ثانيا لما دهمه من ابن ملجم لعنه الله

﴿تتمة : فى ذكر أولاده ومقتلة وقاتله وما يتصل بذلك﴾ اعلم أن الناس قد اختلفوا فى عدد أولاده ذكورا وإناثا فمنهم من أكثر ومنهم من أقل ؛ ففى كتاب الأنوار لأبى القاسم اسمعيل أن أولاده اثنان وثلاثون ستة عشر ذكرا وست عشرة أنثى وقال اليعمرى تسعة وعشرون اثنا عشر ذكرا وسبع عشرة أنثى وقال المحب الطبرى كان له من الولد أربعة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى وفى الصفوة أربعة عشر ذكرا وتسع عشرة أنثى وفى بغية الطالب أولاده رضى الله عنهم خمسة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى بالاتفاق . واختلف فى الذكور إلى عشرين والإناث إلى اثنتين وعشرين أما الذكور فالحسن والحسين ومحسن وفى كلام غيره مات صغيرا أمهم فاطمة البتول بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سميت البتول لانقطاعها عن النساء فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا يقال امرأة بتول منقطعة عن الرجال وبه سميت أم عيسى ومحمد الأكبر أمه من سبى بنى حنيفة واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية وعبد الله قتله المختار بن أبى عبيد وأبو بكر قتل مع الحسين أمهما ليلى بنت مسعود النهشلى وتزوجها عبد الله بن جعفر بعد عمه فجمع بين زوجة على وابنته والعباس الأكبر ويلقب بالسقاء وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ثم الكلابية ومحمد الأصغر قتل مع الحسين أمه أم ولد ويحيى وعون أمهما أسماء بنت عميس وعمر الأكبر أمه أم حبيب الصهباء التغلبية من سبى الردة ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبى العاص بن الربيع العبشمية وهى التى حملها صلى الله عليه وسلم فى صلاة الظهر وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما البنات فأم كلثوم الكبرى ولدت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وولدت زيدا الأكبر ورقية وتوفيت هى وابنها زيد فى وقت واحد وصلى عليهما ابن عمر وكان فيهما سنتان فيما ذكروا لم يرث واحد منهما من صاحبه لأنه لا يعرف أولهما موتا وقدم زيد قبل أمه مما يلى الأيمن فى الصلاة وزينب الكبرى شقيقة الحسن والحسين ورقية شقيقة عمر الأكبر وأم الحسن ورملة الكبرى أمهما أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفى وأم هانىء وميمونة ورملة الصغرى وزينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الخير وأم سلمة وأم جعفر وجمانة وتقية لأمهات شتى والعقب من ولده رضى الله عنه من الحسن والحسين ومحمد الأكبر وعمر والعباس السقاء اهـ وفى حاشية البجيرمى على المنهج فى باب الوصايا نقلا عن البرماوى مانصه جملة أولاد على بن أبى طالب من الذكور أحد وعشرون والذى أعقب منهم خمسة الحسن والحسين ابنا فاطمة والعباس بن الكلابية ومحمد بن الحنفية نسبة إلى بنى حنيفة وعمر بن التغلبية نسبة لقبيلة يقال لها تغلب ومن الإناث ثمان عشرة والتى أعقبت منهن واحدة فقط زينب أخت السبطين من فاطمة اهـ .

عرفة» والاستثناء فى الآية والمعنى لا أسألكم عليه أجرا أبدا ولكن أسألكم أن تودونى فى ذوى القربى. وفى الآية تفسير آخر وهو أن المعنى ولكن أسألكم أن تودونى وتكفوا عنى أذاكم بسبب ما بينى وبينكم من القرابة ولا بطن من قريش إلا له عليه الصلاة والسلام قرابة بهم فالقربى على كل بمعنى القرابة مع تقدير مضاف على الأول (وقال عز وجل) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أراد بالرجس الذنب وبالتطهير التطهير من المعاصى كما فى البيضاوى . روى من طرق عديدة صحيحة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذ ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،

﴿تذييل

﴿ تذييل: في الكلام على مناقب محمد بن الحنفية ﴾ في طبقات الشعراني كان يقول رضي الله عنه : من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر ، وكان يقول : ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بداحتى يجعل الله له مخرجا. ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدى إليه الجزية كتب عبد الملك إلى الحجاج أن أكتب إلى محمد بن الحنفية تهدده وتوعده ثم أعلمني بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل محمد بن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول إن الله عز وجل ثلاثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إلى نظرة يمنعني بها منك فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم فقال ملك الروم ماخرج هذا منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوّة اهـ ولما بلغ محمدا مسير أخيه الحسين رضي الله عنهما إلى الطف وكان بين يديه طست يتوضأ فيه بكى حتى ملأه من دموعه [كرامة] مر زيد بن علي زين العابدين بمحمد ابن الحنفية فنظر إليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن علي المصلوب بالعراق فكان كما قال كذا في الخطط . ومن كلامه رضي الله عنه: وكل الله الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شيء . حكى أبو طالب المكي في القوت أن عليا رضي الله عنه قال لابنه محمد ابن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل اقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت إليه وقال هذه والله الفتنة الظالمة العمياء فوكزه علي بالرمح وقال له تقدم لاأم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها اهـ وكانت الشيعة تسميه المهدي وهو يقول كل مؤمن مهدي وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل وكان شجاعا كريما فصيحا توفي محمد بن الحنفية رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة سنة إحدى وثمانين من الهجرة كذا في مختصر التواريخ ويقال إنه مات بالطائف . وأما ألقاب الإمام علي رضي الله عنه فالمرتضى وحيدر وأمير المؤمنين والأنزع البطين . وأما كنيته فأبو الحسن وأبو السبطين وأبو تراب كناه ﷺ وكانت أحب الكنى إليه كما سبق وكان نقش خاتمه أسندت ظهري إلى الله وقيل حسبي الله وكان تحته يوم قتل أربع زوجات وهن أمامة وليلى بنت مسعود التميمية وأسماء بنت عميس وأم البنين . وأمهات أولاده عشر إماء . وبوابه سلمان الفارسي رضي الله عنه . وشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه . ومعاصره أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين [وأما مقتله ومدة عمره وقاتله] فقال أهل السير انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعداده في بني مراد وحليف بني جبلة من كندة والبرك ابن عبد الله التميمي وعمرو بن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحن العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو بن بكير وأنا أكفيكم عمرو بن العاص وتوافقوا أن لا ينكص واحد منهم عن صاحبه وأن يكون ليلة سبع عشرة من رمضان وقيل ليلة الحادي والعشرين سنة أربعين ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه فقدم البرك دمشق وضرب معاوية فجرحه في أليته فسلم منها وفي حياة الحيوان فأصاب أوراكه فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك فلما قبض عليه قال الأمان والبشارة فقد قتل علي في هذه الليلة فاستبقاه معاوية حتى أتاه الخبر فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه وقيل قتله وأما عمرو بن بكير فقدم مصر وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع الظهر أو البطن فبعث مكانه سهلا العامري وقيل خارجة وهو المشهور ليصلي بالناس فقتله عمرو بن بكير يحسبه عمرو بن العاص وقبض عليه وقتل . وفي الفصول المهمة

وفي رواية « اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد » ، وفي رواية أم سلمة قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت وأنا معكم يارسول الله فقال إنك من أزواج النبي ﷺ على خير . وفي رواية لها أن رسول الله ﷺ كان في بيتها إذ جاءت فاطمة ببرمة بضم فسكون قدر من حجر فيها خزيرة بخاء معجمة مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية ساكنة فراء ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكن أرق منها فوضعتها بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعهم فجاءت إلى علي وقالت أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء فأنزل الله عز وجل هذه الآية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفي رواية أنه ﷺ أدرج معهم جبريل وميكائيل وفي رواية أنه أدرج معهم

أن الذى استخلفه عمرو وقتل خارجة وفيه وأخذ قاتل خارجة وأدخل على عمرو بن العاص فلما رآه قال له من قتلت ؟ قال يقولون خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة وأمر به فقتل وفى ذلك يقول بن عبدون :

وليتها إذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بما شاءت من البشر

ولما بلغ معاوية قتل خارجة وسلامة عمرو كتب إليه هذه الأبيات :

وقتك وأسباب الأمور كثيرة منية شيخ من لؤى بن غالب
فياعمرو مهلا إنما أنت عمه وصاحبه دون الرجال الأقارب
نجوت وقد بل المرادى سيفه من ابن أبى شيخ الأباطح طالب
ويضربنى بالسيف آخر مثله وكانت عليه تلك ضربة لازب
وأنت تناغى كل يوم وليلة بمصرك بيضا كالظباء السوارب

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقدم الكوفة فلقيه جماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شئ من ذلك فمر ض فى بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس فخرج منها نسوة فرأى فيهن امرأة جميلة يقال لها قطام بنت الأصبغ التيمى فوقع فى قلبه حبها فقال ياجارية أيم أنت أم ذات بعل ؟ فقالت بل أيم فقال لها هل لك فى زوج لاتذم خلائقه فقالت نعم ولكن لى أولياء أشاورهم فتبعها فدخلت دارا ثم خرجت إليه فقالت ياهذا إن أوليائى لا يزوجونى إلا على ثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة فقال لك ذلك قالت وشريطة أخرى قال وماهى ؟ قالت قتل على بن أبى طالب فإنه قتل أبى وأخى يوم النهروان قال ويحك ومن يقدر على قتل على بن أبى طالب وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان ؟ فقالت لاتكثر فذلك أحب إلينا من المال إن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيلك فقال لها والله ماجئت إلا لقتل على فقد أعطيتك ماسألت وفى رواية الزبير بن بكار قال صدقت ولما رأيتك آثرت تزويجك فقالت ليس إلا الذى قلت لك قال ومايغنيك أومايغنينى من قتل على وأنا أعلم أنى إن قتلته لم أفلت ؟ قالت إن قتلته ونجوت فهو الذى أردت فتبلغ شفاء نفسى ويهنيك العيش معى وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا وما فيها فقال لها لك مااشترطت قال الفرزدق :

ولم أر مهرا ساقه ذو شجاعة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علىّ بالحسام المسمم
ولا مهر أعلى من علىّ وإن علا ولافتك إلادون فتك ابن ملجم
ولاغرو للأشراف إن ظهرت بهم كلاب الأعادى من فصيح وأعجم
لحربة وحشى سقت حمزة الردى وحتف على من حسام ابن ملجم

ثم إنها قالت له سألتمس لك من يشد ظهرك فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقى ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعى بفتح الباء والجيم كما ضبطه بعضهم وضبطه أبو عمرو بضم الباء وسكون الجيم فقال له ياشبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ قال وماهو قال تساعدنى على قتل على بن أبى طالب قال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إدا كيف تقدر على ذلك قال إنه رجل لاحرس له ويخرج إلى المسجد منفردا فنكمن له فى المسجد فإذا خرج للصلاة قتلناه فإن نجونا اشتفينا وان قتلنا سعدنا بالذكر فى الدنيا وبالجنة فى الآخرة فقال ويلك إن عليا ذو سابقة فى الإسلام مع النبى ﷺ ماتنشرح نفسى لقتله قال ويلك إنه حكم الرجال فى دين الله وقتل إخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل ولا تشكن فى دينك فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام

وفى رواية أن ذلك الفعل كان فى بيت فاطمة ، وفى حديث حسن أنه ستر العباس وبنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار وأنه أمن على دعائه أسكفة الباب وحوائط البيت ثلاثا وقد أشار المحب الطبرى إلى أن هذا الفعل تكرر منه ﷺ وبه جمع بين الاختلاف فى هيئة اجتماعهم وما سترهم به وما دعا به لهم وفى المجموعين ومحل الجمع وكونه قبل نزول الآية أو بعدها ، وروى أحمد والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على وحسن وحسين وفاطمة » وروى ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » . وفى رواية ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى « أنه صلى الله عليه وسلم جاء أربعين صباحا إلى باب

وهى معتكفة فى المسجد الأعظم فى قبة ضربتها لها فدعت لهما فقاما وأخذا سيفهما ثم جا آحتى جلسا قبالة السدة التى يخرج منها على ودخل ابن النباح المؤذن فقال الصلاة فقام على يمشى وابن النباح بين يديه والحسن ابنه خلفه فلما خرج من الباب نادى أيها الناس الصلاة الصلاة كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس فاعترضه الرجلان فقال بعض من حضر ذلك رأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول لله الحكم ياعلى لالك وفى رواية الحكم لله ياعلى لالك ولا لأصحابك ثم رأيت سيفا ثانيا فضربا جميعا فأما سيف شبيب فوقع فى الطاق وأخطأ وأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه وهرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه رجل فقتله وهرب شبيب فى الغلس (وأما ابن ملجم) فإنه لما هم الناس به حمل عليهم بسيفه ففرجوا له فتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به إلى الأرض وقعد على صدره وانتزع سيفه وجاء به إلى أمير المؤمنين فنظر إليه ثم قال النفس بالنفس ان أنا مت فاقتلوه كما قتلني وان برئت أبديت رأيى فيه . وفى ذخائر العقبى فقال على رضى الله عنه فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به وان لم أمت فالأمر لى فى العفو والقصاص فقال ابن ملجم والله ابتعته بألف وسممته شهرا فإن أخلفنى أبعده الله وأسحقه يعنى سيفه فقالت أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين فقال إنما قتلت أباك قالت ياعدو الله إنى لأرجو أن لايكون عليه بأس قال فلم تبكين إذا والله لقد ضربته ضربة لو قسمت على أهل مصر مابقى منهم أحد فأخرج من بين يدى أمير المؤمنين والناس يلعنونه ويقولون له قتلت خير الناس ياعدو الله وفى أسد الغابة لما أخذ ابن ملجم أدخل على على رضى الله عنه فقال احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا ولى دمى عفوا أو قصاصا وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين ومكث رضى الله عنه جريحا يوم الجمعة والسبت وتوفى ليلة الأحد الثالثة عشر من رمضان سنة أربعين وكان عمره اذ ذاك خمسا وستين سنة وقيل ثلاثا وستين كالنبى وأبى بكر وعمر وهو من عجيب الاتفاق قال الواقدى وهذا هو المثبت عندنا وقيل غير ذلك .

﴿وصيته رضى الله عنه الحسن والحسين رضى الله عنهما﴾ روى أنه لما ضربه ابن ملجم أوصى الحسن والحسين وصية طويلة فى آخرها : يابنى عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لاتقتلوا بى الاقاتلى انظروا إذا أنامت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولاتمثلوا به فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» أخرجه الفضائلى ؛ وفى رواية عن الحسن رضى الله عنه لما حضرت أبى الوفاة أقبل يوصى فقال هذا ماأوصى به على بن أبى طالب أخو محمد ﷺ وابن عمه وصاحبه أول وصيتى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله وخيرته اختاره بعلمه وارتضاه لخلقه وان الله باعث من فى القبور وسائل الناس عن أعمالهم عالم بمافى الصدور ، ثم إنى أوصيك ياحسن وكفى بك وصيا بما أوصانى به رسول الله ﷺ فإذا كان ذلك فالزم بيتك وابك على خطيئتك ولا تكن الدنيا أكبر همك . وأوصيك يابنى بالصلاة عند وقتها والزكاة فى أهلها عند محلها ، والصمت عند التشبه والاقتصاد والعدل فى الرضا والغضب وحسن الجوار واكرام الضيف ورحمة المجهود وأصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم والتواضع فإنه من أفضل العبادة وذكر الموت والزهد فى الدنيا فإنك رهن موت وعرض بلاء وطريح سقم . وأوصيك بخشية الله تعالى فى سرائرك وعلانيتك وأنهاك عن مخالفة الشرع بالقول والفعل وإذا عرض لك شىء من أمر الآخرة فابدأ به

فاطمة يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» . وفى رواية عن ابن عباس سبعة أشهر . وفى رواية لابن جرير وابن المنذر والطبرانى ثمانية أشهر وروى مسلم والنسائى عن يزيد بن أرقم قال «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا» فقيل ليزيد بن أرقم من أهل البيت؟ قال أهل البيت من حرم الصدقة بعده ،قيل ومن هم؟ قال آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ؛ وفى الصواعق أن المراد بالبيت فى الآية ما يشمل بيت نسب النبى صلى الله عليه وسلم وبيت سكناه فتشمل الآية أزواجه عليه الصلاة والسلام وهو ما ذكره الزمخشرى والبيضاوى ويدل عليه ما قبل الآية وما بعدها وما يوهم خلاف ذلك من الأحاديث المتقدمة تقدم الجواب عنه فافهم ونقل القرطبى عن ابن عباس فى قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» أنه قال رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحد

وإذا عرض لك شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك فيه ، وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء فإن قرين السوء يغير جليسه ، وكن لله يابني عاملا وعن الخنا زجورا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا وآخ الإخوان فى الله وأحب الصالح لصلاحه ودار الفاسق عن دينك وأبغضه بقلبك وزايله بأعمالك لئلا تكون مثله ، وإياك والجلوس فى الطرقات ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له واقتصد يابني فى معيشتك واقتصد فى عبادتك وعليك فيها بالأمر الدائم الذى تطيقه والزم الصمت وبه تسلم وقدم لنفسك تغنم وتعلم الخير وكن ذاكرا لله تعالى على كل حال وارحم من أهلك الصغير ووقر الكبير ولا تأكل طعاما حتى تتصدق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله وجاهد نفسك واحذر جليسك واجتنب عدوك وعليك بمجالس الذكر وأكثر من الدعاء فإني لم آلك يابني نصحا وهذا فراق بيني وبينك؛ وأوصيك بأخيك محمد خيرا فإنه ابن أبيك وقد تعلم حبي له ؛ وأما أخوك الحسين فهو شقيقك وابن أمك وأبيك والله الخليفة عليكم وإياه أسأله أن يصلحكم وأن يكف الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى يقضى الله هذا الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ ثم قال ياحسن أبصروا ضاربى أطعموه من طعامى واسقوه من شرابى فإن عشت فأنا أولى بحقى وإن مت فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» ياحسن إن أنا مت لاتغال فى كفنى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لاتغالوا فى الأكفان وامشوا بين المشيتين فإن كان خيرا أعجلتمونى إليه وإن كان شرا ألقيتمونى عن أكتافكم» يابنى عبد المطلب لا ألفينكم تريقون دماء المسلمين بعدى تقولون قتلتم أمير المؤمنين ألا لايقتلن بى إلا قاتلى ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضى الله عنه ؛ وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رضى الله عنهم (وكفن) فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة (وصلى) عليه ابنه الحسن (ودفن) فى الغرى ليلا موضع معروف يزار إلى الآن وقيل بالنجف وفيه يقول بعض الشعراء :

سقته سحائب الرضوان سحا بجود يديه ينسجم انسجاما

ولا زالت رواة المزن تهدى إلى النجف التحية والسلاما

وقيل دفن بين منزله والمسجد ، وقيل دفن بقصر الإمارة بالكوفة كذا فى الفصول وقيل غير ذلك (ومروياته) فى كتب الأحاديث خمسمائة وستة وثمانون حديثا (وكاتبه) عبد الله بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقاضيه) شريح بن الحرث الكندى (ولما) فرغوا من دفنه جلس الحسن رضى الله عنه وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به فلما وقف بين يديه أمر بضرب عنقه وأخذه الناس وأحرقوه . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال مرض على رضى الله عنه فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فجلست عنده معهما فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فنظر فى وجهه فقال أبو بكر وعمر قد تخوفنا عليه يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا يموت حتى يملأ غيظا ولن يموت إلا مقتولا . وعن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى « من أشقى الأولين ياعلى؟ قال الذى عقر ناقة صالح قال صدقت فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم قال أشقى الآخرين الذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه وكان على كرم الله وجهه يقول لأهله والله لوددت أن لو انبعث أشقاها» أخرجه أبو حاتم . وعن فضالة الأنصارى قال خرجت مع أبى إلى البقيع عائدين لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وكان مريضا بها قد ثقل إليها من المدينة فقال له أبى مايقيمك فى هذا المنزل ولو هلكت به لم تدفنك إلا أعراب

من أهل بيته الطاهر، وأخرج الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال «وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم» . وأخرج تمام والبزار والطبرانى وأبو نعيم أنه ﷺ قال « إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار» وفى رواية « فحرمها الله وذريتها على النار» . وأخرج الديلمى مرفوعا «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار» . وأخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال لها «إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك » . وأخرج الثعلبى فى تفسير قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا» عن جعفر الصادق أنه قال: نحن حبل الله . وأخرج بعضهم عن الباقر فى قوله تعالى «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» أنه قال أهل البيت هم الناس. وأخرج السلفى عن محمد ابن الحنفية فى قوله عز وجل « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا» أنه قال لايبقى مؤمن إلا وفى قلبه ود لعلى وأهل بيته وذكر النقاشى فى تفسيره أنها نزلت فى على وعن

جهينة ؟ وكان أبوفضالة من أهل بدر فقال له على رضى الله عنـه إنى لست بميت من وجعى هذا وذلك أن حبيبى ﷺ عهد إلى أن لاأموت حتى أؤمر وتخضب هذه من دم هـذا وأشار إلى لحيته ورأسه قضاء مقضيا وعهدا معهودا منه إلى (وعن أبى الأسود الدؤلى) أنه عاد عليا رضى الله عنه فى شكوى اشتكاها قال فقلت له لقد تخوفنا عليك ياأمير المؤمنين فى شكواك هذه فقال لكن والله ماتخوّفت على نفسى لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنك ستضرب ضربة ههنا وأشار إلى رأسى فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود (وفى الفصول المهمة) قيل وسئل على رضى الله عنه وهو على المنبر فى الكوفة عن قوله تعالى «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» فقال اللهم غفرا هذه الآية نزلت فىّ وفى عمى حمزة وفى ابن عمى عبيدة الحرث بن عبد المطلب رضى الله عنهم فأما عبيدة فإنه قضى نحبه شهيدا يوم بدر وأما عمى حمزة فإنه قضى نحبه شهيدا يوم أحد وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار إلى لحيته ورأسه عهدا عهده إلى حبيبى أبوالقاسم صلى الله عليه وسلم . وبالإسناد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال إنى لحاضر عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فى وقت إذ جاءه عبد الرحمن بن ملجم يستحمله فحمله ثم قال :

أريد حياته ويريد قتلى   عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال هذا والله قاتلى قلت ياأمير المؤمنين أفلا نقتله قال لا فمن يقتلنى ثم قال :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا   ولا تجزع من الموت إذا حل بناديكا

وقال تميم بن المغيرة كان على رضى الله عنه فى شهر رمضان من السنة التى قتل فيها يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لايزيد فى أكله على ثلاث أو أربع لقم ويقول يأتينى أمر الله وأنا خميص إنما هى ليال قلائل فلم يمض الشهر حتى قتل رضى الله عنه (وعن) الحسن بن كثير عن أبيه قال خرج رضى الله عنه فى فجر اليوم الذى قتل فيه فأقبل الوز يصحن فى وجهه فطردن عنه فقال رضى الله عنه ذروهن فإنهن نوائح فقتله ابن ملجم (وقال) الحسن بن على رضى الله عنهما قمت ليلا فوجدت أبى قائما يصلى فى مسجد داره فقال يابنى أيقظ أهلك يصلون فإنها ليلة جمعة صبيحة بدر ولقد ملكتنى عيناى فنمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء واللدد ؟ فقال ﷺ ادع عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم من هو خير منهم وأبدلهم بى من هو شر منى فجاء المؤذن فأذن بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله . قال بكر بن حسان :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة   هدمت للدين والإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم   وأفضل الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما   سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولاه وناصره   أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له   مكان هرون من موسى بن عمرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر   فقلت سبحان رب العرش سبحانا
قد كان يخبرنا أن سوف يخضبها   قبل المنية أشقاها وقد كانا
إنى لأحسبه ما كان من بشر   يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا إذا عدت قبائلها   وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التى جلبت   على ثمود بأرض الحجر خسرانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله   ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله فى شقى ظل مجترما   ونال ما ناله ظلما وعدوانا
ياضربة من تقى ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته لظى

زيد بن أرقم «قال قام رسول الله ﷺ خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى عز وجل يعنى الموت فأجيبه وإنى تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى» رواه مسلم وفى رواية «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى» والثقل محرك كما فى القاموس وهو كل شىء نفيس مصون . ومعنى أذكركم الله فى أهل بيتى : أحذركم الله فى شأن أهل بيتى. ولفظ رواية الإمام أحمد «أنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من الأرض إلى السماء وعترتى أهل بيتى وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة فانظروا بما تخلفونى فيهما» وفى رواية «حوضى مابين بصرى وصنعاء عدد آنيته عدد النجوم إن الله سائلكم كيف خلفتمونى فى كتاب الله وأهل بيتى» .

مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا كأنه لم يرد قصدا بضربتـه إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولما سمع القاضى أبوالطيب طاهر بن عبد الله الشافعى قول عمران بن حطان الرقاشى الخارجى :

لله درالمرادى الذى فتـكت كفاهمهجة شرالخلق إنسانا ياضربة من تقى ماأراد بها

إلاليبلغ من ذى العرش رضوانا إنى لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

أجابه بقوله :

إنى لابرأ مماأنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا ياضربة من شقى ماأراد بها

إلا لهدم للاسلام أركانا إنى لأذكره يوما فألعنه دينا وألعن عمرانا وحطانا

عليه ثم عليه الدهرمتصلا لعائن الله إسرارا وإعلانا فأنتما من كلاب النـار جاء به

نص الشريعة برهاناوتبيانا عليكما لعنة الجبار ماطلعت شمس وماأوقدوافى الكون نيرانا

وقال أبو الأسود الدؤلى :

ألا بلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا

أفى شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طرا أجمعينا قتلتم خير من ركب المطايا

ورحلهاومن ركب السفينا ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثانى والمثينا

إذا استقبلت وجه أبى حسين رأيت البدر راع الناظرين لقدعلمت قريش حيث كانت

بأنك خيرها حسبا ودينا وقل للشامتين بنا رويدا ستلقى الشامتون كما لقينا

(وبالإسناد) عن الزهرى قال قال لى عبدالملك بن مروان أى واحد أنت إن حدثتنى ما كان علامة يوم قتل على رضى الله عنه قلت ياأمير المؤمنين مارفعت حصاة من بيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط فقال أنا وإياك غريبان فى هـذا الحديث (غريبة) من كتاب المناقب لأبى بكر الخوارزمى قال قال أبو القاسم بن محمد كنت فى المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم عليه السلام فقلت ماهذا ؟ فقالوا راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يحدث الناس بحديث عجيب فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قاعد عند المقام يحدث الناس وهم يستمعون له فقال بينما أنا قاعد فى صومعتى فى بعض الأيام إذ أشرفت منها اشرافة فإذا طائر كالنسر الـكبير قد سقط على صخرة على شاطئ البحر فتقايأ فرمى من فيه ربع إنسان ثم طارفغاب يسيرا ثم عاد فتقايأ ربعا آخر ثم طار وعاد فتقايأ هكذا إلى أن تقايأ أربعة أرباع إنسان ثم طار فدنت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها إنسان كامل وأنا أتعجب ممارأيت فإذا بالطائر قد انقض عليه فاختطف ربعه ثم طار ثم عاد واختطف ربعا آخر ثم طار وهكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكرا وأتحسر أن لا كنت سألته ومن هو وما قصته فلما كان فى اليوم الثانى إذا بالطائر قد أقبل وفعل كفعله بالأمس فلما التأمت الأرباع وصارت شخصا كاملا نزلت من صومعتى مبادرا إليه وسألته بالله من أنت ياهذا فسكت فقلت بحق من خلقك إلا ماأخبرتنى من أنت فقال أنا ابن ملجم فقلت ماقصتك مع هذا الطائر قال قتلت على بن أبى طالب فوكل الله بى هذا الطائر يفعل بى ماترى فخرجت من صومعتى وسألت عن على بن أبى طالب فقيل لى إنه ابن عم رسول الله ﷺ فأسلمت وأتيت إلى بيت الله الحرام قاصد الحج وزيارة رسول الله ﷺ اهـ قالوا ولم يحج الإمام على رضى الله عنه فى سنى خلافته لاشتغاله بالحرب وكان يحج قبلها كثيرا .

[فوائد: الأولى] قال معاوية لضرار بن ضمرة صف لى عليا فقال اعفنى فقال أقسمت عليك لتصفنه قال أما إذا كان ولابد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من

وعن أبى بكر الصـديق رضى الله تعالى عنـه أنه ﷺ قال «ياأيها الناس ارقبوا محمدا فى أهل بيته» رواه البخارى أى احفظونى فيهم فلا تؤذوهم . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم «أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى» رواه الترمذى والحاكم وصححه على شرط الشيخـين . وأخرج الحاكم عن أبى هـريرة أن النبى ﷺ قال «خيركم خيركم لأهلى من بعدى» . وأخرج ابن سعـد والملا فى سـيرته أنه صلى الله عليـه وسلم قال «استوصوا بأهل بيتى خيرا فإنى أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصيمه أخصمه الله ومن أخصمه الله أدخله النار» . وروى جماعة من أصحاب السنن عن عـدة من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» وفى رواية غرق ، وفى أخرى زج فى النار ، وفى أخرى عن أبى ذر زيادة وسمعته يقول «اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس ولا تهتـدى

جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماخشن ومن الطعام ماخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذاسألناه ويأتينا إذادعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لايطمع القوى فى باطله ولاييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى ألى تعرضت أم لى تشوقت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فهى لايرقأ دمعها ولا يخفى لجها [الثانية] سأل معاوية خالد بن يعمر فقال له علام أحببت عليا فقال على ثلاث خصال : على حلمه إذا غضب وعلى صدقه إذا قال وعلى عدله إذا حكم [الثالثة] نقل عن سودة بنت عمارة الهمدانية أنها قدمت على معاوية بعد موت على رضى الله عنه فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليه يوم صفين ثم قال لها ماحاجتك ؟ فقالت ان الله تعالى سائلك عن أمرنا وما فرض عليك من حقنا وما فوض إليك من أمرنا لايزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بلسانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف ، هذابشر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإن عزلته عنا شكرنا وإلا فالى الله شكونا فقال معاوية إياى تعنين ولى تهددين لقد هممت ياسودة أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه فأطرقت ثم أنشأت تقول :

صلى الاله على جسم تضمنه   قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لايبغى به بدلا   فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال من هذاياسودة ؟ فقالت هذا والله أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد جئته فى رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائما يريد الصلاة فلما رآنى أقبل على بوجه طلق ورحمة ورفق وقال ألك حاجة ؟ فقلت نعم وأخبرته الأمر فبكى ثم قال اللهم أنت الشاهد إنى لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين وإذا قرأت كتابى فاحتفظ بما فى يدك من عملك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام ثم دفع إلى الرقعة فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا فقال معاوية رضى الله عنه اكتبوا لها بما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية [الرابعة] حكى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كف بصره فمر على صفة زمزم فإذا بقوم من أهل الشام يسبون عليا رضى الله عنه فسمعهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال لسعيد ردنى إليهم فرده فوقف عليهم وقال أيكم الساب لله عز وجل فقالوا سبحان الله مافينا أحد يسب الله فقال أيكم الساب لرسوله فقالوا مافينا أحد يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فقالوا أما هذا فقد كان منه فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمعته أذناى ووعاه قلبى سمعته يقول لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه « ياعلى من سبك فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله ومن سب الله

إلا بالعينين » . وصح أن بنت أبى لهب لما هاجرت إلى المدينة قيل لها لن تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبى ﷺ فاشتد غضبه ثم قال على المنبر « مابال أقوام يؤذونى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » أخرجه ابن أبى عاصم والطبرانى وابن منده والبيهقى بألفاظ متقاربة، وأخرج الطبرانى والدارقطنى مرفوعا « أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل» ولا تنافى بين هذا وبين ما رواه البزار والطبرانى وغيرهما « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف» فإن هذا ترتيب من حيث البلدان وذاك من حيث القبائل فيحتمل أن المراد البداءة فى قريش بأهل المدينة ثم مكة ثم الطائف وكذا فى الأنصار فمن بعدهم وروى الطبرانى وابن عساكر أنه ﷺ قال «أنا وفاطمة والحسن

كه الله على منخريه فى النار» وولى عنهم وقال يابنى ماذا رأيتهم صنعوا ؟ قال فقلت :

نظروا إليك بأعين محمرة　　　نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدنى فداك أبوك فقلت :

خزر العيون نواكس أبصارهم　　　نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال زدنى فداك أبوك فقلت ليس عندى مزيد فقال عندى المزيد وأنشد :

أحياؤهم عار على أمواتهم　　　والميتون مسبة للغابر

[الخامسة] أورد صاحب الغرر أن عليا رضى الله عنه كان إذا صلى الغداة لعن معاوية رضى الله عنه وعمرو بن العاص وأصحابه فبلغ ذلك معاوية رضى الله عنه فكان إذا قنت لعن عليا وابن عباس وحسنا وحسينا والأشتر ، ولم يزل الأمر على ذلك برهة من ملك بنى أمية إلى أن ولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل بدل اللعن فى الخطبة ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم .

﴿ الباب الثانى فى ذكر مناقب الحسن والحسين وباقى الأئمة الاثنى عشر رضى الله عنهم أجمعين ﴾

اعلم أنه قد اختلف فى أهل البيت فقيل نساؤه ﷺ لأنهن فى بيته قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول عكرمة ومقاتل وقيل على وفاطمة والحسن والحسين قاله أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة، وقيل هم من تحرم عليهم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قاله زيد بن أرقم وقال ابن الخطيب الفخر الرازى والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلى منهم لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته فاطمة بنته وملازمته له قسطلانى على البخارى وفى متن الشعرانى مانصه وفى الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ «أنشدكم الله فى أهل بيتى» قالها ثلاثا وفسر زيد رضى الله عنه أهل بيته بآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى وهؤلاء هم الأشراف حقيقة عند سائر الأمصار وتخصيص الشرف بآل على فقط اصطلاح لأهل مصر خاصة انتهى . هذا ويشهد للقول بأنهم على وفاطمة والحسن والحسين ماوقع منه ﷺ حين أراد المباهلة هو ووفد نجران كما ذكره المفسرون فى تفسير آية المباهلة وهى قوله تعالى «فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» وقيل أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه كذا فى تفسير الخازن ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن . والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنة الله «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ماترى ياعبد المسيح ؟ قال لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لنهلكن وفى رواية قال لهم والله مالاعن قوم قط نبيا إلا هلكوا عن آخرهم فإن أبيتم إلا الإقامة على ماأنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى ﷺ يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من

مكانه

والحسين تجتمع ومن أحبنا يوم القيامة نأكل ونشرب حتى يفرق الله بين العباد» وورد أنه ﷺ قال «يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين» ويشهد له خبر «يحشر المرء مع من أحب» . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال «الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا» وصح «أن العباس شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعل قريش من تعبيسهم فى وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال : والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله» وفى رواية صحيحة أيضا «مابال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم منى» وفى أخرى» والذى نفسى بيده لا يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم

بكا . لأزاله فلاتبتهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة فقالوا ياأباالقاسم قد رأينا أن لانباهلك وأن نترك على دينك ونتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله ﷺ فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال فإنى أنابذكم فقالوا مالنا فى حرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لاتغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وأن نؤدى إليك فى كل سنة ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال والذى نفسى بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا اه خازن وغيره (وفى) الخطيب عن عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم على ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» وفى ذلك دليل على نبوته ﷺ وعلى فضل أهل الكساء رضى الله عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين اه ﴿ تنبيه ﴾ ماقدمناه من أن أهل البيت هم على وفاطمة والحسن والحسين هو ما جنح إليه الفخر الرازى فى تفسيره والزمخشرى فى كشافه وعبارته عند تفسير قوله تعالى قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى روى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل له ماروى عن على رضى الله عنه «شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا» وعن النبى ﷺ حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجاوزه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقينى يوم القيامة» وروى «أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم فى مجالسهم فقال يامعشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يارسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يارسول الله قال أفلا تجيبونى قالوا ما نقول يارسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية» (وروى) من طرق عديدة صحيحة «أن رسول الله ﷺ جاء ومعه على وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» وفى رواية اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد وفى رواية أم سلمة قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدى فقلت وأنا معكم يارسول الله فقال إنك من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم على خير وفى رواية لها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها إذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة بخاء معجمة مفتوحة فزاى مكسورة فتحتية ساكنة فراء وهو ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة ولكن

لله ولرسوله أترجون شفاعتى ولا ترجوها بنو عبد المطلب» . وروى الديلمى والطبرانى وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقى مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال «لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتى أحب إليه من عترته وأهلى أحب إليه من أهله وذاتى أحب إليه من ذاته» . وروى أبو الشيخ عن على كرم الله وجهه قال «خرج رسول الله ﷺ مغضبا حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال مابال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى والذى نفسى بيده لايؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذريتى ولذلك قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه صلة قرابة رسول الله ﷺ أحب إلى من صلة قرابتى وروى أحمد مرفوعا «من أبغض أهل البيت فهو منافق» وعن أبى سعيد أنه ﷺ قال «لايبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار» رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وعن أبى سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال «اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى» رواه الديلمى. وعن على رضى الله تعالى عنه

أرق منها فوضعتها بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت فى البيت فقال ادعيهم فجاءت إلى على وقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك فجاء على وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء فأنزل الله عز وجل هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أدرج معهم جبريل وميكائيل وفى رواية أن ذلك الفعل كان فى بيت فاطمة وقد أشار المحب الطبرانى الى أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم (روى) أحمد والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ أنزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على وحسن وحسين وفاطمة وروى ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية كما فى رواية الترمذى كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . وفى رواية ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم جاء أربعين صباحا إلى دار فاطمة يقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . وفى رواية له عن ابن عباس سبعة أشهر وفى رواية لابن جرير وابن المنذر والطبرانى ثمانية أشهر (وقد جاء) فى فضلهم وشرفهم آيات وأحاديث ؛ فمن الآيات زيادة على ماسبق ما أخرجه الثعلبى فى تفسير قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا عن جعفر الصادق أنه قال نحن حبل الله وأخرج بعضهم عن محمد الباقر فى قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أنه قال أهل البيت هم الناس وأخرج بعضهم عن محمد ابن الحنفية فى قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أنه قال لايبقى مؤمن الاوفى قلبه ود لعلى وأهل بيته وذكر النقاش أنها نزلت فى على رضى الله عنه (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال لعلى هو أنت وشيعتك تأتى يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتى أعداؤك غضابا مقمحين (وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه فى قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان قال على وفاطمة رضى الله عنهما يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال الحسن والحسين رواه صاحب كتاب الدرر (وعن) محمد بن سيرين فى قوله تعالى : وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا أنها نزلت فى النبى ﷺ وعلى بن أبى طالب هو ابن عم النبى ﷺ وزوج فاطمة رضى الله عنها فكان نسبا وصهرا (روى) الإمام أبو الحسين البغوى فى تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم قال على وفاطمة وابناهما . وفى مسامرات الشيخ الأكبر أن عبدالله بن عباس قال فى قوله يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما وهما صبيان فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر فقال عمر لعلى يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذرا ان الله عافاهما قال أصوم ثلاثة أيام شكرا لله قالت فاطمة وأنا أيضا أصوم ثلاثة أيام شكرا لله وقال الصبيان ونحن نصوم ثلاثة أيام وقالت جاريتها فضة وأنا أصوم ثلاثة أيام فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام فانطلق على إلى جار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف فقال له هل لك أن تعطينى جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة آصع من شعير قال نعم فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت ثم غزلت ثلث الصوف وأخذت صاعا من

الشعير

أنه قال لمعاوية رضى الله تعالى عنه إياك وبغضنا فإن رسول الله ﷺ قال «لايبغضنا ولايحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار» رواه الطبرانى فى أوسطه . وعن على قال قال رسول الله ﷺ «اللهم ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال» رواه الديلمى قال ابن حجر كفاهم أن يكثر مالهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم ولا يشكل هذا بالدعاء لأنس بمثل ذلك لأن ذلك نعمة فى حقه يتوصل بها إلى كثير من الأمور المطلوبة بخلافه فى حق مبغضهم . وأخرج الديلمى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال « نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى» وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين «اللهم أحبهما وأحب من يحبهما» . وأخرج الترمذى عن أسامة « أنه ﷺ أجلس الحسن والحسين يوما على فخذيه وقال هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما»

الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى على رضى الله عنه مع النبي ﷺ المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان فجلسوا فأول لقمة كسرها على رضى الله عنه إذا مسكين واقف على الباب فقال السلام عليكم ياأهل بيت محمد أنا مسكين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع على اللقمة من يده ثم قال :

فاطم ذات المجد واليقين   يابنت خير الناس أجمعين

أما ترى ذا البائس المسكين   جا إلى الباب له حنين   كل امرىء بكسبه رهين

فقالت فاطمة رضى الله عنها من حينها :

أمرك سمع يابن عم وطاعه   مالى من لوم وما ضراعه   باللب غذيت وبالبراعه

أرجو إذا أنفقت من مجاعه   أن ألحق الأبرار والجماعه   وأدخل الجنة بالشفاعه

قال فعمدت إلى مافى الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعا وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح ثم عمدت إلى الثلث الثانى من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعا فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى على المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى منزله فلما وضعت الخوان وجلس فأوّل لقمة كسرها على رضى الله عنه إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع على اللقمة من يده وقال :

فاطم بنت السيد الكريم   قد جاءنا الله بذا اليتيم

من يطلب اليوم رضا الرحيم   موعده فى جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضى الله عنها وقالت :

فسوف أعطيه ولا أبالى   وأوثر الله على عيالى

أمسوا جياعا وهمو أمثالى   أصغرهم يقتل فى القتال

ثم عمدت إلى جميع ما كان فى الخوان فأعطته اليتيم وباتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياما وعمدت فاطمة إلى باقى الصوف فغزلته وطحنت الصاع الباقى وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى على رضى الله عنه المغرب مع النبي ﷺ ثم أتى منزله فقربت إليه الخوان ثم جلس فأوّل لقمة كسرها إذا أسير من أسارى المسلمين بالباب فقال السلام عليكم أهل بيت محمد إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا فوضع على اللقمة من يده وقال :

فاطمة ابنة النبي أحمد   بنت نبى سيد مسوّد   هذا أسير جاء ليس يهتدى

مكبل فى قيده المقيد   يشكو إلينا الجوع والتشدد   من يطعم اليوم يجده فى غد

عند العلى الواحد الموحد   مايزرع الزارع يوما يحصد

فأقبلت فاطمة رضى الله عنها تقول :

لم يبق مما جاء غير صاع   قد دبرت كفى مع الذراع

وابناى والله ثلاثا جاعا   يارب لاتهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى ما كان فى الخوان فأعطته إياه فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شىء وأقبل على والحسن والحسين نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع فلما أبصرهما رسول الله ﷺ قال يا أبا الحسن أشد ما يسوءنى ما أدرككم انطلقوا بنا إلى ابنتى فاطمة فانطلقوا إليها وهى فى محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأخرج الترمذى عن أنس « أنه صلى الله عليه وسلم سئل أى أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال الحسن والحسين ». وروى الطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبة أنه صلى الله عليه وسلم قال فيهما اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأبغض من أبغضهما وروى من طرق عديدة صحيحة أنه صلى الله عليه وسلم قال « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وفى رواية « إلا ابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا » وفى رواية « وإن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران » وفى رواية « وأبوهما خير منهما » وروى ابن عساكر وابن منده عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنها أتت بابنها فقالت يارسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا فقال أما حسن فله هيبتى وسوددى وأما حسين فله جراءتى وجودى » وفى رواية « أما الحسن فقد نحلته حلمى وهيبتى وأما الحسين فقد نحلته نجدتى وجودى » وعن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « الحسن والحسين هما ريحانتاى من الدنيا » رواه النسائى والترمذى وقال صحيح

ضمها إليه وقل واغوثاه فهبط جبريل عليه السلام وقال يامحمد خذ ضيافة أهل بيتك قال وما آخذ ياجبريل ؟ قال «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إلى قوله وكان سعيكم مشكورا» [ومن الأحاديث] ماأخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خيركم خيركم لأهلي من بعدي» . وأخرج ابن سعد والملا في سيرته أنه ﷺ قال «استوصوا بأهل بيتي خيرا فإني أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصمه خصمه الله ومن خصمه الله أدخله النار» . وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» وفي رواية غرق وفي أخرى «زج في النار» . وصح أن بنت أبي لهب لماهاجرت إلى المدينة قيل لها لن تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاشتد غضبه ثم قال على المنبر «مابال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى رحمي وذوي نسبي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده والبيهقي بألفاظ متقاربة وأخرج الطبراني والدارقطني مرفوعا «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أول أفضل» نقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال رضا محمد ﷺ أن لايدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لايعذبهم» وصح أن العباس شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتفعل قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال «والذي نفسي بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله» وفي رواية صحيحة أيضا «مابال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم مني» وفي أخرى «والذي نفسي بيده لايدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ورسوله أيرجون شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب» وروى الديلمي والطبراني وأبو الشيخ بن حبان والبيهقي مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال «لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وأهلي أحب إليه من أهله وذاتي أحب إليه من ذاته» وروى أبو الشيخ عن علي كرم الله وجهه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مابال رجال يؤذونني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لايؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذريتي» ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه صلة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من صلة قرابتي . وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال أبو بكر ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته . وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة «أنه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم إني أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما» . وأخرج الترمذي عن أسامة «أنه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوما على فخذيه وقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما» وأخرج الترمذي عن أنس «أنه ﷺ سئل أي أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال الحسن والحسين» وروى من طرق عديدة صحيحة أنه صلى الله عليه وسلم قال «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» وروى أحمد والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحبني وأحب هذين وأباهما

وأمهما

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والأربعة عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ويقومان فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما واحد من ذا الشق وواحد من ذا الشق ثم صعد المنبر فقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران فلم أصبر فقطعت كلامي ونزلت إليهما» . وروى أحمد والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» قال ابن حجر ومعنى المعية هنا القرب والشهود لامعية المكان والمنزلة انتهى ولا ينافي ذلك قوله في درجتي لامكان حمله على أن المعنى كان قريبا مني مشاهدا لي حال كونه في درجتي . وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم ساووه في خمسة أشياء : في الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي السلام يقال في التشهد سلام عليك أيها النبي وقال

وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» وروى ابن مسعود رضي الله عنه «حب آل محمد صلى الله عليه وسلم يوما خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة» وفي الكشاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له. ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة» [تنبيهان: الأول] ذكر الفخر الرازي أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي السلام والطهارة وفي تحريم الصدقة وفي المحبة [الثاني] علم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبذلك صرح البيهقي والبغوي بل نص عليه الشافعي فيما حكي عنه من قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

أي كاملة أو صحيحة على قول مرجوح لإمامنا الشافعي رضي الله عنه [وفي الفصول المهمة] لما صرح الإمام الشافعي بمحبته لأهل البيت وأنه من شيعتهم قيل فيه ما قيل فقال مجيبا عن ذلك:

إذا نحن فضلنا عليا فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حتى أوسد في الرمل

وحكى الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الذي صنفه في مناقب الإمام الشافعي أن الإمام الشافعي قيل له إن أناسا لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت فإذا رأوا أحدا يذكر شيئا من ذلك قالوا تجاوزوا عن هذا فهو رافضي فأنشأ الشافعي رحمه الله تعالى يقول:

إذا في مجلس نذكر عليا ... وسبطيه وفاطمة الزكيه
يقال تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضيه
برئت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطميه

وقال رضي الله عنه:

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك ... خير إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضا ... فإنني أرفض العباد

وقال رضي الله عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

ولأبي الحسن بن جبير رحمه الله:

أحب النبي المصطفى وابن عمه ... عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم ... وحبهم أسنى الذخائر للأخرى

تعالى سلام على آل يس وفي الطهارة قال تعالى طه أي يا طاهر وقال تعالى ويطهركم تطهيرا وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى؛ ومما نسب إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس سره

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى ... بتبليغه إلا المودة في القربى

ومما قاله الإمام اللغوي أبو عبد الله محمد بن علي ابن يوسف الأنصاري الشاطبي لربينا بن اسحق النصراني

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم ... بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه ... إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إني لأحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقال إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى

وما أنا للصحب الكرام ببغض … فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا
همو جاهدوا في الله حق جهاده … وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله مادام ذكرهم … لدى الملإ الأعلى وأكرم به ذكرا

ولبعضهم: هم العروة الوثقى لمعتصم بها … مناقبهم جاءت بوحى وإنزال
مناقب في الشورى وفي هل أتى أتت … وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم آل بيت المصطفى فودادهم … على الناس مفروض بحكم واسجال

وقال آخر: هم القوم من أصفاهم الود مخلصا … تمسك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا … محاسنهم تجلى وآثارهم تروى
موالاتهم فرض وحبهمو هدى … وطاعتهم ود وودهمو تقوى

وللشافعي رضي الله عنه:

آل النبي ذريعتي … وهمو إليه وسيلتي … أرجو بهم أعطى غدا … بيدى اليمين صحيفتي

(وحكى) أن بعض الوعاظ أطنب في مدح آل البيت الشريف وذكر فضائلهم حتى كادت الشمس أن تغرب فالتفت إلى الشمس وقال مخاطبا لها:

لاتغربي ياشمس حتى ينقضي … مدحي لآل محمد ولنسله
واثني عنانك إن أردتي ثناءهم … أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن … هذا الوقوف لفرعه ولنجله

فطلعت الشمس وحصل في ذلك المجلس أنس كثير وسرور عظيم انتهى من درر الأصداف وما أحسن ماقاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله:

حب آل النبي خالط عظمي … وجرى في مفاصلي فاعذروني
أنا والله مغرم بهواهم … عللوني بذكرهم عللوني

وما أحسن قول ابن الوردي ناظم البهجة:

ياأهل بيت النبي من بذلت … في حبكم روحه فما غبنا
من جاءكم يطلب الحديث له … قولوا لنا البيت والحديث لنا

قال الشيخ الشعراني وما أحسن ما أورده الشيخ الأكبر في الفتوحات:

فلا تعدل بأهل البيت خلقا … فأهل البيت هم أهل السياده
فبغضهم من الإنسان خسر … حقيق وحبهم عباده

وفي المنن ومما من الله به على محبتي للشرفاء وأهل البيت ولو من قبل الأم فقط ولو كانوا على غير قدم الاستقامة لأنهم بيقين يحبون الله ورسوله ﷺ ومن أحب الله ورسوله لايجوز بغضه ولا سبه بقرينة أنه ﷺ كان يحد نعيمان كلما شرب الخمر وأتوابه إليه مرة فحده فصار بعض الناس يلعنه فقال ﷺ لاتلعنوا نعيمان فإنه يحب الله ورسوله فعلم أنه لايلزم من إقامة الحدود على الشرفا أننا نبغضهم بل إقامتنا الحدود عليهم إنما هو محبة فيهم وتطهير لهم وقد قال ﷺ «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وقال في ماعز لما رجمه «لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم» أي قبلت منهم وأحبهم الله تعالى كما قال تعالى إن الله يحب التوابين (وقال الشيخ) محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى الذي أقول به أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لافي الحقيقة لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم

وأهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى
فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان إني رافضي
قال البيهقي إنما قال الشافعي ذلك من نسبة الخوارج له إلى الرافضة حسدا وبغيا ولبعضهم:
هم القوم من أصفاهم الود مخلصا
تمسك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا
محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى
وطاعتهم ود وودهم تقوى
فالزم ياأخي محبتهم ومودتهم واحذر عداوتهم وأن تقع فيهم بشيء مخافة أن تقع فيما تقدم من الوعيد (واعلم) أن المحبة المعتبرة الممدوحة هي ماكانت مع اتباع سنة المحبوب إذ مجرد محبتهم من غير اتباع لسنتهم كما تزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا تفيد مدعيها شيئا من الخير

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولا رجس أرجس من الذنوب قال وجميع مايقع منهم من الأذى لنا يجب علينا فى الأدب معهم أن نجعله شبيها بالمقادير الالهية من الأمراض ونحوها فيجب علينا الرضا به أو الصبر عليه وإن أخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لاينبغى لنا حبس أحد منهم ولا رفعه إلى حاكم لأنه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وكان الإمام أبو بكر الصديق) رضى الله عنه يقول ارقبوا محمدا فى أهل بيته وكان يقول والذى نفسى بيده لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلى من قرابتى، وأتى عبدالله بن الحسن مرة إلى عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال إذا كانت لك حاجة فأرسل إلىّ أحضر أوا كتب لى ورقة فإنى أستحيي من الله أن يراك على بابى ، وصلى زيد بن ثابت على جنازة فلما ركب أخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنه ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ودخلت) بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبدالعزيز يوما فأجلسها فى مجلسه وجلس هو بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها هذا فعله رضى الله عنه مع بنت مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظنك مع أولاده وذريته ؟ (وبلغ) معاوية رضى الله عنه أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا دخل عليه كابس يقوم عن سريره ويتلقاه ويقبله بين عينيه (وكان) الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لوكان لى مدخل فى العصبة مع قتلة الحسين بن على وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياءا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقع بصره على فى الجنة (ولما ضرب) جعفر بن سليمان الإمام مالكا رضى الله عنه غشى على مالك فدخل عليه الناس فلما أفاق قال لهم أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل فقيل لم؟ فقال خفت أن أموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحى أن يدخل أحد من آله النار بسببى فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه فقال الإمام مالك رضى الله عنه أعوذ بالله والله ماارتفع منها سوط عن جسمى إلا وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان أبو بكر بن عياش) رضى الله عنهما يقول لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى فى حاجة لبدأت بحاجة على لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أقدمه عليهما فى الفضل وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها (ولما قدمت حليمة) مرضعته ﷺ على أبى بكر وعمر بسطا لها ثوبيهما وفى رواية أرديتهما (قال) وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من حق الشريف علينا أن نفديه بأرواحنا لسريان لحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودمه الكريمين فيه فهو بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبعض فى الاجلال والتعظيم والتوقير ماللكل وحرمة جزئه صلى الله عليه وسلم كحرمة جزئه حيا على حد سواء (قال بعض العلماء) ومن حقوق الشرفاء علينا وإن بعدوا فى النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم ولا نجلس فوق سرير وهم على الأرض انتهى (وكان) سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه إذا جلس إليه شريف يظهر له الخشوع والانكماش بين يديه ويقول إنه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول من آذى شريفا فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول يتأكد على كل صاحب مال إذا رأى شريفا عليه دين أن يفديه بماله لأنه جزء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لاينبغى لمن يؤمن بالله ويحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوقف عن تعظيم الشريف والإحسان إليه

بل تكون عليه وبالا وعذابا فى الدنيا والآخرة على أن هذه ليست محبة فى الحقيقة ، إذ حقيقة المحبة الميل إلى المحبوب وإيثار محبوباته ومرضياته على محبوبات النفس ومرضياتها والتأدب بأخلاقه وآدابه ومن ثم قال على كرم الله وجهه لا يجتمع حب وبغض أبى بكر وعمر أى لأنهما ضدان وهما لايجتمعان وأخرج الدارقطنى مرفوعا «ياأبا الحسن أما أنت وشيعتك فى الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون» . قال الدارقطنى ولهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة. [تنبيه] علم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صرح البيهقى والبغوى بل نص عليه الشافعى فيما حكى عنه من قوله :

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم
من لم يصل عليكم لاصلاة له

أى كاملة أو صحيحة على

حتى يعرف صحة نسبه بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف وذلك أوجه للمؤمن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انا عظمناه ووقرناه من غير توقف على صحة النسب (وكان الإمام مالك) رضى الله عنه يقول من ادعى الشرف كاذبا يضرب ضربا وجيعا ثم يشهر ويحبس طويلا حتى يظهر لنا توبته لأن ذلك استخفاف منه بحقه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان يعظم من طعن فى نسبه ويقول لعله شريف فى نفس الأمر (قال بعض العلماء) ولا ينبغى تعظيم الشريف إذا تعاطى المحرمات وخالفه معظم العلماء وقالوا تعظيم الشريف مطلوب بالإثم فيه ولو زنى وعمل عمل قوم لوط وشرب الخمر وسحر وأكل الربا وسرق وكذب وأكل أموال اليتامى وقذف المحصنات وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ولاسيما إن كانت هذه الأمور لم تثبت عنه على يد حاكم شرعى وإنما أشاعها عنه بعض الحسدة كما هو الغالب فى الناس اليوم فقل من يثبت عنه شئ مما يوجب الحد لاستتار بعض هذه المعاصى عن الناس بفعلها فى بيوتهم وهى مقفلة عليهم (قال الشعرانى) قلت ولم أر من تخلق من أقرانى بهذا الخلق إلا قليلا بل رأيت بعضهم يستخدم الشريف المستور ويحمله غاشية سرجه وسجادته ويمشيه خلف بغلته وهذا من أدل دليل على شدة جهله بالأدب مع الله ورسوله، فكيف يدعى التقرب من حضرة الله وأنه يدعو الناس إليها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. قال وقد تقدم أن إقامة الحدود على الشرفاء لاتنافى تعظيمهم وتوقيرهم فنعظمهم من حيث كونهم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقيم عليهم الحد الذى شرعه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم يخص به أحدا دون أحد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها والله أعلم (قال) وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اصطنعوا الأيادى مع الأشراف لمكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانووا بذلك الهدية والمودة للقربى دون الزكاة فإن لهم فى أعناقنا عبودية لا يمكننا أن نقوم ببعضها زيادة على ما لجدهم صلى الله عليه وسلم من الحق علينا انتهى (قال) وقد تقدم فى هذه المنن أن من الأدب أن لا يتزوج أحدنا شريفة إلا إن عرف من نفسه أن يكون تحت حكمها وإشارتها ويقدم لها نعلها ويقوم لها إذا وردت عليه ولا يتزوج عليها ولا يقتر عليها فى المعيشة إلا إن اختارت ذلك ولا ينظر إليها إذا كانت أجنبية وهى فى الإزار ولا ينظر لوجهها إذا ابتاعت منه شيئا ولا ينظر إلى رجلها إذا كان بائع الخفاف ولا تسأله شيئا ويمنعه عنها إلا بطريق شرعى فى جميع الأمور السابقة واللاحقة ونحوها ولا يمر عليها وهى جالسة على الطرقات تسأل شيئا يقدر عليه فلا يعطيها ونحو ذلك فاعلم ياأخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك انتهى (وفى المنن) أيضا ما نصه ومما من الله به على عدم دعائى على شريف إذا ظلمنى فضلا عن كونى أشكوه من بيوت الحكام وإذا تخاصم الشرفاء مع بعضهم بعضا لا أنتصر لأحد منهم دون الآخر بل أطلب الصلح بينهم لا غير وكثيرا ما أتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول يارسول الله خاطرك على أولادك يصلح الله بينهم وقد بلغنى أن بعض المشايخ توجه إلى الله تعالى فى قتل الشريف أبى نمى سلطان مكة لأجل ولاية أولاد أعمامه بعده فقلت ياسبحان الله لابد للمتوجه إلى الله تعالى من واسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقول يارسول الله اقتل ولدك فلانا لأجل ولدك فلان انتهى (غريبة) نقل الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المالكى فى كتابه مشارق الأنوار أن رجلا من المغرب عزم على التوجه إلى الحج فأعطاه آخر مائة دينار وقال تعطها بالمدينة لرجل شريف صحيح النسب فلما وصل سأل عن الأشراف فقالوا له إنهم من الشيعة يسبون الشيخين فكره الإعطاء فجلس بجنبه رجل بالمدينة

فقال

قول مرجوح للشافعى. (وقد ورد فى فضل قريش مطلقا أحاديث) منها ما أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الناس تبع لقريش فى الخير والشر». ومنها ما أخرجه الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من يرد هوان قريش أهانه الله». ومنها ما أخرجه البخارى فى الأدب والحاكم والبيهقى عن أم هانئ أنه صلى الله عليه وسلم قال «فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطها أحدا بعدهم فضل الله قريشا بأنى منهم وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم الله على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وأنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحدا غيرهم لإيلاف قريش». وفى رواية للطبرانى إسقاط أنى منهم وذكر أن الخلافة فيهم وروى الشيخان عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال «الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم، وإن الناس معادن خيارهم فى الجاهلية

فقال له أأنت شريف ؟ فقال نعم قال له ماعقيدتك ؟ قال شيعي فكره الإعطاء له قال فنمت تلك الليلة فرأيت أن القيامة قامت والناس يجوزون على الصراط فأردت الجواز فمنعتني فاطمة رضي الله عنها فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت له فقال لها لم منعتيه ؟ فقالت قطع رزق ابني فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه مامنعه إلا من كونه يسب الشيخين قال فالتفتت فاطمة رضي الله عنها إلى الشيخين وقالت لهما أتؤاخذان ولدي بذلك فقالا لا بل سامحناه فالتفتت إليّ وقالت ماالذي أدخلك بين ولدي وبين الشيخين؟ فانتبهت فزعا فأخذت المبلغ وجئت به إلى ذلك الشريف ودفعته إليه فتعجب من ذلك فقصصت عليه الرؤيا فقال أشهدك على أني لا أسبهما [فائدة] تحرم الصدقة عليهم لكونها أوساخ الناس ولتعويضهم خمس الخمس من الفيء الغنم والغنيمة وقصر مالك وأبو حنيفة تحريمها على بني هاشم وقال الشافعي وأحمد بتحريمها على بني هاشم وبني المطلب وروى عن أبي حنيفة جوازها لبني هاشم مطلقا وقال أبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل وهو رواية عن مالك وروى عنه حل أخذ الفرض دون التطوّع لأن الذل فيه أكثر ذكره الأجهوري في مشارق الأنوار .

﴿فصل : في ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ﴾ ولد الحسن رضي الله عنه في منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو أول أولاد علي وفاطمة رضي الله عنهما روى مرفوعا إلى علي أبيه رضي الله عنهما قال «لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخا فأذنا في أذنه اليمين وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لايفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ولا تحدثا شيئا حتى آتيكما فلما ولدت فعلنا ذلك وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره ولبأه بريقه وقال اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم فلما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسميتموه قال حربا قال بل سموه حسنا» (عن أسماء) بنت عميس قالت قبلت فاطمة بالحسن فلم أر لها دما فقلت يارسول الله إني لم أر لفاطمة دما في حيض ولا نفاس فقال لها عليه السلام أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لايرى لها دم في طمث ولا ولادة ، خرجه الإمام علي بن موسى الرضا وعق عنه صلى الله عليه وسلم فعن علي رضي الله عنه عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن وقال يافاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة فوزناه فكان وزنه درهما أو بعض درهم خرجه الترمذي (وعن أسماء) بنت عميس قالت عق النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين وأعطى القابلة الفخذ وحلق رأسه وتصدق بزنة الشعر ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق (وختنه صلى الله عليه وسلم) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وأرضعته أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب بلبن ابنها قثم فمن قابوس أن أم الفضل قالت يارسول الله رأيت كأن عضوا من أعضائك في بيتي فقال خيرا رأيته تلد فاطمة غلاما فترضعيه بلبن قثم فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم خرجه الدولابي والبغوي في معجمه فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره فبال فضربت كتفه فقال عليه الصلاة والسلام أوجعت ابني رحمك الله وفي الصفوة عن علي قال الحسن أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم مابين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لا أزال أحب هذا الرجل يعني الحسن بن علي بعد مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع به مايصنع

خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» وفي رواية «ياأيها الناس لا تذموا قريشا فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فإنها أعلم منكم ، لولا أن تبطر قريش لأعلمتها بالذي لها عند الله عز وجل» .

﴿فصل : في بيان مزاياهم التي اختصوا بها رضي الله تعالى عنهم﴾

فمنها تحريم الصدقة عليهم لكونها أوساخ الناس وتعويضهم خمس الخمس من الفيء والغنيمة وقصر مالك وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهما تحريمها على بني هاشم وقال الشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهما بتحريمها على بني هاشم وبني المطلب . وروى عن أبي حنيفة جوازها لبني هاشم مطلقا وقال أبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل وهو رواية عن مالك وروى عنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذل فيه أكثر ومنها الاصطلاح على إطلاق الأشراف عليهم دون غيرهم قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في رسالته الزينبية اسم

قال رأيت الحسن فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدخل أصابعه فى لحية النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليــه وسلم يدخل لسانه فى فيه ثم يقول اللهم إنى أحبه كذافى ذخائر العقبى.

﴿ صفة الحسن رضى الله عنه ﴾ كان أبيض مشربا بحمرة أدعج العينين سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة عظيم الكراديس بعيد مابين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير من أحسن الناس وجها وكان يخضب بالسواد وكان جعد الشعر حسن البدن ذكره الدولابى وغيره عن محمد بن على قال الحسن إنى لأستحى من ربى عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه ؛ وعن على بن زيد قال حج الحسن خمس عشرة حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد معه (وفى حياة الحيوان) وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات حتى إنه ليعطى نعلا ويمسك أخرى (وكنيته) أبو محمد ؛ وأما ألقابه فكثيرة وهى التقى والزكى والسيد والسبط والولى وأكثرها شهرة التقى وأعلاها رتبة مالقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح «إن ابنى هذا سيد» روى البخارى فى صحيحه عن عقبة بن الحرث قال صلى أبوبكر رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى ومعه على رضى الله عنهما فرأى الحسن رضى الله عنه يلعب مع الصبيان فحمله أبوبكر رضى الله عنه على عاتقه وقال : بأبى شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم . ليس شبيها بعلى . قال وعلى رضى الله عنه يتبسم وقد ورد فى فضله رضى الله عنه أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم مرفوعا إلى البراء رضى الله عنه قال «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه وهو يقول اللهم إنى أحبه فأحبه» وروى الترمذى مرفوعا إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن على رضى الله عنهما فقال رجل نعم المركب ركبت ياغلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو وروى عن الحافظ أبى نعيم فيما أورده فى حديثه عن أبى بكر رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يصلى بنا فيجىء الحسن رضى الله عنه وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبي صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا فلما فرغ من الصلاة قالوا يارسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئا مارأيناك تصنعه بأحد فقال إن هذا ريحانتى وإن ابنى هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وروى الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» [تنبيه] سئل الشيخ الزاهد محيى الدين النواوى عن قوله صلى الله عليه وسلم «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» مامعناه فأجاب بجواب منه معنى الحديث أن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شابا ودخل الجنة وكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين ولا يلزم كون السيد فى سن من يسودهم كذا فى تتمة المختصر (وعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هما ريحانتاى من الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال نعم المطية مطيتها ونعم الراكبان هما [فائدة] ليس ثم خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على ومحمد ابن زبيدة [حكايتان : الأولى] كان الحسن رضى الله عنه يجلس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجتمع الناس حوله فجاء رجل فوجد شخصا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل فقال أخبرنى عن شاهد ومشــهود فقال نعم أما الشاهد فيوم الجمعــة وأما المشهود فيوم عرفة فتجاوزه إلى آخر يحدث فى المسجد فسأله عن شاهد ومشهود كذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما

المشهود

الشريف يطلق فى الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت ســواء كان حسنيا أم حسينيا أم علويا من ذرية محمــد بن الحنفية أوغيره من أولاد على بن أبى طالب أم جعفريا أم عقيليا أم عباسيا ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبى مشحونا فى التراجم بذلك يقول الشريف العباسى الشريف العقيلى الشريف الجعفرى الشريف الزينبى فلما ولى الخلافة الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط واستمر ذلك بمصر إلى الآن . وقال الحافظ ابن حجــر فى كتاب الألقاب الشريف ببغداد لقب لكل عباسى وبمصر لقب لــكل علوى اه . ولاشك أن المصطلح القديم أولى وهو إطلاقه على كل علوى وجعفرى وعقيلى وعباسى كما صنعه الذهبى وكما أشار إليه المــاوردى من أصحابنا والقاضى أبو يعلى الفــراء من الحنابلة كلاهما فى الأحكام السلطانية ونحــوه قول ابن مالك فى الألفية :

وآله المستكملين الشرفا

وقد يقال على اصطلاح أهل مصر الشرف أنواع عام لجميع أهل البيت وخاص بالذرية فيدخل فيه الزينبيون

المشهود فيوم النحر ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن شاهد ومشهود أيضاً فقال الشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة أما سمعته عز وجل يقول يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسأل عن الأول فقالوا ابن عباس رضى الله عنهما وسأل عن الثانى فقالوا ابن عمر رضى الله عنهما وسأل عن الثالث فقالوا الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما رواها الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى فى تفسير الوسيط [الثانية] اغتسل الحسن رضى الله عنه وخرج من داره فى بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له فى طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود قد أنهكته العلة وركبته القلة والذلة وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه فاستوقف الحسن رضى الله عنه وقال يابن رسول الله سؤال قال ماهو؟ قال جدك يقول «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأنت مؤمن وأنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها وما أراها إلا سجنا علىّ قد أهلكنى ضرها وأجهدنى فقرها فلما سمع الحسن كلامه قال له ياهذا لو نظرت إلى ما أعد الله لى فى الآخرة لعلمت أنى فى هذه الحالة بالنسبة إلى تلك فى سجن ولو نظرت إلى ما أعد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة انتهى من الفصول المهمة [فائدة] روى عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

﴿فصل : فى ذكر طرف من أخباره ومصالحته لمعاوية ومايتصل بذلك﴾ قال أصحاب السير لما استشهد على رضى الله عنه عمد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبايعوه ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية وسار معاوية بجيش الشام لقصده فلما تقارب الجيشان وتراآى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فرأى أن المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال فكتب إلى معاوية يراسله ويخبره بأنه يصير الأمر إليه وينزل عنه على أن يشترط عليه أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان فى أيام أبيه وأن يكون ولى العهد من بعده وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ففرح معاوية رضى الله عنه وأجاب إلى ذلك إلا أنه قال إلا عشرة أنفس لاأومنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه معاوية إنى قد آليت أنى متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده فراجعه الحسن إنى لا أبايعك أبدا وأنت تطلب قيسا وغيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له اكتب ماشئت فيه فأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة واشترط أن يكون له الأمر بعده فالتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية ببيت المقدس تورعا وقطعا للشر فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة وارتحل الحسن إلى المدينة وأقام بها (وكان) نزوله عنها سنة إحدى وأربعين فى ربيع الأول وقيل فى جمادى الأولى وقيل غير ذلك وذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم فى حق الحسن «إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخارى ولكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوّضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء فى كل زمان لايكون إلا من أهل البيت ، ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون ياعار المؤمنين فيقول العار خير من النار [موعظة] من مواعظ الحسن رضى

وجميع أولاد بناته وأخص منه وهو شرف النسبة وهذا مختص بذرية الحسن والحسين اهـ . وسيأتى عند ذكر السيدة زينب الكلام على العلامة الخضراء إن شاء الله تعالى ومنها أنه يطلب إكرامهم وتوقيرهم وإيثارهم والتجاوز عن مساويهم واعتقاد أن فاسقهم سيهديه الله تعالى كل ذلك لأجل قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دل على بعض ذلك ماتقدم من الأخبار وعلى بعضه قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «يابنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وأن يهدى ضالكم وأن يعلم جاهلكم » الحديث رواه الحاكم وصححه وفى خبر حسن «ألا إن عيبتى وكرشى أهل بيتى والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » أى فى غير الحدود وحقوق الآدميين والمراد بكونهم عيبته وكرشه أنهم موضع سره ومعدن معارفه تشبيها بالعيبة التى هى اسم لما يحوز نفيس الأمتعة والكرش الذى هو اسم لمستقر الغذاء الذى به النمو وقيام البنية ، وأخرج

الله عنه كان رضى الله عنه يقول: ياابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وصاحب الناس بمثل ماتحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلا؛ إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويأملون بعيدا أصبح جمعهم بورا وعملهم غرورا ومساكنهم قبورا . ياابن آدم إنك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك فجد بما فى يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزوّد والكافر يتمتع وكان يتلو هذه الآية بعدها « وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى » كذا فى الفصول المهمة .

﴿ فصل: فى ذكر نبذة من كلامه ﴾ نقل الحافظ أبو نعيم فى حليته بسنده أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه سأل ابنه الحسن رضى الله عنه فقال يابنى ماالسداد ؟ فقال يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف قال فما الشرف؟ قال اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة قال فما السماح ؟ قال البذل فى العسر واليسر قال فما اللؤم؟ قال إحراز المرء ماله وبذله عرضه قال فما الجبن ؟ قال الجراءة على الصديق والنكول عن العدوّ قال فما الغنى ؟ قال رضا النفس بماقسم الله لها وإن قل قال فما الحلم؟ قال كظم الغيظ وملك النفس قال فما المنعة؟ قال شدة البأس ومنازعة أعز الناس قال فما الذل؟ قال الفزع عند الصدمة قال فما الكلفة؟ قال كلامك فيما لايعنيك قال فما المجد؟ قال أن تعطى فى الغرم وتعفو فى الجرم قال فما السودد ؟ قال إتيان الجميل وترك القبيح قال فما السفه ؟ قال اتباع الدناءة وصحبة الغواة قال فما الغفلة؟ قال ترك المسجد وطاعة المفسد (ومن كلامه رضى الله عنه) لاأدب لمن لاعقل له ، ولامودة لمن لاهمة له، ولا حياء لمن لادين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الداران جميعا ومن حرم العقل حرمهما جميعا (وقال) رضى الله عنه: هلاك الناس فى ثلاث: فى الكبر والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس ، والحرص عدوّ النفس وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل (وقال) رضى الله عنه : دخلت على علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك فقال لى أتجزع ؟ فقلت وكيف لاأجزع وأنا أراك على هذه الحالة فقال : يابنى احفظ عنى خصالا أربعا إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة ، يابنى لاغنى أكثر من العقل ، ولافقر مثل الجهل ، ولاوحشة أشد من العجب ، ولاعيش ألذ من حسن الخلق ؛ واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الإعطاء ، وتمام الصنيعة خير من ابتدائها (وقال) رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم وقال: من بدأ الكلام قبل السلام فلا تجيبوه ، وسئل عن الصمت فقال : هو ستر العى وزين العرض وفاعله فى راحة وجليسه فى أمن (وقيل) له إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة فقال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له (وكان) يقول لبنيه وبنى أخيه تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم (ورأى) عيسى ابن مريم عليه السلام فقال له أريد أن أتخذ خاتما فما أكتب عليه قال اكتب عليه لاإله إلا الله الملك الحق المبين فإنه آخر الإنجيل ؛ ومن كلامه المنظوم كما ذكره العلامة عبدالقادر الطبرى المالكى فى شرح الدرية :

اغن عن المخلوق بالخالق ... تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله ... ليس غير الله بالرازق
من ظن أن الناس يغنونه ... فليس بالرحمن بالواثق
من ظن أن الرزق كسبه ... زلت به النعلان من حالق

(كرامة) تغوّط رجل على قبره رضى الله عنه فجن وجعل ينبح كما ينبح الكلب ثم مات فسمع

الدارقطنى أن الحسن جاء إلى أبى بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال انزل عن مجلس أبى فقال صدقت إنه مجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه فى حجره وبكى فقال علىّ أما والله ماكان عن رأيى فقال أبو بكر صدقت والله مااتهمتك، ووقع نحو ذلك للحسين مع عمر فانظر ياأخى عظم محبة الصديق وكمال توقيره لآل البيت وعدم تكدره مما قاله الحسن رضى الله عنهما وقد صرح العلماء بأنه ينبغى إكرام سكان بلده ﷺ وإن تحقق منهم ابتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره ﷺ فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه ولو كان بينهم وبينه وسائط .وقد روى فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا أن الأب الذى حفظا من أجله كرامة له كان سابعا أو تاسعا . وعن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب قال أتيت عمر ابن عبد العزيز فى حاجة لى فقال لى إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها فإنى أستحى من الله أن يراك على بابى . وحكى عن بعضهم قال كنت أبغض أشراف المدينة بنى حسين لتظاهرهم بالرفض

يعوى فى قبره أخرجه أبو نعيم عن الأعمش (وكان رضى الله عنه كريما) فمن كرمه مانقل عنه أنه سمع رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه . ومنه أن رجلا سأله وشكا إليه حاله فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها فقال له هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم ثم قال مافعلت بالخمسمائة دينار التى معك قال عندى قال فأحضرها فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعتذر منه (ومنه) مارواه أبو الحسن المدائنى قال : خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضى الله عنهم حجاجا فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب ؟ فقالت نعم فأناخوا بها وليس عندها إلاشويهة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك فقالوا هل من طعام قالت هذه الشويهة ماعندى غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ماذبحها أحدكم حتى أهيء لكم الحطب فاشووها وكلوها ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى أبردوا فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها ياهذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيرا إن شاء الله تعالى ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال ويحك تذبحين شاتنالقوم لانعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها يلتقطان البعر فمرت العجوز فى بعض سكك المدينة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر والحسن رضى الله عنه جالس على باب داره فنظر إليها فعرفها فناداها وقال لها ياأمة الله هل تعرفيني؟ فقالت لا فقال أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا فى المنزل الفلانى فقالت بأبى أنت وأمى لست أعرفك قال فإن لم تعرفينى فأنا أعرفك فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضى الله عنه فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال بكم وصلها أخى الحسن فأخبره بذلك فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها مع الغلام إلى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال والله لو بدأت بى لأتعبتهما وأمر لها بألفى شاة وألفى دينار فرجعت وهى من أغنى الناس . وعن الحسن بن سعد عن أبيه قال متع الحسن رضى الله عنه امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفا وزقين من عسل فقالت إحداهما وأراها الحنفية متاع قليل من حبيب مفارق انتهى من الفصول المهمة (وأخرج) ابن سعد عن على أنه قال يا أهل الكوفة لاتزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان لنزوجنه فما رضى أمسك وما كره طلق وكان لايفارق امرأة إلا وهى تحبه وأحصن تسعين امرأة [تنبيهان : الأول] قيل للحسن رضى الله عنه لأى شيء نراك لاترد سائلا وإن كنت على فاقة ؟ فقال إنى لله سائل وفيه راغب وأنا أستحى أن أكون سائلا وأرد سائلا ، وإن الله تعالى عودنى عادة عودنى أن يفيض نعمه على وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعنى العادة وأنشأ يقول :

إذا ماأتانى سائل قلت مرحبا ... بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل ... وأفضل أيام الفتى حين يسأل

(الثانى) كان يوما جالسا فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئا من الصدقة ولم يكن عنده مايسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر فقال ماذا تدلنى عليه فقال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وماسمع من أحد تعزية فعزه بهذه التعزية يحصل

فرأيت النبى ﷺ فى المنام تجاه القبر الشريف فقال يافلان باسمى مالى أراك تبغض أولادى فقلت حاشا لله ماأكرمهم وإنما كرهت مارأيت من تعصبهم على أهل السنة فقال فى مسئلة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ فقلت بلى يارسول الله فقال هذا ولد عاق فلما انتبهت صرت لاألاقى من بنى حسين أحدا إلا بالغت فى إكرامه فينبغى أن الفاسق من أهل البيت وإن كان يبغض من حيث فعله يحب ويحترم من حيث قرابته منه ﷺ ؛ وجاء فى بعض الطرق تحريمهم على النار . واعلم أن مقتضى الاحتياط أن تحب وتحترم المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم من حيث قرابته منه وإن طعن فى نسبه كما قاله الشعرانى وغيره لاحتمال بطلان الطعن وصحة النسب فى الواقع بل محبته واحترامه من حيث قرابته أبلغ فى رعاية جانبه عليه الصلاة والسلام من محبة واحترام من لاطعن فى نسبه فافهمه . ومنها انتفاعهم بنسبهم له ﷺ وانتفاع من صاهرهم بمصاهرتهم يوم القيامة إذ مصاهرتهم

لك بها الخير فقال حفظنى اياها قال قل له الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك فذهب الى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة وقال بالله عليك أكلامك هذا؟ قال لا بل كلام فلان قال صدقت فانه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى كذا فى الكنز المدفون ﴿فائدة﴾ عن الحسن رضى الله عنه كان عطاؤه رضى الله عنه مائة ألف فحبسها عنه معاوية فى بعض السنين فحصل له ضيق شديد قال الحسن رضى الله عنه فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى ثم أمسكت فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال كيف أنت ياحسن؟ فقلت بخير ياأبت وشكوت اليه تأخر المال عنى قال أدعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره؟ فقلت نعم يارسول الله فكيف أصنع؟ قال قل: اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لاأرجو أحدا غيرك، اللهم ما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسئلتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا أرحم الراحمين قال فوالله ما ألححت به أسبوعا حتى بعث الىّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه فرأيت النبى ﷺ فقال يا حسن كيف أنت؟ فقلت بخير يارسول الله وحدثته بحديثى فقال يابنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق أوردها الأجهورى فى مشارق الأنوار (ومرويانه) من الأحاديث ثلاثة عشر حديثا كذا فى المسامرات (وكاتبه) عبد الله بن أبى رافع رضى الله تعالى عنه ﴿تتمة﴾ فى مرض موته ووفاته وأولاده قال أبو على الفضل ابن الحسن الطبرى فى كتابه اعلام الورى: بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية وخرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشر سنين وسقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى السم فبقى مريضا أربعين يوما وكان قد سألها يزيد فى ذلك وبذل لها مائة ألف درهم وأن يتزوجها بعد الحسن ففعلت، ولما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا قال الحافظ أبو نعيم فى حليته لما اشتد الأمر بالحسن قال أخرجوا فراشى إلى صحن الدار لعلى أتفكر فى ملكوت السموات يعنى الآيات فلما خرجوا به قال اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانها أعز الأنفس على وعن عمرو بن إسحق قال دخلت على الحسن أنا ورجل نعوده فقال يافلان سلنى فقال له والله لاأسألك حتى يعافيك الله وأسألك قال لقد ألقيت طائفة من كبدى وانى سقيت السم مرارا فلم أسقه مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين رضى الله تعالى عنه عند رأسه فقال له الحسين من تتهم يا أخى؟ قال لم لأن تقتله قال نعم قال إن يكن الذى أظنه فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لم يكن هو فما أحب أن يقتل بى برىء (وروى) أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين يا أخى قد حضرت وفاتى وحان فراقى لك وانى لاحق بربى وأجد كبدى تقطع وانى لعارف من أين ذهبت وأنا أخاصمه إلى الله تعالى ثم توفى لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين وقيل تسع وأربعين وقيل غير ذلك من الهجرة وصلى عليه سعيد بن العاص فانه كان واليا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد وكان عمره اذ ذاك سبعا وأربعين سنة وكانت مدة خلافته منها ستة أشهر وخمسة أيام [وأما أولاده] فقال ابن الخشاب أحد عشر ابنا وبنت واحدة وهم عبد الله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبدالله وعبد الرحمن وأحمد واسمعيل والحسين وعقيل والبنت اسمها فاطمة وكنيتها أم الحسن وهى أم محمد الباقر بن على (وقال) الشيخ أبو عبد الله محمد بن

مصاهرة له صلى الله عليه وسلم وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر «مابال أقوام يقولون إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنفع يوم القيامة بلى إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة وإنى أيها الناس فرط لكم على الحوض» وصح أن عمر ابن الخطاب خطب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة من أبيها على بن أبى طالب فاعتل بصغرها وبأنه حابسها لولد أخيه جعفر فألح عليه عمر ثم صعد المنبر فقال أيها الناس والله ما حملنى على الالحاح على علىّ فى ابنته إلا أنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى وصهرى» فأمر بها على فزينت وبعث بها إليه فلما رآها قام وأجلسها فى حجره فقبلها ودعا لها فلما قامت أخذ بساقها وقال لها قولى لأبيك قد رضيت فلما جاءت قال لها ماقال لك فذكرت له جميع ما فعله وما قاله فأنكحها إياه فولدت له زيدا مات رجلا قال ابن حجر وتقبيلها وضمها على وجه الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حدا يشتهى حتى يحرم ذلك ولولا صغرها

النعمان فى الإرشاد : أولاد الحسن بن على رضى الله عنهم خمسة عشر ولدا ما بين ذكر وأنثى وهم زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبى مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم وعبدالله أمهم أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدى عمهم الحسين بن على بطف كربلا وعبد الرحمن أمه أم ولد والحسين الملقب بالأثرم وأخوه طلحة وأختهما فاطمة أمهم أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبدلله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى . قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد .

﴿ تذييل فى الكلام على مناقب زيد والحسن ولدى الحسن رضى الله عنهم ﴾

(أما زيد) فانه كان يلى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جليل القدر كريم الطبع طيب النفس كثير البر ، وكان مسنا ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب بره ، وكان يلقب بالأبلج وهو جد السيدة نفيسة بنت السيد حسن الأنور . وذكر أصحاب السير أنه لما ولى سليمان بن عبدالملك كتب إلى عامله بالمدينة : أما بعد إذا جاءك كتابى هذا فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله ﷺ وادفعها الى رجل من قومه سماه فلما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب الى عامله بالمدينة أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بنى هاشم وذوسهم فإذا جاءك كتابى هذا فاردد اليه صدقات رسول الله ﷺ وأعنه على مااستعانك عليه وكانت الصدقة أولا بعد النبى صلى الله عليه وسلم بيد على والعباس قال معمر فغلب عليها على فكانت بيده ثم بيد ابنه الحسن ثم الحسين ثم على ابنه ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم عبد الله بن الحسن ثم وليها بنو العباس انتهى، وفى زيد بن الحسن يقول محمد بن بشر الخارجى :

وزيد ربيع الناس فى كل شتوة ... اذا اختلفت أبراقها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنه ... سراج الدجى قد قارنتها سعودها

مات زيد رضى الله عنه سنة عشرين ومائة وله تسعون سنة ورثاه جماعة من الشعراء ، فمن رثاه قدامة بن موسى الجمحى بقوله :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه ... فقد كان معروف هناك وجود

وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى ... به وهو محمود الفعال حميد

سريع الى المضطر يعلم أنه ... سيطلبه المعروف ثم يعود

وليس بقوّال وقد حط رحله ... لملتمس يرجوه أين تريد

اذا قصر الوغد الدنى سماه ... الى المجد آباء له وجدود

اذا مات منهم سيد قام سيد ... كريم فيبنى مجدهم ويشيد

قال صاحب الفصول : مات زيد ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع من الشيعة ولا من غيرهم قال وذلك لأن الشيعة رجلان أمامى وزيدى فالأمامى يعتمد فى الإمامة النصوص وهى معدومة فى ولد الحسن باتفاق ولم يدع ذلك أحد منهم لنفسه فيقع فيه الارتياب والزيدى يراعى فى الإمامة بعد على والحسن والحسين الدعوة والاجتهاد وزيد بن الحسن هذا كان مسالما لبنى أمية ومتقلد الأعمال من قبلهم وكان رأيه التبعية لأعدائه والتأليف لهم والمداراة وهذا أيضا عند الزيدية خارج عن علامات الامامة وزيد خارج عنها بكل انتهى (وأما) الحسن بن الحسن الملقب بالمثنى فكان جليلا مهيبا فاضلا رئيسا ورعا زاهدا وكان يلى صدقات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

ما بعث بها أبوها الملك قال ابن الصباغ وكان ذلك فى سنة سبع عشرة من الهجرة ودخل بها فى ذى القعدة من السنة المذكورة وكان صداقها أربعين ألف درهم . [تنبيه] لا ينافى مافى هذه الأحاديث من نفع الانتساب إليه صلى الله عليه وسلم ما فى أحاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية الله تعالى وطاعته وأن القرب إليه يوم القيامة إنما هو بالتقوى وأنه لا يغنى عنهم من الله شيئا كالحديث الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص وطلب منهم أن ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب يابنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها أى سأصلها بصلتها وكالحديث الذى رواه أبو الشيخ يابنى هاشم لا يأتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم وتأتون بالدنيا على ظهوركم لا أغنى عنكم من الله شيئا وكالحديث الذى رواه البخارى فى الأدب المفرد «إن أوليائى

عنه أنه ساير الحجاج يوما بالمدينة والحجاج اذ ذاك أمير بها فقال له الحجاج ياحسن أدخل معك عمك فى النظر على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك فقال الحسن لا أغير شرطا اشترطه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ولا أدخل فى صدقاته من لم يدخله فقال له الحجاج أنا أدخله معك قهرا فأمسك الحسن عنه ثم ماكان منه إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصدا عبد الملك بن مروان ،فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحي بن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال ما جاء بك فأخبره بخبره فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم ادخل أنت فتكلم واذكر قصتك فترى ماأفعل معك وأنصفك عنده إن شاء الله تعالى، فدخل يحي ودخل بعده الحسن فلما نظره عبد الملك رحب به وأحسن مسألته وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبد الملك قد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد فقال يحي وما يمنعه عن ذلك ياأمير المؤمنين شيبته أمانى أهل العراق يفد عليه الركب بعد الركب فى كل سنة يمنونه الخلافة فقال الحسن بئس والله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت ولكنا أهل البيت يسرع إلينا الشيب وعبد الملك يسمع كلامه فأقبل عبد الملك على الحسن وقال لاعليك هلم حاجتك يا أبا عبد الله فأخبره بقول الحجاج فقال عبدالملك ليس ذلك له وكتب له للحجاج كتابا يتهدده فيه ووصله بأحسن صلة وجهزه وهو راجع إلى المدينة وبعد أن خرج الحسن من عنده قصده يحي إلى منزله فقال كيف رأيت ما فعلت معك ؟ فقال والله إنى عاتب عليك فيما قلت فقال إنهما لك والله ماآلو بك نفعا ولا ادخرت عنك جهدا ولولا كلمتى هذه ماهابك ولا قضى لك حاجة فاعرف لى ذلك (وفى الفصول المهمة والأغانى) روى أن الحسن بن الحسن رضى الله عنهما خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة فقال اختر يابنى أحبهما إليك فاستحى الحسن ولم يرد جوابا فقال له عمه الحسين رضى الله عنه قد اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أكثر شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فزوجها منه وحضر الحسن بن الحسن مع عمه الحسين بطف كربلاء فلما قتل الحسين وأسر الباقون من أهله أسر الحسن فى جملتهم فجاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأسرى وقال والله لايوصل إلى ابن خولة أبدا (مات) الحسن بن الحسن سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد حى وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم بن محمد بن طلحة (وضربت زوجته) فاطمة بنت الحسين عمه على قبره فسطاطا وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحور العين لجمالها فلما كانت رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول:هل وجدواما فقدوا؟ فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا انتهى .وأعقب الحسن بن الحسن خمسة رجال عبد الله المحض وإبراهيم القمر والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وداود وجعفر وأمهما أم ولد تدعى حبيبة كذا فى بحر الأنساب .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ﴾ (ولد) الحسين رضى الله عنه بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة وهكذا صح النقل فى ذلك (وحنكه) ﷺ بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعق عنه بكبش وقال لأمه احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن (وكنيته) أبوعبد الله لاغير (وألقابه) الرشيد والطيب والزكى والوفى والسيد

والمبارك

يوم القيامة المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب لايأتى الناس بالأعمال وتأتون تحملونها على رقابكم فتقولون يامحمد فأقول هكذا وهكذا وأعرض فى كلا عطفيه» وكالحديث الذى أخرجه الطبرانى «إن أهل بيتى هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بى وليس كذلك إن أوليائى منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا» وكالحديث الذى أخرجه الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول «إن آل بنى فلان ليسوا بأوليائى إن وليى الله وصالحو المؤمنين» زاد البخارى «لكن لهم رحما سابلها ببلالها» ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبرى أنه صلى الله عليه وسلم لايملك لأحد شيئا لانفعا ولاضرا لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لايملك إلا ما يملكه له مولاه كما أشار إليه بقوله غير أن لكم رحما سابلها ببلالها وكذا معنى قوله لا أغنى عنكم من الله شيئا أى بمجرد نفسى من غير

والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط ؛ وأشهرها الزكي ؛ وأعلاها رتبة مالقبه ﷺ في قوله عنه وعن أخيه إنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «حسين سبط من الأسباط»(وكان) الحسين رضي الله عنه أشبه الخلق بالنبي ﷺ من سرته إلى كعبه (وشاعره) يحيى بن الحكم وجماعة غيره (وبوابه) أسعد الهجري (ونقش) خاتمه لكل أجل كتاب (ومعاصره) يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد (ومروياته) من الأحاديث ثمانية [وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه] . أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال«حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة» وفي لفظ «إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي» وروى خيثمة بن سليمان عن أبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد فقال أين لكع فجاء الحسين يمشي حتى سقط في حجره فجعل أصابعه في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم فمه أي الحسين فأدخل فاه في فيه ثم قال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أبي هريرة قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص لعاب الحسين كما يمص الرجل التمرة » . وروى عن جعفر الصادق بن محمد قال «اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيها حسن فقالت فاطمة يارسول الله تستنهض الكبير على الصغير فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يقول إيها حسين خذ الحسن» وعن زيد بن أبي زيادة قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكي فقال ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني» . وعن البراء بن عازب قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسين بن علي رضي الله عنهما على عاتقه وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه». وروى البخاري والترمذي يرفعه إلى ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأله رجل عن دم البعوضة فقال له ممن أنت ؟ فقال رجل من أهل العراق فقال انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت النبي صلى الله عليه يقول هما ريحانتاي من الدنيا . وروت أم الفضل بن العباس رضي الله عنهم قالت «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله رأيت البارحة حلما منكرا قال وما هو قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا رأيت تلد فاطمة غلاما يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين قالت فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ فدخلت به عليه فوضعته في حجره ثم حانت به مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمعان فقلت بأبي وأمي يارسول الله مايبكيك قال جاء جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا وأتاني بتربة من تربة حمراء » . وروى البغوي بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت « كان جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم والحسين معي فغفلت عنه فذهب الى النبي ﷺ فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله على فخذه فقال له جبريل عليه السلام أتحبه يامحمد قال نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت لأريتك تربة الأرض التي يقتل بها ثم بسط جناحه إلى الأرض وأراه أرضا يقال لها كربلاء تربة حمراء بطف العراق » .

[تنبيه] الطف بفتح الطاء المهملة المشددة وبالفاء المشددة موضع خارج الكوفة وجمعه طفوف وهو

مايكرمني به الله من نحو شفاعة أو مغفرة ، وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا في تقوى الله وخشيته، ثم أومأ إلى حق رحمه لإدخال نوع طمأنينة عليهم؛ وقيل هذا قبل علمه بنفع الانتساب إليه وبأنه يشفع في إدخال قوم الجنة بغير حساب ورفع درجات آخرين وإخراج آخرين من النار؛ نعم يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق أوليائي منكم المتقون وقوله إنما وليي الله وصالحو المؤمنين أن نفع رحمه وقرابته وإن لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم وولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب إليه بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عمن يقول له منهم في القيامة يامحمد كما في الحديث المتقدم وقد قال الحسين بن الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم : ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا ، ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول

ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق والجانب والشاطىء ؛ وفى مجمع البحرين الطف ساحل البحر وجانب البر ومنه الطف الذى استشهد فيه الحسين رضى الله عنه سمى به لأنه طرف البر ممايلى الفرات اه . وروى الحافظ عبد العزيز الجنابذى فى كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعا إلى الأصبع بن نباتة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال «أتينا مع على رضى الله عنه فى سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال على ههنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم ومهراق دمائهم فئة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون فى هذه العرصة تبكى عليهم السماء والأرض» .

﴿ فصل : فى خروجه إلى العراق واستشهاده رضى الله عنه ﴾ قال أبو عمرو لما مات معاوية فى غرة رجب سنة ستين وأفضت الخلافة إلى يزيد ووردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل إلى الحسين بن على والى عبد الله بن الزبير ليلا وأتى بهما فقال بايعا فقالا مثلنا لايبايع سرا ولكنا نبايع على رءوس الناس إذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة نقله ابن عبد البر . وفى الفصول المهمة ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم من البيعة وأن الحسين سار إلى مكة ونزل بها اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد بالكوفة وتذاكروا أمر الحسين وسيره إلى مكة وقالوا نكتب له كتابا يأتينا الكوفة فكتبوا له كتابا وأرسلوه مع القاصدين ، وصورته : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن على أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه رضى الله عنهما ، أما بعد فان الناس منتظروك لارأى لهم فى غيرك فالعجل العجل يا ابن رسول الله ﷺ لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ويؤيد الإسلام بك بعد أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته ، فكتب اليهم الحسين رضى الله عنه : أما بعد فقد وصلنى كتابكم وفهمت ما اقتضته آراؤكم وقد بعثت إليكم أخى وثقتى وابن عمى مسلم بن عقيل وسأقدم عليكم إثره إن شاء الله تعالى ، وأرسل مسلم بن عقيل اليهم صحبة قاصديهم فلما وصل اليهم مسلم ودخل الكوفة اجتمعت عليه الشيعة وأخذ عليهم البيعة للحسين رضى الله عنه فبلغ ذلك والى الكوفة يومئذ وهو النعمان بن بشير فكتب فيه إلى يزيد بن معاوية فجهز يزيد على الفور عبيد الله بن زياد إلى الكوفة ولما قرب منها عبيد الله بن زياد تنكر ودخلها ليلا وأوهم أنه الحسين ودخلها من جهة البادية فى زى أهل الحجاز فصار كلما اجتاز بجماعة قاموا له وهم يظنون أنه الحسين ويقولون مرحبا بابن رسول الله ﷺ قدمت خير مقدم وهو لا يكلمهم ولما رأى تباشرهم بالحسين ساءه ذلك وانكشفت له أحوالهم ثم انه قصد قصر الامارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان بن بشير وأصحابه أغلقوه عليهم وذلك لظن النعمان بن بشير أن ابن زياد هو الحسين فصاح عليهم عبيد الله بن زياد افتحوا الابارك الله فيكم ولا كثر من أمثالكم فعرفوا صوته وقالوا ابن مرجانة فنزلوا وفتحوا له فدخل القصر وبات فيه ولما أصبح جمع الناس فصال وجال وقال وأطال وقتل جماعة من أهل الكوفة وتحيل بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن عقيل فقبض عليه وقتله ولم يقم الحسين رضى الله عنه بعد مسير ابن عمه مسلم بمكة الا قليلا حتى تجهز للمسير فى أثره فخرج ومعه جميع أهله وولده وخاصته وحاشيته ومن يليه فأتاه عمر بن الحرث بن هشام المخزومى فقال له انى جئتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فان كنت ترى أنى ناصح قلتها لك وأديت ما يجب على من الحق فيها وان ظننت أنى غير ناصح كففت عما

الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا والله إنى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى « يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » كذا فى الصواعق ؛ وفى طبقات المناوى حكاية هذا الكلام عن الحسن السبط نفسه وزيادة أبيه وأمه بعد قوله من هو أقرب إليه منا فلعل القول تعدد . واعلم أنه لاينبغى لمنسوب إليه صلى الله عليه وسلم أن يتكل على ما ذكر لأنه إنما ثبت لمن هو فى الواقع متصل به عليه الصلاة والسلام ومن آل بيته ومن أين تحقق ذلك لقيام احتمال زلل بعض النساء وكذب بعض الأصول فى الانتساب وإن كانا خلاف الظاهر ، على أن المأثور عن أكابر آل البيت شدة خشيتهم من الله تعالى وعظم خوفهم من عذابه وكثرة تأسفهم على أدنى تقصير وقع منهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم . ومنها أن وجودهم أمان لأهل

أريد أن أقوله لك فقال قل ، فقال له قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك أن تأتي بلدا فيها عمال يزيد وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدرهم والدينار فلا آمن عليك من أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب اليه ممن يقاتلك معه له وذلك عند البذل وطمع الدنيا ، فقال له الحسين رضي الله عنه: جزاك الله خيراً من ناصح، لقد مشيت يا ابن عم بنصح وتكلمت بعقل ولم تنطق عن الهوى ولكن مهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أم تركت مع أنك عندي أحمد مشير وأعز ناصح ؟ ثم جاءه بعد ذلك عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وجماعة من ذوي الحكمة والتجربة والمعرفة بالأمور فقالوا له إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فهل عزمت على شيء من ذلك ؟ فقال نعم إني قد أجمعت على المسير في أحد يومي هذين إلى الكوفة أريد اللحوق بابن عمي مسلم إن شاء الله تعالى فقال ابن عباس ومن معه نعيذك بالله من ذلك أخبرنا أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم ضبطوا بلادهم نفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم وإن كانوا قد دعوك وأميرهم قائم لهم قاهر لهم يجبي بلادهم ويأخذ خراجهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك من أن يغروك ويكذبوك ويخذلوك ولم يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك ، فقال الحسين إني أستخير الله تعالى ثم أنظر ماذا يكون ، فخرج ابن عباس ومن معه؛ ثم إنه ورد على الحسين كتاب من المدينة من عبد الله بن جعفر مع ولديه عون ومحمد ومن سعيد بن العاص ومن جماعة من أهل المدينة وكل منهم يشير عليه بعدم التوجه إلى العراق ؛ هذا كله والقضاء غالب فلم يكترث بما قيل له ليقضي الله أمرا كان مفعولا؛ وجاءه ابن الزبير رضي الله عنهما فجلس عنده ساعة يتحدث ثم قال له أخبرني ماتريد أن تصنع بلغني أنك سائر إلى العراق ؟ فقال له الحسين نعم نفسي تحدثني بإتيان الكوفة وذلك أن جماعة من شيعتنا وأشراف الناس كتبوا إلي كتابا يستحثوني على المسير إليهم ويعدوني النصرة والقيام معي بأنفسهم وأموالهم ووعدتهم الوصول إليهم وأنا أستخير الله تعالى ، فقال له ابن الزبير أما إنه لو كان لي بها شيعة مثل شيعتك ماعدلت عنهم ثم خشي أن يتهمه فقال وإن رأيت أن تقيم هنا بالحجاز وتريد هذا الأمر قمنا معك وبايعناك وساعدناك ونصحنا لك ، فقال له الحسين رضي الله عنه إن أبي حدثني أن بها كبشا به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش والله لأن أقتل خارجا من مكة بشبر أحب إليّ من أن أقتل بداخلها ، فقام ابن الزبير رضي الله عنهما من عنده ، فقال الحسين رضي الله عنه لجماعة كانوا عنده من خواصه إن هذا الرجل يعني ابن الزبير ليس شيء أحب إليه من أن أخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لايعدلون بي مادمت فيه فود أني خرجت منه ليخلو به ؛ ولما كان الغد جاءه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثانيا وقال يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر إني أتخوف عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق أهل غدر فلا تأمنهم وأقم بهذا البيت الشريف فإنك سيد أهل الحجاز وإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم ينفوا عاملهم ويخرجوه عنهم ثم تقدم عليهم وإن رأيت فسر إلى اليمن فإن فيها حصونا وشعوبا وهي أرض طويلة عريضة ولأبيك بها شيعة كثيرة وتكون بها معتزلا فتكتب إلى الناس ويكتبون إليك وإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الفرج بالذي تريد ، فقال له الحسين رضي عنه يا ابن عم إني أعلم أنك ناصح مشفق ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير إلى هذا الوجه فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فإن كنت سائرا ولا بد فلا تسر بنسائك وصبيتك قال ولا أتركهم خلفي فقال له ابن عباس رضي الله عنهما والله لو أعلم أني إن أخذت بناصيتك وأخذت بناصيتي حتى تجتمع علينا الناس أطعتني وأقمت لفعلت ثم خرج عنه ابن عباس

الأرض ، أخرج جماعة كلهم بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال «النجوم أمان لأهل السماء وأهل البيت أمان لأمتي» وفي رواية ضعيفة «أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ماكانوا يوعدون» وفي أخرى لأحمد «إذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف» وقد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» أقيم أهل بيته مقامه في الأمان لأنهم منه وهو منهم كما ورد في بعض الطرق . ومنها أنهم أول من يدخل الجنة روى الثعلبي عن علي كرم الله وجهه قال «شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس فقال لي أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف

رضى الله عنهما وهو يقول لقد أقررت عين ابن الزبير بخرجك من الحجاز وعند خروج ابن عباس من عند الحسين رضى الله عنه صادفه ابن الزبير فقال ماوراءك ياابن عم؟ قال مايقر عينك هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز ثم ولى وهو ينشد :

يالك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى ... لابد من أخذك يوما فاصبرى

فخرج الحسين رضى الله عنه من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية الثامن من ذى الحجة سنة ستين ومعه اثنان وثمانون رجلا من أهل بيته وشيعته ومواليه ولم يزل سائرا ، فلما كان بالصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فنزل وسلم على الحسين رضى الله عنه وقال له أعطاك الله سؤلك وبلغك مأمولك فى جميع ما تحب فقال له الحسين رضى الله عنه من أين أقبلت يا أبا فراس ؟ فقال من الكوفة فقال له بين لى خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وربنا كل يوم هو فى شأن ، فقال الحسين صدقت الأمر لله يفعل مايشاء والله سبحانه كل يوم فى شأن ثم فارقه الحسين رضى الله عنه وسار حتى انتهى إلى ماء قريب من الحاجر فاذا هو بعبد الله بن مطيع نازل على الماء فتلاقى هو وإياه فتسالما واعتنقا وقال له ما جاء بك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال له أقصد الكوفة فقال له ألم أتقدم اليك بالقول ألم أنهك عن المسير إلى هذا الوجه ؟ اذكر الله تعالى فى حرمة الإسلام أن تنتهك أنشدك الله تعالى فى حرمة قريش وذمة العرب والله لأن طلبت ما فى يدى بنى أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لايهابون بعدك أحدا والله انها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فالله الله لاتفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبنى أمية فأبى أن يمضى الا فى جهته ثم ارتحل من الماء وسار إلى أن أتى التلغبية فلما نزلها أتاه خبر قتل ابن عمه مسلم بن عقيل بالكوفة فقال له بعض أصحابه ننشدك بالله أن ترجع عن مقصدك فانه ليس لك بالكوفة من ناصر وانا نتخوف أن يكونوا عليك لالك ، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لانرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم فقال لهم الحسين لاخير لى فى الحياة بعدكم ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زبالة ، وكان الحسين رضى الله عنه لايمر بماء من مياه العرب ولا بحى من أحيائها الا صحبه أهله وتبعوه فلما كان بزبالة أتاه خبر قتل أخيه من الرضاع عبد الله بن بقطر وكان أرسله من الطريق إلى مسلم بن عقيل ليأتيه بخبره من الكوفة فأخذته خيل ابن زياد من القادسية وأخذوا كتبه وقتلوه ، فلما بلغ الحسين رضى الله عنه ذلك أيضا قال قد خذلنا شيعتنا ثم قال أيها الناس من أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذم ولا لوم فتفرق الأعراب عنه يمينا وشمالا حتى بقى فى أصحابه لا غير الذين خرج بهم من مكة وانما فعل ذلك لأنه علم من الناس أنهم ظنوا أنه يأتى بلدا قد استقامت له وأطاعه أهلها فيتسلمها صفوا عفوا من غير حرب ولا قتال فأراد أن يعرفهم مايقدمون عليه ثم انه سار حتى نزل بطن العقبة فأتاه رجل من مشايخ العرب فقال له أنشدك الله تعالى الا انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف فان هؤلاء الذين بعثوا اليك لوكانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأمور وقدمت من غير حرب كان ذلك رأيا وأما على هذه الحالة التى ترى فلا أرى لك أن تفعل فقال له لايخفى على شىء مما ذكرته ولكنى صابر محتسب حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ثم ارتحل نحو الكوفة فلما كان بينه وبينها مسافة مرحلتين وافاه إنسان يقال له الحر بن يزيد الرياحى ومعه ألف فارس من أصحاب عبيد الله بن زياد

أزواجنا». وروى الطبرانى عن أبى رافع أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى « أنا أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا» قال موسى بن على بن الحسين بن على وكان فاضلا عن أبيه عن جده إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل أعمالنا وما يتراآى من التنافى بين هاتين الروايتين فى مرتبتى الأزواج والذرية يمكن دفعه بحمل بعض كل منهما على كذا وبعضه الآخر على كذا والله أعلم . وأخرج أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال «يامعشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لوأخذت بحلقة الجنة مابدأت إلا بكم» وروى الطبرانى عن على أنه صلى الله عليه وسلم قال «أول من يرد على الحوض أهل بيتى ومن أحبنى من أمتى» لكن هذا ضعيف والذى صح «أول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين» وبفرض صحة الأول يحمل على أن أولئك أول من يرد بعد هؤلاء كما قاله ابن حجر هذا وقد ورد فى حق أبى بكر أنه أول من يدخل الجنة وكذا فى حق عمر وقد يدفع التنافى بأن

شاكين السلاح فقال للحسين إن عبيدالله أخرجني عيناعليك وقال إن ظفرت به لاتفارقه أوتجيء به وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك غير أني قدأخذت بيعة القوم فقال له الحسين رضي الله عنه إني لم أقدم هذا البلد حتى أتتني كتب أهلها وقدمت على رسلهم يطلبوني وأنتم من أهل الكوفة فإن دمتم على بيعتكم وقولكم في كتبكم دخلت مصركم وإلا انصرفت من حيث أتيت فقال له الحر والله لم أعلم بشيء مما ذكرت ولا علم لي بالكتب ولا بالرسل ، وأما أنا فما يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا وأما أنت فخذ طريقك هذا واذهب إلى حيث شئت وأنا أكتب إلى ابن زياد أن الحسين خالفني الطريق ولم أظفر به وأنشدك الله في نفسك وفيمن معك فسلك الحسين رضي الله عنه طريقا غير الجادة راجعا إلى الحجاز وسار هو وأصحابه ليلتهم فلما أصبحوا فإذا الحر بن يزيد في جيشه وهو معهم فقال له الحسين كيف هذا ماجاء بك قال سعى بي إلى ابن زياد وعلي عين من جهته فجاءني كتاب من جهته وهو يؤنبني في أمرك تأنيبا كثيرا وقال تظفر بالحسين وتتركه كن عينا عليه ولا تفارقه إلى أن تأتيك الجيوش والعساكر ولا بقي لي سبيل إلى مفارقتك فنزل الحسين وحط بتلك الأرض التي أصبح بها وسأل عنها فقيل له هذه كربلاء وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة إحدى وستين فقال رضي الله عنه هذه كربلاء موضع كرب وبلاء هذا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا وكتب الحر إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء فكتب عبيد الله بن زياد إلى الحسين كتابا يقول فيه : أما بعد فإن يزيد بن معاوية كتب إلي أن لاتغمض جفنك من المنام ولا تشبع بطنك من الطعام إما أن يرجع الحسين إلى حكمي أو تقتله والسلام، فلما ورد الكتاب على الحسين وقرأه ألقاه من يده وقال للرسول ماله عندي جواب فلما رجع الرسول إلى ابن زياد وأخبره بذلك اشتد غضبه وجمع الجموع وجهز إليه العساكر وجعل مقدمتها عمر بن سعد وكان واليا بالري وأعمالها واستعفى من خروجه إلى قتال الحسين وتقدمه على العسكر فقال له ابن زياد إماأن تخرج له أوتخرج من عملنا فخرج عمر بن سعد إلى الحسين رضي الله عنه وصار ابن زياد يمده بالجيوش شيئا فشيئا إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد ألف مقاتل مابين فارس وراجل وأول من خرج مع عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن في خيل كثيرة ثم ساروا جميعا حتى نزلوا بشاطىء الفرات فحالوا بين الحسين وبين الماء فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين رضي الله عنه وعلى أصحابه واشتد بهم العطش وكان مع الحسين رجل من أهل الزهد والورع يقال له يزيد بن حصين الهمداني فقال للحسين ائذن لي ياابن رسول الله ﷺ في أن آتي عمر بن سعد مقدم هؤلاء فأكلمه في الماء لعله أن يرتدع فأذن فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد وكلمه في الماء فامتنع ولم يجبه إلى ذلك فقال له هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب والدواب وتمنعه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده وأهل بيته والعترة الطاهرة يموتون عطشا وقدحلت بينهم وبين الماء وتزعم أنك تعرف الله ورسوله فأطرق عمر بن سعد ثم قال يا أخاهمدان إني لأعلم ماتقول وأنشأيقول :

دعاني عبيد الله من دون قومه ... إلى خصلة فيها خرجت لحيني
فوالله ما أدري وإني لواقف ... على خطر لاأرتضيه ومين
أآخذ ملك الري والري بغيتي ... وأرجع مطلوبا بدم حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عيني

ثم قال يا أخاهمدان ماأجد نفسي تجيبني إلى ترك ملك الري لغيري فرجع يزيد بن حصين الهمداني إلى الحسين وأخبره بمقالة ابن سعد ، فلما عرف الحسين ذلك منهم تيقن أن القوم مقاتلوه فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق وجعلوا جهة واحدة يكون القتال منها ثم إن عسكر ابن

الأول على الحقيقة هو صلى الله عليه وسلم وأولية ماعداه نسبية .ومنها أن محبتهم تطول العمر وتبيض الوجه يوم القيامة وبضد ذلك بغضهم كما في خبر أورده في الصواعق أنه ﷺ قال «من أحب أن ينسأ» أي يؤخر أجله «وأن يمتع بما خوله له فليخلفني في أهلي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد علي يوم القيامة مسودا وجهه» . ومنها أنهم أشرف الخلق نسبا أخرج الإمام أحمد بسند جيد عن العباس «أنه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا» . وأخرج أحمد والحاملي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال صلى الله عليه وسلم «قال جبريل قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل

زياد برزوا لمقاتلة الحسين رضى الله عنه وأصحابه وأحدقوا بهم من كل جانب ووضعوا السيوف في أصحاب الحسين ورموهم بالنبل وهم يقاتلونهم إلى أن قتل من أصحاب الحسين رضى الله عنه ما يزيد عن الخمسين فعند ذلك صاح الحسين رضى الله عنه أما ذاب يذب عن حريم رسول الله ﷺ وإذا بالحر بن يزيد الرياحى المتقدم ذكره الذى كان عينا على الحسين من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر بن سعد راكبا على فرسه وقال أنا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أول من خرج اليك عينا ولم أظن أن الأمر يصل إلى هذا الحال وأنا الآن فى حزبك وأنصارك أقاتل بين يديك حتى أقتل أرجو بذلك شفاعة جدك محمد صلى الله عليه وسلم فقاتل بين يديه حتى قتل فلما فنى أصحاب الحسين رضى الله عنه وقتلوا جميعهم وبقى وحده حمل عليهم فقتل كثيرا من الرجال والأبطال ورجع سالما إلى موقفه عند الحريم ثم حمل عليهم حملة أخرى وأراد الكر راجعا إلى موقفه فحال الشمر بن ذى الجوشن بينه وبين الحريم فى جماعة من أبطالهم وشجعانهم وأحدقوا به ، ثم إن جماعة آخرين تبادروا إلى الحريم والأطفال يريدون سلبهم ، فصاح الحسين ويحكم ياشيعة الشيطان كفوا سفهاءكم عن الحريم والأطفال فانهم لم يقاتلوكم فقال الشمر لأصحابه كفوا عنهم واقصدوا الرجل فلم يزل يقتتل هو وهم إلى أن أثخنوه جراحا فسقط عن فرسه إلى الأرض ونزلوا وحزوا رأسه (قيل) الذى قتله سنان بن أنس النخعى ، وقيل الشمر بن ذى الجوشن والصحيح المنقول عن السدى أن الذى قتله سنان وأرسل عمر ابن سعد بالرأس إلى ابن زياد مع سنان بن أنس النخعى فلما وضع الرأس الشريف بين يدى عبيد الله ابن زياد قال :

املأ ركابى فضة وذهبا — انى قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا — وخيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب عبيد الله بن زياد وقال إذا علمت ذلك فلم قتلته والله لانلت منى خيراً ولألحقنك به ثم ضرب عنقه . وفى أسد الغابة ولما قتل الحسين رضى الله عنه أرسل عمر بن سعد رأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد فجمع الناس وأحضر الرؤوس وجعل ينكت بقضيب بين ثنيتى الحسين فلما رآه زيد بن أرقم لايرفع قضيبه قال له اعل بهذا القضيب فوالله الذى لااله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فخرج وهو يقول أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم الحسين بن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم انتهى . وفى ذلك قال أبو الأسود الديلى :

أقول وذاك من جزع ووجد — أزال الله ملك بنى زياد

وأبعدهم بما غدروا وخانوا — كما بعدت ثمود وقوم عاد

ثم إن القوم ساقوا الحريم والأطفال كما تساق الأسارى حتى أتوا الكوفة فخرج الناس فجعلوا ينظرون اليهم ويبكون وكان على بن الحسين زين العابدين معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا ؟ فلما دخلوا بهم على عبيد الله بن زياد أرسل بهم ورأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له زجر بن قيس ومعه جماعة هو مقدمهم وأرسل بالنساء والصبيان على أقتاب ومعه على بن الحسين وقد جعل ابن

من بنى هاشم» . ومنها أن من صنع مع أحد منهم معروفا كافأه النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة روى الديلمى مرفوعا «من أراد التوسل وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم» . ومنها أن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه صلى الله عليه وسلم وينتسبون إليه نسبة صحيحة أخرج الطبرانى مرفوعا «إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب» وأخرج الطبرانى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال «كل بنى أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم» وفى رواية صحيحة «كل بنى أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإنى أنا أبوهم وعصبتهم» وهذه الخصوصية لأولاد فاطمة فقط دون أولاد بقية بناته فلا يطلق عليه صلى الله عليه وسلم أنه أب لهم وأنهم بنوه كما يطلق ذلك فى أولاد فاطمة ، نعم يطلق عليهم أنهم من ذريته ونسله وعقبه . وسيأتى لهذا المقام زيادة كلام عند ذكر زينب بنته صلى الله عليه وسلم .

زياد الغل في يده وعنقه ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام فتقدم زجر ابن قيس فدخل على يزيد فقال له هات ماوراءك قال أبشر ياأمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن على في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر كما لاذ الحمائم من عقاب أو صقر فوالله ما كان إلا نحر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم بدمائهم مضرجة وخدودهم في التراب معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقاب والرخم في سبسب من الأرض قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية ووالله لو كنت صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين وأخرجه من عنده لم يصله بشيء ثم إنهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدي يزيد وكان في يده قضيب فجعل ينكت به في ثغره ثم قال ماأنا وهذا إلا كما قال الحصين :

أبى قومنا أن ينصفونا وأنصفت ... قواضب في أيماننا تقطر الدما

يفلقن هاما من رؤس أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال أبو بردة الأسلمي وكان حاضرا أتنكت بقضيبك في ثغره أما إني لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه ورضيت يايزيد أن يجيء عبيد الله بن زياد شفيعك يوم القيامة ويجيء هذا ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه ثم قام من المجلس فقال يزيد والله لو أني صاحبه ماقتلته ثم قال أتدرون من أين أتى هذا ؟ أما إنه ليقول أبي خير من أبيه وأمي فاطمة خير من أمه وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من جده وأنا خير من يزيد وأحق بالأمر منه ؛ فأما قوله أبوه خير من أبي فقد تحاج أبي وأبوه إلى الله تعالى وعلم الناس أيهما حكم له وأما قوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من أمي وأما قوله جدي خير من جده فلعمري ماأحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فينا عديلا ولا ندا وأتى هذا من قبل فقهه ولم يقرأ « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير » . ثم إنه أدخل نساء الحسين والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة تتطاولان لتنظراه وجعل يزيد يستره عنهما فلما رأينه صحن وأعلن بالبكاء فبكى لبكائهن نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعولن فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة : بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا أسرك هذا يايزيد فقال والله ماسرني وإني لهذا كاره وما أتى عليكن أعظم مما أخذ منكن ثم قال أدخلوهن إلى الحريم فلما دخلن على حريمه لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأظهرت التوجع والحزن على ما أصابهن وعلى ما نزل بهن وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلي والثياب وزيادة وكانت سكينة تقول ما رأيت كافرا بالله خيرا من يزيد ثم أمر بعلي زين العابدين فدخل عليه مغلولا فقال علي رضي الله عنه يايزيد لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلولين لفكه عنا قال صدقت وأمر بفكه فقال ولو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد لأحب أن يقربنا فأمر به فقربه ثم قال له يزيد ياعلي أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فنزل به مارأيت فقال علي « ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا

ومنها أن منهم مهدي آخر الزمان أخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرون «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلا من عترتي» وفي رواية «رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا» وفي رواية لمن عدا الأخير «لاتذهب الدنيا ولاتنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي» وفي رواية لأبي داود والترمذي «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما» . وأخرج الطبراني «المهدي منا يختم الدين به كما فتح بنا» وأخرج الحاكم في صحيحه «يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع ببلاء أشد منه حتى لايجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحبه ساكن الأرض وساكن السماء

تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور » فقال له يزيد « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ثم إن يزيد أمر بإنزال على رضى الله عنه وإنزال حرمه فى دار تخصهم بمفردهم وأجرى لهم كل مايحتاجون إليه وكان لايتغدى ولا يتعشى حتى يحضر على بن الحسين فدعاه ذات يوم ومعه عمر بن الحسين وهوصبي صغير فقال يزيد لعمر أتقاتل خالدا يعنى خالد بن يزيد وكان فى سنه فقال أعطنى سكينا وأعطه سكينا حتى أقاتله فضمه يزيد إليه وقال :

شنشنة أعرفها من أخزم   وهل تلد الحية إلا حوية

ثم إن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة وسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام فى خيل سيرها صحبتهم وودع يزيد على بن الحسين وقال له لعن الله ابن مرجانة لو كنت حاضر الحسين ما سألنى خصلة إلا كنت أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولكن قضاءالله غالب ، ياعلى كاتبنى بكل حاجة كانت لك أقضها لك إن شاء الله تعالى وأوصى بهم الرسول الذى سيره صحبتهم وكان يسايرهم وهو وخيله التى معهم فيكون الحريم قدام بحيث إنهم لايفوتون فإذا نزلوا تنحى عنهم ناحية هو وأصحابه وكانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم فى جميع أمورهم ولايشق عليهم فى مسيرهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة قد أحسن هـذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشىء ؟ فقالت والله مامعنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلى قالت فافعلى فأخرجتا له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه فردهما وقال لو كان الذى صنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكنى والله مافعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ وكان من جملة من كان معهم أم سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنه وهى الرباب بنت امرىء القيس (ولما) بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضى الله عنه خرجت ابنة عقيل بن أبى طالب فى نساء من بنى هاشم وهى حاسرة تلوى ثوبها وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم   ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وحريمى بعد مفتقدى   منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم   أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

حكى الشيخ نصرالله بن يحيى وكان من الثقات الخيرين قال رأيت فى المنام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقلت ياأمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين بكربلاء منهم مايتم فقال لى كرّم الله وجهه أتعرف أبيات ابن الصيفى التميمى فى هذا المعنى ؟ فقلت لا فقال اذهب إليه واسمعها منه فاستيقظت من نومى مفكرا ثم إنى ذهبت إلى دار ابن الصيفى وهو الحيص بيص الشاعر الملقب بشهاب الدين فطرقت عليه الباب فخرج إلىّ فقصصت عليه الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن سمعها منى أحد وإن أكون نظمتها إلا فى ليلتى هذه ثم أنشد لى :

ملكنا فكان العفو منا سجية   فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما   غدونا على الأسرى فنعفو ونصفح
وحسبكم هـذا التفاوت بيننا   وكل إناء بالذى فيـه ينضح

أورد ذلك الشيخ نور الدين بن على بن محمد الصباغ المالكى المكى المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة فى كتابه الفصول المهمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأيت النبى ﷺ فى المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت يارسول الله ما هذا قال دم الحسين وصحبه أرفعه إلى

الله

وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لاتمسكن شيئا يعيش فيهم سبع سنين أوثمانيا أوتسعا يتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خير ». وروى الطبرانى والبزار نحوه وفيه « يمكث فيهم سبعا أو ثمانيا فإن أكثرفتسعا ». وفى رواية لأبى داود والحاكم « يملك سبع سنين أوتسعا فيجىء إليه الرجل فيقول له يا مهدى أعطنى أعطنى فيحثى له فى ثوبه مااستطاع أن يحمله » وأخرج أحمد ومسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولايعده عدا » وأخرج أبو نعيم « ليبعثن الله رجلا من عترتى أفرق الثنايا أجلى الجبهة » أى انحسر الشعر عن جبهته « يملأ الأرض عدلا يفيض المال فيضا » وأخرج الرويانى والطبرانى وغيرهما « المهدى من ولدى وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم اسرائيلى » أى طويل « يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى لخلافته أهل السماء وأهل الأرض » وورد أيضاً فى حليته أنه شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن

الله عز وجل فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم وتلك الساعة رواه البيهقى وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره ؛ وذكر غير واحد أنهم لما ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا فى الطريق بدير ليقيلوا به فوجدوا مكتوبا على بعض جدرانه :

أترجو أمة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب

وفى الخطط للمقريزى مانصه : لماقتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها ؛ وعن عطاء فى قوله تعالى «فما بكت عليهم السماء والأرض» قال بكاؤهاحمرة أطرافها ؛ وعن الزهرى بلغنى أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلاوجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا وأصابوا إبلا فى عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم وما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا . وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شىء لهم مملوءا دما انتهى . وعن الزهرى أنه لم يبق أحد ممن قتل الحسين إلاعوقب فى الدنيا قبل الآخرة إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أوزوال الملك فى مدة يسيرة ؛ وروى سبط ابن الجوزى أن شيخا حضر قتله فقط فعمى فسئل عن سببه فقال رأيت النبى ﷺ حاسرا عن ذراعيه وبيده سيف وبيده نطع وعليه عشرة ممن قتل الحسين مذبوحين ثم لعننى وسبنى ثم أكحلنى بمرود من دم الحسين فأصبحت أعمى ؛ وأخرج أيضا أن شخصا علق رأس الحسين فى لبب فرسه فرؤى بعد أيام ووجهه أشد سوادا من القار ومات على أقبح حالة ؛ ويقال إن رجلا أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقته (وكان) اليوم الذى قتل فيه الحسين رضى الله عنه يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد به ثلاث وثلاثون ضربة ؛ قال ابن الصباغ ودفن بأرض كربلاء بالعراق ومشهده رضى الله عنه بها معروف يزار من جميع الآفاق وكانت عدة القتلى التى حملت رؤوسها إلى عبيدالله بن زياد صحبة رأس الحسين رضى الله عنه سبعين انتهى . ودفن أهل العامرية وهم قوم من بنى عامر من بنى أسد الحسين وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين بعد قتلهم بيوم .

﴿ فصل : اختلفوا فى رأس الحسين رضى الله عنه ﴾ بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفى أى موضع استقر؛ فذهب طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به فى البلاد فطيف به حتى انتهى به إلى عسقلان فدفنه أميرها بها فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ووضعه فى كيس حرير أخضر على كرسى من الآبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسينى المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلى ، وقيل دفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن وهو قول ابن بكار والعلامة الهمدانى وغيرهما ؛ وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما من القتل واعتمد القرطبى الثانى والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى ؛ قال المناوى فى طبقاته ذكر لى بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له اطلاع على أنه دفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهرى لأن حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذى تدلى فى تيار جار فيطفو بعد ذلك فى مكان آخر فلما كان الرأس منفصلا طف فى هذا المحل بالمشهد الحسينى المصرى وذكر أنه خاطبه منه اهـ . قال الشيخ على الأجهورى فى رسالة فضائل يوم عاشوراء ذهب جمع من أهل التاريخ إلى دفن الرأس بالمشهد المصرى المعروف وكذا جمع من أهل الكشف قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب طبقات الأولياء عند ذكره الحسين دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رزيك بثلاثين

خال وعلى يده اليمنى خال» وتقدم تفسير غريب ذلك فى الكلام على حليته صلى الله عليه وسلم . وأخرج الطبرانى مرفوعا «يلتفت المهدى وقد نزل عيسى عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدى تقدم فصل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلف رجل من ولدى» الحديث وفى صحيح ابن حبان فى إمامة المهدى نحوه وصح مرفوعا «ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول لا إنما بعضكم أئمة على بعض تكرمة الله لهذه الأمة» وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه» الحديث فعلم منه ومن أحاديث أخر أنه يخرج من المشرق من بلاد الحجاز والقول

ألف دينار ونقلها إلى مصر وبنى عليها المشهد الحسينى وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعها طلائع فى كيس من حرير أخضر على كرسى آبنوس وفرشوا تحتها المسك والعنبر والطيب قدر وزنها مرارا انتهى . وفى المنن للشعرانى مانصه أخبرنى يعنى الخواص أن رأس الإمام الحسين رضى الله عنه حقيقة فى المشهد الحسينى قريبا من خان الخليلى وأن طلائع بن رزيك نائب مصر وضعها فى القبر المعروف بالمشهد فى كيس من حرير أخضر على كرسى من خشب الآبنوس وفرش تحتها المسك والطيب وأنه مشى معها هو وعسكره حفاة من ناحية قطية إلى مصر لما جاءت من بلاد العجم فى قصة طويلة ؛ وفى المنن أيضا فى موضع آخر قال زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الجلبى الحنفى وكان عنده توقف فى أن رأس الإمام الحسين فى ذلك المكان فثقلت رأسه فنام فرأى شخصا كهيئة النقيب طلع من عند الرأس وذهب إلى رسول الله ﷺ وما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال يارسول الله أحمد بن الجلبى وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين فقال رسول الله ﷺ اللهم تقبل منهما واغفر لهما ، ومن ذلك اليوم ماترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس إلى أن مات وكان يقول آمنت بأن رأس الحسين هنا انتهى وهذا مما يشهد للقول الأول ويعضده أيضا ماذكره الشيخ عبد الفتاح بن أبى بكر بن أحمد الشهير بالرسام الشافعى الخلوتى فى رسالته نور العين بقوله ومن ذلك ما لأهل الكشف والاطلاع فى مقرها ماذكره خاتمة الحفاظ والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين نجم الدين الغيطى رضى الله عنه نقلا عن شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين اللقانى شيخ السادة المالكية فى عصره رحمه الله تعالى أنه كان يوما جالسا بالجامع الأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبى المواهب التونسى يتحدث معه وإذا بالشيخ أبى المواهب قام مستعجلا وذهب إلى نحو باب المدرسة الجوهرية التى بالجامع وخرج منها فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور وهو لايشعر به إلى أن وصل إلى المشهد المبارك وهو خلفه فلما دخل المسجد وجد إنسانا واقفا على باب الضريح الشريف ويداه مبسوطتان وهو يدعو فلما فرغ الرجل من الدعاء ومسح على وجهه بيده رجع الشيخ اللقانى إلى الجامع الأزهر وإذا بالشيخ أبى المواهب التونسى رجع فقال له الشيخ اللقانى يامولانا رأيتك ذهبت مستعجلا من باب الجوهرية وها أنت رجعت فقال كنت فى مصلحة وكتم عنه القضية فقال له ذهبت إلى المسجد الحسينى قال نعم فما الذى أعلمك بذلك قال كنت معك فيه قال فما رأيت قال رأيت إنسانا واقفا على باب الضريح يدعو ووقفت أنت خلفه ووقفت أنا خلفك أدعو أيضا فقال أبشر ياشمس الدين فإن جميع مادعوت به استجيب لك فى ذلك الوقت قلت ياسيدى ومن هذا الرجل قال القطب الغوث الجامع يأتى كل يوم أو قال كل يوم الثلاثاء فيزور هذا المشهد فلما وقع عندى مجيئه فى ذلك الوقت قمت إليه وحضرت معه الزيارة وقبلت يده فالزم ذلك يحصل لك خير فما زال الشيخ اللقانى يزور ذلك المكان إلى أن مات رحمه الله تعالى (ومن) ذلك مانقل عن الشيخ الجليل أبى حسن التمار رضى الله عنه أنه كان يأتى إلى هذا المكان للزيارة ثم إذا دخل إلى الضريح يقول السلام عليكم فيسمع الجواب وعليك السلام ياأبا الحسن فجاء يوما من الأيام فسلم فلم يسمع الجواب برد السلام فزار ورجع ثم جاء مرة أخرى وسلم فسمع الجواب برد السلام فقال ياسيدى جئت بالأمس وسلمت فما سمعت جوابا فقال ياأباحسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدى ﷺ فلم أسمع كلامك وهذه كرامة جليلة لأبى الحسن التمار رضى الله عنه (ومن) ذلك أيضا ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمرى الشافعى أنه

كان

بأنه يخرج من المغرب لا أصل له كما نبه عليه العلقمى . وأخرج ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال « لولم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى يملك جبل الديلم والقسطنطينية» زاد فى روايات ورومية ومروية وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها والمهدى وسطها» والمراد بالوسط ماقبل الآخر وأخرج أحمد والماوردى أنه صلى الله عليه وسلم قال «أبشروا بالمهدى رجل من قريش من عترتى يخرج فى اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويقسم المال بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر مناديا فينادى من له حاجة إلى فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول أنا رسول المهدى أرسلنى إليك لتعطينى فيقول احث فيحثى حتى لا يستطيع أن

كان يتردد إلى الزيارة غالبا فجلس يوما يقرأ الفاتحة ودعا فلما وصل فى الدعاء إلى قوله واجعل ثوابا مثل ذلك فأراد أن يقول فى صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين رضى الله عنه فقال فى صحائف هذا وأشار بيده إليه فلما أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ صدقت وأنا وقع لى مثل ذلك ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتى رضى الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ كريم الدين صدقت وأنا مازرت هذا المكان الا باذن من النبى ﷺ انتهى هذا ما ثبت عن أرباب الكشف . وفى كتاب الخطط للمقريزى بعد كلام على مشهد الحسين رضى الله عنه ما نصه وكان حمل الرأس الشريف إلى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضى المؤتمن مسكين وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكورة ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافور ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة وقال ابن عبد الظاهر مشهد الإمام الحسين قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا اليه الرخام وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة اه ﴿ كرامتان : الأولى ﴾ اتهم شخص من أتباع السلطان الملك الناصر بأنه يعرف الدفائن والأموال التى بالقصر فأمر بتعذيبه وأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية يقال إن هذه العقوبة أشد العقوبات وأن الإنسان لايطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل به ذلك مرارا وهو لايتأوه وتوجد الخنافس ميتة فسألوه ماسبب هذا فقال حملت رأس الحسين لما جاء فعفا عنه اه خطط .

[الثانية] روى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال الأسدى قال والله لقد رأيت رأس الحسين رضى الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا» فنطق الرأس وقال قتلى أعجب من ذلك .

﴿ غريبة ﴾ روى سليمان الأعمش رضى الله عنه قال خرجنا ذات سنة حجاجا لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه السلام فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافى قلت سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل فتنحيت عنه ثم مررت به مرة ثانية وهو يقول اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافى قصدت نحوه فقلت يا هذا إنك فى موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه عز وجل المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فانه منعم كريم فقال يا عبدالله من أنت ؟ فقلت أنا سليمان الأعمش فقال ياسليمان إياك طلبت وقد كنت أتمنى مثلك فأخذ بيدى وأخرجنى من داخل الكعبة إلى خارجها فقال لى يا سليمان ذنبى عظيم فقلت ياهذا أذنبك أعظم أم الجبال أم السموات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لى ياسليمان ذنبى أعظم مهلا على حتى أخبرك بعجب رأيته فقلت له تكلم رحمك الله فقال لى يا سليمان أنا من السبعين رجلا الذين أتوا

يحمله فيلقى حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم فيقول أنا كنت أجشع أمة محمد نفسا كلهم دعى إلى هذا المال فتركه غيرى فيرد عليه فيقول إنا لا نقبل شيئا أعطيناه فيلبث فى ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنين ولا خير فى الحياة بعده » وروى أبو داود فى سننه أنه من ولد الحسن وكأن سره ترك الخلافة لله عز وجل شفقة على الأمة فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليه من ولده ليملأ الأرض عدلا ورواية كونه من ولد الحسين واهية . وجاء فى روايات « أنه عند ظهوره ينادى فوق رأسه ملك هذا المهدى خليفة الله فاتبعوه فتذعن له الناس ويشربون حبه وأنه يملك الأرض شرقها وغربها وأن الذين يبايعونه أولا بين الركن والمقام بعدد أهل بدر ثم يأتيه أبدال الشام ونجباء مصر وعصائب أهل المشرق وأشباههم ويبعث الله إليه جيشا من خراسان برايات سود ثم يتوجه إلى الشام ، وفى رواية إلى الكوفة» والجمع ممكن ، وأن الله تعالى يمده بثلاثة آلاف

برأس الحسين بن على رضى الله عنهما إلى يزيد بن معاوية فأمر بالرأس فنصب خارج المدينة وأمر
بإنزاله ووضع فى طست من ذهب ؤوضع ببيت منامه قال فلما كان فى جوف الليل انتبهت امرأة
يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعا شديدا وانتبه يزيد من منامه فقالت له
ياهذاقم فإنى أرى عجبا فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها اسكتى فإنى أرى كما ترين قال فلما أصبح
من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط هو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلا فخرجنا
إليه نحرسه وأمرلنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ماشاء الله ورقدنا
فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دوى كدوى الجبال وخفقان أجنحة
فأقبلت حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حلتان من حلل الجنة وبيده درانك وكراسى
فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسى وقام على قدميه ونادى انزل يا أبا البشر انزل ياآدم صلى
الله عليه وسلم فنزل رجل أجمل مايكون من الشيوخ شيبا فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام
عليك يابقية الصالحين عشت سعيدا وقتلت طريدا ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا رحمك الله
ولاغفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار ثم زال وقعد على كرسى من تلك الكراسى قال
ياسليمان ثم لم ألبث إلا يسيرا وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت مناديا يقول
انزل يانبى الله انزل يانوح وإذا برجل أتم الرجال خلقا وإذا بوجهه صفرة وعليه حلتان من
حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك ياعبدالله السلام عليك يابقية الصالحين قتلت
طريدا وعشت سعيدا ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل
لقاتلك غدا من النار ثم زال فقعد على كرسى من الكراسى قال ياسليمان ثم لم ألبث إلا يسيرا
وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت مناديا ينادى انزل ياخليل
الله انزل ياإبراهيم صلى الله عليك وسلم وإذا برجل ليس بالطويل العالى ولا بالقصير المتدانى أبيض الوجه
أملح الرجال شيبا فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك ياعبدالله السلام عليك يابقيه الصالحين
قتلت طريدا وعشت سعيدا ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل
لقاتلك غدا من النار ثم تنحى على كرسى من الكراسى ثم لم ألبث إلا يسيرا فإذا بسحابة عظيمة
فيها دوى كدوى الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا
يقول انزل يانبى الله انزل ياموسى بن عمران قال فإذا برجل أشد الناس فى خلقه وأتمهم فى هيبته
وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل ماتقدم ثم تنحى فجلس على
كرسى من تلك الكراسى ثم لم ألبث إلا يسيرا وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دوى عظيم وخفقان
أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا يقول انزل ياعيسى انزل ياروح الله
فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس
فقال مثل مقالة آدم ومن بعده ثم تنحى فجلس على كرسى من تلك الكراسى ثم لم ألبث إلا يسيرا
وإذا بسحابة عظيمة فيها دوى كدوى الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض
فقام الأذان وسمعت مناديا ينادى انزل يامحمد انزل ياأحمد صلى الله عليك وسلم وإذا بالنبى ﷺ
وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صف من الملائكة والحسن وفاطمة رضى الله عنهما
فأقبل حتى دنا من الرأس فضمه إلى صدره وبكى بكاء شديدا ثم دفعه إلى أمه فاطمة فضمته إلى
صدرها وبكت بكاء شديدا حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها فى ذلك المكان فأقبل آدم عليه
السلام حتى دنا من النبى ﷺ فقال السلام على الولد الطيب السلام على الخلق الطيب أعظم الله

أجرك

من الملائكة وأن أهل الكهف من أعوانه قال السيوطى وحينئذ فسر تأخيرهم إلى هذه المدة إكرامهم بشرف دخولهم فى هذه الأمة اهـ . أى وإعانتهم للخليفة الحق وأن على مقدمة جيشه رجلا من تميم خفيف اللحية يقال له شعيب بن صالح وأن جبريل على مقدمة جيشه وميكائيل على ساقته وأن السفيانى يبعث إليه من الشام جيشا فيخسف بهم بالبيداء فلا ينجو منهم إلا المخبر فيسير إليه السفيانى بمن معه فتكون النصرة للمهدى ويذبح السفيانى وهو كما فى المسائل الظريفة للشيخ المجدولى رجل من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ضخم الهامة بوجهه أثر الجدرى وبعينه نكتة بيضاء يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب يفعل الأفاعيل ويقتل قبيلة قيس وأن المهدى يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية وأسفار التوراة من جبل بالشام يحاج بها اليهود فيسلم كثير منهم وأنه يكون بعد موت المهدى القحطانى رجل من أهل اليمن يعدل فى الناس ويسير فيهم بسير المهدى

أجرك وأحسن عزاءك فى ابنك الحسين ثم قام نوح عليه السلام فقال مثل قول آدم ثم قام إبراهيم عليه السلام فقال كقولهما ثم قام موسى وعيسى عليهما السلام فقالا كقولهم كلهم يعزونه ﷺ فى ابنه الحسين ثم قال النبى ﷺ ياأبى آدم وياأبى نوح وياأخى إبراهيم وياأخى موسى وياأخى عيسى اشهدوا وكفى بالله شهيدا على أمتى بما كافئونى فى ابنى وولدى من بعدى فدنا منه ملك من الملائكة فقال قطعت قلوبنا ياأبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرنى الله تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لى أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد ثم قام ملك آخر فقال قطعت قلوبنا ياأبا القاسم أنا الملك الموكل بالبحار وأمرنى الله بالطاعة لك فإن أذنت لى أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد فقال النبى ﷺ ياملائكة ربى كفوا عن أمتى فإن لى ولهم موعدا لن أخلفه فقام إليه آدم عليه السلام فقال جزاك الله خيرا من نبى أحسن ماجوزى به نبى عن أمته فقال الحسن ياجداه هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخى وهم الذين أتوا برأسه فقال النبى ﷺ ياملائكة ربى اقتلوهم بقتلة ابنى فوالله مالبثت إلا يسيرا حتى رأيت أصحابى قد ذبحوا أجمعين قال فلصق بى ملك ليذبحنى فناديته ياأبا القاسم أجرنى وارحمنى يرحمك الله فقال كفوا عنه ودنا منى وقال أنت من السبعين رجلا قلت نعم فألقى يده فى منكبى وسحبنى على وجهى وقال لارحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار فلذلك أيست من رحمة الله فقال الأعمش إليك عنى فإنى أخاف أن أعاقب من أجلك اه من شرح الشفاء للعلامة التلمسانى من الفصل الرابع والعشرين فيما أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم من الغيوب من ترجمة الحسين ﴿نادرتان : الأولى﴾ أن عبيدالله بن زياد لما ظفر بالحسين رضى الله عنه وأهله صعد المنبر فقال الحمد لله الذى أظهر الحق ونصر يزيد بن معاوية وحزبه على الكذاب حسين فوثب عبد الله بن عفيف رضى الله عنه وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل مع على رضى الله عنه وذهبت عينه الأخرى يوم صفين وكان يلازم المسجد يصلى فيه إلى الليل فقال ياابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذى والاك تقتلون أبناء الأنبياء وتتكلمون بكلام الصديقين فأومأ إليه ابن زياد وقال ياعدوالله ماتقول فى عثمان ؟ فقال عدوالله أنت ، ذلك الرجل أحسن وأساء وأصلح وأفسد والله ولى خلقه يقضى فى عثمان وغيره بالحق والعدل ولكن إن شئت سلنى عنك وعن أبيك وعن يزيد وعن أبيه فقال لاأسألك حتى أذيقك الموت فقال دعوت الله تعالى أن يرزقنى شهادة قبل أن تلدك أمك على يد أعدى خلق الله تعالى وأبغضهم له فلما ذهب بصرى يئست منها فالحمد لله الذى رزقنيها على يأسى وعرفنى الإجابة لى منه على قديم دعائى فنزل وقتله وصلبه بالسبخة فى الكوفة انتهى من مختصر التواريخ [الثانية] قضى الله أن قتل عبيد الله بن زياد هو وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين جهز إليه المختار بن عبيد جيشا فقتله إبراهيم بن الأشتر فى الحرب وبعث برأسه إلى المختار وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى على بن الحسين (روى) الترمذى أنه لما جاء برأسه ونصب فى المسجد مع رؤوس أصحابه جاءت حية فتخللت الرءوس حتى دخلت فى منخره فمكثت هنية ثم خرجت فعلت ذلك مرتين أو ثلاثا وكان نصبها فى محل رأس الحسين ذكره الشيخ عبدالرحمن الأجهورى فى كتابه مشارق الأنوار ومثله فى أسد الغابة وزاد ابن الأثير هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة ﴿عجيبة﴾ قال عبد الملك بن عمير رأيت فى هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ترس بين يدى عبيدالله بن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبدالملك بن مروان وكان بين يدى عبدالملك فلما سمع ذلك أمر بهدم القصر كذا فى الكنز المدفون (وأخرج) الحاكم فى المستدرك وصححه وقال الذهبى فى التلخيص على شرط مسلم عن

يمكث مدة ثم يقتل وجاء فى رواية تفضيل المهدى على أبى بكر وعمر بل على بعض الأنبياء قال فى العرف الوردى فى أخبار المهدى وتأويله بمثل ما أول به حديث «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا منكم» وحاصله أن أفضليته من جهة زيادة صبره فى شدة الفتن وزيادة الكروب لاتفاق الروم عليه ومحاصرة الدجال له لامن جهة زيادة الثواب والرفعة عند الله تعالى اه . وأما حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لايزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولامهدى إلا عيسى ابن مريم فتكلم فيه وعلى تقدير صحته يحمل على أن المراد لامهدى على الإطلاق سواه لوضعه الجزية وإهلاكه الملل المخالفة لملتنا كما صحت به الأحاديث أو لامهدى معصوما إلا هو. وخبر ابن عدى «المهدى من ولد العباس عمى» فى إسناده وضاع . وما صح عند الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر

ابن عباس قال « أوحى الله إلى محمد ﷺ إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وإنى قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا » قال الحافظ ابن حجر ورد من طريق واه عن على عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا قال الجلال السيوطى فى المحاضرات والمحاورات حصل بالكوفة جدرى فى بعض السنين عمى فيه ألف وخمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين رضى الله عنه .

﴿تتمة : فى ذكر أولاده وشىء من كلامه رضى الله عنه﴾ قال صاحب الإرشاد : أولاد الحسين بن على ستة على بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد ولقبه زين العابدين وأمه شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس وعلى بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفى وجعفر بن الحسين وأمه قضاعة مات فى حياة أبيه ولا نسل له وعبد الله بن الحسين قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو بكر بلاء فقتله وسكينة بنت الحسين أمها الرباب بنت امرىء القيس بن عدن الكلبية وهى أيضا أم عبد الله بن الحسين وفاطمة أمها أم إسحق بنت طلحة بن عبد الله تيمية انتهى والذى أعقب منهم على زين العابدين (وفى بغية الطالب لمعرفة أولاد على بن أبى طالب) للشيخ جمال الدين الطاهر بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ما نصه وكان له يعنى للحسين رضى الله عنه من الولد ست بنين وثلاث بنات وهم على الأكبر وأمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفى وعلى الأوسط وعبد الله وعلى الأصغر زين العابدين ومنهم من يزعم أنه الأكبر ومحمد وجعفر وزينب وسكينة وفاطمة ؛ فأما محمد وجعفر فماتا فى حياة أبيهما ، وأما على الأكبر وعبد الله فاستشهدا مع أبيهما بالطف وعلى الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات انتهى وزاد بعضهم عمرو المعقب من ولد الحسين زين العابدين رضى الله عنه باتفاق فلم يكن على وجه الأرض حسينى إلا من نسله [ومن كلامه رضى الله عنه] حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما ، وقال رضى الله عنه : صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده ، وقال رضى الله عنه : الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبة [لطيفة] قيل كان بين الحسين وبين أخيه الحسن كلام ووقفة فقيل له اذهب إلى أخيك الحسن واسترضه وطيب خاطره فانه أكبر منك فقال سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول « أيما اثنين بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان السابق سابقه إلى الجنة » وأكره أن أسبق أخى الأكبر إلى الجنة فبلغ قول الحسن رضى الله عنه فأتاه وترضاه (وقال) رضى الله عنه فى خطبة خطبها : أيها الناس نافسوا فى المكارم وسارعوا فى الغنائم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه واكتسبوا الحمد بالمنح ولا تكتسبوه بالمطل فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة ورأى أنه لايقوم بشكرها فالله له بمكافأته بمكان وذلك أجزل عطاء وأعظم أجرا . واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجرا ، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رجلا رأيتموه منظرا قبيحا تنفر منه القلوب وتغض منه الأبصار ؛ أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل ، وان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعف الناس من عفا عن قدرة ، وان أوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك ، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن أحسن

أحسن

ومنا المنصور ومنا المهدى » المراد بأهل البيت فيه مايشمل جميع بنى هاشم وتكون الثلاثة الأول من نسل فاطمة فلا إشكال وعلى تقدير أن المراد أن الأربعة من ولد العباس يحمل المهدى فى كلامه على ثالث خلفاء بنى العباس لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية لما أوتيه من العدل التام والسيرة الحسنة ولأنه صح أن اسم المهدى يوافق اسمه صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه والمهدى هذا كذلك قال فى الصواعق الأظهر أن خروج المهدى قبل نزول عيسى وقيل بعده وقد تواترات الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم بخروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يساعد عيسى على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلى عيسى خلفه وأكثر الروايات متفقة على تحقق ملكه سبع سنين والشك فى الزيادة إلى تمام تسع وفى رواية تحقق ست كما تقدم كل ذلك . وفى بعض الآثار أنه يخرج فى وتر من السنين سنة

أحسن الله اليه والله يحب المحسنين (ومن كلامه المنظوم رضى الله عنه) ما نقله ابن غنم صاحب كتاب الفتوح وهو أنه رضى الله عنه لما أحاطت به جموع ابن زياد وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوهم الماء وأصاب ولده الصغير سهم فقتله فزمله وحفرله بسيفه وصلى عليه ودفنه قال رضى الله عنه :

غدر القوم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدما علياً وابنه ... حسن الخير كريم الأبوين
حسداً منهم وقالوا أقبلوا ... نقتل الآن جميعاً للحسين
خيرة الله من الخلق أبى ... ثم أمى فأنا ابن الخيرتين
فضة قد صفيت من ذهب ... فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدى فى الورى ... وكشيخى فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أمى وأبى ... قاصم الكفر ببدر وحنين

ومن كلامه رضى الله عنه :

فان تكن الدنيا تعد نفيسة ... فان ثواب الله أعلى وأنبل
وان يك لابد من الموت للفتى ... فقتل امرىء فى الله بالسيف أجمل
وان تكن الأرزاق قسما مقدرا ... فقلة حرص المرء فى الكسب يجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

وقال رضى الله عنه :

إذا ما عضك الدهر فلا تجنح إلى الخلق ... ولا تسأل سوى الله المغيث العالم الحق
فلو عشت وقد طفت من الغرب إلى الشرق ... لما صادفت من يقدر أن يسعد أو يشقى

وقال رضى الله عنه من قصيدة طويلة هذا أولها :

إذا استنصر المرء امرأ لأذية ... فناصره والخاذلون سواء
أنا ابن الذى قد تعلموا مكانه ... وليس على الحق المبين طخاء
أليس رسول الله جدى ووالدى ... أنا البدر إن حل النجوم خفاء
ألم ينزل القرآن خلف بيوتنا ... صباحا ومن بعد الصباح مساء
ينازعنى والله بينى وبينه ... يزيد وليس الأمر حيث يشاء
فيا نصحاء الله أنتم ولاته ... وأنتم على أديانه أمناء
بأى كتاب أم بأية سنة ... تناولها عن أهلها البعداء

ومن كلامه رضى الله عنه :

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت فيمن لا أحبه
فيمن أراه يسبنى ... ظهر المغيب ولا أسبه
أفلا يرى أن فعله ... مما يسير اليه غبه
حسبى بربى كافيا ... مما اختشى والبغى حسبه

انتهى من الفصول المهمة .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب سيدنا على بن الحسين رضى الله عنهما الملقب بزين العابدين ﴾

قال الإمام مالك رضى الله عنه : سمى زين العابدين لكثرة عبادته وهو الإمام الرابع على مذهب الإمامية (ولد) زين العابدين رضى الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين فى أيام جده على بن أبى طالب قبل وفاته بسنتين (وكنيته) المشهورة أبو الحسن وقيل أبو محمد وقيل أبو بكر (وألقابه كثيرة) أشهرها زين العابدين وسيد العابدين والزكى والأمين وذو الثفنات (وصفته) أصفر قصير نحيف (شاعره) الفرزدق وكثير عزة (بوابه) أبو جبلة (نقش خاتمه) وما توفيقى إلا بالله (ومعاصره) مروان وعبد الملك والوليد ابنه (وأمه) سلافة ولقبها شاه زنان بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء وفتح الزاى والنون الثانية بعد الألف كلمة فارسية معناها ملكة النساء وهى بنت يزدجرد بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وكسر الجيم ودال مهملة بعد الراء الساكنة ولد أنوشروان العادل ملك الفرس

إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع وأنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجنود إلى الأمصار وأن السنة من سنيه تكون مقدار عشر سنين وأنه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب وتظهر له الكنوز ولا يبقى فى الأرض خراب إلا يعمره . قال مقاتل ابن سليمان ومن تبعه من المفسرين فى قوله تعالى « وإنه لعلم للساعة » انها نزلت فى المهدى اهـ . وجاء فى رواية أخرى زيادة مدته على ما ذكر ففى رواية أنها أربعون سنة وفى رواية أنها إحدى وعشرون سنة وفى رواية أنها أربع عشرة سنة وروى غير ذلك أيضاً قال ابن حجر فى رسالته القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر روايات سبع سنين أكثر وأشهر ويمكن الجمع على تقدير صحة جميع الروايات بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فالأربعون مثلا باعتبار جملة ملكه والسبع ونحوها باعتبار غاية ظهور ملكه وقوته والعشرون ونحوها باعتبار الأمر الوسط اهـ . وفى الكشف للحافظ السيوطى عن جعفر وغيره أن المهدى

ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه لما أتي بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر رضي الله عنه ببيع بنات يزدجرد فقال له علي رضي الله عنه إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن قال كيف الطريق إلى العمل معهن ؟ قال تقوّمهن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن فقومهن فأخذهن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له عليا زين العابدين وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالما وواحدة لمحمد ابن أبي بكر الصديق فولدت له القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة انتهى وكان علي زين العابدين مع أبيه بكربلاء مريضا نائما على الفراش فلم يقتل قاله ابن عمر رضي الله عنهما هذا هو الصحيح وليس قول من قال إنه كان صغيرا حينئذ فلم يقتل بشيء روى الحديث عن أبيه وعمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين قال الزهري وابن عيينة ما رأينا قرشيا أفضل منه وقال الزهري ما رأيت أفقه منه وقال ابن المسيب ما رأيت أورع منه (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة . فعن سفيان قال جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال له إن فلانا قد وقع فيك بحضوري فقال له انطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه فلما أتاه قال له يا هذا إن كان ما قلته فيّ حقا فأنا أسأل الله أن يغفر لي وإن كان ما قلت فيّ باطلا فالله تعالى يغفر لك ثم ولى عنه . وعن أبي حمزة قال كان علي بن الحسين رضي الله عنه يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة . وكان رضي الله عنه إذا توضأ للصلاة يصفرّ لونه فقيل له ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول أما تدرون من أريد أن أقف بين يديه . وعن طاوس قال دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ثم سجد سجدة فأطالها فقلت رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعته يقول عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك قال طاوس فوالله ما طلبت ودعوت بهن في كرب إلا فرج الله عني ﴿فائدة استطرادية﴾ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا أهمه أمر يرفع يديه إلى السماء ثم يقول يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي تزيل بها النعم وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحل النقم وأعوذ بك من الذنوب التي بها تثير الأعداء وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحبس غيث السماء وهو دعاء مجرب عند الكرب انتهى من قرة العين في مقتل الحسين (قال) ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين (وقال) محمد ابن إسحق كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم وما كلهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم (وكان) يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره فقيل ما هذا فقال كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . ولما مات رضي الله عنه وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت . قال سفيان أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين . وكان رضي الله عنه إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه قال المناوي دخل على عليّ زين العابدين رضي الله عنه في مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي فقال له ما يبكيك فقال له علي دين خمسة عشر ألف دينار فقال هي علي ووفاها رضي الله عنه (يروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودونه فقالوا كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدتك أنفسنا قال في عافية والله المحمود على ذلك فكيف أصبحتم أنتم جميعا قالوا أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله ﷺ محبين وادّين فقال لهم

يقوم سنة مائتين . وعن أبي قبيل أن الناس يجتمعون عليه سنة أربع ومائتين . وفي كلام الجدولي أن ظهوره يكون في يوم عاشوراء وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر للمهدي من ولد الإمام حسن العسكري ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة عن الإمام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك سيدي علي الخوّاص رحمهما الله تعالى . وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات اعلموا أنه لابد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها جده الحسين بن علي ابن أبي طالب ووالده الإمام حسن العسكري ابن الإمام علي النقي بالنون ابن الإمام محمد التقي

من أحبنا لله أسكنه الله فى ظل ظليل يوم القيامة يوم لاظل إلا ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لايحتسب ﴿لطيفة﴾ وفد على على بن الحسين نفر من أهل العراق فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ألا تخبرونى من أنتم أنتم المهاجرون الأولون الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا لا قال فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة قالوا لا فقال أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع اه من الفصول المهمة [كرامتان : الأولى] عن عبد الله الزاهد قال لما ولى عبد الملك ابن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فانظر فى دماء بنى عبدالمطلب فاجتنبها فإنى رأيت آل أبى سفيان لما أولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلا والسلام وأرسل بالكتاب بعد أن ختمه سرا إلى الحجاج وقال له أ كتم ذلك فكوشف بذلك على بن الحسين وأن الله قد شكر ذلك لعبد الملك فكتب على بن الحسين من فوره بسم الله الرحمن الرحيم من على بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أما بعد فإنك كتبت فى يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج فى حقنا بنى عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام فلما وقف عبدالملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه الذى كتبه إلى الحجاج ووجد مخرج غلام على بن الحسين موافقا لمخرج رسوله إلى الحجاج فى يوم واحد وساعة واحدة فعلم صدقه وصلاحه وأنه كوشف بذلك فأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وثيابا وكسوة فاخرة وسيره إليه من يومه وسأله أن لايخليه من صالح دعائه كذا فى الفصول [الثانية] استشاره زيد ابنه فى الخروج فنهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لايخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيانى إلاقتل فكان كما قال [نادرة] قال فى درر الأصداف إنه أى عليا زين العابدين خرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ فى سبه وأفرط فعاد إليه العبيد والموالى فكفهم عنه وأقبل عليه وقال له ماسترعنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة وألقى إليه خمسة آلاف درهم فقال أشهد أنك من أولاد المصطفى ﷺ . ولقيه رجل فسبه فقال له ياهذا بينى وبين جهنم عقبة إن أناجزتها فما أبالى بما قلت وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول (ونقل غير واحد) أن هشام بن عبد الملك حج فى حياة أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام فنصب له منبرا إلى جانب زمزم فى الحطيم وجلس عليه ينظر إليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام؛ فبينماهم كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما يريد الطواف فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى الناس له حتى استلم الحجر الأسود فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يمينا وشمالا؟ فقال هشام لاأعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال للشامى أنا أعرفه فقال من هو يا أبافراس؟ فقال :

بالتاء ابن الإمام على الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين على بن الحسين بن الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم يواطىء اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخلق بفتح الخاء وينزل عنه فى الخلق بضمها إذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه ، أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل به فى الرعية يمشى الخضر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطىء ، له ملك يسدده من حيث لايراه يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يعز الله به الإسلام بعد ذله ويحييه بعد موته ويضع الجزية ويدعو إلى الله تعالى بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يحكم بالدين الخالص عن الرأى

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته | والبيت يعرفه والحل والحرم | هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم | إذا رأته قريش قال قائلها | إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت | عن نيلها عرب الإسلام والعجم | يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم | يغضى حياء ويغضى من مهابته | فلا يكلم إلا حين يبتسم
من جده دان فضل الأنبياء له | وفضل أمته دانت له الأمم | ينشق نور الهدى من نور غرته
كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم | مشتقة من رسول الله نبعته | طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله | بجده أنبياء الله قد ختموا | الله فضله قدما وشرفه
جرى بذاك له في لوحه القلم | وليس قولك من هذا بضائره | العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما | يستوكفان ولا يعروهما العدم | سهل الخليقة لا تخشى بوادره
يزينه اثنان حسن الخلق والكرم | حمال أثقال أقوام إذا فدحوا | حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ماقال لا قط الا في تشهده | لولا التشهد كانت لاءه نعم | لا يخلف الوعد ميمون نقيبته
رحب الفناء أريب حين يعترم | عم البرية بالاحسان فانقصلت | عنه القتارة والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهمو | كفر وقربهمو منجى ومعتصم | إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو | لا يستطيع جواد بعد غايتهم | ولا يدانيهمو قوم وان كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت | والأسد أسد الشرى والبأس محتدم | لا ينقص العسر بسطا من أكفهم
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا | يستدفع السوء والبلوى بحبهم | ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم | في كل بدء ومختوم به الكلام | يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم
خيم كريم وأيد بالندى عصم | أي الخلائق ليست في رقابهم | لأولية هذا أوله نعم

من يعرف الله يعرف أولية ذا | والدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وسجنه بعسفان فبلغ ذلك على بن الحسين رضى الله عنه فبعث إليه بأربعة آلاف درهم فردها الفرزدق وكتب إليه إنما مدحتك بما أنت أهله فردها عليه على رضى الله عنه وكتب اليه أن خذها وتعاون بها على دهرك فانا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها منه وفى رواية فبعث إليه باثنى عشر ألف درهم وفى رواية بعشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو فى السجن فبعث وأخرجه . ومن هجوه له كما ذكره الخطيب البغدادى وغيره من قصيدة طويلة :

أيحبسنى بين المدينة والتى | اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد | وعين له حولاء باد عيوبها

قال الشيخ عبد الجواد الشربينى فى كتاب درر الأصداف فى مناقب الأشراف كان على بن الحسين عاملا على كتمان أسرار الله تعالى فى العالم كما أشار إلى ذلك فى قوله رضى الله عنه :

يارب جوهر علم لو أبوح به | لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال صالحون دمى | يرون أقبح ما يأتونه حسنا

انتهى

﴿تتمة﴾ فى الكلام على وفاته وأولاده وذكر شىء من كلامه رضى الله عنه (توفى) على زين العابدين رضى الله عنه فى ثانى عشر المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة وكان عمره اذ ذاك

سبعا

ويخالف فى غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم أن الله تعالى لا يحدث بعد أئمتهم مجتهدا وأطال فى ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم أن المهدى إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه ويعينونه على ما قلده الله ينزل الله عليه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بالمنارة البيضاء شرقى دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس فى صلاة العصر فيتنحى له الإمام عن مقامه فيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليه المهدى طاهرا مطهرا وفى زمانه يقتل السفيانى عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه فى البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته . وقال فى محل آخر من فتوحاته قد استوزر الله تعالى للمهدى طائفة خبأهم الله تعالى له فى مكنون غيبه أطلعهم

سبعا وخمسين سنة قال ابن الصباغ المالكي المكي يقال إنه مات مسموما وأن الذي سمه الوليد بن
عبد الملك ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه عمه الحسين بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها
العباس بن عبد المطلب (وأولاده) رضي الله عنهم خمسة عشر ولدا ما بين ذكر وأنثى أحد عشر
ذكرا وأربع إناث وهم محمد المكنى بأبي جعفر الملقب بالباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي
عم علي زين العابدين وزيد وعمر أمهما أم ولد وعبد الله والحسن والحسين أمهم أم ولد والحسين
الأصغر وعبد الرحمن وسليمان أمهم أم ولد وعلي وكان أصغر ولد علي بن الحسين وخديجة أمهما
أم ولد وفاطمة وعلية وأم كلثوم أمهن أم ولد فهؤلاء أولاده رضي الله عنهم أجمعين انتهى من
الفصول المهمة لكن سقط منهم واحد لأن المعدود في عبارته عشرة وقد قال من الذكور أحد
عشر ذكرا . هذا وفي بغية الطالب أن أولاد علي زين العابدين الذكور عشرة فقط والله أعلم .
[ومن كلامه رضي الله عنه] عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرته ولا يحتمي من الذنب لمعرفته . وقال
رضي الله عنه أربع عزهن ذل: البنت ولو مريم والدين ولو درهم والغربة ولو ليلة والسؤال ولو كيف
الطريق . وقال رضي الله عنه من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس وكان يتصدق سرا ويقول
صدقة السر تطفيء غضب الرب [موعظة] قال أبو حمزة الثمالي أتيت باب علي بن الحسين
فكرهت أن أنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد علي ثم انتهى
بي إلى حائط فقال يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط قلت بلى ياسيدي قال فاني متكيء عليه
وأنا حزين مفكر إذ دخل علي رجل حسن الثياب طيب الرائحة ثم نظر في وجهي وقال يا علي
ابن الحسين أراك كئيبا حزينا على الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منه البار والفاجر فقلت ما عليها
أحزن وإنه كما تقول قال فعلام حزنك ؟ قلت أتخوف من فتنة ابن الزبير قال فضحك ثم قال يا علي
هل رأيت أحدا خاف الله فلم ينجه ؟ قلت لا قال يا علي هل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه ؟ قلت لا
ثم نظرت فاذا ليس قدامي أحد فعجبت من ذلك وإذا بقائل أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول
يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك كذا في الفصول المهمة .

﴿ فصل : في ذكر سيدنا محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قال المناوي في طبقاته سمي باقرا لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله (ولد) محمد الباقر بالمدينة في ثالث
صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين بثلاثة سنين (وكنيته) أبو جعفر لاغير
(وألقابه) ثلاثة الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الباقر (روى) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي
قال «كنا عند جابر بن عبدالله رضي الله عنهما فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي فقال علي لابنه
محمد وهو صبي قبل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبل رأسه فقال جابر من هذا؟ وكان قد كف بصره
فقال له علي بن الحسين هذا ابني محمد فضمه جابر اليه وقال يا محمد محمد رسول الله ﷺ يقرئك السلام
فقالوا كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال كنت عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلاعبه
فقال يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي فاذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقم سيد العابدين
فيقوم علي بن الحسين ويولد لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد يا جابر إن أدركته فأقرئه مني السلام
وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل» فلم يعش جابر رضي الله عنه بعد ذلك غير ثلاثة أيام وروى
أن محمدا الباقر بن علي سأل جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما لما دخل عليه عن عائشة
وما جرى بينها وبين علي رضي الله عنهما فقال له جابر دخلت عليها يوما وقلت لها ما تقولين في علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه ؟ فأطرقت رأسها ثم رفعته وقالت رضي الله عنها :

كشفا وشهودا على الحقائق
وما هو أمر الله في عباده
فلا يفعل المهدي شيئا إلا
بمشاورتهم وهم على أقدام
رجال من الصحابة الذين
صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وهم من الأعاجم
ليس فيهم عربي لكن
لا يتكلمون إلا بالعربية
لهم حافظ من غير
جنسهم ماعصى الله قط
هو أخص الوزراء ثم قال
وهؤلاء الوزراء لا يزيدون
عن تسعة ولا ينقصون
عن خمسة لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
شك في مدة إقامته
خليفة من خمس إلى تسع
للشك الذي وقع في وزرائه
فلكل وزير معه إقامة
سنة فإن كانوا خمسة عاش
خمسا وإن كانوا سبعة عاش
سبعا وإن كانوا تسعة عاش
تسعا ، ولكل سنة أحوال
مخصوصة وعلم يختص به
وزيرها ويقتلون كلهم
إلا واحدا في مرج عكا
في المأدبة الإلهية التي جعلها
الله مائدة للسباع والطيور
والهوام وذلك الواحد
الذي يبقى لا أدري هل
هو ممن استثنى الله في قوله
تعالى « ونفخ في الصور
فصعق من في السموات
ومن في الأرض إلا من
شاء الله » أوهو يموت في
تلك النفخة وإنما شككت

إذا ما التبرحك على محك تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفى على بيننا شبه المحك

(وأم محمد الباقر) أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم فهو هاشمي من هاشميين علوى من علويين نقش خاتمه رب لاتذرنى فردا (ونقل) الثعلبي فى تفسيره أن الباقر نقش فى خاتمه هذه الكلمات :

ظنى بالله حسن وبالنبي المؤتمن وبالوصى ذى المنن وبالحسين والحسن

(ومعاصره) الوليد وأولاده يزيد وإبراهيم (صفة الباقر) رضى الله عنه أسمر معتدل (وشاعره) الكميت والسيد الحميرى (وبوابه) جابر الجعفى قال صاحب الإرشاد لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ماظهر عن أبي جعفر الباقر روى عن معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وسارت بذكر علومه الأخبار وأنشدت فى مدائحه الأشعار فمن ذلك ماقاله مالك بن أعين الجهنى من قصيدة يمدحه فيها :

إذا طلب الناس علم القرا ن كانت قريش عليه عيالا
وإن فاه ابن بنيـة النبي تلقت يداك فروعا طوالا

وفيه يقول الرضي: ياباقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الاجبل

[ومناقبه رضى الله عنه كثيرة مشهورة] حكى مولاه أفلح قال حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى فقلت بأبى أنت وأمى إن الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلا فقال ويحك ياأفلح ولم لاأرفع صوتى بالبكاء لعل الله ينظر إلىّ برحمة منه فأفوز بها غدا ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركع خلف المقام فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه (وروى) عنه ابنه جعفر قال كان أبي يقول فى جوف الليل فى تضرعه أمرتنى فلم أأتمر ونهيتنى فلم أنزجر فها أناعبدك بين يديك مقر لاأعتذر قال خالد بن الهيثم قال أبوجعفر محمد الباقر: ماغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شئ إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله تعالى يكفر بها بحورا من الخطايا ولو أن باكيا يبكى فى أمة لحرم الله تلك الأمة على النار ﴿ فائدتان : الأولى ﴾ روى الزهرى قال حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متوكئا على سالم مولاه ومحمد بن على فى المسجد فقال له سالم ياأمير المؤمنين هذا محمد بن على بن الحسين فى المسجد المفتون به أهل العراق فقال اذهب إليه وقل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذى يأكله الناس ويشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟ فقال له قل له يحشر الناس على مثل قرص من نقى فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب قال فلما سمع هشام ذلك رأى أنه قد ظفر به فقال الله أكبر ارجع إليه فقل له ماأشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ ؟ فقال محمد قل له هم فى النار ولم يشغلوا أن قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فسكت هشام ولم يرجع كلاما [الثانية] روى أن العلاء ابن عمرو بن عبيد قدم على محمد صاحب الترجمة ابن على بن الحسين رضى الله عنهم يمتحنه فقال له جعلت فداك مامعنى قوله تعالى «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما» ماهذا الرتق والفتق ؟ فقال له أبوجعفر محمد كانت السماء رتقا لاتنزل مطرا وكانت الأرض رتقا لاتخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وخروج النبات فسكت أبو عمرو ولم يجد اعتراضا ثم سأله عن قوله تعالى «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى» ماغضب الله تعالى فقال طرده وعقابه ياأباعمرو

ومن

فى مدة إقامة المهدى إماما فى الدنيا لأنى ماطلبت من الله تحقيق ذلك أدبا معه تعالى أن أساله فى شيء من ذات نفسى ، ولما سلكت معه هذا الأدب قيض الله تعالى واحدا من أهل الله عزوجل فدخل علىّ وذكر لى عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لى هم تسعة فقلت له إن كانوا تسعة فإن بقاء المهدى لا بد أن يكون تسع سنين وأطال فى بيان ذلك . وقال فى محل آخر من فتوحاته إنه يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة وذلك أنه يلهم الشرع المحمدى فيحكم به كما أشار إليه حديث المهدى يقفو أثرى لايخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع وأنه معصوم فى حكمه نعلم أنه يحرم عليه القياس مع وجود النصوص التى منحه الله إياها على لسان ملك الإلهام بل حرم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله لكون رسول الله ﷺ مشهودا لهم فإذا شكوا فى صحة حديث أوحكم رجعوا إليه فى ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لايحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير

ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر (وسئل) عن قوله تعالى «أولئك يجزون الغرفة بما صبروا» فقال بصبرهم على الفقر ومصائب الدنيا حكت سلمى مولاة أبي جعفر أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم قال فكنت أكلمه في ذلك لكثرة عياله وتوسط حاله فيقول ياسلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف فكان يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة إلى ألف درهم ﴿كرامة﴾ قال أبو بصير قلت يوما للباقر أنتم ورثة رسول الله ﷺ قال نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم وارث الأنبياء جميعهم قال وارث جميع علومهم قلت وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله ﷺ قال نعم قلت فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم قال نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى ثم قال ادن مني ياأبابصير وكان أبو بصير مكفوف النظر قال فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السماء والجبل والأرض فقال أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة قلت الجنة فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت [لطيفة] من كتاب الصفوة لابن الجوزي عن عروة بن عبدالله قال سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال لابأس به وقد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه فقلت تقول الصديق قال فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال نعم الصديق نعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا ولا في الآخرة اهـ ﴿كرامتان : الأولى﴾ عن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه الى الأرض ثم رفعه فقال ياقوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلتكم وتلقون منه بلاء لاتقدرون عليه ولا على دفعه وذلك من قابل فخذوا حذركم واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لابد منه فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا لا يكون هذا أبدا فلما كان من قابل تحمل أبو جعفر من المدينة بعياله هو وجماعة من بني هاشم وخرجوا منها فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام وقتل فيها خلقا كثيرا لايحصون وكان الأمر على ماقال [الثانية] من كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم قال كنت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر فمر بنا زيد بن علي أخوه فقال أبو جعفر أما رأيت هذا ليخرجن بالكوفة وليقتلن وليطافن برأسه فكان كما قال .

﴿تتمة﴾ في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه (مات) أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل ثمان وخمسون وقيل غير ذلك وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه . وفي درر الأصداف مات مسموما كأبيه ودفن بقبة العباس بالبقيع . ومثله في الفصول المهمة عن ابنه جعفر الصادق قال كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وتكفينه ودفنه ودخول القبر قال فقلت ياأبت والله مارأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولاأرى عليك أثر الموت فقال يابني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يامحمد عجل [وأولاده] رضي الله عنه ستة وقيل سبعة وهم أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يكنى به وعبد الله أمهما أم فروة بنت القاسم بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإبراهيم وعبد الله وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية وعلي وزينب لأم ولد نقله صاحب الإرشاد [ومن كلامه] رضي الله عنه : مادخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو كثر، وقال: سلاح اللئام قبيح الكلام، وكان يقول : والله لموت عالم أحب إلى الشيطان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ . ولا يخفى أن ما ذكره من كون جده الحسين مناف لما مر من ترجيح رواية كون جده الحسن وأن ما ذكره من كون والده الحسن العسكري مناف لما مر في بعض الروايات من كون اسم أبيه يواطئ اسم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ما ذكره من كون المحقق في مدة إقامته إماما خمس سنين مناف لما مر عن الصواعق أخذا من الأحاديث السابقة من كون المحقق ست سنين وأن ما ذكره من كونه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم مناف لما مر من كون ذلك لعيسى وأن ما ذكره من كون عيسى هو الذي يصلي بالناس حين ينزل مناف لما مر من كون الذي يصلي بهم حينئذ هو المهدي ثم ما ذكره من أن عيسى ينزل والناس في صلاة العصر مناف لما في السيرة الحلبية من أنه ينزل والناس في صلاة الفجر وفيها أنه يتزوج بامرأة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى أحدهما محمدا والآخر موسى وأن مدة مكثه سبع سنين على ما في مسلم وبها تكون مدة حياته في الأرض أربعين لتنبئه وهو

من موت سبعين عابدا ، وقال رضى الله عنه شيعتنا من أطاع الله [موعظة] عن جابر الجعفى قال قال لى محمد بن على بن الحسين ياجابر إنى لمشتغل القلب قلت وما يشغل قلبك ؟ قال ياجابر إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه ، ياجابر ماالدنيا وما عسى أن تكون هل هى إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ، ياجابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم لك معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك أليسوا قوالين لحق الله قائمين بأمر الله فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه وكمال أصبته فى منامك ثم استيقظت وليس معك منه شىء واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته (وقال) رضى الله عنه : الغنى والفقر يجولان فى قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل استوطناه (ومن) كلامه رضى الله عنه : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عزوجل ، وقال رضى الله عنه : مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ، وقال رضى الله عنه : بئس الأخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا (وقال لابنه) يابنى إذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله وإذا أحزنك أمر فقل لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإذا أبطأ عليك الرزق فقل أستغفر الله (وقال) رضى الله عنه : اعرف المودة فى قلب أخيك بماله فى قلبك . وفى كتاب نثر الدرر لأبى سعيد منصور بن الحسين إن محمد بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهم: يابنى إن الله خبأ ثلاثة أشياء فى ثلاثة أشياء: خبأ رضاه فى طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئا فلعل رضاه فيه وخبأ سخطه فى معصيته فلا تحقرن من معصيته شيئا فلعل سخطه فيه وخبأ أولياءه فى خلقه فلا تحقرن أحدا فلعله ذلك الولى .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾ ولد جعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل سنة ثلاث وثمانين قال بعضهم والأول أصح وأمه الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأم القاسم أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهم فكان يقول ولدنى الصديق مرتين ذكره الماوردى فى الطبقات وكنيته أبو عبدالله وقيل أبو إسمعيل وألقابه ثلاثة الصادق والفاضل والطاهر وأشهرها الصادق (صفته) معتدل آدم اللون (وشاعره) السيد الحميرى (وبوابه) المفضل ابن عمرو (نقش خاتمه) ماشاء الله لاقوة إلا بالله أستغفر الله (ومعاصره) أبوجعفر المنصور (ومناقبه) كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب ويحار فى أنواعها فهم اليقظ الكاتب . روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم كيحيى بن سعيد ومالك بن أنس والثورى وابن عيينة وأبى حنيفة وأيوب السختيانى وغيرهم . قال أبو حاتم جعفر الصادق ثقة لايسئل عن مثله (فى درر الأصداف) قال لأبى حنيفة بلغنى أنك تقيس فى الدين وأول من قاس إبليس فقال أبو حنيفة رضى الله عنه إنما أقيس فيما لاأجد فيه نصا (قال) ابن أبى حازم كنت عند جعفر الصادق يوما إذا سفيان الثورى بالباب فقال ائذن له فدخل فقال له جعفر ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان فى بعض الأحيان وتحضر عنده وأنا أتقى السلطان فاخرج عنى غير مطرود فقال سفيان حدثنى حديثا أسمعه منك وأقوم فقال حدثنى أبى عن جدى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال «من أنعم الله عليه فليحمد الله» ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزبه أمر فليقل لاحول ولاقوة إلا بالله ، فلما قام سفيان قال جعفر خذها ياسفيان ثلاثا وأى ثلاث ؟ وفى حياة الحيوان الكبرى فائدة قال ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب وكتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضى الله عنهما فيه كل

ابن ثلاثين سنة ورفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين وأنه يدفن عند نبينا صلى الله عليه وسلم وأن ظهور المهدى بعد أن يخسف القمر فى أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه فإن مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والأرض اه وفى الكشف للحافظ السيوطى من طرق عديدة أن عيسى يمكث بعد نزوله أربعين سنة . وفى الأعلام له أن عيسى إنما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما نص عليه العلماء ووردت به الأحاديث وانعقد عليه الإجماع وأنه لا يصح أن يكون مقلدا فى حكمه مذهبا من المذاهب ثم ذكر لمعرفته الشريعة المحمدية طرقا منها أنه يمكن أن يفهم جميع أحكام الشريعة من القرآن من غير احتياج إلى الحديث كما فهمها منه نبينا صلى الله عليه وسلم لانطوائه على جميعها وإن قصرت أفهام الأمة عن فهم ما يفهمه صاحب النبوة ويدل على فهم نبينا جميعها منه قول الشافعى رضى الله تعالى عنه جميع ماحكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه

مايحتاجون عليه إلى يوم القيامة ، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّى بقوله :

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم فى جلد جفر

ومرآة المنجم وهى صغرى تريه كل عامرة وقفر

والجفرمن أولاد المعز مابلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه (وفى) الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتابالجفر الذى بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن على من كلام جعفر الصادق وله فيه المنقبة السنية والدرجة التى فى مقام الفضل علية (وكان) جعفرالصادق رضى الله عنه مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئا لايتم قوله إلا وهو بين يديه [كرامتان : الأولى] حدث عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة قدم المدينة فقال للربيع ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعبا قتلنى الله إن لم أقتله فتغافل الربيع عنه وتناساه فأعاد عليه فىاليوم الثانى وأغلظ فى القول فأرسل إليه الربيع فلما حضر قال له الربيع يا أبا عبد الله اذكر الله تعالى فإنه قد أرسل لك من لايدفع شره إلا الله وإنى أتخوف عليك فقال جعفر لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إن الربيع دخل به على المنصور فلما رآه المنصور أغلظ له فى القول وقال ياعدو الله اتخذك أهل العراق إماما يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتتبع لى الغوائل قتلنى الله إن لم أقتلك فقال جعفر ياأمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر وإنأيوب ابتلى فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك ولك فيهم أسوة حسنة فقال المنصور أجل ياأبا عبدالله ارتفع إلى هنا عندى ثم قال ياأبا عبدالله إن فلانا أخبرنى عنك بما قلت لك فقال أحضره يا أميرالمؤمنين ليوافقنى على ذلك فأحضر الرجل الذى سعى به إلى المنصورفقال له المنصور أحقا ماحكيت لى عن جعفر؟ فقال نعم ياأميرالمؤمنين فقال جعفر استحلفه فبادر الرجل وقال والله العظيم الذى لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد وأخذ يعدد فى صفات الله تعالى فقال جعفر ياأمير المؤمنين يحلف بما أستحلفه فقال حلفه بما تختار فقال جعفر قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلىحولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور نظرة منكرة فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخر ميتا مكانه فقال المنصور جروا برجله وأخرجوه ثم قال لاعليك ياأبا عبد الله أنت البرئ الساحة والسليم الناحية المأمون الغائلة علىّ بالطيب فأتى بالغالية فجعل يغلف بها لحيته إلى أن تركها تقطر وقال فى حفظ الله وكلاءته وألحقه ياربيع بجوائز حسنة وكسوة سنية قال الربيع فلحقته بذلك ثم قال له ياأبا عبدالله رأيتك تحرك شفتيك وكلماحركتها سكن غضب المنصوربأى شئ كنت تحركها ؟ قال بدعاء جدى الحسين قلت وماهوياسيدى؟قال: اللهمياعدتى عند شدتى وياغوثى عندكربتىاحرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بركنك الذىلايرام وارحمنى بقدرتك علىّ فلا أهلك وأنت رجائى ، اللهم إنك أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحذر، اللهمبك أدرأ فى نحره وأستعيذ من شره إنك على كل شئ قدير . قال الربيع فمانزل بى شدة ودعوت به إلافرج الله عنى قال الربيع وقلت له منعت الساعى بك إلىالمنصور من أن يحلف بيمينه وأحلفته بيمينك فما كان إلا أن أخذ لوقته ما السرفيه ؟ قال لأن فى يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه فقلت يحلم عليه ويؤخر عنه العقوبة وأحببت تعجيلهاإليه فاستحلفته بماسمعت فأخذهالله لوقته [الثانية] روىأن داود بن على بن عبدالله ابن العباس قتلالمعلى بن حسين مولىكان لجعفرالصادق وأخذ ماله فبلغ ذلك جعفر فدخل داره ولميزل ليله كله قائماإلىالصباح، فلما كان وقت السحر سمع منه فى مناجاته: ياذا القوة القوية ياذا المحالالشديد

من القرآن بل قوله صلى الله عليه وسلم «إنىلاأحل إلا ما أحل الله فى كتابه ولا أحرم إلا ماحرم الله فى كتابه» . ومنها أن عيسى إذا نزل يجتمع به صلىالله عليه وسلم فلامانع منأن يأخذ عنه مايحتاج إليه من أحكام شريعته وكم من ولى ثبت أنه اجتمع به يقظة وأخذ عنه فعيسى أولى ثم ذكر أنه بعد نزوله يوحى إليه بجبريل وحياحقيقياوأطال فى الاحتجاج لذلك والرد على منكره هذا ويجوز أن يكون طريق معرفته للأحكام الإلهام نظير ما مر عن ابن عربى فىالمهدى ، والله أعلم .

﴿ الباب الثالث فى الكلام على جماعة من أهلالبيت مدفونين بمصر ﴾ .

تقدمذكرهم إجمالاوتقدم على ذلك جملة تتعلق بخصوص على كرم الله وجهه وجملة تتعلق بخصوص فاطمة الزهراء رضىالله تعالى عنها وجملة تتعلق بخصوص ولدها أبى محمد الحسن رضى الله تعالى عنه فنقول : (أماعلى) فقد أسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل غير ذلك قديما بل قال ابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وسلمان

ياذا العزة التى خلقك لها ذليل اكفنا هذه الطاغية وانتقم لنا منهم فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات وقيل مات داود بن على فجأة [الثالثة] لما بلغ جعفرا الصادق رضى الله عنه قول الحكم بن عباس الكلبى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يصلب

رفع يديه إلى السماء وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد فى الطريق فبلغ ذلك جعفرا فخر ساجدا لله تعالى وقال الحمد لله الذى أنجزنا ماوعدنا [الرابعة] عن إبراهيم بن عبدالحميد قال اشتريت بردة من مكة وآليت على نفسى أن لاتخرج من ملكى حتى تكون كفنى فخرجت بها إلى عرفة فوقفت فيها الموقف ثم انصرفت إلى المزدلفة فبعد أن صليت فيها المغرب والعشاء رفعتها وطويتها ووضعتها تحت رأسى ونمت فلما انتبهت لم أجدها فاغتممت لذلك غما شديدا فلما أصبحت صليت وأفضت مع الناس إلى منى فوالله إنى لفى مسجد الخيف إذ أتانى رسول أبى عبد الله جعفر الصادق يقول لى يقول لك أبوعبدالله تأتينا فى هذه الساعة فقمت مسرعا حتى دخلت على أبى عبد الله وهو فى فسطاط فسلمت وجلست فالتفت إلى وقال يا إبراهيم تحب أن نعطيك بردة تكون لك كفنا قلت والذى يحلف به لقد كان معى بردة معدها لذلك ولقد ضاعت منى بالمزدلفة فأمر غلامه فأتى ببردة فناولنيها فإذا هى بردتى بعينها فقلت بردتى ياسيدى فقال خذها فقد جمعها الله عليك ياإبراهيم ﴿ فوائد : الأولى﴾ قال جعفر الصادق صاحب الترجمة لما رفعت إلى أبى جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن نهرنى وكلمنى بكلام غليظ ثم قال ياجعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذى تسمونه النفس السنية وما نزل به وإنما أنتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير قال قلت ياأمير المؤمنين حدثنى محمد بن على عن أبيه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال «إن الرجل ليصل رحمه وقد بقى من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينزلها الله إلى ثلاث سنين» قال فقال آلله سمعت هذا من أبيك فقلت والله لقدسمعتهامنه فرددهاعلىّ ثلاثا ثم قال انصرف . ﴿الثانية﴾ روى عن جعفر الصادق أنه قال لغلامه ناقد ياناقد إذا كتبت كتابا فى حاجة وأردت أن تنجح حاجتك التى تريد فاكتب فى رأس الورقة بسم الله الرحمن الرحيم وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لايحتسبون جعلنا وإياكم من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون قال ناقد فكنت أفعل فتنجح حوائجى ﴿الثالثة﴾ قال جعفر الصادق رضى الله عنه: للصداقة خمس شروط ، فمن كانت فيه فانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شئ منها وهى أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيته وأن لايغيره عليه مال وأن يراه أهلا لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات .

﴿تتمة﴾ فى الكلام على وفاته وأولاده وذكر شئ من كلامه رضى الله عنه (قال ابن الصباغ) مات جعفر الصادق بن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة فى شوال وله من العمر ثمان وستون سنة يقال إنه مات بالسم فى أيام المنصور ودفن بالبقيع فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده وعم جده فلله دره من قبر ماأكرمه وأشرفه انتهى (وأولاده) رضى الله عنه كانوا سبعة وقيل أكثر ستة ذكور وبنت واحدة وهم اسمعيل ومحمد وعلى وعبد الله وإسحق وموسى الكاظم والبنت اسمها فروة كذا فى الفصول المهمة (وفى الملل والنحل للشهرستانى) كان لجعفر الصادق خمسة أولاد محمد وإسمعيل وعبد الله وموسى وعلى وأسقط وإسحق والبنت (وفى بغية الطالب) أن أولاد

جعفر

الفارسى وجماعة آخرون إنه أول من أسلم وقل بعضهم الإجماع عليه والجمع بين هذا الإجماع والإجماع على أن أبا بكر أول من أسلم بأن عليا أول من أسلم من الصبيان وأبابكر أول من أسلم من الرجال وقد تقدم عن بعضهم حكاية الإجماع على أن خديجة أول من أسلم على الإطلاق وأن الخلاف فى أول من أسلم بعدها فليحفظ روى أبو يعلى عن على قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء قال الحلبى هذا إنما يأتى على القول بأن النبوة والرسالة تقارنتا ، لا على أن الرسالة تأخرت عن النبوة وأن بينهما فترة الوحى اه . ويمكن أن يراد البعث بعد فترة الوحى ياأيها المدثر لكن هذا يتوقف على أنه كان أيضا يوم الاثنين فلينظر . وأخرج ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن قال لم يعبد علىّ الأوثان قط لصغره أى ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه ومثله فى ذلك الصديق فإنه لم يعبد صنما قط كما قيل قال فى السيرة الحلبية وإنما صح إسلام علىّ مع أنهم أجمعوا على أنه لم يكن بلغ الحلم

جعفر تسعة إلا أنه لم يسردهم بالعد جميعهم إنما عد ما فى الفصول المهمة واقتصر ولم يذكر البنت .
(ومن كلامه رضى الله عنه) لا يتم المعروف إلا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره ، وقال رضى الله عنه :
ما كل من رأى شيئا قدر عليه ولا كل من قدر على شىء وفق له ولا كل من وفق أصاب له موضعا
فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة ، وقال: تأخير التوبة اغترار ، وطول
التسويف حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله
إلا القوم الخاسرون. وقال: أربعة أشياء القليل منها كثير النار والعداوة والفقر والمرض ، وسئل لم
سمي البيت العتيق ؟ قال لأن الله تعالى عتقه من الطوفان، وقال: صحبة عشرين يوما قرابة ، وقال: كفارة
عمل الشيطان الإحسان إلى الإخوان ، وقال إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس
فى الصدور ، وقال : البنات حسنات والبنون نعم والحسنات يثاب عليها والنعم مسئول عنها ، وقال
رضى الله تعالى عنه : من لم يستح عند العيب ويرعو عند الشيب ويخش الله بظهر الغيب فلا خير
فيه، وقال: إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضنون بالمدح ويجودون بالهجاء ، وكان يقول اللهم إنك بما
أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة ، وقال : من أكرمك فأكرمه ومن استخف
بك فأكرم نفسك عنه ، وقال: منع الجود سوء ظن بالمعبود ، وقال دعا الله الناس فى الدنيا بآبائهم
ليتعارفوا ودعاهم فى الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين كفروا ، وقال :
إن عيال المرء أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل يوشك أن تزول
تلك النعمة عنه ، وقال: ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزا الصفح عمن ظلمه والإعطاء لمن
حرمه والصلة لمن قطعه، وقال: المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا رضى لم يدخله رضاه
فى باطل (قال) بعض شيعة جعفر الصادق دخلت عليه وموسى ولده بين يديه وهو يوصيه بهذه
الوصية فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال : يا بنى اقبل وصيتى واحفظ مقالتى فإنك إن حفظتها تعش
سعيدا وتمت حميدا . يا بنى إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما فى يد غيره مات
فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره .
يا بنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه
بئرا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم .
يا بنى قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال . يا بنى إذا طلبت
الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللأصول فروعا وللفروع ثمرا ولا يطيب
ثمر إلا بفروع الأصل ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب . يا بنى إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الأشرار
فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها (قال) أحمد بن عمر
ابن مقدام الرازى وقع الذباب على وجه المنصور فذبه فعاد حتى أضجره وكان عنده جعفر بن محمد
فى ذلك الوقت فقال له المنصور يا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب؟ قال ليذل به الجبابرة فسكت المنصور .
قال سفيان الثورى سمعت جعفرا الصادق يقول : عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فإن تك فى
شىء فيوشك أن تكون فى الخمول ، وإن طلبت فى الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون فى العزلة
والخلوة ، فإن لم توجد فى العزلة والخلوة فيوشك أن تكون فى كلام السلف ، والسعيد من وجد فى
نفسه خلوة تشغله عن الناس . روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده
ورفعه قال : ما من مؤمن أدخل على قوم سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله
يحمده ويمجده فإذا صار المؤمن فى لحده أتاه ذلك السرور الذى أدخله على أولئك ملكا فيقول

لأن الصبيان كانوا إذ ذاك
مكلفين لأن القلم إنما
رفع عن الصبى عام خيبر
وعن البيهقى أن الأحكام
إنما تعلقت بالبلوغ فى عام
الخندق وفى لفظ فى عام
الحديبية وكانت قبل ذلك
منوطة بالتمييز اهـ .
وهو أحد العشرة المشهود
لهم بالجنة وأخو رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة
وصهره على فاطمة سيدة
نساء العالمين وأحد العلماء
الربانيين والشجعان
المشهورين والزهاد
المذكورين والخطباء
المعروفين وأحد من جمع
القرآن وعرضه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
شهد مع النبى صلى الله
عليه وسلم المشاهد كلها
إلا تبوك فإنه استخلفه على
المدينة وقال له حينئذ
أنت منى بمنزلة هارون
من موسى وله فى جميع
المشاهد الآثار المشهورة
وأصابته يوم أحد ستة
عشر ضربة وأعطاه صلى
الله عليه وسلم فى مواطن
كثيرة لاسيما يوم خيبر الراية
وأخبر صلى الله عليه وسلم
أن الفتح أى لأول
حصونها ثم لأصعبها يكون
على يديه كما فى الصحيحين
وحمل يومئذ باب الحصن
على ظهره حتى صعد
المسلمون عليه فدخلوها

أنا اليوم أونس وحشتك وألقنك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلتك فى الجنة كذا فى الفصول المهمة .

﴿فصل : فى ذكر مناقب سيدنا موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم﴾

أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية ؛ ولد موسى الكاظم بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة (وكنيته) أبو الحسن (وألقابه) كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين (صفته) أسمر عتيق (شاعره) السيد الحميرى (بوابه) محمد بن الفضل (نقش خاتمه) الملك لله وحده (معاصره) موسى الهادى وهرون الرشيد قال بعض أهل العلم الكاظم هو الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائما القاطع نهاره صائما المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به (ومناقبه) رضى الله عنه كثيرة شهيرة . يحكى أن الرشيد سأله يوما فقال كيف قلتم نحن ذرية رسول الله ﷺ وأنتم بنو على وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه فقال الكاظم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وليس لعيسى أب وإنما ألحق بذرية الانبياء من قبل أمه وكذلك ألحقنا بذرية النبى ﷺ من قبل أمنا فاطمة وزيادة أخرى ياأمير المؤمنين قال الله عز وجل فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم وهم الأبناء . روى موسى الكاظم صاحب الترجمة عن آبائه مرفوعا قال قال رسول الله ﷺ «نظر الولد إلى والديه عبادة» وعن إسحق بن جعفر قال سألت أخى موسى الكاظم بن جعفر قلت أصلحك الله أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال نعم قال فقلت أيكون خائنا قال لا ولا يكون كذابا ثم قال حدثنى أبى جعفر الصادق عن آبائه رضى الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة» [كراماته : الأولى] قال حسام بن حاتم الأصم قال لى شقيق البلخى خرجت حاجا سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية فبينما أنا أنظر الناس فى مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان وقد جلس منفردا فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم فى طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآنى مقبلا نحوه قال ياشقيق اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ثم تركنى وولى فقلت فى نفسى إن هذا لأمر عجيب تكلم بما فى خاطرى ونطق باسمى هذا عبد صالح لألحقنه وأسأله الدعاء وأتحلله بما ظننت فيه فغاب عنى ولم أره فلما نزلنا وادى فضة فإذا هو قائم يصلى فقلت هذا صاحبى امض إليه واستحله فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إلىّ وقال ياشقيق اتل وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم قام ومضى وتركنى فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سرى مرتين فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده فى البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول :

أنت شربى إذا ظمئت من الما ء وقوتى إذا أردت طعاما

ثم

وأرادوا بعد ذلك حمله فلم يحمله إلا أربعون رجلا . وأخرج ابن عساكر أنه تترس بباب الحصن عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه فألقاه ثم أراد ثمانية أن يقلبوه فما استطاعوا لكن قال بعضهم طرق حديث الباب كلها واهية . وفضائله كثيرة شهيرة حتى قال أحمد ماجاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلى وقال إسمعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء فى على . قال بعض أهل البيت سبب ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلى به على وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهار تلك الفضائل ليتمسك به من بلغته فينجو ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر تلك الفضائل من سمعها من الصحابة وبثها نصحا للأمة أيضا ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بنى أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله تعالى بل قالوا بكفره اشتغلت

ثم قال إلهى وسيدى مالى سواك فلا تعدمنيها فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل فى الركوة ويحركها ويشرب فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت أطعمنى من فضل ماأنعم الله به عليك فقال ياشقيق لم تزل نعم الله علىّ ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا فيها سويق بسكر فوالله ماشربت قط ألذ منه ولا أطيب فشربت ورويت حتى شبعت فأقمت أياما لاأشتهى طعاما ولا شرابا ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتى الفجر هناك ثم صلى الصبح مع الناس ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلى خلف المقام ثم خرج يريد الذهاب فخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجماعة أحاطوا به يمينا وشمالا ومن خلفه ومن أمامه وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه فقلت لأحدهم من هذا الفتى ياسيدى ؟ فقال هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهذه الكرامة رواها جماعة من أهل التآليف ورواها ابن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ورواها الجنابذى فى معالم العترة النبوية والرامهرمزى فى كتابه كرامات الأولياء وهى كرامة اشتملت على كرامات [الثانية] من كتاب الدلائل للحميرى روى أحمد بن محمد عن أبى قتادة عن أبى خالد الزبالى قال قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدى بعثهم فى إحضاره لديه إلى العراق من المدينة وذلك فى مسكتة الأولى فأتيته فسلمت عليه فسر برؤيتى وأوصانى بشراء حوائج و بتبقيتها عندى له فرآنى غير منبسط فقال مالى أراك منقبضا فقلت كيف لاأنقبض وأنت سائر إلى هذه الفئة الطاغية ولا آمن عليك فقال ياأبا خالد ليس على بأس فإذا كان فى شهر كذا فى اليوم الفلانى منه فانتظرنى آخر النهار مع دخول الليل فإنى أوافيك إن شاء الله تعالى قال أبو خالد فما كان لى هم إلا إحصاء تلك الشهور والأيام إلى ذلك اليوم الذى وعدنى المجىء فيه فخرجت غروب الشمس فلم أر أحدا فلما كان دخول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق فقصدته فإذا هو على بغلة أمام القطار فسلمت عليه وسررت بقدمه وتخلصه فقال لى أداخلك الشك ياأبا خالد فقلت الحمد لله الذى خلصك من هذه الطاغية فقال يا أبا خالد إن لهم إلىّ عودة لاأتخلص منها [الثالثة] عن عيسى المدائنى قال خرجت سنة إلى مكة فأقمت بها مجاورا ثم قلت أذهب إلى المدينة فأقيم بها سنة مثل ماأقمت بمكة فهو أعظم لثوابى فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلى إلى جنب دار أبى ذر وجعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم فبينا أنا عنده فى ليلة ممطرة إذ قال لى ياعيسى قم فقد انهدم البيت على متاعك فقمت فإذا البيت قد انهدم على المتاع فاكتريت قوما كشفوا عن متاعى واستخرجت جميعه ولم يذهب لى غير سطل للوضوء فلما أتيته من الغد قال هل فقدت شيئا من متاعك فندعو الله لك بالخلف فقلت مافقدت غير سطل كان لى أتوضأ منه فأطرق رأسه مليا ثم رفعه فقال قد ظننت أنك أنسيته قبل ذلك فأت جارية رب الدار فاسألها عنه وقل لها أنسيت السطل فى بيت الخلاء فرديه قال فسألها عنه فردته [الرابعة] عن عبد الله بن إدريس عن ابن سنان قال حمل الرشيد فى بعض الأيام إلى على بن يقطين ثيابا فاخرة أكرمه بها ومن جملتها دراعة منسوجة بالذهب سودا من لباس الخلفاء فأنفذها على بن يقطين لموسى الكاظم فردها وكتب إليه احتفظ عليها ولا تخرجها عن يديك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها فارتاب

جهابذة الحفاظ من أهل السنة بيث فضائله حتى شاعت نصحا للأمة ونصرة للحق .

[وهذه جملة من الأحاديث والآثار الواردة فى حقه زيادة على ماسبق]

أخرج الشيخان عن سعد ابن أبى وقاص وغيرهما عن غيره «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف على بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال يارسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى» . وليس المراد من هذا الحديث أن جميع المنازل الثابتة لهرون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلى من النبى صلى الله عليه وسلم وإلالما صح الاستثناء كما تزعمه الشيعة والرافضة مستدلين به على استحقاقه الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم بل المراد أن عليا خليفة عن النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هرون خليفة عن موسى مدة غيبته للمناجاة وأما الاستثناء فمنقطع والمعنى لكنك لست نبيا كهرون لأنه لانبى بعدى . ولئن سلم أن الحديث يعم المنازل كلها فهو عام مخصوص

على بن يقطين لرذها عليه ولم يدر ماسبب كلامه ذلك ثم إنه احتفظ بالدراعة وجعلها فى سفط وختم عليها فلما كان بعد مدة يسيرة تغير على بن يقطين على بعض غلمانه ممن كان يختص بأموره ويطلع عليها فصرفه عن خدمته وطرده لأمر أوجب ذلك منه فسعى الغلام بعلى بن يقطين إلى الرشيد وقال له إن على بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم وأنه يحمل إليه كل سنة زكاة ماله والهدايا والتحف وقد حمل إليه فى هذه السنة ذلك وصحبته الدراعة السوداء التى أكرمته بها ياأمير المؤمنين فى وقت كذا فاستشاط الرشيد لذلك غيظا وقال لأكشفن عن ذلك فإن كان الأمر على ماذكرت أزهقت روحه وذلك من بعض جزائه فأنفذ فى الوقت والحين من أحضر على بن يقطين فلما مثل بين يديه قال مافعلت بالدراعة السوداء التى كسوتكها واختصصتك بها من مدة من بين سائر خواصى؟ قال هى عندى ياأمير المؤمنين فى سفط فيه طيب مختوم عليها فقال أحضرها الساعة قال نعم ياأمير المؤمنين السمع والطاعة واستدعى بعض خدمه فقال امض وخذ مفتاح البيت الفلانى من دارى وافتح الصندوق الفلانى وأتنى بالسفط الذى فيه على حالته بختمه فلم يلبث الخادم إلا قليلا حتى عاد وصحبته السفط مختوما فوضع بين يدى الرشيد فأمر بفك ختمه ففك وفتح السفط وإذا بالدراعة فيه مطوية على حالها لم تلبس ولم تدنس ولم يصبها شىء من الأشياء فقال لعلى بن يقطين ردها إلى مكانها وخذها وانصرف راشدا فلن نصدق بعدها عليك ساعيا وأمر أن يتبع بجائزة سنية وتقدم بأن يضرب الساعى ألف سوط فضرب فلما بلغوا الخمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف [الخامسة] روى إسحق بن عمار قال لما حبس هرون الرشيد موسى الكاظم دخل الحبس ليلا أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفه فسلما عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم فجاء بعض الموكلين به فقال له إن نوبتى قد فرغت وأريد الانصراف من غد إن شاء الله تعالى فإن كان لك حاجة تأمرنى أن آتيك بها غدا إذا جئت فقال مالى حاجة انصرف ثم قال لأبى يوسف ومحمد بن الحسن إنى لأعجب من هذا الرجل يسألنى أن أكلفه حاجة يأتينى بها معه غدا إذا جاء وهو ميت فى هذه الليلة فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألاه عن شىء وقالا أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة فأخذ يتكلم معنا فى علم الغيب والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره وينظر ماذا يكون من أمره فأرسلا شخصا من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والناعية فقيل لهم ماالخبر؟ فقالوا مات صاحب البيت فجأة فعاد إليهما الرسول وأخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب اه من الفصول المهمة (كان موسى الكاظم) رضى الله عنه أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفا وأكرمهم نفسا وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلا وكذلك النفقات ولايعلمون من أى جهة وصلهم ذلك ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته (وكان) كثيرا مايدعو باللهم إنى أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

﴿تتمة: فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه﴾ روى أحمد بن عبد الله بن عمار عن محمد بن على النوفلى قال كان السبب فى أخذ الرشيد لموسى بن جعفر وحبسه إياه أنه سعى به جماعة وقالوا إن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات والزكاة والأخماس وأنه اشترى ضيعة وسماها السيرية بثلاثة آلاف دينار فخرج الرشيد فى تلك السنة يريد الحج وبدأ بدخوله المدينة فلما أتاها استقبله موسى الكاظم فى جماعة من الأشراف فلما دخلها واستقر ومضى كل واحد الى سبيله ذهب موسى على جارى عادته إلى المسجد وأقام الرشيد إلى الليل وسار إلى قبر رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إنى أعتذر إليك من أمر أريد فعله وهو أن أمسك موسى الكاظم

فإنه

إذ من منازل هرون كونه أخا نبيا، والعام المخصوص غير حجة فى الباقى أو حجة ضعيفة على الخلاف وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد وغيرهما عن غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يدوكون أى يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين على بن أبى طالب؟ فقيل يشتكى عينيه فقال أرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية». وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت «كانت فاطمة أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها على أحب الرجال إليه». وقال صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض

فإنه يريد التشغيب بين أمتك وسفك دمائهم وإنى أريد حقنها ثم خرج فأمر به فأخذ من المسجد فدخل به إليه فقيده فى تلك الساعة واستدعى بقبتين فجعل كل واحدة منهما على بغل وسترهما بالسقلاط وجعله فى إحدى القبتين وجعل مع كل واحدة منهما خيلا وأرسل بواحدة منهما على طريق البصرة وبواحدة على طريق الكوفة وإنما فعل ذلك الرشيد ليعمى على الناس أمره وكان موسى الكاظم بالقبة التى أرسلها بطريق البصرة وأوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى ابن جعفر بن المنصور وكان على البصرة يومئذ واليا فسلموه له وحبسه عنده سنة فبعد السنة كتب إليه الرشيد فى سفك دمه وإراحته منه فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصه وثقاته الناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتبه له الرشيد فقالوا نشير عليك بالاستعفاء من ذلك وأن لاتقع فيه فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول ياأمير المؤمنين كتبت إلىّ فى هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه فى حبسى فلم يكن منه سوء قط ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ولم يكن عنده تطلع للولاية ولا خروج ولا شىء من أمر الدنيا ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفينى من أمره ويأمر بتسلمه منى وإلاسرحت سبيله فإنى منه فى غاية الحرج. فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندى بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى بن جعفر وأمره فيه بأمره فكان الذى تولى به السندى قتله أن جعل له سما فى طعام وقدمه له وقيل فى رطب فأكل منه موسى الكاظم ثم إنه أقام موعكا ثلاثة أيام ومات رحمه الله تعالى. ولما مات أدخل السندى الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدى وغيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق وأنه مات حتف أنفه (روى) أنه لما حضرته الوفاة سأل بن السندى أن يحضر مولى له مدنيا ينزل عند دار العباس بن محمد ليتولى غسله ودفنه وتكفينه فقال له السندى أنا أقوم لك بذلك على أحسن شىء وأتمه فقال إنا أهل بيت مهور نسائنا وحج مبرورنا وكفن موتانا وجهازنا من خالص أموالنا وأريد أن يتولى ذلك مولاى هذا فأجابه إلى ذلك وحضره له فوصاه بجميع ما يفعل فلما مات تولى ذلك مولاه المذكور كذا فى الفصول المهمة (ومن) كتاب الصفوة لابن الجوزى قال بعث موسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب فيها بأنه لم ينقض عنى يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك من الرخاء حتى نمضى جميعا إلى يوم ليس له انقضاء هناك يخسر المبطلون ، وقد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم فأمر هرون الرشيد يحيى بن خالد أن يضعه على الجسر ببغداد وأن ينادى هذا موسى بن جعفر الذى تزعم الرافضة أنه لايموت فانظروا إليه ميتا ففعل ونظر الناس إليه ثم حمل ودفن موسى الكاظم فى مقابر قريش بباب التبن ببغداد كذا فى كتاب الأنساب وغيره وكانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة (وأما أولاده) ففى الفصول المهمة كان له سبعة وثلاثون ولدا ما بين ذكر وأنثى وهم على الرضا والعباس والقاسم وإسمعيل وجعفر وهرون والحسن وعبد الله وإسحق وعبد الله وزيد والحسن وأحمد ومحمد والفضل وسليمان وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحليمة وأم أسماء ورقية الصغرى وأم كلثوم وميمونة اهـ ولكنه لم يستوف العدد المذكور. ومن أولاد الكاظم كما فى بغية الطالب عون وإليه يرجع نسب سيدنا ومولانا الشيخ الكبير الولى القرب جامع الشرفين شرف النسب وشرف المعرفة بالله والأدب

من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار» رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وكثير من طرقه صحيح أو حسن وليس فى هذا الحديث تنصيص على خلافة على بعده صلى الله عليه وسلم كما زعمته الشيعة قائلين المراد بالمولى الأولى فلعلى من الأولوية ما له صلى الله عليه وسلم بدليل قوله فى صدر الحديث ألست أولى بكم من أنفسكم؟ وبدليل الدعاء له. والرد عليهم من وجوه: أحدها أنهم اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الإمامة وهذا الحديث ليس بمتواتر بل نازع بعضهم فى صحته وإن كان المعول عليه أنه صحيح. ثانيها لانسلم أن المراد بالمولى الأولى إذ لم يعهد كون الولى بمعنى الأولى لاشرعا وهو واضح ولا لغة إذ لم يذكر أحد من أئمة العربية أن مفعلا بمعنى أفعل بل المراد به الناصر، والغرض من السياق التحذير من بغضه والتنبيه على مزيد شرفه والرد على من تكلم فيه ممن كان معه باليمن كما نقله غير واحد؛ إذ سبب هذا الحديث ذلك المتكلم

ذى الكرامات الظاهرة والغارات المتظاهرة أبى الحسن وأبى الأشبال على الأهدل لأنه على بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوى بن محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فقال :

على بن فاروق أبو محمد ثم سليمان الرضا المسدد عبيد عيسى علوى محمد
حمحام عون كاظم المؤيد جعفر الصادق قل محمد زين حسين وعلى السيد

والأهدل لقب شريف قال بعضهم معناه الأدنى الأقرب يقال هدل الغصن إذا دنا وقرب ولان بثمره قال بعض أهل المعرفة سمى على بالأهدل لأنه على الإله دل وناهيك به من لقب حسن رائق وله على كلا القولين دليل على المعنى مطابق وفيه سر لطيف عجيب يفهمه العاقل المنصف اللبيب اه من بغية الطالب .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب سيدنا على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ﴾

(ولد) على بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة وقيل سنة ثلاث وأربعين ومائة وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها أروى وكنيته أبو الحسن (وألقابه) الرضا والصابر والزكى والولى وأشهرها الرضا (صفته) أسود معتدل لأن أمه كانت سوداء دخل يوما حماما فبينما هو فى مكان من الحمام إذ دخل عليه جندى فأزاله عن موضعه وقال صب على رأسى يا أسود فصب على رأسه فدخل من عرفه فصاح يا جندى هلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ فأقبل الجندى يقبل رجليه ويقول هلا عصيتنى إذ أمرتك فقال إنها لمثوبة وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه ثم أنشأ يقول :

ليس لى ذنب ولا ذنب لمن قال لى يا عبد أو يا أسود
إنما الذنب لمن ألبسنى ظلمة وهو الذى لا يحمد

كذا فى تاريخ القرمانى (شاعره) دعبل الخزاعى (بوابه) محمد بن الفرات (نقش خاتمه) حسبى الله (معاصره) الأمين والمأمون قال الشيخ كمال الدين بن طلحة تقدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وزين العابدين على بن الحسين وجاء على الرضا هذا ثالثهما عن محمد بن يحيى الفارسى قال نظر أبو نواس الى على بن موسى الكاظم ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة فدنا منه وسلم وقال ابن رسول الله ﷺ قلت فيك أبياتا أحب أن تسمعها منى فقال له قل فأنشأ أبو نواس يقول :

* مطهرون نقيات ثيابهم تجرى الصلاة عليهم كلما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه فما له فى قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم علم الكتاب وما جاءت به السور

قال قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا قال ثلاثمائة دينار قال ادفعها إليه ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال لعله يستقلها سق يا غلام إليه البغلة ونقل الطوسى فى كتابه عن أبى الصلت الهروى قال دخل دعبل الخزاعى على على بن موسى بمرو فقال يا ابن رسول الله ﷺ إنى قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسى أن لا أنشدها أحدا قبلك وأحب أن تسمعها منى فقال له على الرضا بن موسى رضى الله عنهما هات قل فأنشأ يقول :

ذكرت

وصدره بألست أولى الخ ليكون أبعث على قبولهم وكذا الدعاء له لذلك أيضا مع أن أكثر رواته لم يرووا صدره هذا . ثالثها سلمنا أن المراد أنه أولى لكن لا نسلم أن المراد أنه أولى بالإمامة بل بالاتباع له والقرب منه فهو كقوله تعالى « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ». رابعها سلمنا أنه أولى بالإمامة فالمراد بالمآل حين تعقد له البيعة فلا ينافى تقديم الأئمة الثلاثة عليه لانعقاد الإجماع حتى من علىّ عليه ويرشد إليه عدم احتجاج على أو غيره به عند الاختلاف بعد موته صلى الله عليه وسلم مع مسيس الحاجة إليه وإنما احتج به على فى خلافته وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين لهذا الحديث مع قرب العهد من سماعه وعدم تفريطهم فيما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم فى غاية البعد وزعم أن الصحابة علموا هذا النص ولم ينقادوا له عنادا باطل . خامسها كيف يكون ذلك نصا فى إمامة علىّ مع أن عليا نفسه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عليه ولا غيره كما فى البخارى وغيره والله أعلم.

ذكرت محل الربع من عرفات ... فأجريت دمع العين بالعبرات ... وفل عرى صبري وهاجت صبابتي
رسوم ديار أقفرت وعرات ... مدارس آيات خلت عن تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمرات ... ديار علي والحسين وجعفر
وحمزة والسجاد ذي الثفنات ... ديار لعبد الله والفضل صنوه ... نجيّ رسول الله في الخلوات
منازل كانت للصلاة وللتقى ... وللصوم والتطهير والحسنات ... منازل جبريل الأمين يحلها
من الله بالتسليم والرحمات ... منازل وحي الله معدن علمه ... سبيل رشاد واضح الطرقات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات ... وأين الألى شطت بهم غربة النوى
فأمسين في الأقطار مفترقات ... أحب فضاء الدار من أجل حبهم ... وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
وهم أهل ميراث النبي إذا انتموا ... وهم خير سادات وخير حماة ... مطاعيم في الإعسار في كل مشهد
لقد شرفوا بالفضل والبركات ... أئمة عدل يقتدى بفعالهم ... وتؤمن منهم زلة العثرات
فيارب زد قلبي هدى وبصيرة ... وزد حبهم يارب في حسناتي ... لقد أمنت نفسي بهم في حياتها
واني لأرجو الأمن بعد وفاتي ... ألم تر أني من ثلاثين حجة ... أروح وأغدو دائما الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات ... إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم
أكفا عن الأوتار منقبضات ... وآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد أغلظ القصرات
سأبكيهم ماذر في الأفق شارق ... ونادى منادي الخير بالصلوات ... وماطلعت شمس وحان غروبها
وبالليل أبكيهم وبالغدوات ... ديار رسول الله أصبحن بلقعا ... وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة ... وآل رسول الله في الفلوات ... فلولا الذي أرجوه في اليوم أوغد
لقطع نفسي إثرهم حسراتي ... خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي عن النعماء والنقمات
فيانفس طيبي ثم يانفس فاصبري ... فغير بعيد كل ما هو آت

وهي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتا ولما فرغ دعبل من أنشادها نهض أبو الحسن علي الرضا وقال لاتبرح فانفذ اليه صرة فيها مائة دينار واعتذر اليه فردها دعبل وقال والله مالهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه وللتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون وإني لفي غنى فان رأى أن يعطيني شيئا من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ فأعطاه علي الرضا جبة ورد عليها الصرة وقال للغلام قل له خذها ولاتردها فانك ستصرفها أحوج ما تكون إليها فأخذها وأخذ الجبة ثم أقام بمرو مدة فتجهزت قافلة تريد العراق فتجهز دعبل صحبتها فخرجت عليهم اللصوص في الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل فكتفوهم وأخذوا ما معهم فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقسمون أموالهم فتمثل مقدم اللصوص بقوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه فقال أتعرف هذا البيت لمن ؟ قال وكيف لا أعرفه هو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت قاله في قصيدة مدحهم بها فقال دعبل أنا والله هو وأنا صاحب القصيدة وقائلها فقال ويلك أنظر ما تقول فقال والله الأمر أشهر من ذلك واسأل أهل القافلة وهؤلاء الممسكون معكم يخبرونكم بذلك فسألوهم فقالوا بأسرهم هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف ، ثم ان دعبلا أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب فقالوا قد وجب حقك علينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذناه منها كرامة لك ياشاعر أهل البيت

وروى البيهقي « أن عليا ظهر من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب؟ فقال أنا سيد العالمين وهذا سيد العرب » ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب» وقال إنه صحيح لكن قال بعض محققي الحديث شواهده كلها ضعيفة بل جنح الذهبي إلى الحكم عليه بالوضع وعلى فرض صحته فسيادته لهم من حيث النسب أو نحوه فلا يستلزم أفضليته على الخلفاء الثلاثة قبله . وأما ما أخرجه الحاكم في مستدركه من أنه صلى الله عليه وسلم أتي بطير مشوى فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فأتاه علي فهو وإن كان مما تشبثت به الرافضة في تفضيلهم عليا حديث باطل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأفرده الحافظ الذهبي بجزء وقال إن طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث أدخله في المستدرك وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله

ثم إنهم أخذوا دعبلا معهم وتوجهوا به إلى قم ووصلوه بمال وسألوه فى بيع الجبة التى أعطاها له أبو الحسن الرضا ودفعوا له فيها ألف دينار فقال والله لا أبيعها وإنما أخذتها للتبرك من أثره ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم فأخذوا الجبة منه فرجع إلى قم وأخبر كبارهم بذلك فأخذوا الجبة منهم وردوها عليه ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك ويأخذها غيرنا ثم لا ترجع عليك فبالله إلا ما أخذت الألف منا وتركتها فأخذ الألف منهم وأعطاهم الجبة ثم ارتحل عنهم وعن أبى الصلت الهروى قال قال دعبل الخزاعى لما أنشدت مولاى الرضا هذه القصيدة وانتهيت فيها إلى قولى :

خروج إمام لامحالة خارج　　يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل　　ويجزى على النعماء والنقمات

بكى الرضا ثم رفع رأسه إلى وقال ياخزاعى لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين . قال إبراهيم بن العباس مارأيت الرضا سئل عن شئ إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان فى الزمان إلى وقت عصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شىء فيجيبه الجواب الشافى وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويقول ذلك صيام الدهر وكان كثير المعروف والصدقه وأكثر مايكون ذلك منه فى الليالى المظلمة وكان جلوسه فى الصيف على حصير وفى الشتاء على مسح قال إبراهيم بن العباس سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل يكلف الله العباد ما لايطيقون فقال هو أعدل من ذلك قال فيقدرون على كل ما يريدون قال هم أعجز من ذلك . وعن ياسر الخادم قال سمعت عليا الرضا بن موسى يقول : أوحش ما يكون هذا الخلق فى ثلاثة مواضع يوم يولد إلى الدنيا ويخرج الولود من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها فى دار الدنيا وقد سلم الله تعالى على يحي فى هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا» وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه فى هذه الثلاثة المواطن فقال «والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» . ﴿فائدة﴾ أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على بن الحسين رضى الله عنهم لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسى ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا ياأيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ماأريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك نذكرك به فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومتمرغ فى التراب ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم وكان المستملى أبازرعة ومحمد بن مسلم الطوسى فقال على الرضا رضى الله عنه حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه على المرتضى قال حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنى جبريل عليه السلام قال حدثنى رب العزة سبحانه وتعالى قال «كلمة لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى» ثم أرخى الستر على المظلة وسار قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا قال

رضى

أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم قيل يارسول الله سمهم لنا قال على منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان» . وأخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن حبيش ابن جنادة قال قال رسول الله ﷺ «على منى وأنا من على ولا يؤدى عنى إلا على» . وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال «آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة» وأخرج مسلم عن على قال «والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبى الأمى به أنه لايحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق» وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال «كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا» . وأخرج البزار والطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبرانى والحاكم والعقيلى فى الضعفاء وابن عدى عن ابن عمر والترمذى والحاكم عن على قال قال رسول الله ﷺ «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وفى رواية «فمن أراد العلم

رضى الله عنه لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه . وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه فى قبره فرؤى فى المنام بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لى بتلفظى بلا إله إلا الله وتصديق أن محمدا رسول الله أورده المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره . وعن على الرضا بن موسى عن آبائه عن النبى ﷺ أنه قال «من لم يؤمن بحوضى فلا أورده الله تعالى حوضى، ومن لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله الله شفاعتى ثم قال إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى فأما المحسنون فما عليهم من سبيل» وعن على الرضا بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ «لما أسرى به ولا يكون إلى يوم القيامة مؤمن إلا وله جار يؤذيه» وعن على الرضا أيضا قال قال رسول الله ﷺ «الشيب فى مقدم الرأس يمن وفى العارضين سخاء وفى الذوائب شجاعة وفى القفا شؤم» وعنه عن آبائه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لما أسرى بى السماء رأيت رحما معلقة بالعرش تشكو رحما إلى ربها أنها قاطعة لها قلت كم بينك وبينها من أب؟ قالت نلتقى فى أربعين أبا» وعنه أنه قال «من صام من شعبان يوما واحدا ابتغاء ثواب الله دخل الجنة ، ومن استغفر الله تعالى فى كل يوم منه سبعين مرة حشر يوم القيامة فى زمرة النبى ﷺ ووجبت له من الله الكرامة ، ومن تصدق فى شعبان بصدقة ولو بشقة تمرة حرم الله جسده على النار» وعن على الرضا بن موسى أنه قال «من صام أول يوم من رجب رغبة فى ثواب الله وجبت له الجنة ، ومن صام يوما من وسطه شفع فى مثل ربيعة ومضر ومن صام يوما فى آخره جعله الله من أملاك الجنة وشفعه الله فى أمه وأبيه وإخوانه وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه وجيرانه وإن كان فيهم من هو مستوجب النار» قال صاحب كتاب نثر الدرر : سأل الفضل بن سهل عليا الرضا بن موسى فى مجلس المأمون فقال يا أبا الحسن ا لخلق مجبرون قال الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه . وعن أبى الحسن القرظى عن أبيه قال حضرنا مجلس أبى الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول :

اعذر أخاك على ذنوبه ... واصبر وغط على عيوبه ... واصبر على سفه السفيـ
ـه وللزمان على خطوبه ... ودع الجـواب تفضـلا ... وكل الظلوم على حسيبه

[لطيفة] دخل على علىّ بن موسى بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاه الله تعالى من الأمور ثم نظر فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس ثم نظر فى أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم فرد هذا الأمر إليك والناس تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز قال وكان على الرضا متكئا فاستوى جالسا ثم قال كان يوسف بن يعقوب نبيا فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب والقباطى المنسوجة بالذهب وجلس على متكآت آل فرعون وحكم وأمر ونهى وإنما يراد من الإمام القسط والعدل إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز إن الله لم يحرم ملبوسا ولا مطعوما وتلا قوله تعالى «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» .

﴿ فصل : فى ذكر ولاية العهد من المأمون للرضا ﴾

ذكر جماعة من أهل السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة

فليأت الباب» وفى أخرى عند الترمذى عن على «أنا دار الحكمة وعلى بابها» وفى أخرى عند ابن عدى «على باب علمى» وقد اضطرب الناس فى هذا الحديث فجماعة على أنه موضوع منهم ابن الجوزى والنووى وبالغ الحاكم على عادته فقال إن الحديث صحيح وصوّب بعض محققى المتأخرين المطلعين من المحدثين أنه حسن . وأخرج الحاكم وصححه عن على قال «بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء فضرب صدرى ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين» وسبب قوله ﷺ «أقضاكم على» ما روى «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع جماعة من الصحابة فجاءه خصمان فقال أحدهما يا رسول الله إن لى حمارا وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حمارى فبدأ رجل من الحاضرين فقال لا ضمان على البهائم فقال صلى الله عليه وسلم اقض بينهما يا على فقال على لهما كانا مرسلين أم مشدودين أو أحدهما مشدودا والآخر

أخيه الحسن فى ذلك فاجتمعا وحضرا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما فى خروج الأمر عن أهل بيته فقال المأمون إنى عاهدت الله تعالى إن ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافه إلى أفضل بنى المطلب وهو أفضلهم ولابد من ذلك فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عنى وتلزمانه به فذهبا إلى على الرضا وأخبراه بذلك وألزماه فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى ولا يعزل ولا يولى ولا يتكلم بين اثنين فى حكومته ولا يغير شيئا مما هو قائم على أصله فأجابه المأمون إلى ذلك ؛ ثم إن المأمون جلس مجلسا خاصا لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد وكان ذلك فى يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل أخبر الجماعة الحاضرين برأى أمير المؤمنين فى الرضا على بن موسى وأنه ولاه عهده وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس الثانى فحضروا وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل فى موضعه وجلس المأمون ثم جىء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه ومبايعته أول الناس فرفع الرضا يده وجعلها من فوق فقال المأمون ابسط يدك فقال له الرضا هكذا كان يبايع رسول الله ﷺ يده فوق أيديهم فقال افعل ماترى ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير وبقج الثياب والخلع وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا وذكروا فضل الرضا وفرقت الصلات والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم وأول من بدىء به العلويون ثم العباسيون ثم باقى الناس على قدر منازلهم ومراتبهم ؛ ثم إن المأمون قال للرضا قم فاخطب الناس فقام وحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد ﷺ فصلى عليه وقال أيها الناس إن لنا عليكم حقا برسول الله ﷺ ولكم علينا حق به فإذا أديتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسلام ولم يسمع منه فى هذا المجلس غير هذا وخطب للرضا بولاية العهد فى كل بلد وخطب عبدالجبار بن سعيد فى تلك السنة على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال فى الدعاء للرضا وهو على منبر ولى عهد المسلمين على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على وأنشد :

ستة آباؤهم أمهاتهم   أفضل من يشرب صوب الغمام

(ذكر المدائنى) قال لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع والشعراء والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على رأسه نظر الرضا بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختص به وقد داخله من السرور مالا مزيد عليه وذلك لما رأى فأشار إليه الرضا فدنا منه فقال له فى أذنه سرا لاتشغل قلبك بشىء مما ترى من هذا الأمر ولا تستبشر به فإنه لايتم . وهذه صورة مختصرة من كتاب العهد الذى كتبه المأمون للرضا اختصره صاحب الفصول لطوله وهو: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عبد الله بن هرون الرشيد لعلى بن موسى بن جعفر ولى عهده أما بعد فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينا واختار له من عباده رسلا دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحى واقتراب من الساعة فختم الله بالنبيين وجعله شاهدا عليهم ومهيمنا وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الرسالة جعل قوام الدين ونظام المسلمين

فى

مرسلا فقال كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها فقال على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر صلى الله عليه وسلم حكمه وأمضى قضاءه » وأخرج الطبرانى والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب لم يجترىء أحد أن يكلمه إلا على» . وأخرج الطبرانى والحاكم بإسناد حسن عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «النظر إلى على عبادة» . وأخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله ﷺ «من آذى عليا فقد آذانى» . وأخرج الطبرانى بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أحب عليا فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله » . وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سب عليا فقد سبنى» . وأخرج الطبرانى بسند ضعيف أن عليا قال : إن خليلى صلى الله عليه وسلم قال « ياعلى إنك ستقدم

في الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة وحمل مشاقها وخبر مرارة طعمها وذاقها مسهراً لعينيه منصبا لبدنه مطيلا لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش محبة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحا له في دينه وعباده ومختارا لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه مناجيا لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره معملا فكره ونظره في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم مقتصرا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغا في المسئلة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته حتى استقصى أمورهم معرفة وابتلى أخبارهم مشاهدة واستبرأ أحوالهم معاينة وكشف ما عندهم مساءلة وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعا علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما رأى من فضله البارع وعلمه الذائع وورعه الظاهر الشائع وزهده الخالص النافع وتخليه عن الدنيا وتفرده عن الناس وقد استبان له من لم تزل الأخبار عليه منطبقة والألسنة عليه متفقة والكلمة فيه جامعة والأخبار واسعة ولما لم يزل يعرف به من الفضل يافعا وناشئا وحدثا وكهلا فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده واثقا بخيرة الله في ذلك إذ علم الله تعالى أنه فعله إيثاراً له وللدين ونظراً للاسلام والمسلمين وطلبا للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي تقوم فيه الناس لرب العالمين ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعه الكل مطيعين مسارعين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيره ممن هو أشبك رحما وأقرب قرابة وسماه الرضا إذ كان مرضيا عند الله تعالى وعند الناس وقد آثر طاعة الله تعالى والنظر لنفسه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين كتبه بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى ومائتين (وصورة ما على ظهر العهد) مكتوبا بخط الإمام علي بن موسى الرضا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وصلاته على نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاما قطعت وأمن نفوسا فزعت بل أحياها بعد أن كانت من الحياة أيست فأغناها بعد فقرها وعرفها بعد نكرها مبتغيا بذلك رضا رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين وأنه جعل إلي عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله اتساقها فقد أباح حريمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زاريا على الإمام منتهكا حرمة الإسلام ، وخوفا من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين وحذر فرصة تنتهز وعلقة تبتدر جعلت لله تعالى على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة أن أعمل فيهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا أسفك دما ولا أبيح فرجا ولا مالا إلا ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه وأن أتحرى الكفاة جهدي وطاقتي وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فإنه عز وجل يقول «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» وان أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقا وللنكال متعرضا وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحول بيني وبين معصيته في عافية وللمسلمين والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك وما أدري ما يفعل الله بي

على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين وتقدم أعداؤك غضابا مقمحين» ثم جمع علي يده إلى عنقه يريهم الإقماح ، وشيعته هم أهل السنة لأنهم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله لا الروافض كما تقدم وأعداؤه الخوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة لأنهم متأولون غاية الأمر أنهم أخطئوا في اجتهادهم فلهم أجر وله هو وشيعته أجران . وأخرج الملا في سيرته «أنه صلى الله عليه وسلم أرسل أبا ذر ينادي عليا فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال يا أبا ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعاونة آل محمد ﷺ» . وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال «دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به «ألا وإنه يهلك في اثنان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني» . وأخرج الطبراني

ولا بكم إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين لكنى امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله تعالى يعصمنى وإياه وأشهدت الله تعالى على نفسى بذلك وكفى بالله شهيدا وكتبت بخطى بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والحاضرين من أولياء نعمته وخواص دولته هم الفضل بن سهل وسهل بن الفضل والقاضى يحى بن أكثم وعبدالله بن طاهر وثمامة بن الأشرس وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان وذلك فى شهر رمضان سنة إحدى ومائتين (صورة رقم شهادة القاضى يحيى بن أكثم) شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه وهو يسأل الله تعالى أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق وكتب بخطه فى التاريخ المبين فيه (صورة رقم شهادة عبد الله بن طاهر) أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر (صورة رقم شهادة حماد شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهرا وبطنا وكتبه بيده فى تاريخه (صورة شهادة بن المعتمر) شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وعلى الجانب الأيسر بخط الفضل بن سهل رسم أمير المومنين بقراءة هذه الصحيفة التى هى صحيفة العهد والميثاق ظهرا وبطنا بحرم سيدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد بمرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد أخذ البيعة عليهم واستيفاء شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين من العهد لعلى بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين ولتبطل الشبهة التى كانت اعترضت لآراء الجاهلين وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه [وزوّجه المأمون] ابنته أم حبيب فى أول سنة اثنتين ومائتين والمأمون متوجه إلى العراق (حكى) أن المأمون وجد فى يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلا عن الخروج إلى الصلاة فقال لأبى الحسن على الرضا قم يا أبا الحسن فاركب وصل بالناس العيد فامتنع وقال قد علمت ما كان بينى وبينك من الشروط فاعفنى من الصلاة فقال المأمون إنما أريد أن أنوه بذكرك ويشتهر أمرك بأنك ولى عهدى والخليفة من بعدى وألح عليه فى ذلك فقال له الرضا ان أعفيتنى من ذلك كان أحب إلى وإن أبيت إلا أن أخرج للصلاة فانما أخرج للصلاة على الصفة التى كان النبى ﷺ يخرج عليها فقال المأمون افعل كيفما أردت وأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب فى خدمته إلى المصلى فركب الناس إلى بيته وحضر القراء والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم الرضا وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة وألقى طرفا منها على عاتقه ومس طيبا وأخذ عكازا فى يده وخرج ماشيا ولم يركب وقال لمواليه وأتباعه افعلوا كما فعلت ففعلوا كفعله وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير فلما رآه القواد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه وتركوا دوابهم مع غلمانهم خلف الناس وكان كلما كبر الرضا كبر الناس بتكبيره وكلما هلل هللوا بتهليله وهم سائرون بين يديه حتى خيل للناس أن الحيطان والجدران تجاوبهم بالتكبير والتهليل وارتفع البكاء والصراخ فبلغ ذلك المأمون فقال له الفضل إن بلغ الرضا المصلى افتتن به الناس وخفنا على دمائنا وأرواحنا وعليك فى نفسك فابعث إليه ورده فبعث إليه المأمون قد كلفناك يا أبا الحسن ولا نحب أن تلحقك مشقة ارجع إلى بيتك ويصلى بالناس من كان يصلى بهم من قبل فرجع على إلى بيته وركب المأمون فصلى بالناس اهـ من الفصول المهمة ﴿ فائدة ﴾ قال المأمون لعلى الرضا رضى الله عنه أنشدنا أحسن ما رويت فى السكوت عن الجاهل وعتاب الصديق فقال :

إنى ليهجرنى الصديق تجنبا ... فأرى بأن لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته ... فأرى له ترك العتاب عتابا

فإذا

فى الأوسط عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض» . وقد روى من طرق عديدة منها صحيح وحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى « أشقى الناس رجلان الذى عقر الناقة والذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخة حتى تبتل منه هذه وأشار إلى لحيته » فكان على يقول لأهل العراق إذا تضجر منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعنى لحيته من هذه ويضع يده على مقدم رأسه . وأخرج الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما تريدون من على ما تريدون من على ما تريدون من على إن عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى» والجواب عما يوهمه ظاهره من تقديمه على غيره واستحقاقه الإمامة عقب وفاته صلى الله عليه وسلم يؤخذ مما ذكرناه فى حديث من كنت مولاه . وأخرج الحاكم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على إمام البررة

فإذا بليت بجاهل متحكم　يجد الأمور من المحال صوابا
أوليته منى السكوت وربما　كان السكوت عن الجواب جوابا

اه من درر الأصداف ﴿كرامات: الأولى﴾ لما جعله المأمون ولى عهده وأقامه خليفة بعده كان فى حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا على خروج الخلافة من بنى العباس وعودها لبنى فاطمة فحصل عندهم من على الرضا بن موسى نفور وكان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر من بالدهليز من الحجاب وأهل النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه ويرفعون له الستر حتى يدخل فلما حصلت لهم هذه النفرة وتفاوضوا فى أمر هذه القصة ودخل فى قلوبهم منها شىء قالوا فيما بينهم إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه ولا نرفع له الستر واتفقوا على ذلك فبينما هم جلوس إذ جاء على الرضا على جارى عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه وقالوا الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه فلما كان فى اليوم الثانى وجاء الرضا على عادته قاموا وسلموا عليه ولم يرفعوا الستر فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له وخرج فأقبل بعضهم على بعض وقالوا إن لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية أنظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته فهو خير لكم [الثانية] من كتاب أعلام الورى للطوسى قال روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ باسناده عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب قال رأيت النبى ﷺ فى المنام وكان قد وافى المسجد الذى كان ينزله الحجاج من بلدنا فى كل سنة وكأنى مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجدته وعنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحانى وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثمانى عشرة تمرة فتأولت أنى أعيش بكل تمرة سنة فلما كان بعد عشرين يوما وأنا فى أرض لى تعمر للزراعة إذ جاءنى من أخبرنى بقدوم أبى الحسن على الرضا بن موسى الكاظم ونزوله بذلك المسجد ورأيت الناس يسعون له من كل جهة يسلمون عليه فمضيت نحوه فاذا هو جالس فى الموضع الذى رأيت النبى ﷺ جالسا فيه وتحته حصير مثل الحصير الذى كان تحته ﷺ وبين يديه طبق من خوص المدينة وفيه تمر صيحانى فسلمت عليه فرد السلام واستدنانى وناولنى قبضة من ذلك التمر فعددتها فاذا هى بعدد ما ناولنى رسول الله ﷺ فى النوم ثمان عشرة تمرة فقلت زدنى فقال لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك [الثالثة] روى الحاكم أيضا باسناده عن سعيد بن سعيد أن أبا الحسن عليا الرضا نظر إلى رجل فقال يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لابد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام [الرابعة] عن صفوان بن يحيى قال لما مضى موسى الكاظم وظهر ولده من بعده على الرضا خفنا عليه وقلنا له إنا نخاف عليك من هذا يعنى هرون الرشيد قال ليجهدن جهده فلا سبيل له على قال صفوان فحدثنى ثقة أن يحيى بن خالد البرمكى قال لهرون الرشيد هذا على بن موسى قد تقدم وادعى الأمر لنفسه فقال هرون يكفينا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعا [الخامسة] عن مسافر قال كنت مع أبى الحسن على الرضا فمر يحيى بن خالد البرمكى وهو مغط وجهه بمنديل من الغبار فقال الرضا مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم فى هذه السنة فكان من أمرهم ما كان قال وأعجب من هذا أنا وهرون كهاتين وضم إصبعه السبابة والوسطى قال مسافر فوالله ما عرفت معنى حديثه فى هرون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه .

وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله» . وأخرج الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على منى بمنزلة رأسى من بدنى» . وأخرج البيهقى والديلمى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على يزهر فى الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا» . وأخرج الترمذى والحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة على وعمار وسلمان» وأخرج الشيخان عن سهل «أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد عليا مضطجعا فى المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب قم أبا تراب فكانت هذه الكنية أحب الكنى إليه لأنه صلى الله عليه وسلم كناه بها» وأخرج أحمد فى المناقب عن على قال «جلس النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط فضرب برجله وقال قم فوالله لأرضينك أنت أخى وأبو ولدى فقاتل على سنتى من مات على عهدى فهو فى كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه

[السادسة] عن الحسين بن يسار قال قال على الرضا إن عبدالله يقتل محمدا فقلت عبدالله بن هرون يقتل محمد بن هرون؟ قال نعم عبد الله المأمون يقتل محمدا الأمين فكان كما قال [السابعة] عن الحسين بن موسى قال كنا حول أبى الحسن على الرضا بن موسى ونحن شباب من بنى هاشم إذ مر علينا جعفر بن عمر العلوى وهو رث الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض نظر مستزر لهيئته وحالته وقال الرضا سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة فما مضى إلا اشهر واحد حتى ولى أمر المدينة وحسنت حالته وكان يمر بنا كثيرا وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه فنقوم له ونعظمه وندعو له [الثامنة] روى عن جعفر بن صالح قال أتيت الرضا فقلت امرأتى أخت محمد بن سنان وكان من خواص شيعتهم وبها حمل فادع الله أن يجعله ذكرا قال هما اثنان فوليت وقلت أسمى واحدا عليا والآخر محمدا فدعانى فأتيته فقال سم واحدا عليا والآخر أم عمرو فقدمت الكوفة فولدت غلاما وجارية فسميت الذكر عليا والأنثى أم عمرو كما أمرنى وقلت لأمى مامعنى أم عمرو قالت جدتك كانت تسمى أم عمرو [التاسعة] عن حمزة بن جعفر الأرجانى قال خرج هرون الرشيد من المسجد الحرام من باب وخرج على بن موسى الرضا من باب فقال الرضا وهو يعنى هرون الرشيد يابعد الدار وقرب الملتقى ياطوس ستجمعينى وإياه [العاشرة] عن موسى بن عمران قال رأيت عليا الرضا بن موسى فى مسجد المدينة وهرون الرشيد يخطب قال ترونى وإياه ندفن فى بيت واحد.

﴿ تتمة : فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه ﴾ عن هرثمة بن أعين وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون وكان قائما بخدمة الرضا قال : طلبنى سيدى أبو الحسن الرضا فى يوم من الأيام وقال لى يا هرثمة انى مطلعك على أمر يكون سرا عندك لاتظهره لأحد مدة حياتى فان أظهرته حال حياتى كنت خصما لك عند الله فحلفت له انى لاأتفوه بمايقول لى لأحد مدة حياته فقال لى اعلم ياهرثمة أنه قد دنا رحيلى ولحوقى بآبائى وأجدادى وقد بلغ الكتاب أجله وانى أطعم عنبا ورمانا مفتوتا فأموت ويقصد الخليفة أن يجعل قبرى خلف قبر أبيه هرون الرشيد وان الله يقدره على ذلك وأن الأرض تشتد عليهم فلا تعمل فيها المعاول ولا يستطيعون حفرها فاعلم ياهرثمة أن مدفنى فى الجهة الفلانية من الحد الفلانى لموضع عينه لى فاذا أنا مت وجهزت فأعلمه بجميع ماقلت لك لتكونوا على بصيرة من أمرى وقل له إذا أنا وضعت فى نعشى وأرادوا الصلاة على فلا يصل على وليتأن قليلا يأتكم رجل عربى متلثم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء فينيخ ناقته وينزل عنها فيصلى على فصلوا معه على فإذا فرغتم من الصلاة على وحملت إلى مدفنى الذى عينته لك فاحفر شيئا يسيرا من وجه الأرض تجد قبرا مطبقا معمورا فى قعره ماء أبيض فاذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء فهذا مدفنى فادفنونى فيه الله الله ياهرثمة أن تخبر بهذا قال هرثمة فوالله ماطالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنبا ورمانا فمات (عن أبى الصلت الهروى) قال دخلت على الرضا وقد خرج من عند المأمون فقال ياأبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده فأقام يومين ومات فى اليوم الثالث قال هرثمة فدخلت على الخليفة المأمون لما بلغه موت أبى الحسن على الرضا فوجدت المنديل بيده وهو يبكى عليه فقلت ياأمير المؤمنين ثم كلام أتأذن لى أن أقوله لك قال قل فقصصت القصة عليه التى قالها لى الرضا من أولها إلى آخرها فتعجب المأمون من ذلك ثم إنه أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى وأخرنا الصلاة عليه قليلا فاذا بالرجل العربى قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء كما قال فنزل ولم يكلم أحدا فصلى عليه وصلى الناس معه وأمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثرا ولا لبعيره ثم إن الخليفة قال نحفر له من خلف

قبر

ومن مات بحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ماطلعت شمس أو غربت » وروى ابن السماك أن أبا بكر رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «لايجوز على الصراط إلا من كتب له على الجواز» . وأخرج البخارى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة . وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعنى عليا وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : أفرض أهل المدينة وأقضاها على . وأخرج الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ماأنزل الله ياأيها الذين آمنوا إلا وعلى أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد فى غير مكان وماذكر عليا إلا بخير . وأخرج ابن عساكر عنه قال : مانزل فى أحد من كتاب الله تعالى مانزل فى على . وأخرج عنه أيضا قال : نزل فى على ثلاثمائة آية . وأخرج الطبرانى عنه قال : كانت لعلى ثمان عشرة منقبة ماكانت لأحد من هذه

قبر الرشيد لننظر ماقاله لك فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها فتعجب الحاضرون من ذلك وتبين للمأمون صدق ماقلته له فقال أرنى الموضع الذى أشار اليه فجئت بهم اليه فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبر معمور فاذا فى قعره ماء أبيض وأشرف عليه المأمون وأبصره ثم إن ذلك الماء نضب من وقته فواريناه فيه ورددنا الطبقات على حالها والتراب ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى ومما سمعه منى ويتأسف عليه ويندم وكلما خلوت معه يقول لى ياهرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا فأعيد عليه الحديث فيتلهف ويتأسف ويقول إنا لله وإنا اليه راجعون وكانت وفاته سنة ثلاث ومائتين فى آخر صفر وقيل غير ذلك وله من العمر إذ ذاك خمس وخمسون سنة فى قرية يقال لها سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان وقبره فى قبل قبر هرون الرشيد (وأما أولاده) رضى الله عنه فقد قال ابن الخشاب فى كتابه مواليد أهل البيت ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة وهم محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين والبنت اسمها عائشة .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾ أمه أم ولد يقال لها سكينة المريسية وكنيته أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر (وألقابه كثيرة) الجواد والقانع والمرتضى وأشهرها الجواد (صفته) أبيض معتدل (شاعره) حماد (بوابه) عمر بن الفرات (نقش خاتمه) نعم القادر الله (معاصره) المأمون والمعتصم ؛ ولد أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة قال صاحب كتاب مطالب السول فى مناقب آل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا محمد أبو جعفر الثانى فانه قد تقدم فى آبائه أبو جعفر محمد الباقر بن على فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه فعرف بأبى جعفر الثانى وان كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ومناقبه رضى الله عنه كثيرة (نقل) غير واحد أن والده عليا الرضا لما توفى وقدم المأمون بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أن المأمون خرج يوما يتصيد فاجتاز بطريق البلد وثم صبيان يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم فلما أقبل المأمون فر الصبيان ووقف محمد وعمره إذ ذاك تسع سنين فلما قرب منه الخليفة نظر اليه فألقى الله على قلبه حبه فقال له ياغلام مامنعك من الانصراف كأصحابك ؟ فقال له محمد مسرعا ياأمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لى جرم فأخشاك والظن بك حسن أنك لاتضر من لاذنب له فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له مااسمك واسم أبيك فقال محمد بن على الرضا فترحم على أبيه وساق جواده إلى مقصده وكان معه بزاة الصيد فلما بعد عن العمران أرسل بازا على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفى منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمدا فدنا منه وقال له يامحمد مافى يدى فقال ياأمير المؤمنين ان الله تعالى خلق فى بحر قدرته سمكا صغارا تصيده بازات الملوك والخلفاء كى يختبر بها سلالة بنى المصطفى صلى الله عليه وسلم كرامة له فقال له أنت ابن الرضا حقا وأخذه معه وأحسن اليه وقربه وبالغ فى اكرامه ولم يزل مشغوفا به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور براهنه مع صغر سنه وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفا من أن يعهد اليه كما عهد إلى أبيه فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علما ومعرفة وحلما مع صغر سنه نازعوه فى اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا اليه من يختبره فأرسلوا الى

الأمة ؛ وذكر عند عائشة فقالت إنه أعلم من بقى بالسنة . وأخرج ابن سعد عنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من أنزلت إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا . وأخرج ابن سعد وغيره عن أبى الطفيل قال قال على سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل .

[ومن كراماته] أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى حجره والوحى ينزل عليه وعلى لم يصل العصر فما سرى عنه إلا وقد غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت وحديث ردها صححه الطحاوى والقاضى فى الشفاء وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردوا على جمع قالوا إنه موضوع وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها فى محل المنع لعود الوقت بعودها كما ذكره ابن العماد واعتمده غيره وإن اقتضى كلام

يحيى بن أكثم ووعدوه بشئ كثير إن قطع لهم محمدا وخجله فحضر الخليفة وخواص الدولة ومعهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد فجلس عليه وسأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة أحسنت ياأبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولومسألة واحدة فقال يحيى يسأل فإن كان عندى جواب أجبت به وإلا استفدت الجواب والله أسأل أن يرشدنى للصواب فقال له أبو جعفر محمد الجواد ماتقول فى رجل نظر إلى امرأة فى أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراما عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه فى هذه الأوقات فقال يحيى بن أكثم لاأدرى فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك فقال أبو جعفر هذه أمة لرجل نظر لها شخص فى أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسئلة بمثل هذا الجواب فقالوا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فقال قد عرفتم الآن ماتنكرون وظهر فى وجه القاضى يحيى الخجل والتغير وعرف ذلك كل من بالمجلس فقال المأمون الحمدلله على مامن به علىّ من السداد فى الأمر والتوفيق فى الرأى وأقبل على أبى جعفر وقال إنى مزوّجك ابنتى أم الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى وابنتى فقال أبوجعفر : الحمدلله إقرارا بنعمته ولاإله إلا الله إخلاصا بوحدانيته وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته ؛ أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى «وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم» ثم إن محمد بن على بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وله خمسمائة درهم جياد فهل زوّجتنى ياأمير المؤمنين إياها على هذا الصداق فقال المأمون زوّجتك ابنتى أم الفضل على هذا الصداق المذكور فقال أبوجعفر قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق المذكور (قال) الرمالى وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب والماورد والمسك فتطيب منها الحاضرون على قدر منازلهم ثم وضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون وفرقت عليهم الجوائز على قدر رتبتهم ثم انصرف الناس وتقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والخوانيق والمدارس ولم يزل عنده محمد الجواد معظما مكرما إلى أن توجه بزوجته أم الفضل إلى المدينة الشريفة (روى) أن أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول إنه يتسرى علىّ فكتب إليها أبوها يقول يابنية إنا لم نزوّجك أبا جعفر لتحرمى عليه حلالا فلا تعاوديني بذكر شئ مما ذكرت ﴿كرامتان : الأولى﴾ عن أبى خالد قال كنت بالعسكر فبلغنى أن هناك رجلا محبوسا أتى به من الشام مكبلا بالحديد وقالوا إنه تنبأ قال فأتيت باب السجن ودفعت شيئا للسجان حتى دخلت عليه فإذا برجل ذو فهم وعقل ولب فقلت ياهذا ماقصتك ؟ فقال إنى كنت رجلا بالشام أعبد الله تعالى فى الموضع

الذى

الزركشى خلافه وعلى تسليم عدم عود الوقت نقول كما أن ردها خصوصية كذلك إدراك العصر أداء خصوصية [ومن كلامه كما فى الصواعق] الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، ما هلك امرؤ عرف قدره وجعل هذا فى الشفاء من كلامه صلى الله عليه وسلم . قيمة كل امرئ ما يحسنه ، من عذب لسانه كثرت إخوانه ،المرء مخبوء تحت لسانه ، بالبر يستعبد الحر، بشر مال البخيل بحادث أووارث،لاتنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال ، الجزع عند البلاء تمام المحنة ، لاظفر مع البغى ، لاثناء مع الكبر،لاصحة مع النهم والتخم، لا شرف مع سوء الأدب ، لاراحة مع الحسد،لاسودد مع الانتقام لاصواب مع ترك المشورة، لامروءة للكذوب،لاكرم أعز من التقى ، لاشفيع أنجح من التوبة ، لا لباس أجمل من العافية ، لا داء أعيى من الجهل ، المرء عدوّ ما جهله ، رحم الله عبدا عرف قدره ولم يتعد طوره ، إعادة الاعتذار تذكير بالذنب ، النصح بين الملا تقريع ،

الذى يقال إنه نصب فيه رأس الحسين فبينا أنا ذات ليلة فى موضعى مقبلا على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصا بين يدى فنظرت إليه فقال لى قم فقمت معه فمشى قليلا فإذا أنا فى مسجد الكوفة فقال لى تعرف هذا المسجد فقلت نعم هـذا مسجد الكوفة قال فصل فصليت معه ثم انصرف فانصرفت معه قليلا فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت معه ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلا فإذا أنا بموضعى الذى كنت فيه أعبدالله تعالى بالشام ثم غاب عنى فبقيت متعجبا حولا مما رأيت فلما كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل على فاستبشرت به فدعانى فأجبت ففعل معى كما فعل بالعام الماضى فلما أراد مفارقتى قلت له بحق الذى أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتنى من أنت؟ فقال أنا محمد بن على الرضا بن موسى بن جعفر فحدثت بعض من كان يجتمع بى فى ذلك الموضع فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فبعث إلىّ من أخذنى من موضعى وكبلنى بالحديد وحملنى إلى العراق وحبسنى كما ترى وادعى على بالمحال فقلت له أفأرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات قال افعل فكتبت عنه قصته وشرحت فيها أمره ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك فوقع على ظهرها قل للذى أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التى ذكرتها يخرجك من السجن قال أبو خالد فاغتممت لذلك وسقط فى يدى وقلت إلى غد آتيه وآمره بالصبر وأعده من الله الفرج وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر فلما كان من الغد قال باكرت إلى السجن فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن فى هرج فسألت ما الخبر؟ فقيل لى إن الرجل المتنبىء المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده وأصبحت قيوده والأغلال التى كانت فى عنقه مرماة فى السجن لاندرى كيف خلص منها؟ وطلب فلم يوجد له أثر ولاخبر ولايدرون أنزل فى الأرض أم عرج به إلى السماء فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى استخفاف ابن الزيات بأمره واستهزاؤه بقصته خلصه من السجن كذا نقله ابن الصباغ [الثانية] نقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك فدل على محمد الجواد فأرسل إليه فجاء فأجلسه معه على سريره وسأله فقال إن الله حرم لحم أولاد الحسين على السباع فتلق للسباع فعرض عليها ذلك فاعترفت المرأة بكذبها ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك فيه فأمر بثلاثة من السباع فجئ بها فى صحن قصره ثم دعا به فلما دخل من الباب أغلقه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى فى الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت فتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه ثم ربضت فصعد للمتوكل فتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فاتبعه المتوكل بجائزة عظيمة وقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال تريدون قتلى ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك انتهى لكن نقل المسعودى أن صاحب هذه القصة على أبو الحسن العسكرى ولده وهو وجيه لأن المتوكل لم يكن معاصرا لمحمد الجواد بل لولده [الثالثة] حكى أنه لما توجه أبو جعفر محمد الجواد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيعونه للوداع فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيب فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلى فيه المغرب وكان فى صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ فى أصل الشجرة وقام ليصلى فصلى معه الناس المغرب ثم تنفل بأربع ركعات وسجد بعدهن للشكر ثم قام فودع الناس وانصرف فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملا حسنا فرآها الناس وقد تعجبوا من ذلك غاية العجب.

﴿ تتمة : فى الكلام على وفاته وأولاده وذكر شئ من كلامه رضى الله عنه ﴾ توفى

نعمة الجاهل كروضة على مزبلة ، أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة ، الحكمة ضالة المؤمن ، البخل جامع لمساوى العيوب ، إذا حلت المقادير ضلت التدابير ، عبد الشهوة أذل من عبد الرق ، الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، كفى بالذنب شفيعا للمذنب ، السعيد من وعظ بغيره ، الإحسان يقطع اللسان ، ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا ، أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع ، إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه ، ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه ، البخيل يستعجل الفقر ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء ، لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه . العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع ، العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، قصم ظهرى اثنان عالم متهتك وجاهل متنسك هـذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه ،

أبو جعفر محمد الجواد ببغداد وكان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقدم بغداد ومعه زوجته أم الفضل بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين وكانت وفاته فى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ودفن فى مقابر قريش فى قبر جده أبى الحسن موسى الكاظم ودخلت امرأته أم الفضل إلى قصر المعتصم وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة ويقال إنه مات مسموماً يقال إن أم الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها (وخلف) من الولد عليا وموسى وفاطمة وأمامة [ومن كلامه رضى الله عنه كما فى الفصول المهمة] إن لله عبادا يخصهم بدوام النعم فلاتزال فيهم مابذلوها فان منعوها نزعها الله عنهم وحولها إلى غيرهم (وقال رضى الله عنه) ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت اليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال (وقال رضى الله عنه) أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة اليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبتدئ فيه بنفسه (وقال رضى الله عنه) من أجل إنساناهابه ومن جهل شيئا عابه والفرصة خلسة ومن كثرهمه سقم جسمه وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه ، وفى موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه (وقال) من استغنى بالله افتقر الناس اليه : ومن اتقى الله أحبه الناس (وقال) الجمال فى اللسان والكمال فى العقل (وقال) العفاف زينة الفقر ، والشكرزينة البلاء، والتواضع زينةالحسب،والفصاحة زينةالكلام،والحفظ زينةالرواية، وخفض الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة الورع ، وبسط الوجه زينة القناعة ، وترك مالايعنى زينة الورع (وقال رضى الله عنه) حسب المرء من كمال المروءة أن لايلقى أحداً بما يكره ، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه ، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه ، ومن إنصافه قبول الحق إذابان له ،ومن نصحه نهيه عما لايرضاه لنفسه ،ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عندذنب أصابك مع علمه بعيوبك ، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره ، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ، ومن علامة صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن اليه ، ومن تواضعه معرفته بقدره ، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه (وقال رضى الله عنه) العامل بالظلم والمعين عليه والراضى به شركاء (وقال رضى الله عنه) من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل والطامع فى وثاق الذل ، ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبوراً (وقال رضى الله عنه) العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم (وقال رضى الله عنه) الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت (وعنه رضى الله عنه) ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة الاستغفار ولين الجانب وكثرة الصدقة ؛ وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزم (وقال رضى الله عنه) لو سكت الجاهل ما اختلف الناس (وقال رضى الله عنه) مقتل الرجل بين فكيه والرأى مع الأناة وبئس الظهير الرأى الفطير (وقال رضى الله عنه) ثلاث خصال تجتلب بهن المودة الإنصاف فى المعاشرة والمواساة فى الشدة والانطواء على قلب سليم (وقال رضى الله عنه)الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته والناس إخوان فمن كانت أخوته فى غير ذات الله فانها تعود عداوة وذلك قوله تعالى «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاالمتقين» (وقال) من استحسن قبيحا كان شريكا فيه (وقال رضى الله عنه) كفر النعمة داعية المقت ، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك (وقال رضى الله عنه) لاتفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له ، ومن وعظ أخاه سراً فقد زانه ، ومن

وعظه

ياحملة القرآن اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يتجاوز تراقيهم تخالف سرائرهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله تعالى ، وأبرد ماعلى كبدى إذا سئلت عما لاأعلم أن أقول الله أعلم ، سبع من الشيطان شدة الغضب وشدة العطاس وشدة التثاؤب والقئ والرعاف والنجوى والنوم عند الذكر ، جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والنقص فى اللذة ؛ قيل وما النقص فى اللذة ؟ قال لاينال شهوة حلالا إلا جاءه ما ينقصه إياها ، من واليته معروفاً وجازاك بضده فقد أشهدك على نفسه بنجاسة أصله ، الحزم بسوء الظن . (ومن كلامه كما فى طبقات المناوى) احفظوا عنى لا يرجو عبد إلا ربه ولا يخاف إلاذنبه ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحى عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ، الدنيا

وعظه علانية فقد شانه (وقال) لايزال العقل والحق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثمانى عشرة سنة فاذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه ، وما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فعلم أنها من الله الا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها ، ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله مطلع عليه وأنه إن شاء عذبه وإن شاء غفرله إلا غفرله قبل أن يستغفره (وقال رضى الله عنه) الشريف كل الشريف من شرفه علمه والسودد كل السودد لمن اتقى الله ربه (وقال) لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم (وقال رضى الله عنه) من أمل فاجرا كان أدنى عقوبته الحرمان (وقال) موت الإنسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر (وقال رضى الله عنه) من استفاد أخا فى الله فقد استفاد بيتا فى الجنة ؟ وعنه : لوكانت السموات والأرض رتقا على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجا (وعنه) أنه قال لبشر بن سعد لما قدم مصر يابشر إن للمحن أخريات لابد أن تنتهى اليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها فان مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها (وعنه) من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء وحرز من كل عدو ، والدين عز ، والعلم كنز ، والصمت نور ، وغاية الزهد الورع ، ولاهدم للدين مثل البدع ، ولاأفسد للرجال من الطمع ، وبالراعى تصلح الرعية ، وبالدعاء تصرف البلية ، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر ، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى . وفى هذا القدر كفاية وفقنا الله للعمل المرضى والمسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب سيدنا على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾

قال ابن الخشاب فى كتابه مواليد أهل البيت (ولد) أبو الحسن على الهادى بالمدينة فى رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة (وأمه) أم ولد يقال لها سمانة المغربية وقيل غير ذلك (وكنيته) أبو الحسن لا غير (وألقابه) الهادى والمتوكل والناصح والمتقى والمرتضى والفقيه والأمين والطيب وأشهرها الهادى وكان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقبا للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم (صفته) أسمر اللون (شاعراه) العوفى والديلمى (بوابه) عثمان بن سعيد (نقش خاتمه) الله ربى وهو عصمتى من خلقه (معاصره) الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخى المتوكل (ومناقبه) رضى الله عنه كثيرة قال فى الصواعق كان أبو الحسن العسكرى وارث أبيه علما ومنحا ؟ وفى حياة الحيوان سمى العسكرى لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقره بسرمن رأى على صيغة المبنى للمفعول وتسمى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل اليها بعسكره فقيل لها العسكر . وفى تاريخ القرمانى مانصه : سرمن رأى هى سامرا وهى مدينة عظيمة كانت على شرقى دجلة بين تكريت وبغداد بناها المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين وسكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله وهى اليوم خراب وبها أناس قلائل كالقرية انتهى (نقل) غير واحد أن أبا الحسن عليا العسكرى خرج يوما من سرمن رأى إلى قرية لمهم فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه فى داره فلم يجده وقيل له إنه ذهب إلى الموضع الفلانى فقصد إلى ذلك الموضع فلما وصل اليه قال له ما حاجتك فقال له أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدك على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد ارتكبتنى الديون وأثقلت ظهرى بحملها

جيفة لمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب ، من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ، ومن ضيعه الأقرب أبيح له الأبعد ، ومن بالغ فى الخصومة أثم ومن قصر عنها ظلم ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ، من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها . مالابن آدم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة لايرزق نفسه ولا يدفع حتفه . القلب مصحف البصر ، كل مقتصر عليه كاف ، الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فلا تضجر ، القبر صندوق العمل وبعد الموت يأتيك الخبر ، العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، أعظم الذنوب ما استخف به صاحبه ، العجب ممن يهلك ومعه النجاة ؟ قيل وماهى قال الاستغفار : كانت الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء يتكاتبون بثلاث ليس لهن رابعة : من أحسن سريرته أحسن الله علانيته ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس ، ومن كانت الآخرة همه كفاه الله أمر دنياه ، لاتعمل الخير رياء ولا تتركه حياء ، إن لم تكن حليما فتحلم

ولم أرمن أقصده لقضائها فقال له أبو الحسن كم دينك فقال نحو عشرة آلاف درهم فقال طب نفسا وقر عينا يقضى دينك إن شاء الله تعالى ثم أنزله فلما أصبح قال يا أخا العرب أريد منك حاجة لاتعصيني فيها ولا تخالفني والله الله فيما آمرك به وحاجتك تقضى إن شاء الله تعالى فقال الأعرابي لا أخالفك في شيء مما تأمرني به فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه دينا عليه للأعرابي بالمبلغ المذكور وقال له خذ هذا الخط معك فإذا حضرت إلى سرمن رأى فتراني أجلس مجلسا عاما فإذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال إلى بالخط وطالبني وأغلظ عليّ في القول والطلب ولا عليك والله الله أن تخالفني في شيء مما أوصيتك به فلما وصل أبو الحسن إلى سرمن رأى جلس مجلسا عاما وحضره جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل فجاء الأعرابي وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه في الكلام فجعل أبو الحسن يعتذر له ويطيب نفسه بالقول ويعده بالخلاص وكذلك الحاضرون وطلب منه المهلة ثلاثة أيام فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل فأمر لأبي الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي فقال له خذها جميعها فقال الأعرابي يا ابن رسول الله والله إن العشرة بلوغ مطلبي ونهاية أربي فقال أبو الحسن والله لتأخذن ذلك جميعه وهو رزقك ساقه الله لك ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو يقول «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ﴿كرامة﴾ عن الأسباطي قال قدمت على أبي الحسن علي بن محمد المدينة الشريفة من العراق فقال لي ما خبر الواثق عندك فقلت خلفته في عافية وأنا من أقرب الناس به عهدا وهذا مقدمي من عنده وتركته صحيحا فقال إن الناس يقولون إنه قد مات فلما قال لي إن الناس يقولون إنه قد مات فهمت أنه يعني نفسه فسكت ثم قال ما فعل ابن الزيات قلت الناس معه والأمر أمره فقال أما إنه شؤم عليه ثم قال لابد أن تجري مقادير الله وأحكامه يا جيران مات الواثق وجلس جعفر المتوكل وقتل ابن الزيات فقلت متى قال بعد مخرجك بستة أيام فما كان إلا أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال (حكي) أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سرمن رأى أن عبد الله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل في الحرب والصلاة بالمدينة فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى فبلغ أبا الحسن سعايته إلى المتوكل فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه وقصده له بالأذى فكتب إليه المتوكل كتابا يعتذر له فيه ويلين له القول ودعاه فيه إلى الحضور إليه على جميل من القول والفعل، ولما وصل الكتاب إلى أبي الحسن تجهز للرحيل وخرج وخرج معه يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند حافين به إلى أن وصل إلى سرمن رأى فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه، ثم إن المتوكل أفرد له دارا حسنة وأنزله بها فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسرمن رأى مكرما معظما مبجلا في ظاهر الحال والمتوكل يتتبع له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه (وفي) تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعى به إلى المتوكل بأن في منزله سلاحا وكتبا من شيعته وأنه يطلب الأمر لنفسه فبعث إليه جماعته فهجموا عليه منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله وقال له أنشدني فقال له إني قليل الرواية للشعر فقال لابد فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأودعوا حفرا يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما رحلوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل

أين

فإنه قل من يتشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم، روحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت، التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب، لن يقبل عمل إلا مع التقوى، إن للنكبات نهايات لابد لأحدكم إذا نكب أن ينتهي إليها فينبغي للعاقل إذا نكب أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه والبعيد من بعدته العداوة وإن قرب نسبه، من نظر إلى عيوب الناس فكرهها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الأحمق بعينه (ومن كلامه كما في السيرة الحلبية) لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل، تحب الصالحين ولا تعمل بعملهم، البشاشة منح المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب، العجب ممن يدعو ويستبطئ الإجابة وقد سد طرقها بالمعاصي. ولما ضربه ابن ملجم دخل عليه الحسن باكيا فقال يا بني احفظ عني أربعا وأربعا: إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم

أين الوجوه التي كانت محجبة من دونها تضرب الأستار والكلل فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل ياطالما أكلوا دهرا وما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

قال فبكى المتوكل والحاضرون وقال له المتوكل يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال نعم أربعة آلاف درهم فأمر له بها وصرفه معظما مكرما ؛ وهذه الأبيات من قصيدة وجدت على قصر سيف بن ذي يزن الحميري وكان يسمى عمدان وكان سيف من الملوك العادلة وكانت مكتوبة بالقلم المسند فعربت فاذا هي أبيات جليلة وموعظة بليغة وأولها :

أنظر ماذا ترى أيها الرجل وكن على حذر من قبل تنتقل وقدم الزاد من خير تسر به فكل ساكن دار سوف يرتحل وانظر إلى معشر باتوا على دعة فأصبحوا في الثرى رهنا بما عملوا بنوا فلم ينفع البنيان وادخروا مالا فلم يغنهم لما انقضى الأجل باتوا على قلل الأجبال تحرسهم

الأبيات اه ، ووجد مكتوبا على قصره أيضا هذه الأبيات الثلاثة وهي :

من كان لا يطأ التراب برجله وطئ التراب بصفحة الخد من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بغاية البعد لو بعثر الناس الثرى ورأوهم لم يعرفوا المولى من العبد

اه من الكنز المدفون ﴿ تتمة : في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه ﴾ توفي أبو الحسن علي الهادي المعروف بالعسكري بن محمد الجواد بسر من رأى وله من العمر أربعون سنة يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسر من رأى يقال إنه مات مسموما والله أعلم (وأولاده) محمد والحسن ومحمد أبو جعفر وله ابنة اسمها عائشة .

﴿ فصل : في ذكر مناقب الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ﴾ أمه أم ولد يقال لها حديث وقيل سوسن (وكنيته) أبو محمد (وألقابه) الخالص والسراج والعسكري (صفته) بين السمرة والبياض (شاعره) ابن الرومي (بوابه) عثمان بن سعد (نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات والأرض (معاصره) المعتز والمهتدي والمعتمد (ولد) أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة ؛ ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له أشترى لك ماتلعب به ؟ فقال ياقليل العقل ماللعب خلقنا فقال له فلماذا خلقنا؟ قال للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك ؟ فقال من قوله تعالى «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون» ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضي الله عنه مغشيا عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟ فقال اليك عني يا بهلول اني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار واني أخشى أن أكون من من صغار حطب جهنم اه﴿ كرامات : الأولى﴾ هي جامعة الكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري قال كنت في الحبس الذي فيه الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبرهيم العمري وفلان وفلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري وأخوه جعفر فحففنا بأبي محمد وكان المتولي للحبس صالح بن يوسف الحاجب وكان معنا في الحبس رجل أعجمي فالتفت الينا أبو محمد وقال لنا سرا لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه وهي معه في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره قال أبو هاشم فما تمالكنا أن تحاملنا جميعا على الرجل ففتشناه

الكرم حسن الخلق . والأربع الأخر : إياك ومصاحبة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فانه يخذلك في أحوج ماتكون اليه وإياك ومصادقة التاجر فانه يبيعك بالتافه . وسئل عن القدر ؟ فقال هو والله طريق مظلم لا تسلكه بحر عميق لا تلجه ، سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه، أيها السائل ان الله خلقك لما شاء أو لما شئت ؟ قال بل لما شاء قال فيستعملك كما شاء . وسئل عن السخاء؟ فقال ما كان منه ابتداء ، فأما ما كان عن مسئلة فحياء وتكرم . وأثنى عليه عدو له فأطراه فقال إني لست كما تقول وأنا فوق ما في نفسك . وقيل له ألا نحرسك؟ فقال حارس كل امرئ أجله . وقيل له مابال العقلاء فقراء؟ فقال عقل الرجل محسوب عليه من رزقه . وقال لبعض الملحدين المنكر للمعاد إن كان الذي تظن أنت نجونا نحن وأنت وإلا نجونا وهلكت أنت وحدك ، وافتقد درعا وهو

بصفين فوجدوها عند يهودى لحاكمه إلى قاضيه شريح وجلس بجانبه وقال لولا أن خصمى يهودى لاستويت معه فى المجلس ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول«لاتسووابينهم فى المجالس» وفى رواية أصغروهم من حيث أصغرهم الله» ثم ادعى بها علىّ فأنكر اليهودى فطلب شريح بينة من على فأتى بقنبر والحسن فقال له شريح شهادة الابن لاتجوز للأب فقال اليهودى أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن الدرع درعك . ومما عزى له :

إن أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

وفضائله وما ثره كرم الله وجهه أكثر من أن تحصى وفي هذا القدر كفاية. أقام فى الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام على ما حرره السيوطى وصرح به شارح الجزائرية الشيخ عبدالسلام، اعترضه وهو خارج لصلاة صبح يوم الجمعة سابع عشر رمضان

فوجدنا القصة مدسوسة معه فى ثيابه وهو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه وحذرناه وكان الحسن يصوم فى السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه قال أبو هاشم فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامى فجاء لى بكعك فذهبت إلى مكان خال فى الحبس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسى مع الجماعة ولم يشعر بى أحد فلما رآنى تبسم وقال أفطرت فخجلت فقال لاعليك ياأباهاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لاقوة فيه وقال عزمت عليك أن تفطر ثلاثا فان البنية إذا أنهكها الصوم لاتتقوى إلا بعد ثلاث قال أبو هاشم ثم لم تطل مدة أبى محمد الحسن بن على فى الحبس بسبب أن قحط الناس بسر من رأى قحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا فخرج الجاثليق فى اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت بالمطر ثم خرجوا فى اليوم الثانى وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر فعجب الناس من ذلك وداخل بعضهم الشك وصبا بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وائتنى به فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له أدرك أمة محمد ﷺ فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة فقال أبو محمد دعهم يخرجون غدا اليوم الثالث فقال له قد استغنى الناس عن المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم قال لأزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضا فى اليوم الثالث على جارى عادتهم وأن يخرج الناس فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين فوقف النصارى على جارى عادتهم يستسقون وخرج راهب معهم ومد يديه إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضا كعادتهم فغيمت السماء فى الوقت ونزل المطر فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ مافيها فإذا ما بين أصابعه عظم آدمى فأخذه أبو محمد الحسن ولفه فى خرقة وقال لهم استسقوا فانقشع الغيم وطلعت الشمس فتعجب الناس من ذلك وقال الخليفة ماهذا ياأبا محمد ؟ فقال هذا عظم نبى من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء وما كشف عن عظم نبى من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر فاستحسنوا ذلك وامتحنوه فوجدوه كما قال فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بسر من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة وسر الخليفة والمسلمون بذلك وكلم أبو محمد الحسن الخليفة فى إخراج أصحابه الذين كانوا معه فى السجن فأخرجهم وأطلقهم من أجله وأقام أبو محمد بمنزله معظما مكرما وصلات الخليفة وإنعاماته تصل إليه فى كل وقت نقله غير واحد [الثانية] عن على بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى بن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لى ياعيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معى كتاب فيه تاريخ ولادتى فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال هل رزقت ولدا قلت لا فقال اللهم ارزقه ولدا يكون له عضدا فنعم العضد الولد ثم أنشد :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذى ليست له عضد

فقلت ياسيدى وأنت لك ولد فقال إنى والله سيكون لى ولد يملأ الأرض قسطا وعدلا وأما الآن فلا . [الثالثة] عن إسمعيل بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم قال قعدت لأبى محمد الحسن على باب دار حتى خرج فقمت فى وجهه وشكوت اليه الحاجة والضرورة وأقسمت إنى لاأملك الدرهم الواحد فما فوقه فقال تقسم وقد دفنت مائتى دينار وليس قولى هذا دفعا لك عن

العطية أعطه ياغلام مامعك فأعطانى مائة دينار فشكرت له ووليت فقال ماأخوفنى أن تفقد المائتى دينار أحوج ماتكون إليها فذهبت إليها فافتقدتها فإذاهى فى مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها فى مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك على فوجدت ابنا لى قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفذها ولم أحصل منها على شئ وكان كما قال [الرابعة] عن محمد بن حمزة الدورى قال كتبت على يدى أبى هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخيا لأبى محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لى بالغنى وكنت قد أملقت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثا سواك وهى واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك الاقتصاد وإياك والإسراف فورد على المال والخبر بموت ابن عمى كما قال عن أيام قلائل وزال عنى الفقر وأديت حق الله تعالى فيه وبررت إخوانى وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل ذلك مبذرا .

﴿فائدة﴾ عن أبى هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول «إن فى الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف» فحمدت الله فى نفسى وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إلى وقال يا أبا هاشم دم على ماأنت عليه فإن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة . وعنه أيضا قال سمعت أبا محمد يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

﴿تتمة : فى الكلام على وفاته وولده رضى الله عنه ﴾ فى الفصول المهمة : ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صيحة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته فكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبى عيسى بن المتوكل ليصلى عليه فصلى عليه ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى وكانت وفاة أبى محمد الحسن بن على فى يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وخلف من الولد ابنه محمدا .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾

(أمه) أم ولد له يقال لها نرجس وقيل صقيل وقيل سوسن وكنيته أبو القاسم ولقبه الإمامية بالحجة والمهدى والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدى (صفته رضى الله عنه) شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه أقنى الأنف أجلى الجبهة (بوابه) محمد بن عثمان (معاصره) المعتمد كذا فى الفصول المهمة وهو آخر الأئمة الاثنى عشر على ماذهب إليه الإمامية ؛ وفى الفصول المهمة قيل إنه غاب فى السرداب والحرس عليه وذلك فى سنة ست وستين ومائتين وفى الصواعق ويسمى القائم المنتظر قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعلم أين ذهب اه وذكر العلامة الشيخ محمد بن بطوطة فى رحلته مانصه ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهى مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثنى عشرية وبها مسجد على بابه ستر حرير يقولون إن محمد بن الحسن العسكرى دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدى المنتظر فيهم كل يوم يلبس آلة الحرب مائة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مسرجة ملجمة ومعهم

عبد الرحمن بن ملجم فضربه بسيف فأصاب وجهه ووصل إلى دماغه ، فأقام الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد وله من العمر ثلاث وستون سنة على الراجح ودفن بالبصرة بقصر الإمارة بالكوفة على أحد الأقوال وأخفى قبره لئلا تنبشه الخوارج . روى أنه لما خرج لصلاة الصبح يومئذ صاح الإوز فى وجهه فطردن عنه فقال دعوهن فإنهن نوائح ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل فى قوصرة وأحرق بالنار . وقد ذكروا لقتله عليا أسبابا : منها أنه عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فأصدقها ثلاثة آلاف وقتل على .

﴿تتمة﴾ رزق على من الأولاد الذكور أحدا وعشرين ، ومن الإناث ثمانى عشرة على خلاف فى ذلك ؛ والذين أعقبوا من الذكور خمسة : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية كذا فى الرسالة الزينبية .

﴿وأما فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ فقد تقدم ذكر زمن ولادتها وتزوجها ووفاتها . [وهذه جملة من الأحاديث والآثار الواردة

الطبول والبوقات ويقولون اخرج ياصاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل ويقفون إلى الليل ثم يعودون كذلك دأبهم أبدًا اه . وفى تاريخ ابن الوردى ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب فى دار أبيه بسرمن رأى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين وذلك فى سنة خمس وستين على خلاف فيه اه قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجى فى كتابه البيان فى أخبار صاحب الزمان من الأدلة على كون المهدى حيا باقيا بعد غيبته وإلى الآن وأنه لاامتناع فى بقائه بقاء عيسى ابن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى وهؤلاء قدثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة . أما عيسى عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» ولم يؤمن به مذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحد فلابد أن يكون فى آخر الزمان ، ومن السنة مارواه مسلم فى صحيحه عن ابن سمعان فى حديث طويل فى قصة الدجال قال «فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين» وأما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبرى الخضر وإلياس باقيان يسيران فى الأرض . وأما الدجال فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا أن قال يأتى وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلن يسلط عليه» قال إبراهيم بن سعيد يقال إن هذا الرجل هو الخضر وهذا لفظ صحيح مسلم . وأما الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب وهو قوله تعالى «إنك من المنظرين» وأما بقاء المهدى فقد جاء فى تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير فى تفسير قوله تعالى «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» قال هو المهدى من ولد فاطمة رضى الله عنها . وأما من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدى وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين فى تفسير قوله تعالى «وإنه لعلم للساعة» قال هو المهدى يكون فى آخر الزمان وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها اه . وفى درر الأصداف مانصه وزعمت الشيعة أن المنتظر هو محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهم يقولون بالرجعة ولهم فى ذلك أشعار وروايات منها قولهم لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدى وهو محمد بن على رضى الله عنهما فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ويحيى موتاهم فيرجعون إلى الدنيا ويكون الناس أمة واحدة وفى ذلك يقول شاعرهم :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة العدل أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط ضمنته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

أراد بالأسباط الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية رضى الله عنهم وهو المهدى الذى يخرج آخر الزمان بزعمهم وكان على هذا المذهب السيد الحميرى وله من الأبيات .

إمام الهدى قل لى متى أنت آيب فمن علينا ياإمام برجعة
مللنا وطال الانتظار فجدلنا بحقك ياقطب الوجود بزورة
فأنت لهذا الأمر قدما معين كذلك قال الله أنت خليفتى

قال

[فى حقها زيادة على ماسبق] روى أبو داود والطبرانى فى الكبير والحاكم والترمذى وحسنه عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أحب أهلى إلى فاطمة» . وروى الطبرانى عن أبى هريرة أن على بن أبى طالب قال «يارسول الله أينا أحب اليك أنا أم فاطمة قال فاطمة أحب الى منك وأنت أعز على منها» وروى أبو عمر بن ثعلبة قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من غزوة أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم أتى فاطمة رضى الله تعالى عنها ثم أتى أزواجه» . وروى أحمد والبيهقى عن ثوبان قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر آخر عهده إتيان فاطمة وأول من يدخل له صلى الله عليه وسلم إذا قدم فاطمة» وروى من طرق عديدة عن عدة من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ياأهل الجمع نكسوا رءوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط» وفى رواية إلى الجنة ، وفى رواية أبى بكر فى الغيلانيات عن أبى أيوب

قال وفي كتاب جامع الفنون في مبحث الجبال جبل رضوى هو من المدينة على سبع مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو أخضر يرى من بعيد وبه أشجار ومياه زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه حي وهو مقيم به وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وأنه يعود بعد الغيبة ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو المهدى المنتظر وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك وقيل إلى يزيد بن معاوية قال وكان السيد الحميرى على هذا المذهب وهو القائل :

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما

وهذه كلها أقوال فاسدة وبضائع كاسدة ليس بها فائدة فإن محمد بن الحنفية رضى الله عنه توفى بالمدينة المنورة وقيل بالطائف كما تقدم وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبد الله المهدى القائم فى آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنورة لأنه من أهلها كما أخبر به وبعلاماته النبى ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى اه .

﴿تتمة : فى الكلام على أخبار المهدى﴾ واعلم أنهم اختلفوا فيه هل هو من ولد الحسن السبط رضى الله عنهما وهو مارواه أبو داود فى سننه وذهب إليه المناوى فى كبيره وكأن سره تركه الخلافة لله عز وجل شفقة على الأمة أو من ولد الحسين السبط رضى الله عنه قال بعضهم وهو الصحيح اسمه أحمد أو محمد بن عبد الله قال القطب الشعرانى فى اليواقيت والجواهر المهدى من ولد الإمام الحسن العسكرى ابن الحسين ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام هكذا أخبرنى الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة ووافقه على ذلك سيدى على الخواص اه . (صفته) شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال . وأخرج الروياني والطبراني وغيرهما «المهدى من ولدى وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم إسرائيلى أى طويل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » قال الشيخ محيي الدين فى الفتوحات . واعلم أن المهدى إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه ويعينونه على ماقلده الله ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بالمنارة البيضاء شرقى دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس فى صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مكانه فيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليه المهدى طاهرا مطهرا وفى زمانه يقتل السفيانى عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه فى البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته اه .

[وهذه نبذة من الأحاديث الواردة فى حقه] . عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لو لم يبق إلا يوم لبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا» أخرجه أبو داود فى سننه وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما» زاد أبو داود «يملك سبع سنين» وقال الترمذى حديث ثابت صحيح ورواه الطبرانى فى معجمه وغيره وأخرج ابن شيرويه فى كتاب الفردس فى باب الألف واللام عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «المهدى طاووس أهل الجنة » وعنه

فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق» . وروى ابن حبان عن عائشة قالت « ما رأيت أحدا أشبه كلاما وحديثا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلت قام إليها ورحب بها وأخذ بيدها وأجلسها فى مجلسه » وفى رواية عنها حسنها الترمذى «مارأيت أحدا أشبه سمتا ولا هديا ولا حديثا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة وفى قيامها وقعودها » وروى الطبرانى وابن حبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن ملكا من السماء لم يكن زارنى فاستأذن ربى فى زيارتى فبشرنى وأخبرنى أن فاطمة سيدة نساء أمتى » . وروى الطبرانى وغيره بإسناد حسن عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» . وروى البزار عن على قال « كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أى شىء خير للمرأة ؟ فسكتوا فلما رجعت قلت لفاطمة أى شىء خير للنساء ؟

بإسناده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال «المهدى ولدى وجهه كالقمر الدرى واللون منه لون عربى والجسم جسم إسرائيلى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى بخلافته أهل السموات والأرض والطير فى الجو يملك عشرسنين» وأخرج الحافظ أبو نعيم عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولوحبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدى» وأخرج أبو نعيم أيضا عن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج المهدى من قرية يقال لها كريمة» وأخرج الحافظ أبو عبدالله محمد بن ماجه القزوينى فى حديث طويل فى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال فقال فيه إن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص قالت أم شريك بنت أبى العسكر فأين العرب يومئذ قال ﷺ هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وأمامهم المهدى وقد تقدم ليصلى بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم فرجع ذلك الامام ينكص عن عيسى القهقرى ليتقدم عيسى يصلى بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم صل بنا فيقول ألا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هرون العبدى وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده عدا » . وروى الامام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أبشركم بالمهدى يملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه سكان السماء والأرض يقسم المال صحاحا فقال رجل مامعنى صحاحا قال بالسوية بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر مناديا ينادى يقول من له بالمال حاجة فليقم فمايقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول أنا فيقول له ائت السادن يعنى الخازن فقل له إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالا فيحثو له فى ثوبه حثوا حتى إذا صار فى ثوبه يندم ويقول كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفسا أعجز عما وسعهم فيرده إلى الخازن فلا يقبل منه ويقول إنا لا نأخذ شيئا مما أعطيناه فيكون المهدى كذلك سبعة سنين أو ثمانيا أو تسعا ثم لاخير فى العيش بعده أو قال ثم لاخير فى الحياة بعده» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدى عطاؤه هنيا » أخرجه أبو نعيم فى الرد على من زعم أن المهدى هو المسيح وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال « قلت يارسول الله أمنا آل محمد المهدى أومن غيرنا فقال صلى الله عليه وسلم لا بل منا يختم الله له الدين كما افتتح بنا وبنا ينقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخوانا فى دينهم» قال بعض أهل العلم هذا حديث حسن عال رواه الحفاظ فى كتبهم أما الطبرانى فقد ذكره فى المعجم الأوسط وأما أبو نعيم فرواه فى حلية الأولياء وأما عبدالرحمن بن حماد فقد ساقه فى عواليه وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج

قالت لايراها من الرجال فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال إن فاطمة بضعة منى» والبضعة بفتح الوحدة وكسرها القطعة . وروى البخارى «إن فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى» وروى النسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث» اه ولذلك سميت الزهراء أى الطاهرة فإنها لم تر لها دما لا فى حيض ولا فى ولادة وكانت تطهر فى ساعة الولادة وتصلى فلايفوتها وقت قاله صاحب الفتاوى الظهيرية الحنفى والمحب الطبرى . وأما تسميتها بالبتول فلانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا ونسبا . وأخرج الدارقطنى أن أبا بكر قال لفاطمة مامن الخلق أحد أحب إلينا من أبيك وما أحد أحب إلينا منك بعد أبيك ومع كونها بتلك المنزلة كانت فى غاية من ضيق العيش تنبيها للغافلين على أن الدنيا ليست مطمح نظر الكاملين وروى أحمد «أن بلالا أبطأ عن صلاة الصبح فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماحبسك؟ قال مررت بفاطمة وهى تطحن والصبى يبكى فقلت إن شئت كفيتك الرحى

المهدى وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادى هذا خليفة الله المهدى فاتبعوه» أخرجه أبو نعيم والطبرانى وغيرهما وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «لاتقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتى يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ولولم يبق إلا يوم طول الله ذلك اليوم حتى يفتحها» هذا سياق الحافظ أبى نعيم وقال هذا هو المهدى بلا شك وفقا بين الروايات وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ سيكون بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج المهدى من بيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » رواه أبو نعيم فى فوائده والطبرانى فى معجمه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «تتنعم أمتى فى زمن المهدى نعمة لم ينعموا مثلها قط ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدع الأرض شيئا من نباتها إلا أخرجته» رواه الطبرانى فى معجمه الكبير وروى أبو داود عن ذر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى» وفى رواية «واسم أبيه اسم أبى» ﴿فوائد: الأولى﴾ قال فى الصواعق الأظهر أن خروج المهدى قبل نزول عيسى وقيل بعده [الثانية] تواترت الأخبار عن النبى ﷺ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا [الثالثة] تواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين بالشام [الرابعة] جاء فى بعض الآثار أنه خرج فى وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع [الخامسة] أنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجند إلى الأمصار [السادسة] أن السنة من سنيه مقدار عشر سنين [السابعة] أن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب تظهر له الكنوز لايبقى فى الأرض خراب إلا عمره . وهذه علامات قيام القائم مروية عن أبى جعفر رضى الله عنه قال «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وركبت ذوات الفروج السروج وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات واستخفوا بالدماء وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب وأخذوا الرشا واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الأرحام وضنوا بالطعام وكان الحلم ضعفا والظلم فخرا والأمراء فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والأعوان ظلمة والقراء فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وبدأ الفجور وقبلت شهادة الزور واستغنت النساء بالنساء واتخذ الفىء مغنما والصدقة مغرما واتقى الأشرار مخافة ألسنتهم وخرج السفيانى من الشام واليمانى من اليمن وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه قال فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من أتباعه فأول ماينطق به هذه الآية ـ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ـ ثم يقول أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلايسلم عليه أحد إلا قال السلام عليك يابقية الله فى الأرض فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمن وصدق وتكون الملة واحدة ملة الإسلام وكل ماكان فى الأرض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم » .

﴿الباب الثالث فى ذكر جماعة من أهل البيت لهم فى مصر القاهرة مزارات مشهورة ومساجد معمورة﴾

حيث انجر الكلام إلى ذكر مصر القاهرة ينبغى أن نذكر طرفا يتعلق بها فنقول مصر تذكر وتؤنث وحدها طولا من برقة التى فى جنوب البحر الرومى إلى أيلة ومسافة ذلك قريب من

وإن شئت كفيتك الصو فقالت أنا أرفق بابنى منك فذاك الذى حبسنى عنك » . وروى أحمد بسند جيد عن على «أنه قال لفاطمة قد جاء أباك خدم كثير فاذهبى فاستخدميه ثم أتيا إليه جميعا فقالت فاطمة يارسول الله لقد طحنت حتى كلت يدى وقد جاءك الله بسعة فأخدمنا فقال والله لاأعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ثم قال ألا أخبركما بخير مما سألتمانى فقالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل إذا أتتما أتيتما إلى فراشكما فاقرآ آية الكرسى وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين» [وأما الحسن] فهو رضى الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وآخر الخلفاء الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم سمته أمه حربا فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم بل هو الحسن ولم يكن يعرف هذا الاسم فى الجاهلية وكذا اسم الحسين وعق صلى الله عليه وسلم عنه يوم سابعه وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنة

أربعين يوما وعرضها من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما سميت باسم من سكنها وهو مصر بن بيصر بن سام بن نوح وقيل غير ذلك؛ وسميت القاهرة لما روى أن جوهرا القائد لما أراد إقامة السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس وطالعا لرمى الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بين القائم والقائم حبل فيه جرس وأفهموا البنائين أن ساعة تحريك الجرس يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع واتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فتحركت الأجراس فظنوا أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين فصاح المنجمون لا لا القاهرة فوافق أن المريخ كان فى الطالع وهو عند المنجمين بالقاهر نقله بعضهم (قال السيوطى) فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة وقد ذكرت مصر فى القرآن المجيد فى أكثر من ثلاثين موضعا بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية فمن الصريح «اهبطوا مصرا، أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا، اشتراه من مصر، ادخلوا مصر، أليس لى ملك مصر، وقال نسوة فى المدينة، ودخل المدينة، فأصبح فى المدينة، وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، لمكر مكرتموه فى المدينة، وآويناهما إلى ربوة» وهى مصر لأن الربا لا تكون إلا بها «اجعلنى على خزائن الأرض إن فرعون علا فى الأرض، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض، ونمكن لهم فى الأرض، إلا أن تكون جبارا فى الأرض، اليوم ظاهرين فى الأرض أو أن يظهر فى الأرض الفساد، ليفسدوا فى الأرض، إن الأرض لله، ويستخلفكم فى الأرض، كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، يريد أن يخرجكم من أرضكم» فى موضعين «فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم» قيل المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى تجلس فيها الملوك «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، مبوأ صدق كمثل جنة بربوة، ادخلوا الأرض المقدسة» قيل هى مصر «نسوق الماء إلى الأرض الجرز، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو» فجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة، وقد ورد فى مصر عدة أخبار منها ما روى عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما» وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ «ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما» وقال ﷺ «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر ولم يارسول الله؟ قال لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة» أورده الشيخ عبد الله الشرقاوى فى تحفة الناظرين. وفى حاشيته على التحرير ما نصه: وقد اختار الغنى مصر وتبعه الذل واختار الكرم الشام وتبعته الشجاعة والفقر وخص العرب بالبخل وسوء الخلق والحجاز بالقناعة والصبر والعراق بالعلم والعقل. وفى حاشية البرماوى على المنهج قال بعضهم: شأنها عجيب وسرها غريب خلقها أكثر من رزقها من لم يخرج منها لم يشبع. قال بعض الحكماء: نيلها عجب وترابها ذهب ونساؤها لعب وصبيانها طرب وأمراؤها جلب وهى لمن غلب والداخل فيها مفقود والخارج منها مولود، وفى الحديث «يساق إليها أقصر الناس أعمارا» روى أن عمر بن الخطاب كتب لكعب الأحبار أن اختبر لى المنازل كلها فقال له قد بلغنا أن الأشياء كلها اجتمعت فقال السخاء أريد اليمن فقال حسن الخلق وأنا معك وقال الحياء أريد الحجاز فقال له الفقر وأنا معك وقال البأس أى القوة والشجاعة أريد الشام فقال له السيف وأنا معك وقال العلم أريد العراق فقال له العقل وأنا

معك

شعره فضة وكان أشبه الناس به عليه الصلاة والسلام أى من جهة أعلاه والحسين من جهة أسفله كما قال بعض الفضلاء جامعا بين الروايتين، ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياما خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقا لما أخبر به الصادق المصدوق بقوله «الخلافة بعدى ثلاثون سنة» فإن تلك الأشهر هى المكملة لتلك السنين فكانت خلافته منصوصا عليها وبعد تلك الأشهر سار إلى معاوية فى أربعين ألفا وسار إليه معاوية فلما تراءى الجمعان علم الحسن رضى الله عنه أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فكتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على أن تكون الخلافة له من بعده وعلى أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضى عنه ديونه وعلى أن يدفع إليه كل عام مائة ألف فبعث إليه معاوية برق أبيض وقال اكتب ما شئت فأنا ألتزمه كذا فى كتب السير. والذى فى صحيح البخارى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال «استقبل

معك وقال الغنى أريد مصر فقال له الذل وأنا معك فاختر لنفسك ماشئت. وروى مرفوعا «أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطرد منها حتى بلغ تلمسان ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه فيها». وحكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى عمرو ابن العاص رضى الله عنه وهو خليفة بمصر عرفنى عن مصر وأحوالها وما تشتمل عليه وأوجز فى العبارة فأرسل إليه :

وما مصرنا مصر ولكن أرضها ... لجنة فردوس لمن كان يبصر
فأولادها الولدان والحور غيدها ... وروضتها الفردوس والنهر كوثر

اه .

وأهل مصر الغالب عليهم الأفراح واتباع الشهوات والانهماك فى اللذات وتصديق المحالات ، وفى أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة ومكر وخداع وتملق ولا ينظرون فى عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر فى الشدائد وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالأمور الغيبة قبل أن تقع .

﴿لطيفة﴾ يوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال: رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبة ورميس أى خروف أمشير ولبن برمهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بؤونة وعسل أبيب وعنب مسرى والسبع زهرات التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى غيرها من البلاد وهى النرجس والبنفسج والورد النصيبى والهجانى وزهر النارنج والياسمين والنسرين اه من تحفة الناظرين . واعلم أنه لاعبرة بالاختلاف فى دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر القاهرة مزارات فإن الأنوار التى على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأمكنة ولا ينكر ذلك إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة (وقد قال القطب الشعرانى فى مننه) كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول حكم باب البرزخ حكم التيار الذى نزل فيه إنسان فيغطس ثم يطفو من موضع آخر كما وقع لسيدى أحمد بن الرفاعى والسيدة نفيسة ثم إذا نفخ فى الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل (قال الشعرانى) قال سيدى على الخواص وأصل دفنها يعنى السيدة نفيسة كان بالمراغة قريبا من القبر الطويل فى الشارع ولكن ظهرت فى هذا المكان الذى كانت تتعبد فيه لتعلق قلبها به ، وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يؤم بها فيه فى صلاة التراويح . وأما سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى فله قبر فى بلده أم عبيدة وقبر آخر فى الصحراء التى كان يتعبد فيها والناس يزورونهما ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذى فى البرية انتهى فعض ياأخى على ما قاله الخواص للشعرانى بأسنانك واجعله نصب عينيك تسلم والله يتولى هداك . قال بعض العلماء بعد كلام يتعلق بالزيارة وصاحب المزارات مثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية فإذا كان صاحب المزار ماهو فيه فالزيارة تصل إليه أينما كان اه (وقال الشعرانى فى الباب العاشر من المنن) ومما من الله تبارك وتعالى به على زيارتى كل قليل لأهل البيت الذين دفنوا فى مصر كلهم أو رءوسهم فقط وأزورهم فى السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أر أحدا من أقرانى يعتنى لذلك إما لجهله بمقامهم وإما لدعواه عدم ثبوت كونهم دفنوا فى مصر وهذا جمود فإن الظن يكفينا فى مثل ذلك انتهى ؛ ثم إنه ذكر فى هذه المنة أيضاً أسماء جماعة من أهل البيت لهم مزارات بمصر القاهرة أخبره عنهم سيدى على الخواص رحمه الله وفى آخرها قال فهؤلاء الذين بلغنا أنهم فى مصر من أهل البيت وصححه أهل الكشف قال وكان سيدى على الخواص رضى الله عنه يختم زيارة أهل البيت بالإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فعليك يا أخى بزيارة قرابة نبيك محمد ﷺ وقدمهم

الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو ابن العاص لمعاوية إنى لأرى كتائب لتولى حتى يقتل أقرانها فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين أى عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور المسلمين من لى بعصباتهم من لى بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن ابن سمرة وعبد الرحمن ابن عامر فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه فدخلا عليه وتكلما وقالا له يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال من لى بهذا؟ قالا نحن لك به فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به فصالحه اه ويمكن الجمع بأن معاوية أرسل له أولا فكتب الحسن إليه يطلب ماذكر ولما تصالحا على ذلك كتب به الحسن كتابا لمعاوية والتمس معاوية من الحسن أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه قد بايع معاوية وسلم إليه الأمر ففعل ذلك وبما شرح الله له صدره بهذا الصلح ظهرت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فى حق الحسن «إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»

على زيارة كل ولى فى مصر عكس ما عليـه العامة فلا تكاد ترى أحدا منهم يعتنى بزيارة أحد ممن ذكرنا أبدا ويعتنى بزيارة بعض المجاذيب وينام فى موالدهم وهـذا كله من جملة الجهل فاحذره ترشد والحمد لله رب العالمين [وينبغى] لـكل من أراد أن يزور وليا من أولياء الله أو من هو من أهل البيت أن يتخلق بآداب الزيارة قبل التوجه ليعود عليه المدد ممن زاره قال الشعرانى فى الأنوار وهى التشوق إلى المزور والجزم بفضله وطهارته من المعاصى المعنوية والحسية والتماس بركة دعائه وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع وحفظ اللسان من الوقوع فى أعراض الناس وإن كان هذا عاما ؛ وإن خلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع بها ولا ثواب بل هى تكلف ونفاق وإذا زرته بحسن القصـد وحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى وكان من أهل الله فإنه لابد لك من المدد الأوفر فإن الله سبحانه وتعالى قد وكل بقبور الأكابر ملائكة يقضون حوائج الزائرين لأن أهل الله محل الكريم والسخاء أحياء وأمواتا ومن دخل بيت كريم لايرجع من غير مدد لاسيما إذا كانوا من أهل البيت رضى الله عنهم انتهى .

﴿ فصل: فى ذكر مناقب السيدة سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾

(أمها الرباب) بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس الكلبى كان نصرانيا فجاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام فى قضاعة فتولى قبل أن يصلى صلاة وما أمسى حتى خطب إليه الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عبـد الله وسكينة رضى الله عنهم نقله الخطيب البغـدادى ومثله فى الأغانى وسكينة بضم السين وفتح الـكاف وسكون الياء كذا يؤخذ من عبارة القاموس لقب لقبتها به أمها الرباب واسم سكينة أميمة وقيل أمينة وقيل أمية وقيل آمنة قال أبو الفرج وهو الصحيح كذا فى تاريخ ابن خلكان والأغانى . نقل أبو الفرج عن مالك بن أعين قال سمعت سكينة بنت الحسين رضى الله عنها تقول عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال أبى :

لعـمرك إننى لأحب دارا تـكون بها سكينة والرباب
أحبهـما وأبذل جل مالى وليس لعاتب عنـدى عتاب
ولست لهم وإن عابوا معيبا حياتى أو يغيبنى الـتراب

قال هشام بن الـكلبى كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضى الله عنه فقالت ما كنت لأتخذ حمـا بعد رسول الله ﷺ ولما قتل الحسين رضى الله عنه رثته بأبيات منها :

إن الذى كان نورا يستضاء به بكربلاء قتيل غـير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحة عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلا صعبا ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغنى ويأوى إليـه كل مسكين
والله لا أبتغى صهـرا بصهـركم حتى أغيب بين الرمل والطين

(وفى الفصول المهمة) وبقيت بعده سنة لايظلها سقف بيت إلى أن ماتت رحمها الله . وفى تاريخ ابن خلـكان كانت سكينة سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخـلاقا وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قريبا ثم تزوجها الأصبغ بن عبـد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبـد الملك بطلاقها ففعل وقيل فى ترتيب أزواجها غير هذا والطرة السكينية منسوبة إليها ، ولهـا نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم

رواه البخارى . وأخرج الدولابى أن الحسن قال كانت جماجم العرب بيدى يسالمـون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين وكان نزوله عنهـا سنة إحدى وأربعين فى شهر ربيع الأول وقيـل فى جـادى الأولى فـكان أصحـابه يقولون له ياعار المؤمنين فيقول العار خير من النار ثم ارتحل من الـكوفة إلى المدينة وأقام بها فصار أمـيرها يسبه ويسب أباه على المنبر وغيره ويبالغ فى أذاه مما الموت دونه وهو صابر محتسب ؛ ولما نزل عنها ابتغاء وجه الله تعالى عوضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنية حتى ذهب قوم أن قطب الأوليـاء فى كل زمان لا يكون إلا من أهـل البيت ، وممن قال يكون من غـيرهم الأسـتاذ أبو العباس المرسى كما نقله عنـه تلميذه التاج ابن عطـاء الله وهـل أول الأقطاب الحسن أو أول من تلق القطبانيـة من المصطـفى ﷺ فاطمة الزهراء مـدة حياتها ثم انتقلت منهـا إلى أبى بـكر ثم عمـر ثم عثمان ثم على ثم الحسـن ذهب

وغيرهم انتهى . وفي الأغاني كانت سكينة أحسن الناس شعرا وكانت تصفف جمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك وكانت الجمة تسمى السكينية وكان عمر بن عبدالعزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه اه (وفي درر الأصداف) كانت سكينة رضي الله عنها من الجمال والأدب والفصاحة بمنزلة عظيمة وكان منزلها مألف الأدباء والشعراء وتزوجت عبد الله بن الحسن السبط ابن علي كرم الله وجهه فقتل عنها بالطف قبل أن يدخل بها ثم تزوجها مصعب بن الزبير رضي الله عنهما وأمهرها ألف ألف درهم وحملها اليه علي بن الحسن رضي الله عنهما فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ماألبستها إياه إلا لتفضحه (عن محمد ابن سلام) قال اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسن رضي الله عنهما جرير والفرزدق وكثير ونصيب وجميل مكثوا في ضيافتها أياما ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فجلست حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم أخرجت وصيفة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت أيكم الفرزدق ؟ فقال هاأناذا فقالت له أنت القائل :

هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

قال نعم قالت فمن دعاك إلى إفشاء سرك وسرهما هلا سترتهما وسترت نفسك خذ هذه الألف والحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم جرير فقال لها هاأناذا فقالت أنت القائل

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم قالت فهلا رحبت بها خذ هذه الألف درهم وانصرف ، ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم كثير؟ فقال ها أناذا ، قالت أنت القائل :

أعجبني ياعز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يطمع الطالب الصبا ورفعك إنسان الهوى حين يطمع
فوالله ما يدري كريم مماطل أينساك إذ باعدت أو يتضرع

قال نعم قالت ملحت وشكلت خذ هذه الألف والحق بأهلك ، ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم نصيب ؟ فقال ها أنا ذا ، قالت أنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال نعم قالت ربيتنا صغارا ومدحتنا كبارا خذ هذه الأربعة آلاف درهم والحق بأهلك ، ثم دخلت وخرجت فقالت ياجميل مولاتي تقرئك السلام وتقول والله مازالت مشتاقة الى رؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني إذا لسعيد
فكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الألف دينار والحق بأهلك . وعن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبير قال اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال صاحبي أشعر فحكموا بينهم سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر فاستأذنوا عليها فأذنت لهم فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية جرير ، أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

إلى الأول أبو العباس المرسي وإلى الثاني أبو المواهب التونسي كما في طبقات المناوي كان الحسن رضي الله عنه سيدا حليما كريما زاهدا ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحا [وهذه جملة من الأحاديث والآثار الواردة في حقه زيادة على ماسبق] أخرج الشيخان عن البراء قال «رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول: اللهم اني أحبه فأحبه» وأخرجا عن أبي هريرة «أن النبي ﷺ قال اللهم إني أحبه وأحب من يحبه» فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال «أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال نعم المركب ركبت ياغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو» وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال: أشبه أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم اليه الحسن رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزل حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته وهو راكع يفرج له بين

قال نعم قالت وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره هلا قال فادخلى بسلام، ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذى يقول :

يقر بعينى مايقر بعينهـا   وأحسن شىء مابه العين قرت

قال نعم قالت وليس بعينها أقر من النكاح أفيحب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ماطلبتها   ولكن طلابيها لما فات من عقلى

قال نعم قالت فما أرى بصاحبك من هوى إنما يطلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعـد ماحييت فان أمت   فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

قال نعم قالت فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره ألا قال .

أهيم بدعد ماحييت فان أمت   فـلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تواعدا وتراسلا   حتى إذا نجم الثريا حلقـا

* باتا بأنعم ليلة وألذها   حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم قالت قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال تعانقا قال إسحاق فلم تثن على أحد منهم فى ذلك اليوم ولم تقدمه ، وفى رواية أخرى أنها قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول :

فياليتنى أعمى أصم تقودنى   بثينـة لايخفى علىّ كلامهـا

قال نعم قالت رحم الله صاحبك إن كان صادقا اه ومثله فى الأغانى لكن وقع فى الأغانى خبط فى نسبة الأبيات إلى الشعراء ولم يذكر كثير عزة وذكر الأحوص مرتين وهو سهو من الكاتب وكان يقال إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين فى الحسن (توفيت) السيدة سكينة رضى الله عنها بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة وصلى عليها شيبة ابن النطاح المقرى كذا فى درر الأصداف . وفى تاريخ ابن خلكان توفيت سنة سبع عشرة ومائة وكانت وفاتها بالمدينة قال الشيخ عبدالرحمن الأجهورى فى كتابه مشارق الأنوار والأكثرون على أن سكينة بنت الحسين ماتت بالمدينة وفى طبقات الشعرانى أنها مدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة يعنى بمصر القاهرة ومثله فى طبقات المناوى فان قلت هذا كلام ينافى بعضه بعضا فانك ذكرت أنها توفيت بمكة وبالمدينة وبمصر قلت لامنافاة لأنه مر بك آنفا فى أول الباب أن حال البرزخ كحال التيار فلا تغفل ﴿ تنبيه ﴾ فى منن الشعرانى مانصه وأخبرنى يعنى الخواص أن السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها فى الرواية عند الدرب قريبا من دار الخليفة عند الحصانيين اه لكن نقل الأجهورى عن الشعرانى أنه قال فى منته إن السيدة سكينة أخت الحسين لابنته وتعقبه فى المشارق ولعل نسخة المنن التى وقعت للأجهورى كان بها تحريف ، والله أعلم .

﴿فصل: فى ذكر مناقب السيدة رقية بنت الامام على بن ابى طالب رضى الله عنها ﴾ أمها أم حبيب الصهباء التغلبية أم ولد كانت من سبى الردة الذى أغار عليه سيدنا خالد بن الوليد بعين التمر فاشتراها سيدنا على رضى الله عنه من سيدنا خالد فعمر الأكبر شقيق رقية وفى الفصول المهمة كانا توأمين وعمر عمر هذا خمسا وثمانين سنة وحاز نصف ميراث على رضى الله عنه وذلك أن اخوته أشقاءه وهم عبدالله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم وعن الليث بن سعد والدارقطنى أن رقية بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى

الله

رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر . وأخرج الحاكم عن زيد بن الأرقم قال « قام الحسن بن على يخطب فقام رجل من أزد شنوءة فقال أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه على حبوته وهو يقول من أحبنى فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب» ولولا كرامة النبى صلى الله عليه وسلم ماحدثت به أحدا. وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر قال «كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فيجىء الحسن وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبى صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا فلما فرغ من الصلاة قالوا يارسول الله انك تصنع بهذا الصبى شيئا لاتصنعه بأحد فقال النبى صلى الله الله عليه وسلم ان هـذا ريحانتى وان هذا ابنى سيد وحتى ٧ يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين» . وأخرج الحافظ السلفى عن أبى هريرة قال «مارأيت الحسن بن على قط إلا فاضت عيناى دموعا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وأنا فى المسجد وأخذ بيدى واتكأ علىّ حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى

الله عليه وسلم قال الشعرانى فى الباب العاشر من المنن وأخبرنى يعنى الخواص أن رقية بنت الإمام على كرّم الله وجهه فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت(١) اه . وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة والمكان الذى فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذى ببابه هذا البيت :

بقعة شرفت بآل النبى وببنت الرضا على رقية

هذا وقد أخبرنى بعض الشوام أن للسيدة رقية بنت الإمام على كرّم الله وجهه ضريحا بدمشق الشام وأن جدران قبرها كانت قد تعيبت فأرادوا إخراجها منه لتجديده فلم يتجاسر أحد أن ينزله من الهيبة فحضر شخص من أهل البيت يدعى السيد بن مرتضى فنزل فى قبرها ووضع عليها ثوبا لفها فيه وأخرجها فإذا هى بنت صغيرة دون البلوغ وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثنى به ناقلا عن أشياخه [تنبيه] جمهور المؤرخين وأصحاب السير على أن للامام على كرّم الله وجهه رقية واحدة من غير السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفهم الليث بن سعد فقال إنها منها كما قدمناه ثم رأيت بعضهم صرح بأن للامام رقيتين تدعى إحداها بالكبرى من السيدة فاطمة والأخرى تدعى بالصغرى أمها أم حبيب شقيقة عمر وقد تقدم ذلك فى أول الترجمة .

﴿ كرامة ﴾ نقل الأجهورى أن السيدة رقية لما جاءت من المدينة اعترضها شخص من آل يزيد وأراد قتلها فوقفت يده فى الهواء وسقط ميتا .

﴿فصل: فى ذكر مناقب السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى﴾ قال الجبرتى هكذا ذكر عن نفسه نسبه (ولد) سنة خمس وأربعين ومائة وألف قال الجبرتى هكذا سمعته من لفظه ورأيته بخطه قال ونشأ ببلاده وارتحل فى طلب العلم وحج مرارا ثم ورد إلى مصر فى تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة وألف وسكن بخان الصاغة وأول من عاشره وأخذ عنه السيد على القدسى الحنفى من علماء مصر وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوى والجوهرى والحفنى والبليدى والصعيدى والمدابغى وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه واعتنى بشأنه إسمعيل كتخدا عزبان وأولاه بره حتى راج أمره وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وأكابره وعلمائه وأكرمه شيخ العرب همام وإسمعيل أبو عبد الله وأبو على وأولاد نصير وأولاد وافى وهادوه وبروه ، وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقى البنادر العظيمة مرارا حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع واجتمع بأفاضل النواحى وأرباب العلم والسلوك وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم وصنف عدة رحلات فى تنقلاته فى البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح نظما ونثرا لو جمعت كانت مجلدا ضخما وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بأبى الفيض وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك برحاب ساداتنا بنى وفا يوم زيارة المولد المعتاد ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة وشرع فى شرح القاموس حتى أتمه فى عدة سنين فى نحو أربعة عشر مجلدا سماه تاج العروس ولما أكمله أولم له وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه فى علم اللغة وكتبوا عليه تقاريظهم نثرا ونظما فممن قرظ عليه شيخ الكل فى عصره الشيخ على الصعيدى

جلس فى المسجد ثم قال ادع ابنى فأتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه أى الحسن ثم يدخل فمه فى فمه ويقول اللهم إنى أحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات» وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن الحسن أنه قال «إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين حجة» وأخرج

١ (قوله ومعها جماعة من أهل البيت) بذلك المكان عاتكة بنت عمرو بن نفيل القرشية كانت أجمل نساء زمانها تزوجها عبد الله بن سيدنا الصديق فقتل عنها بالطائف ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب فقتل ثم تزوجها سيدنا الزبير بن العوّام فقتل ثم تزوجها محمد بن سيدنا الصديق فقتل عنها وأحرق فى جيفة حمار بمصر القديمة ولم يبق إلا رأسه الشريف فدفنه مولاه بمحراب المسجد وقيل تحت المأذنة ثم آلت أنها لاتتزوج بعد ذلك وكان سيدنا محمد عاملا على مصر ولاه الامام على كرم الله وجهه فانه تزوج أمه بعد سيدنا الصديق ورباه فهو ربيب للامام رضى الله عنهما ونفعنا بهما اه من كتب السير اه مؤلف .

والشيخ أحمد الدردير والسيد عبد الرحمن العيدروس والشيخ محمد الأمير والشيخ حسن الجداوى والشيخ أحمد البيلى والشيخ عطية الأجهورى والشيخ عيسى البراوى والشيخ محمد الزيات والشيخ محمد عبادة والشيخ محمد العوفى والشيخ حسن الهوارى والشيخ أبوالأنوار السادات والسيد على القناوى والشيخ على خرايط والشيخ عبد القادر بن خليل المدنى والشيخ محمد المكى والسيد على القدسى والشيخ عبد الرحمن مفتى جرجا والشيخ على الشاورى والشيخ محمد الحربتاوى والشيخ عبدالرحمن المقرى والشيخ محمد سعيد البغدادى الشهير بالسويدى وهو آخر من قرظ عليه قال وكنت إذ ذاك حاضرا وكتبه نظما ارتجالا وذلك فى منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة وألف وهو :

شرح الشريف المرتضى القاموسا وأضاف ما قد فاته قاموسا
نفذت صحاح الجوهرى وغيرها سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى فى سلك جمهرة اللهى تأنيسا
وبنى أساسا فائقا واختار فى إتقانه مختاره تأسيسا
فأثار من مصباح مزهر نوره عين الغبى فأبصرته نفيسا
فهو الفريد ولا يثنى جمعه إذ لا يحاك كشله تدليسا
فلسان نظمى عاجز عن مدحه فالله ينشر نشره تقديسا
ويديم مولاى الشريف بعصرنا فى كل قطر للهداة رئيسا
وإذا توجه لى بلمحة نظرة إنى سعيد لا أصير خسيسا
أهدى الصلاة مع السلام لجده هديا جزيلا لايطاق نفيسا
والآل مع صحب وهذا المرتضى ومن ارتضى ومن اصطفاه أنيسا

قد تركنا باقى التقريظات مخافة طول الكلام (ولما أنشأ محمد بيك أبو الدهب) الجامع المعروف بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب اشترى جملة من الكتب ووضعها فيه فأنهوا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعه فيها وللمترجم له مصنفات خلاف شرح القاموس وشرح الإحياء كثيرة منها كتاب الجواهر المنيفة فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله مما وافق فيها الأئمة الستة وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ماروى عنه فى الاعتقاديات ثم فى العمليات على ترتيب كتب الفقه والنفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية جمع فيه أسانيد العيدروس وهى فى نحو عشرة كراريس والعقد الثمين فى طرق الإلباس والتلقين وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق وشرح الصدر فى شرح أسماء أهل بدر فى عشرين كراسة ألفها لعلى أفندى درويش وألف باسمه أيضاً التفتيش فى معنى لفظ درويش ورسائل كثيرة جدا منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبى الوفا وبلغة الأديب فى مصطلح آثار الحبيب وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام وزهر الأكمام المنتشق عن جيوب الإلهام بشرح صيغة صلاة سيدى عبد السلام ورشفة المدام المختوم البكرى من صفوة زلال صيغ القطب البكرى ورشف سلاف الرحيق فى نسب حضرة الصديق والقول المثبوت فى تحقيق لفظ التابوت وتنسيق قلائد المنن فى تحقيق كلام الشاذلى أبى الحسن ولقط اللآلى من الجوهر الغالى وهى فى أسانيد الأستاذ الحفنى وكتب له إجازته عليها فى سنة سبع وستين وذلك سنة قدومه إلى مصر

والنوافح

الحاكم عن عبد الله بن عمير قال «لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن الجنائب لتقاد بين يديه» وأخرج أبو نعيم أنه خرج من ماله لله تعالى مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا ويعطى خفا ويمسك خفا ولم يقل لسائل قط لا وكان لا يأنس به أحد فيدعه حتى يحتاج إلى غيره . واشترى حائطا من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف فبلغه أنهم احتاجوا ما فى أيدى الناس فرده إليهم . ومر بصبيان يأكلون كسرا من الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم أنواعا وكساهم وقال اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونى ونحن نجد كثيرا مما أعطيناهم . وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه . وأضافته هو والحسين وعبد الله بن جعفر عجوز فأعطاها ألف دينار وألف شاة وأعطاها الحسين مثل ذلك وأعطاها عبد الله ابن جعفر مثلهما ألفى شاة وألفى دينار . وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق أنه لم يسمع منه

والنوافح المسكية على الفوائح الكشكية وجزء في حديث «نعم الأدم الخل» وهدية الإخوان في شجرة الدخان ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود والربى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي والقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ورسالة في المناشي والصفين على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس وتفسير على سورة يونس مستقلا على لسان القوم وشرحا على حزب البر للشاذلي وتكملة لشرح حرب البكري للفاكهي من أوله فكمله للشيخ أحمد البكري ومقامة سماها إسعاف الأشراف وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن عبد اللطيف الحسني القدسي وحديقة الصفا في ولد المصطفى وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي ورسالة في طبقات الحافظ ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم الخ وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة والمنح العلية في الطريقة النقشبندية والانتصار لوالد النبي المختار وألفية السند ومناقب أصحاب الحديث وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام ورفع الشكوى وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ورفع الكلل عن العلل ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير القدسي وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس فأرسل إليه كراريس من أوله حين كان بمصر وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريظات ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه فكتب إليه أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج وأولها بعد البسملة الحمد لله الذي رفع متن العلماء وكتب في آخرها مانصه :

أجزت له أبقاه ربي وحاطه ... بكل حديث حاز سمعي بإتقان
وفقه وتاريخ وشعر رويته ... وماسمعت أذني وقال لساني
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم ... بريا عن التصحيف من غير نكران
كتبت له خطي واسمي محمد ... وبالمرتضى عرفت والله يرعاني
ولدت بعام أرخوا فك ختمه ... وبالله توفيقي وبالله تكلاني

(وكتب) معها جواب كتابه وقد تركنا ماكتبه خوفا من الإطالة . وللمترجم أشعار كثيرة جوهرية نفيسة صحاح وعرائس أبيات ذات وجوه صباح منها قوله من قصيدة يمدح بها الأستاذ العلامة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا رحمه الله ويذكر فيها نسبه الشريف :

مدحت أبا الأنوار أبغي بمدحه ... وفور حظوظي من جليل المآرب
نجيبا تسامى في المشارق نوره ... فلاحت هواديه لأهل المغارب
محمد الباني مشيد افتخاره ... بعز المساعي وابتذال المواهب
ربيب العلا المخضل سيب نواله ... سماء الندى المنهل صوب السحائب
كريم السجايا الغر واسطة العلا ... بسيم المحيا الطلق ليس بغاضب
حوى كل حلم واحتوى كل حكمة ... ففات مرام المستمر الموارب
به ازدهت الدنيا بهاء وبهجة ... وزانت جمالا من جميع الجوانب
مخايله تنبيك عما وراءها ... وأنواره تهديك سبل المطالب
له نسب يعلو بأكرم والد ... تبلج منه عن كريم المناسب

كلمة فحش في الإمرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض فقال ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه قال فهذه أشد كلمة فحش قالها ماسمعتها منه قط . وأخرج ابن سعد عن علي أنه قال ياأهل الكوفة لاتزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق وكان لايفارق امرأة إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة . ولما مات بكى مروان في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ماتجرعه فقال إني كنت أفعل ذلك مع أحلم من هذا وأشار إلى الجبل . ووقع بين الحسن والحسين شيء فتهاجرا ثم أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين إن الذي منعني من ابتدائك بهذا أنك أحق بالفضل مني وكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به مني. وأخرج ابن عساكر أنه قيل له إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة فقال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه في غير

وهى طويلة ذكرها فى خاتمة رفع نقاب الخفا (وله) أيضا رحمنا الله وإياه بمنه وجوده وكرمه :

كاف الكياسة مع كيس إذا اجتمعا ... يوما لمرء غـدا فى العصر سلطانا
بالكيس يصبح مقضيا حوائجـه ... وبالكياسة يولى الكيس إحسانا
والكيس منفردا مغن لصاحبـه ... والكيس منفـردا يوليـه مجانا

وله فى أسماء أهل الكهف على الخلاف الوارد فيهم :

بتمليخ مكسلمين مثلين بعـده ... دبرنوش مرنوش كذا أسد الكهف
وخذ شاذنوش سادس الصحب ذاكرا ... كفشطيوش فى رواية ذى العرف
نوانس مانينوس مع بطنيوشـهم ... مكرطونش تلك الروايات فاستوف
وكشفوطط كند سلططنوس هكذا ... روينا وأرنوش على حسب الخلف
وبنبـونس كشفطيط أربطانس ... ومرطوكش عند الأجلة فى الصحف
وكلـهم قطمـير سابع سبـعة ... فخذ وتوسل يا أخا الكرب والرجف

ومن كلامه أيضا : توكل على مولاك واخش عقابه ... وداوم على التقوى وحفظ الجوارح
وقدم من البر الذى تستطيعه ... ومن عمـل يرضاه مـولاك صالح
وأقبـل على فعـل الجميـل وبذله ... إلى أهله ما استطعت غير مكالح
ولا تسمع الأقوال من كل جانب ... فلا بد من مثن عليـك وقادح

ونظمه كثير ونثره بحر غزير وفضله شهير وذكره مستطير ولولا مخافة التطويل لأوردنا قدرا قريبا من كراسة من نظمه الجليل ؛ ولم يزل المترجم له رضى الله عنه يخدم العلم ويرقى فى درج المعالى ويحرص على جمع الفنون التى أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طريق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين ، وألف فى ذلك كتبا ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم أفنـدى بالقرب من مسجـد شمس الدين الحنفى وذلك فى أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان فأحـدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وأكرموه وهادوه وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظمهم ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى ويجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ورغبوا فى معاشرته لكونه غريبا وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف باللغـة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ثم شرع فى إملاء الحديث على طريق السلف فى ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة وكل من قدم عليه يملى عليه المسلسل بالأوليـة وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه ويكتب له سندا بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة فقال لهم لابد من قراءة أوائل الكتب واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعدا عن الناس فشرعوا فى صحيح البخارى بقراءة السيد حسـين الشيخونى واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخونى إمام المسجد وخازن الكتب وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغـيرها وتناقل فى الناس سعى علماء الأزهر مثل الشيخ أحمـد السجاعى والشيخ مصطفى الطائى والشيخ سليمان الأكراشى وغيرهم للأخذ عنه فازداد شأنه وعظم قدره واجتمع عليه أهل تلك النواحى وغيرها من العامة الأكابر والأعيان والتمسوا منه تبيين المعانى فانتقل من الرواية إلى الدراية

الحالة التى اختارالله له . وكان عطاؤه كل سنـة مائة ألف فحبسها عنـه معاوية فى بعض السنين فحصل له إضاقة شديدة قال فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال كيف أنت ياحسن ؟ فقلت بخير ياأبت وشكوت إليه تأخر المال عنى فقال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ فقلت نعم يارسول الله فكيف أصنع ؟ فقال قل : اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطـع رجائى عمن سواك حتى لاأرجو أحدا غيرك اللهم وماضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته إليـه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحـدا من الأولين والآخرين من اليقـين فخصنى به ياأرحم الراحمين قال فوالله ما ألححت به أسبوعا حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال ياحسن كيف أنت ؟ فقلت بخير يارسول الله وحدثته بحديثى فقال يابنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج

رصاد

وصار درسا عظيما فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية وقد استغنى عنهم هو أيضا وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثا من المسلسلات أو فضائل الأعمال ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك ، فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها ممن سبق من المدرسين المصريين وافتتح درسا آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر فازدادت شهرته وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة فيذهب اليهم مع خواص الطلبة والمقرئ والمستملي وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونساؤه من خلف الستارة وبين أيديهم مجامر بخور العنبر والعود مدة القراءة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق المعتاد ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق قال كما رأيناه في الكتب القديمة . قال الجبرتي اني كنت مشاهدا وحاضرا في غالب هذه المجالس والدروس ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق وأماكن أخر كنا نذهب اليها للنزهة مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها وهو كثير مثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن وانجذب اليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار فسعوا إلى منزله وترددوا لحضور مجالس درسه وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال فاشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر وسمع به فحضر اليه والتمس منه الاجازة وقراءة مقامات الحريري فكان يذهب اليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ماتيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده اليه وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالا من الأنبار وأنهى إلى الدولة شأنه فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفا في كل يوم وذلك في سنة إحدى وتسعين فعظم أمره وانتشر صيته وطلب إلى الدولة في سنة أربع وتسعين فأجاب ثم امتنع وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق وطار ذكره في الآفاق وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة وكثرت عليه الوفود من كل ناحية وترادفت عليه الهدايا والصلات والأشياء الغريبة وأرسلوا اليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لها عنده موقع وكذلك أرسلوا اليه من طيور الببغاء والجواري والعبيد والطواشية فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغربة تلك عندها ويأتيه في مقابلتها أضعافها وأتاه من طوائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة وماء الكادي والربيات والعود والعنبر والعطر والشاه بالأرطال وصار له عند أهل الغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى حتى ان أحدهم

الخلوق ، ومن شعره :
من ظن أن الناس يغنونه
فليس بالرحمن بالواثق
(ولد رضي الله تعالى عنه) في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الأصح ومات سنة خمسين على ماعليه الأكثر وقيل سنة تسع وأربعين ورجحه بعضهم وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله تعالى عنهما وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دس إليها يزيد أن تسمه ويتزوجها ويبذل لها مائة ألف درهم ليكون الأمر له بعد أبيه معاوية ويبطل شرط أن يكون للحسن بعد معاوية ففعلت فمرض أربعين يوما فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟ وبموته مسموما شهيدا جزم غير واحد من المتقدمين والمتأخرين وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال الله أشد نقمة إن كان الذي أظن وإلا فلا يقتل بي بريء ؛ ومن كلامه رضي الله تعالى عنه : المروءة العفاف وإصلاح الحال . ومن كلامه الإخاء المساواة في الشدة والرخاء ومن كلامه الغنيمة الباردة الرغبة في التقوى

إذا ورد مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشئ لا يكون حجه كاملا فتراهم فى أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدى نجواه شيئا اما موزونات فضة أو تمرا أو شمعا على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجة وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته إلى يوم معاده وقس على ذلك مالم يقل (وماتت) زوجته زبيدة وكنيتها أم الفضل فى سنة ست وتسعين فحزن عليها حزنا كبيراً ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاما ومقصورة وستورا وفرشا وقناديل ولازم قبرها أياما كثيرة وكان يجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكانا بجوار القبرة المذكورة وعمره بيتا صغيرا وفرشه وأسكن به أمها وكان يبيت به أحيانا وقصده الشعراء بالمراثى فكان يقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه ورثاها هو بقصائد قال الناقل وجدتها بخطه بعد وفاته فى أوراقه المدشتة على طريقة شعر مجنون ليلى، فمنها :

أعاذل من يرزأ كرزئى لا يزل كئيبا ويزهد بعده فى العواقب أصابت يد البين المشت شمائلى
وحافت نظامى عاديات النوائب وكنت إذا مازرتها فى سحيرة أعود إلى رحل بطين الحقائب

ومنها يقولون لا تبكى زبيدة واتئد وسل همومَ النفس بالذكر والصبر
وتأتى لى الأشجان من كل وجهة بمختلف الأحزان بالهم والفكر
وهل لى تسلٍّ من فراق حبيبة لها الجدث الأعلى بيشكر من مصر أبى الدمع إلا أن يعاهد أعينى
بمحجرها والقدر يجرى إلى القدر فاما ترونى لا تزال مدامعى لدى ذكرها تجرى إلى آخر العمر

ولولا مخافة التطويل لأوردنا شيئا كثيراً من كلامه من هذا القبيل (ثم تزوّج) بعدها بأخرى وهى التى مات عنها وأحرزت ماجمعه من مال وغيره، ولما بلغ مالا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا فى النادر لغرض من الأغراض وترك الدروس والإقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التى كانت تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين أردبا من البر وأحمالا من الأرز والسمن والزيت وخمسمائة ريال نقودا وبقج كساوى أقمشة هندية وجوخ وغير ذلك فردها وكان ذلك فى رمضان وكذلك مصطفى بك الاسكندرانى وغيرهما وحضرا اليه فاحتجب عنهما ولم يخرج اليهما ورجعا من غير أن يواجهاه، وبالجملة فانه كان فى جميع المعارف صدر الكل ناد حتى قرض الدهر منه رفيع العماد وآذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ماطلعت من مشرق الاقبال كما قيل :

وزهرة الدنيا وإن أينعت فانها تسقى بماء الزوال

وقد نعاه الفضل والكرم وناحت لفراقه حمائم الحرم وأصيب بالطاعون فى شهر شعبان سنة خمس ومائتين وألف وذلك أنه صلى الجمعة فى مسجد الكردى الموجه لداره فطعن بعد فراغه من الصلاة ودخل إلى البيت واعتقل لسانه فى تلك الليلة وتوفى يوم الأحد فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر والأمتعة والكتب المكلفة ثم أشاعوا موته يوم الاثنين فحضر عثمان بك طبل الإسماعيلى ورضوان كتخدا المجنون

والزهادة فى الدنيا. (ومن كلامه) كن فى الدنيا ببدنك وفى الآخرة بقلبك (ومن كلامه) الطعام أهون من أن يقسم عليه. وكان يقول لبنيه وبنى أخيه تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم؛ ولما احتضر قال لأخيه الحسين ياأخى أوصيك أن لا تطلب الخلافة فإنى والله ماأرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فإياك أن يستخفك سفهاء الكوفة ويخرجوك فتندم من حيث لا ينفعك الندم. (ومن كراماته) أن رجلا تغوط على قبره فجن وجعل ينبح كما تنبح الكلاب ثم مات فسمع من قبره يعوى أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش ﴿تنبيه﴾ نقل سبط ابن الجوزى فى كتابه تذكرة الخواص عن ابن سعد فى طبقاته أنه كان للحسن من الأولاد محمد الأصغر وجعفر وحمزة ومحمد الأكبر وزيد والحسن المثنى وفاطمة وأم الحسن وأم الخير وأم عبد الرحمن وأم سلمة وأم عبد الله وإسمعيل ويعقوب والقاسم وأبو بكر وطلحة وعبد الله؛ وعن الأسلمى أنهم على الأكبر وعلى الأصغر وجعفر وعبد الله والقاسم وزيد وعبد الرحمن

وادعى أن المتوفى أقامه وصيا مختارا وعثمان بك ناظرا بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون يقال له حسين أغا فلما حصروا وصحبتهما مصطفى أفندى صادق أخذوا ما أحبوه وابتغوه من المجلس الخارج وخرجوا بجنازته وصلوا عليه ودفن بقبر كان قد أعده لنفسه فى حياته بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم لاشتغال الناس بأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة ، ومات رضوان كتخدا فى أثر ذلك واشتغل عثمان بك بالامارة لموت سيده أيضا وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربها متروكاته ونقلوا الأشياء الثمينة والنفيسة إلى دارهم ونسى أمره شهرا حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية وتزوجت زوجته برجل من الأجناد من أتباعهم فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضى خوفا من ظهور وارث وأظهروا ما ابتغوه مما انتقوه من الثياب وبعض الأمتعة والكتب والدشتات وباعوها بحضرة الجميع فبلغت نيفا ومائة ألف نصف فضة وأخذ منها بيت المال شيئا وأحرز الباقى مع الأول قال الناقل وكانت مخلفاته شيئا كثيرا جدا أخبرنى المرحوم حسن الحريرى وكان من خاصته وممن يسعى فى خدمته ومهماته أنه حضر إليه فى يوم السبت وطلب الدخول لعيادته فأدخلوه عليه فوجده راقدا معتقل اللسان وزوجته وأصهاره فى كبكبة واجتهاد فى إخراج ما فى داخل الخبايا والصناديق إلى الليوان ورأيت كوما عظيما من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشمير والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشياء فى ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها قال ورأيت عددا كثيرا من ساعات العلب الثمينة مبددا على بساط القاعة وهى بغلافات بلادها قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ففتح عينيه ونظر إلىّ وأشار كالمستفهم عما هم فيه ثم غمض عينيه وذهب فى غطوسه فقمت عنه قال ورأيت فى الفسحة التى أمام القاعة قدرا كثيرا من شمع العسل الكبير والصغير والكافورى المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره ولم ألتفت إليه ولم يترك ابنا ولا ابنتا ولم يرثه أحد من الشعراء (صفته) كان ربعة نحيف البدن ذهبى اللون متناسب الأعضاء معتدل اللحية قد وخطه الشيب فى أكثرها مترفها فى ملبسه ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ولها عذبة مرخية على قفاه ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر وطرفها الآخر داخل طى العمامة وبعض أطرافه ظاهر وكان لطيف الذات حسن الصفات بشوشا بسوما وقورا محتشما مستحضرا للنوادر والمناسبات ذكيا لوذعيا فطنا ألمعيا روض فضله نضير وماله فى سعة الحفظ نظير جعل الله مثواه قصور الجنان وصريحه مطاف وفود الرحمة والغفران اهـ

﴿ فصل : فى ذكر مناقب السيدة زينب بنت الإمام على كرم الله وجهه ﴾

(أمها) فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى شقيقة الحسن والحسين رضى الله عنهم (تزوجها) ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذى الجناحين بن أبى طالب وولدت له عليا وعونا ويدعى بالأكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم ، وذريتها موجودة إلى الآن بكثرة قال العلماء ويتكلم عليهم من عشرة وجوه (أحدها) أنهم من آل النبى ﷺ وأهل بيته بالإجماع لأن آله هم المؤمنون من بنى هاشم والمطلب (الثانى) أنهم من ذريته وأولاده بالاجماع لأن أولاد بنات الإنسان معدودون فى ذريته وأولاده حتى ولو أوصى لأولاد فلان دخل فيه أولاد بناته (الثالث) أنهم لا يشاركون أولاد الحسن والحسين فى الانتساب إليه ﷺ وإنما خص ﷺ أولاد فاطمة دون غيرها من بقية بناته لأنهن لم يعقبن ذكر اذا عقب حتى يكون كالحسن والحسين

واسمعيل والحسين الأثرم وعقيل والحسن وفاطمة وسكينة وأم الحسن واقتصر البلوذرى فى الأنساب على ذكر الحسن وزيد وحسين وعبد الله وأبى بكر وعبدالرحمن والقاسم وطلحة وعمر . ونقل المحب الطبرى عن أبى بشر الدولابى أنهم حسن وعبدالرحمن وعمرو وزيد وإبراهيم . وعن أبى بكر ابن الدراع أنهم عبدالرحمن والقاسم والحسن وزيد ومعمر وعبد الله وأحمد وإسمعيل والحسين وعقيل وأم الحسن والعقب الصحيح الموجود الآن من الحسن السبط لزيد والحسن المثنى لا غير . فأما زيد فكان أكبر سنا من أخيه الحسن المثنى وبايع بعد قتل عمه الحسين عبدالله ابن الزبير بالخلافة لأن أخته من أمه وأبيه أم الحسن كانت تحت عبدالله وعاش مائة سنة على أحد الأقوال. وأما الحسن المثنى فحضر الطف مع عمه الحسين وأثخن بالجراح فلما أرادوا أخذ الرؤوس وجدوه وبه رمق فقال أسماء بن خارجة الفزارى دعوه لى فحمله إلى الكوفة وعالجه حتى برئ ولحق بالمدينة ، والله أعلم . (وأما الحسين) فهو رضى الله

(الرابع) أنهم يطلق عليهم اسم الأشراف على الاصطلاح القديم (الخامس) أنهم تحرم الصدقة عليهم لأن بنى جعفر من الآل قطعا (السادس) أنهم يستحقون سهم ذوى القربى (السابع) أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش لأنها لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة (الثامن) هل يلبسون العلامة الخضراء ؟ والجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل لا فى الكتاب ولا فى السنة ولا كانت فى الزمن القديم وإنما حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان ابن حسين . وفى درر الأصداف مانصه وأما العلامة الخضراء فأحدثها السلطان الملك الأشرف شعبان من دولة الأتراك بمصر فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة . وأما العمامة الخضراء فأحدثها السيد محمد الشريف التولى باشا مصر سنة أربع بعد الألف لما دار بكسوة الكعبة والمقام وأمر الأشراف أن يمشوا أمامه وكل واحد منهم على رأسه عمامة خضراء وإنما اختيرت العلامة الخضراء للأشراف لأن الأسود شعار بنى العباس والأصفر شعار اليهود والأزرق شعار النصارى والأحمر مختلف فيه انتهى وفيها قال جماعة من الشعراء من ذلك قول جابر بن عبد الله الأندلسى الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير :

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى وسيم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقى :

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الأطراف

وغاية القول أنه لا بأس بها لكل شريف سواء كان من ذرية الحسنين أم لا ولا يمنع من لبسها أحد من الناس إلا لغرض شرعى (التاسع والعاشر) هل يدخلون فى الوصية على الأشراف والوقف عليهم ؟ والجواب إن وجد فى كلام الوصى والواقف نص يقتضى دخولهم أو خروجهم اتبع وإلا فلا والعمدة فى ذلك العرف وعرف مصر من عهد الدولة الفاطمية إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسنى وحسينى خاصة فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف . قال الشعرانى فى مننه أخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وأنها فى هذا المكان بلا شك وكان رضى الله عنه يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشى حافيا حتى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها إلى الله تعالى فى أن يغفر له اه وفى لواقح الأنوار أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين رضى الله عنهما وفى الطبقات للشعرانى فى ترجمة الحسين رضى الله عنه مانصه وأنشدت أخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد فرقتكم ... منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم ... أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

لكن فى شرح عقود الجمان أن هذه الأبيات لابنة عقيل بن أبى طالب ونص عبارته ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم إلى المدينة قال فبعث معهم أمينا فلقيهم نساء بنى هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبى طالب تبكى وتقول ماذا تقولون الأبيات اه وقد تقدم مثله عن الفصول المهمة أيضا ولقائل أن يقول ما المانع

من

تعالى عنه أبو عبد الله سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته ، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع على الأصح وكانت فاطمة قد علقت به بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة وحنكه صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعق عنه ؛ كان شجاعا مقداما من حين كان طفلا [وهذه جملة من الأحاديث والآثار الواردة فى حقه زيادة على ما سبق]. أخرج الحاكم وصححه عن يحيى العامرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «حسين منى وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط» وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة» وفى لفظ «سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين ابن على» وروى خيثمة بن سليمان عن أبى هريرة «أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس فى المسجد فقال أين لكع ؟ فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره فجعل

من أن هذه قالت وهذه قالت والله أعلم، وفي تاريخ القرماني هم شمر بقتل علي زين العابدين بن الحسن وهو مريض فخرجت اليه زينب بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقالت والله لا يقتل حتى أقتل فكف عنه انتهى ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن أبي إسحق عن خزيمة الأسدي قال دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم أجمعين بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن متهتكات الجيوب وسمعت علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم ورأيت زينب بنت علي كرم الله وجهه ورضي عنها فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين فأومات إلى الناس أن اسكتوا فسكتت الأنفاس وهدأت الأجراس فقالت الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتبكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ألا وإن فيكم الصلف والصنف وداء الصدر الشنف وملق الأمة وحجز الأعداء كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا ساء ماتزرون إي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل أبدا وإنما ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة، ويلكم يا أهل الكوفه ألا ساء ماسولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم وأي دم له سفكتم وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض أفعجبتكم أن أمطرت السماء دما فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فلا يحفزه البدار ولا يخاف عليه فوات الثار كلا إن ربي وربكم لبالمرصاد ثم سارت فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخا قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبدا انتهى . وفي الخطط لما مرت زينب بالحسين ووجدته صريعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق رضي الله عنها ﴿ تنبيه ﴾ أول من أنشأ قناطر السباع الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعا من الحجارة فان رنكه على شكل سبع ولذلك سميت قناطر السباع وكانت مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني كان يتردد اليه كثيرا ويمر عليها ويتضرر من ارتفاعها ويقال إنه أشاع هذا والقصد إنما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر أحد غيره بشيء يعرف به فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة له ومعروفة كما كان يفعل من محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره فاستدعى الأمير علاء الدين والي مصر وأمره بهدمها وعمارتها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الأول ففعل كما أمره وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ولم يضع سباع الحجر عليها فتحدث الناس بأن السلطان أزالها لكونها رنك سلطان غيره فامتعض لذلك وأمر علاء الدين بوضعها كما كانت عليه وهي باقية هنالك إلى الآن إلا أن الشيخ محمدا المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظنا منه أن هذا الفعل من جملة القربات اه خطط . قال الشيخ عبدالرحمن الأجهوري المقري في كتابه مشارق الأنوار قد حصل لي في سنة تسعين ومائة بعد الألف كرب

أصابعه في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح صلى الله عليه وسلم فمه أي الحسين فأدخل فاه في فيه ، ثم قال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» وروى أبو الحسن ابن الضحاك عن أبي هريرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة» . وكان ابن عمر جالسا في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلا فقال هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم . وجاء رجل إلى الحسن يستعين به في حاجة فوجده معتكفا في خلوة فاعتذر إليه فذهب إلى أخيه الحسين فاستعان به فقضى حاجته وقال لقضاء حاجة في الله عز وجل أحب إلي من اعتكافي شهرا . (ومن كلامه رضي الله تعالى عنه) اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود نقما ، واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا ، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار .

شدة من كروب الزمان فتوجهت إلى مقام السيدة زينب المذكورة وأنشدتها هذه القصيدة فانجلى عني الكرب ببركتها وهي:

آل طه لكم علينا الولاء ... لاسواكم بما لكم آلاء ... مدحكم في الكتاب جاء مبينا
أنبأت عنه ملة سمحاء ... حبكم واجب على كل شخص ... حدثتنا بضمنه الأنباء
إنني لست أستطيع امتداحا ... لعلاكم وأنتم البلغاء ... كيف مدحي يفي بعلياء من قد
عجزت عن بلوغه الفصحاء ... مدحكم إنما يريد بليغ ... وقفت عند حده الشعراء
شرفت مصرنا بكم آل طه ... فهنيئا لنا وحق الهناء ... منكم بضعة الامام على
سيف دين لمن به الاهتداء ... خيرة الله أفضل الرسل طرا ... من له في يوم المعاد اللواء
زينب فضلها علينا عميم ... وحماها من السقام شفاء ... كعبة القاصدين كنز أمان
وهي فينا اليتيمة العصماء ... وهي بدر بلا خسوف وشمس ... دون كسف والبضعة الزهراء
وهي ذخري وملجئي وأماني ... ورجائي ونعم ذاك الرجاء ... قد أنخت الخطوب عند حماها
فعسى تنجلي بها الضراء ... ليس إلاك وصلتي لنبي ... خمدت عند نصره الأعداء
من كراماتها الشموس أضاءت ... أين منها السها وأين السماء ... من أتاها وصدره ضاق ذرعا
من عسير أوضاق عنه الفضاء ... حلت الخطب مسرعا وجلته ... فانجلى عنه عسره والعناء
لايضاهي آل النبي وصيف ... لايوفي كمالهم أدباء ... شرفت منهم النفوس وساروا
حيثما أشرفوا فهم شرفاء ... وعليهم جلالة وفخار ... ووقار وهيبة وضياء
نوروا الكون بعد كان ظلاما ... إذ أضاءت ذماراهم الغراء ... كل مدح مقصر بعلاهم
كل فرض من هديهم لا آلاء ... لهم الفضل من ألست فأنى ... من سواهم يكون فيه استواء
إن هل يستوي الذين دليل ... ولتطهيرهم بذاك اقتفاء ... إن لي بأكرام حق جواري
فاحفظوه فانكم أمناء ... عن أبيكم روى الثقات حديثا ... حدثتنا بضمنه الأنباء
إن بالجار لم يزل يوص جبرا ... ئيل معناه وليس فيه خفاء ... لست أخشى الضياع والحب عندي
طب قلبي ومقلتي وجلاء ... بيتكم مهبط لجبريل وحيا ... فيه تغدو الملائكة الكرماء
من أتى حيكم وكان أسيرا ... لدواعيه زال عنه الشقاء ... يا كرام الورى أغيثوا نزيلا
أجحفته الخطوب والأدواء ... قسما إن وصفكم في الثريا ... أيدتكم نجومها والسماء
فتوسل بهم لكل صعيب ... حيث جاء ابتغوا فهم شفعاء ... وصلاة على النبي وآل
وكذلك الصحابة الأتقياء ... ماحمام بروضة قد تغنى ... أوعلى الدوح تسجع الورقاء

أو عبيد الرحمن أنشأ مدحا ... آل طه لكم علينا الولاء

﴿ فصل : في ذكر مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ﴾

(أمها) أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله كذا قاله الخطيب البغدادي ومثله في الفصول المهمة (وتزوج) فاطمة بنت الحسن رضي الله عنهما ابن عمها حسن المثنى بن الحسن السبط عمها فولدت له عبد الله ويلقب بالمحض وإنما سمي بالمحض لمكانه من الحسين وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شيخ بني هاشم قيل له لم صرتم أفضل الناس ؟ فقال لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد وكان قوي النفس شجاعا ورعا قال من الشعر شيئا ومنه :

(ومن كلامه) من جاد ساد ومن بخل رذل ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا ، ومات ابن له فلم تر عليه كآبة فعوتب في ذلك فقال إنا أهل بيت نسأل الله فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا . والتزم يوما ركن الكعبة وقال : إلهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وابتليتني فلم تجدني صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم . كانت إقامته رضي الله عنه بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهده وبقي معه إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن انفصل فرجع إلى المدينة واستمر بها حتى مات معاوية فأخرج إليه يزيد من يأخذ بيعته فامتنع وخرج إلى مكة وأتت إليه كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر بعدمه فأرسل اليهم ابن عمه مسلم ابن عقيل فأخذ بيعتهم وأرسل اليه يستقدمه فخرج الحسين من مكة قاصدا للعراق ولم يعلم بخروجه ابن عمر فخرج

بيض حرائر ما هممن بريبة   كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا   ويصدهن عن الخنا الإسلام

وكان عبد الله يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد أبيه الحسن ونازعه في ذلك زيد ابن علي بن الحسين ولهما في ذلك حكايات مشهورة في كتب التواريخ ومات عبد الله المحض في حبس أبي جعفر الدوانيقي مخنوقا وولدت له أيضا فاطمة بنت الحسين صاحبة الترجمة للحسن المثنى إبراهيم القمر والحسن المثلث وكل منهم له عقب اه من بحر الأنساب . وفي بغية الطالب ومات المحض هو وإخوته في سجن المنصور العباسي وكان موته سنة خمس وأربعين ومائة قال وسمي بالمحض لأنه أول من جمع بين ولادة الحسن والحسين من الحسنية وأول من جمعها من الحسينية محمد الباقر اه ثم مات عنها الحسن فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم : وفي الأغاني خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إلى عمه الحسين فقال له الحسين يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة فاختار فاطمة فزوّجه إياها قال عبد الله بن موسى في خبره إن الحسين خيره فاستحيا فقال له قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثر شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اه . ومثله في الفصول المهمة وتاريخ الخطيب البغدادي من رواية الزبير بن بكار وروى عنها الإمام أحمد وابن ماجه عن أبيها الحسين رضي الله عنه عن النبي ﷺ حديث « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدم مشهدها فيحدث لها الاسترجاع إلا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب » . وفي درر الأصداف ولما حضرت الحسن زوجها الوفاة قال لفاطمة إنك امرأة مرغوب فيك وكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذ خرج لجنازتي قد خرج على فرس مرجلا جمته لابسا حلته يسير في جانب الناس فيتعرض لك فانكحي من شئت سواه فإني لا أدع من الدنيا ورائي هما غيرك فقالت له آمن من ذلك وحلفت له بالعتق والصدقة أنها لا تتزوجه ثم مات الحسن وخرج عبد الله بن عمرو لجنازته في الحالة التي وصفه بها الحسن وكان يقال لعبد الله بن عمرو المطرف لحسنه فنظر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها فأرسل يقول لها إن لنا في وجهك حاجة فارفقي به فاستحيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهها فلما حلت أرسل إليها يخطبها فقالت كيف بأيماني التي حلفت له بها فأرسل إليها يقول لها لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمداً والقاسم وكان عبد الله بن الحسن المثنى ولدها يقول ما أبغضت بغضي عبد الله بن عمرو أحدا ولا أحببت حب ابنه محمد أحدا اه . وفي الفصول المهمة ولما مات الحسن المثنى بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطا وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحور العين لجمالها فلما كان رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول : هل وجدوا مافقدوا فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا انتهى ، وكانت فاطمة رضي الله عنها كريمة . ففي الفصول المهمة أيضا أن يزيد لما جهزهم إلى المدينة بعد قتل أبيها الحسين رضي الله عنه أرسل معهم رجلا أمينا من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلي قالت فافعلي فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكني والله مافعلته إلا لله

خلفه فأدركه على ميلين من مكة فقال ارجع فأبى فقال إني محدثك حديثا «إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة» وإنك بضعة منه والله لا يليها أحد منكم فقال إن معي حملين من كتب أهل العراق ببيعتهم فقال ما تصنع بقوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك ؟ فأبى إلا المضي فاعتنقه وبكى وقال استودعتك الله من قتيل ثم سافر فكان ابن عمر يقول غلبنا الحسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أخيه وأبيه عبرة ، وكلمه في ذلك أيضا من وجوه الصحابة جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم فلم يطع أحدا منهم وصمم على المسير فقال له ابن عباس والله إني لأظنك لتقتل بين نسائك وأبنائك وبناتك كما قتل عثمان فلم يقبل فبكى وقال أقررت عين ابن الزبير ، فلما رجع قال لابن الزبير قد جاء ما أحببت خرج الحسين وتركك والحجاز فعلم يزيد بخروج الحسين فأرسل الى عبيد الله بن زياد واليه على الكوفة يأمره بطلب مسلم وقتله فظفر به فقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه

ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة أكبر سنا من سكينة اهـ . قال القطب الشعرانى فى كتابه الأنوار عن شيخه الخواص إن السيدة فاطمة النبوية بنت الإمام السبط مدفونة بالدرب الأحمر اهـ . وقال الشيخ عبد الرحمن الأجهورى الكبير السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين السبط مدفونة خلف الدرب الأحمر فى زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية فى مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار مايسر قلوب الناظرين ولنا فيها أرجوزة عظيمة ولنا بهـا زيارات ، وما اشتهر من أن فاطمة النبوية بدرب سعادة غير صحيح وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون معبدها ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة اهـ . وهو موافق لما قالوه من أن أولاد الحسين رضى الله عنه الإناث ثلاث سكينة وزينب وفاطمة واحدة ثم رأيت فى درر الأصداف ماهو صريح فى أن للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى ؛ وعبارته وبالإسناد عنهم لما قتل الحسين بن على رضى الله عنه جاء غراب فتمرغ فى دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنها وهى الصغرى فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت تقول :

نعـق الغراب فقلت من	تنعيـه ويحك ياغـراب
قال الإمام فقلت من	قال الموفق للصـواب
قلت الحسـين فقال لى	بمقـال محـزون أجاب
إن الحسين بكر بـلا	بين الأسنـة والظراب
أبكى الحسين بعبرة	ترضى الإله مـع الثواب
ثم استقـل به الجنا	ح فلم يطق رد الجـواب
فبـكيت مما حل بى	بعد الرضى المستجاب

فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضى الله عنه انتهى هذا وقد مر آنفا أن فاطمة كانت مع أبيهـا بكربلاء وأنها كانت أكبر سنا من سكينة . لايقال إذا كان للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى على هذا فما المانع من أن فاطمة التى بدرب سعادة إحداهما لأنا نقول هذا مما يحتاج إلى نقل والشيخ الأجهورى حجة نفعنا الله ببركاته وأمدنا من إمداداته . ﴿تنبيه﴾ من أهل البيت بقرب مزار الشيخ الحموى بدرب سعادة السيدة صفية بنت إسمعيل بن محمد بن إسمعيل بن قاسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم توفيت صفية ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة من الهجرة النبوية كـذا نقلته من خط بعض الفضلاء وعزاه لـكتاب الأنساب للشيخ منصور ابن عبد الحق الأهريتى الفيومى اهـ . وفى رحلة ابن بطوطة بعد الكلام على عزة مانصه وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسـين بن على رضى الله عنه وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام فى أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ماذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفى رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنـه وفى اللوح الآخر منقوش صنعه محمـد بن أبى سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هـذه الأبيات :

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه	بالرغم منى بين الـترب والحجر
ياقـبر فاطمـة بنت ابن فاطمـة	بنت الأئمـة بنت الأنجم الزهـر
ياقبر ما فيـك من دين ومن ورع	ومن عفاف ومن صون ومن خفر

اهـ

وبين القادسية ثلاثة أميال ولقى الحر بن يزيد التميمى فقال له ارجع فإنى لم أدع لك خلفى خيرا وأخبره الخبر ولقى الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء فهمّ أن يرجع وكان معه إخوة مسلم فقالوا لانرجع حتى نصيب بثأره أو نقتـل فساروا وكان ابن زياد جهز أربعة آلاف وقيل عشرين ألفا لملاقاته فوافوه بكربلاء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارسا ونحو مائة راجـل وكان أمير الجيش عمر بن سعد ابن أبى وقاص وكان ابن زياد ولاه الرى وكتب له به إن حارب الحسين ورجع فلما التقيا وأرهقه السلاح قال له الحسين اختر منى إحدى ثلاث إما أن ألحق بثغر من الثغور وإما أن أرجع إلى المدينة وإما أن أضع يدى فى يد ابن معاوية فقبـل ذلك عمر منـه وكتب به إلى ابن زياد فـكتب إليه لا أقبل منه حتى يضع يده فى يدى فامتنع الحسـين فتأهبوا لقتاله وكان أكثر مقاتليـه الـكاتبين إليه والمبايعين له فلمـا أيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد نزل من الأمر ماترون

اه ماأورده الشيخ الصالح ؛ ومن كلام فاطمة رضى الله عنها : والله مانال أحد من أهل السفه بسفههم شيئا ولا أدركوا من لذاتهم شيئا إلاوقد ناله أهل المروءات فاستتروا بجميل ستر الله، توفيت رضى الله عنها سنة عشر ومائة كذا فى كتب التاريخ .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب السيدة عائشة بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾

فأخوها موسى الكاظم ولم أعثر على أمها نعم إن كانت شقيقته فأمها حينئذ حميدة بضم الحاء وفتح الميم كما ضبطه بعضهم البربرية قال الشعرانى فى المنن فى الباب العاشر أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق رضى الله عنهما فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة اه لكن قد تقدم فى ترجمة جعفر الصادق عند الكلام على أولاده عن الفصول المهمة أن بنت جعفر الصادق اسمها فروة وهو محل نظر . قلت على فرض أن جعفر الصادق رضى الله عنه لم يرزق من الإناث إلا فروة هذه يحتمل أن يكون هذا الاسم لقبا لعائشة أو كنية وسقط من الكاتب لفظ أم ويرشحه أن جدتها أم أبيها جعفر تدعى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والله أعلم بحقيقة الحال والظن لايغنى من الحق شيئا . قال الشعرانى فى طبقاته فى فصل ذكر جماعة من عباد النساء قال ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله وهى المدفونة بباب قرافة مصر رضى الله عنها كانت تقول وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول لهم وحدته فعذبنى توفيت سنة خمس وأربعين ومائة رضى الله عنها اه ومثله فى طبقات المناوى .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج بن حسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ﴾

أمها أم ولد تزوج بنفيسة إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهم وكان يدعى بإسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين وروى عنه الحديث وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثنى الثقة الرضى إسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر من غير السيدة نفيسة وولدت السيدة نفيسة منه ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وكان مولد السيدة نفيسة بمكة المشرفة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل وكانت لاتفارق حرم النبى ﷺ وحجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية وكانت تبكى بكاء كثيرا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول إلهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا سبب لى أتسبب به يحجبك عنى . قالت زينب بنت يحيى المتوج وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فمارأيتها نامت بليل ولا فطرت بنهار فقلت أما ترفقين بنفسك ؟ فقالت كيف أرفق بنفسى وقدامى عقبات لايقطعهن إلا الفائزون قال القضاعى قيل لزينب بنت أخى السيدة نفيسة رضى الله عنهم ما كان قوت السيدة نفيسة قالت كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها فكانت كلما اشتهت شيئا وجدته فى السلة وكنت أجد عندها مالا يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به فتعجبت من ذلك فقالت لى يازينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى طاعته وكانت لاتأكل لغير زوجها شيئا . وعن زينب أيضا قالت كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره كانت تقرأ

وإن الدنيا تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء وإلا خسيس غشيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لايعمل به والباطل لايتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله عزوجل وإنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرما فقاتلوه إلى أن قتل رضى الله عنه وذلك يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق مابين الحلة والكوفة قتله سنان ابن أنس النخعى وقيل غيره وقتل يومئذ مع الحسين من أهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا كما قيل ولما قتل حزوا رأسه وأتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن معه من أهل بيته إلى يزيد ومنهم على ابن الحسين وعمته زينب فسر سرورا كثيرا وأوقفهم موقف السبى وأهانهم وصار يضرب الرأس الشريف بقضيب كان معه ويقول لقيت بغيك ياحسين وبالغ فى الفرح ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه العالم ، وفى هذه القصة تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم «إن أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا

القرآن وتبكي وتقول إلهي وسيدي يسر لي زيارة خليلك إبراهيم عليه السلام فحجت هي وزوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق ثم زارت قبر خليل الرحمن عليه السلام ثم رجعت إلى مصر وسكنت بالمنصوصة في دار أم هانئ وكان بجوارهم يهودي له ابنة مقعدة لاتستطيع القيام فقالت لها أمها يوما إني ذاهبة إلى الحمام ولا أدري مانصنع بك فهل لك أن نحملك معنا فقالت لاأستطيع ذلك قالت هل تقيمين في البيت وحدك حتى نعود قالت لا ياأماه ولكن اجعليني عند هذه الشريفة التي بجوارنا حتى تعودي فدخلت أمها إلى السيدة نفيسة وسألتها في ذلك فأذنت لها فجاءت بابنتها إليها فوضعتها في جانب من البيت ومضت فجاء وقت صلاة الظهر فأحضرت السيدة نفيسة ماء فتوضأت به فجرى من مائها شيء إلى جانب الصبية المقعدة فجعلت تمر به على أعضائها فتمددت بإذن الله تعالى فلما جاء أهلها خرجت إليهم تمشي فسألوها عن شأنها فأخبرتهم فأسلموا اه من درر الأصداف لكن الذي في الخطط للمقريزي أنها توضأت وصبت من فضل وضوئها وهذه كرامة عظيمة منها رضي الله عنها وسيأتي ذكر كرامات لها أخر إن شاء الله تعالى وكان قدوم السيدة نفيسة إلى مصر سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في ذلك ، وفي تاريخ ابن خلكان دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور اه قلت هو مشهور الآن بل وقبر والده السيد زيد الأبلج رضي الله عنه كما سيأتي ذلك في ترجمة السيد حسن الأنور ولما سمع أهل مصر بقدومها وكان لها ذكر شائع عندهم تلقتها النساء والرجال بالهوادج من العريش ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر فأنزلها عنده كبير التجار بمصر جمال الدين عبد الله بن الجصاص بالجيم وقيل بالحاء والأول أصح وكان من أهل الصلاح والبر فنزلت عنده في داره وأقامت بها مدة شهور والناس يأتون إليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها كذا في المآثر النفيسة لكن قد تقدم عن درر الأصداف أنها نزلت وبعلها بالمنصوصة ولا منافاة لاحتمال أنها نزلت أولا عند عبدالله ابن الجصاص وثانيا بالمنصوصة والله أعلم قال المناوي قدمت السيدة نفيسة مصر وبها بنت عمها سكينة المدفونة بقرب دار الخلافة بمصر ولها الشهرة التامة فخملت عليها الشهرة فصار لنفيسة القبول التام بين الخاص والعام اه وفي مشارق الأنوار للشيخ عبد الرحمن الأجهوري مانصه قال الشعراني لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت ابنة عمها السيدة سكينة المدفونة قريبا من دار الخلافة مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة فخلعت الشهرة والنذور عليها واختفت رضي الله عنها اه وفي النفس منه شيء لأن قوله مقيمة بمصر صريح في أنهما كانتا في عصر واحد وليس كذلك لأن وفاة السيدة سكينة كانت سنة ست وعشرين ومائة وقيل سنة سبع عشرة ومائة على مافي تاريخ ابن خلكان وولادة السيدة نفيسة كانت سنة خمس وأربعين ومائة باتفاق . نعم لو حملنا الشهرة في عبارة المناوي على شهرة البرزخ كان وجها . نقل صاحب المآثر النفيسة مانصه قال الحسن بن زولاق ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق أحد إلا قصد زيارة السيدة نفيسة رضي الله عنها وعظم الأمر وكثر الخلق على بابها فطلبت عند ذلك الرحيل إلى بلاد الحجاز عند أهلها شق ذلك على أهل مصر وسألوها في الإقامة فأبت فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السري بن الحكم أمير مصر وأخبروه أنها عزمت على الرحيل فاشتد ذلك عليه وبعث لها كتابا ورسولا يأمرها بالرجوع عما عزمت عليه فأبت فركب بنفسه وأتى إليها وسألها في الإقامة فقالت إني كنت نويت الإقامة عندكم وإني امرأة ضعيفة والناس قد أكثروا من المجيء عندي وشغلوني عن أورادي وجمع زادي لمعادي ومكاني هذا صغير وضاق بهذا الجمع

وتشريدا وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو مخزوم» رواه الحاكم وما ذكر من أن الضارب لرأس الحسين بالقضيب يزيد هو مافي طبقات المناوي لكن نقل في الصواعق انه ابن زياد وأنه كان عنده أنس فبكى وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وغيره وروى ابن أبي الدنيا أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل مابين هاتين الشفتين وبكى فأغلظ له ابن زياد القول فأغلظ له زيد الجواب وكان بالمجلس رسول قيصر فقال متعجبا عندنا في خزانة في دير حافر حمار عيسى ونحن نحج اليه كل عام من الأقطار ونعظمه كما تعظمون كعبتكم فاشهد أنكم على باطل اه . ويمكن الجمع بأن هذا الفعل وقع أولا من ابن زياد ثم وقع ثانيا من يزيد وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة ، وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين جهز اليه المختار بن أبي عبيد جيشا فقتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب وبعث برأسه

الـكثيف فقال لهـا السرى أنا سأزيل عنك جميع ما شكوتيه وأمهد لك الأمر على ما ترتضيه أما ضيق المـكان فإن لى دارا واسعة بدرب السباع وأشهد الله تعالى أنى قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها منى ولا تخجليني بالرد على فقالت قد قبلتها منك ففرح السرى بقبولهـا منه فقالت كيف أصنع بهذه الجموع الوافدين علىّ قال تتفق معهم على أن يكون للنـاس فى كل جمعة يومان وباقى الجمعة تتفرغى فيه لخدمة مولاك اجعلى يوم السبت والأربعاء للناس ففعلت ذلك واستمر الأمر على ذلك اه . ﴿حكاية﴾ ذكر القرمانى فى تاريخه وصاحب الغرر والعرر وصاحب المستطرف أيضا أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيـدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلمـا رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها ملـكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هـذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوّعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته اه . قلت نسبة هذه المقالة إلى السيدة نفيسة صاحبة الترجمـة مردودة بوجهين أحدهما نقلى وثانيهما ذوقى أما النقلى فهو أن ظهور الدولة الطولونية التى أولهـا أحمد بن طولون كان فى سنة أربع وخمسين ومائتين كما فى تاريخ الإسحاقى أو سنة خمسين ومائتين على ما فى تاريخ القرمانى ووفاة السيدة نفيسة كانت فى رمضان سنة ثمان ومائتين باتفاق يعلم ذلك بمراجعة كتب التواريخ وأما الذوقى فهو أن السيدة نفيسة رضى الله عنها ليست من أوباش الناس حتى يتوهم غبى غافل فضلا عن فطن عاقل أنها تذهب إلى أحمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره نعم لامانع من صدور ذلك من نفيسة أخرى والله أعلم .

﴿تنبيه﴾ أجمع أهـل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بمصر القاهرة بخلاف غيرها حتى إن بعضهم يسميها بنفيسة المصرية قال ابن اللقن ولما دخل الإمام الشافعى رضى الله عنـه مصر كان يتردد إليها وكان يصلى بها التراويح فى مسجدها فى رمضان وكان يأتى إليها ويسألها الدعاء وسماع الشافعى الحديث منها هو الصحيح خلافا لمن قال إنه قرأ عليها وهو صاحب التحفة الأنسية اه . من المآثر النفيسة؛ هذا ولقائل أن يقول ما المانع من كونه قرأ عليها وقرأت عليه وفى المآثر النفيسة أيضاً وكان الشافعى رضى الله عنه إذا مرض يرسل إليها إنسانا من أصحابه كالربيع الجيزى أو الربيع المرادى فيسلم المرسل إليها ويقول لهـا إن ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع له القاصد إلا وقد عوفى من مرضه فلما مرض مرضه الذى مات فيه أرسل لها على جارى عادته يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد متعه الله بالنظر إلى وجهه الـكريم فجاء القاصد له فرآه الشافعى فقال له ما قالت لك ؟ قال قالت لى كيت وكيت فعلم أنه ميت فأوصى وأوصى أن تصلى عليه فلما توفى سنة أربع ومائتين كما هو المشهور مروا به على بيتهـا فصلت عليه مأمومة وكان الذى صلى بها إماما أبو يعقوب البويطى أحـد أصحابه رضى الله عنه وكان مرور جنازة الشافعى على بيتها بأمر السرى أمير مصر لأنها سألته فى ذلك إنفاذا لوصية الشافعى رضى الله عنه لأنها كانت لاتستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها من كثرة العبادة قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعى رضى الله عنه سمعت بعد انقضاء الصـلاتين إن الله تعالى غفر لـكل من صلى على الشافعى بالشافعى وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه رضى الله تعالى عنهما ونفعنا ببركتها .

إلى المختار وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى على بن الحسين وروى الترمذى أنه لما جىء برأسـه ونصب فى المسجد مع رؤوس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت فى منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت فعلت ذلك مرتين أو ثلاثا وكان نصبها فى محل نصب رأس الحسين . وقد ورد من طرق عديدة أن جبريل أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن الحسين يقتل وأراه الأرض التى يقتل بهـا فأخرج له من يده تربة حمـراء وفى بعض الروايات التصريح بأنهـا كربلاء وفى بعض الروايات أنها أرض الطف وفى بعض الروايات أنه يقتل بشاطىء الفرات ولا تعارض بينها لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهى من بلاد كربلاء كذا فى طبقـات المناوى . ويروى أن قاتل الحسين لما قتله وأتى إلى ابن زياد قال :

أوقر ركابى فضة وذهبا
إنى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب ابن زياد وقال إذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت منى خيرا ولألحقنك به ثم ضرب

﴿ كرامات زيادة على ماسبق ﴾ الأولى عن سعيد بن الحسن قال توقف النيل فى زمنها فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر وزاد زيادة عظيمة [الثانية] أن امرأة عجوزا كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة وفى آخر الجمعة تأخذ العجوز غزلهن وتمضى به إلى السوق فتبيعه وتشترى بنصف ثمنه كتانا وبنصفه الآخر مايتقوتن به من الجمعة إلى الجمعة فأخذته العجوز يوما ولفته فى خرقة حمراء ومضت به إلى السوق فبينما هى فى مارة الطريق والغزل على رأسها قد انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها وارتفع فوقعت المرأة مغشيا عليها فلما أفاقت قالت كيف أصنع بالأيتام وقد أجهدهم الجوع فبكت فاجتمع الناس وسألوها عن شأنها فأخبرتهم بالقصة فدلوها على السيدة نفيسة رضى الله عنها وقالوا لها امض إليها واسألها الدعاء فإن الله تعالى يزيل مابك فمضت إلى السيدة نفيسة فأخبرتها بقصتها وما جرى لها وسألتها الدعاء فرحمتها السيدة نفيسة وقالت يامن علا فقدر وملك فقهر اجبرمن أمتك هذه ماانكسر فإنهن خلقك وعيالك ثم قالت اقعدى فإنه على كل شئ قدير فقعدت المرأة على الباب وفى قلبها من جوع الأولاد النهاب فما كانت إلا ساعة وإذا بجماعة قد أقبلوا عليها واستأذنوا فى الدخول عليها فأذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فسألتهم عن أمرهم فقالوا إن لنا لأمرا عجيبا نحن قوم تجار ولنا مدة ونحن مسافرون فى البحر ونحن بحمد الله سالمون فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التى نحن فيها ودخل الماء وأشرفنا على الغرق وجعلنا نسد المكان الذى انفتح بجهدنا فلم ينسد فاستغثنا إلى الله تعالى وتوسلنابك إليه فإذا بطائر ألقى علينا خرقة فيها غزل فوضعناها فى المكان المنفتح فانسد بإذن الله تعالى ببركتك وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكرا لله تعالى على السلامة فعند ذلك بكت السيدة نفيسة رضى الله عنها وقالت إلهى ما أرأفك وألطفك بعبادك ثم نادت العجوز فجاءت فقالت لها السيدة بكم تبيعين غزلك كل جمعة فقالت بعشرين درهما فقالت أبشرى فإن الله تعالى عوضك عن كل درهم خمسا وعشرين درهما ثم قصت القصة عليها ودفعت لها ذلك فأخذته وأتت بناتها فأخبرتهم بما جرى وكيف رد الله تعالى لقتها ببركة السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها [الثالثة] تزوج رجل من أهل المغافر بامرأة ذمية فجاء منها بولد فأسر فى بلاد العدو فجعلت المرأة تدخل البيع وتسأل عن الأسارى وولدها فقالت لزوجها بلغنا أن بين أظهرنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب إليها لعلها تدعو لولدى فإن جاء آمنت بدينها قال فجاء الرجل إلى السيدة نفيسة رضى الله عنها وقص عليها القصة فدعت له أن الله يرده عليه فلما كان الليل إذا الباب يطرق فخرجت المرأة فوجدت ولدها واقفا بالباب فقالت له يابنى أخبرنى بأمرك كيف كان فقال ياأماه كنت واقفا بالباب فى الوقت الفلانى وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة وأنا فى خدمتى فلم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد وسمعت من يقول أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن فأطلقت من الغل والقيد ثم لم أشعر بنفسى إلا وأنا داخل من رأس محلتنا إلى أن وقفت على الباب ففرحت أمه وشاعت هذه الكرامة وأسلم فى تلك الليلة أهل سبعين دارا ببركتها وأسلمت أمه وصارت من الخدام للسيدة نفيسة رضى الله عنها . ومما اتفق أن بنتا كانت تلعب مع الصبيان وعلى رأسها قلنسوة عليها بعض دراهم ودنانير فطمع صبى من الصبيان فى البنت فأخذها وذهب بها إلى مقبرة السيدة نفيسة صاحبة الترجمة ونزل بالبنت فسقية من القبور وذبحها وأخذ الطاقية ففقد البنت أهلها وأخذوا يفتشون عليها فلم يروا لها أثرا ولا خبرا ثم ألهموا القبض على الصبيان الذين جرت عادة البنت اللعب معهم فقبضوا عليهم ورفعوهم إلى الحاكم فهددهم فأقر الصبى بما فعله مع البنت فأخذوه وذهبوا به إلى المقبرة ونزلوا القبر فوجدوا به البنت وبها حياة مستقرة وقد انقطع خروج

الدم

عنقه . وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه وقال الذهبى فى التلخيص على شرط مسلم عن ابن عباس قال « أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم إنى قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفا وإنى قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا » . وقال الحافظ ابن حجر ورد من طريق واه عن على عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال « قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل النار » . وأخرج أبو يعلى عن أبى عبيدة مرفوعا « لايزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد » وأخرج الرويانى مرفوعا « أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد » وقد قال الامام أحمد بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان أنه لم يقل ذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب ذلك ووافقه على ذلك جماعة كابن الجوزى وغيره وأما فسقه فقد أجمعوا عليه وأجاز قوم من العلماء لعنه بخصوص اسمه وروى ذلك عن الامام أحمد قال ابن الجوزى صنف القاضى أبو يعلى كتابا فيمن كان يستحق

الدم من موضع الذبح فخاطوا ذلك الموضع وعاشت البنت وأخبرت أنها لما ذبحها الصبي وانصرف دخلت عليها امرأة حسنة الصورة وقالت لها لاتخافى يابنتى ومسحت على محل الذبح فانقطع الدم وسقتها فقالت لها من أنت قالت أنا السيدة نفيسة رضى الله عنها أوردها ابن إياس فى حوادث المائة العاشرة . وذكر الشيخ عبدالرحمن الأجهوى فى مشارق الأنوار أن السيدة جوهرة جارية السيدة نفيسة أخذت إبريق السيدة تملؤه فوضعته فجاء ثعبان يتمسح برأسه كأنه يتبرك به .

(تتمة : فى الكلام على وفاتها) قال القضاعى إن السيدة انتقلت من المنزل الذى نزلت به إلى دار أبى جعفر خالد بن هرون السلمى وهى التى وهبها لها أمير مصر السرى بن الحكم فى خلافة المأمون فأقامت بها حينا إلى زمن وفاتها وحفرت قبرها بيدها فى بيتها وكانت تصلى فيه كثيرا وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة وفى رواية عنه ألفى ختمة وقيل ألفا وتسعمائة قالت زينب بنت أخيها تألمت عمتى فى أول يوم من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتابا وكان غائبا بالمدينة تأمره بالمجىء اليها ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الألم وهى صائمة فدخل عليها الأطباء الحذاق وأشاروا عليها بالافطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذى أصابها فقالت واعجباه لى ثلاثون سنة أسأل الله عز وجل أن يتوفانى وأنا صائمة فأفطر معاذ الله ثم أنشدت تقول :

اصرفوا عنى طبيبى	ودعـونى وحبيـبى
زاد بى شوقى اليه	وغـرامى فى لهيب
طاب هتكى فى هواه	بين واش ورقيب
لا أبالى بفـــوت	حين قد صار نصيبى
ليس من لام بعذل	عنـه فيـه بمصيب
جسدى راض بسقمى	وجفونى بنحيب

قال صاحب المآثر النفيسة ومن الناس من يرى أن هـذه الأبيات لمحمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزانى الشيعى قالت زينب ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى «قل لله كتب على نفسه الرحمة» ففاضت روحها الكريمة . وفى درر الأصداف عنها فلما وصلت إلى قوله تعالى «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون» غشى عليها فضممتها لصدرى فتشهدت شهادة الحق وقبضت رحمة الله عليها ووصل زوجها فى ذلك اليوم فقال انى أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به إلى إسحاق ليرده عما أراد فأبى فجمعوا له مالا كثيرا وسق بعيره الذى أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى فباتوا فى مشقة عظيمة فلما أصبحوا اجتمعوا عليه فوجدوا منه غير ماعهدوه بالأمس فقالوا له إن لك لشأنا قال نعم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم وذلك فى سنة ثمان ومائتين بعد وفاة الامام الشافعى رضى الله عنه بأربع سنين ودفنت بمزار بدرب السباع وكان يوم دفنها يوما مشهودا وأتوها من البلاد والنواحى يصلون عليها بعد دفنها وأوقدت الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها قال القضاعى أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وحفرت قبرها بيدها فى البيت الذى كانت قاطنة فيه اهـ قال الدميرى السيدة نفيسة رضى الله عنها كانت أمية لاتقرأ شيئا إلا أنها سمعت الحديث كثيرا وكانت من أهل الخير والصلاح وكانت فى آخر عمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعدة وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعف قواها . وزار قبرها جماعة من الأولياء والصلحاء كالأستاذ الكبير أبى الفيض ثومان ذى النون المصرى ابن إبراهيم الإخميمى أحـد رجال الطريقة المعتبرين وأبى الحسن الدينورى وأبى على

اللعنة وذكر منهم يزيد ؛ وذهب آخرون إلى أنه لايجوز إذ لم يثبت عندهم ما يقتضيه إذ حقيقة اللعن الطرد من رحمة الله وهو لايكون إلا لمن علم موته على الكفر كأبى جهل وأضرابه ؛ وأماجواز لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو أجازه أو رضى به من غير تسمية فاتفق عليه كما يجوز لعن شارب الخمر وآكل الربا ونحوهما إجمالا لأن ذلك لعن على الوصف وهو محمول على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لاعلى حقيقتـه من الطرد عن رحمة الله . وصح عن إبراهيم النخعى أنه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسـين ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه المصطفى صلى الله عليـه وسلم وروى البخارى والترمذى وغيرهما عن ابن عمر أنه سأله رجل عن دم البعوض طاهر أم لا وفى رواية أنه سأله عن المحرم بالحج يقتل الذباب ماذا يلزمه إذا قتله فقال له ممن أنت ؟ فقال من أهل العراق فقال انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض وفى الرواية الثانية عن قتل الذباب مع حقارته وقد أفرطو وقتلوا ابن نبيهم مع جلالته وقد سمعت

الروذباري وأبي بكر أحمد بن نصر الدقاق وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطي وشقران بن عبد الله المغربي وإدريس بن يحيي الخولاني والفضل بن فضالة والقاضي بكار بن قتيبة وإسماعيل المزني صاحب الامام الشافعي وعبدالله بن عبدالحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري وولده الامام محمد صاحب تاريخ مصر وعبد الرحمن بن الحكم والامام أبو يعقوب البويطي والربيع بن سليمان المرادي ممن لايحصى عددهم إلا الله . وينبغي زيادة على ماتقدم في أول الباب للزائر إذا دخل ضريحها بل وضريح كل من كان من أهل البيت خلافا لمن خصه بالسيدة نفيسة أن يقول انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد اللهم إنك قد ندبتني لأمر قد فهمته وقلته وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم إذ هديتنا به اليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيما حبيبا اليه ماهديتنا عزيزا عليه عنتنا وتلك الفريضة التي سألتها له وهي المودة في القربى اللهم اني مؤديها مريدا بها النفع في ديني ودنياي متوسلا بها اليك يوم انقطاع الأسباب اللهم زدهم شرفا وتعظيما وهب لي بزيارتهم ثوابا ومغفرة وأجراً عظيما السلام عليكم يابني المصطفى يابني فاطمة الزهراء اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد اللهم بلغني ماأملت وما رجوت وأعد علي وعلى المسلمين من بركاتهم يارب العالمين كذا في درر الأصداف وفيه زيادات انظرها . قال الموفق بن عثمان وكان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ويقول عند ضريحها السلام والتحية والاكرام والرضا من العلي الأعلى الرحمن على السيدة نفيسة سلالة نبي الرحمة وهادي الأمة من أبوها علم العشيرة وهو الامام حيدرة السلام عليك يابنت الحسن المسموم أخي الامام الحسين المظلوم السلام عليك يابنت فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى رضي الله عنك وعن أبيك وعمك وجدك وحشرنا في زمرتهم أجمعين. اللهم بحق ما كان بينك وبين جدها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج اجعل لنا من همنا الذي نزل بنا باب الفرج واقض حوائجي . وكان بعض السلف يقول أيضا السلام والتحية والاكرام على أهل البيت النبوية والرسالة السلام عليك يابنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط ابن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين السلام عليك يابنت فاطمة الزهراء وياسلالة خديجة الكبرى أنتم ياأهل البيت غياث لكل قوم في اليقظة والنوم فلا يحرم من فضلكم الا محروم ولايطرد عن بابكم الا مطرود ولا يواليكم إلامؤمن تقي ولايعاديكم إلامنافق شقي . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطني خير مارجوت بهم وبلغني خير ماأملت فيهم واحفظني بذلك في ديني ودنياي وآخرتي انك على كل شيء قدير ثم قال :

يابني الزهراء والنور الذي ... ظن موسى أنه نار قبس
لا أوالي قط من عاداكم ... انهم آخر سطر في عبس

وقد مدح بعض الفضلاء السيدة نفيسة بأبيات أحببنا ذكرها فقال :

يامن له في الكون من حاجة ... عليك بالسيدة الطاهره ... نفيسة والمصطفى جدها
أسرارها بين الورى ظاهره ... في الشرق والغرب لها شهرة ... أنوارها ساطعة باهره
كم من كرامات لها قد بدت ... وكم مقامات لها فاخره ... ياحبذا سيدة شرفت
بها أراضي مصر والقاهره ... بنفسها قد حفرت قبرها ... حال حياة يالها حافره
تتلو كتاب الله في لحدها ... وهي لمن قد زارها ناظره ... حجت ثلاثين على رجلها

صائمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الحسنان ريحانتاي من الدنيا». وقال ابن عباس «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت يارسول الله ماهذا ؟ قال دم الحسين أرفعه إلى الله عز وجل» فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم وفي تلك الساعة رواه البيهقي وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره وكسفت الشمس وقت قتله كسفة أبدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء ستة أشهر يرى فيها كالدم ، وقد قيل إن الحمرة التي في الشفق من آثار ذلك وأنها لم تكن قبل قتل الحسين قيل وحكمة ذلك أن الغضب يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق ومكثت الشمس سبعة أيام ترى على الحيطان كالملاحف المعصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضا وقيل إنه لم يقلب حجر ببيت المقدس يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وكان في عسكرهم ورس فصار رمادا ونحروا ناقة في عسكرهم فصاروا يرون

صائمة عن أكلها قاصره   كانت تصلي وتقوم الدجى   دوما على أقدامها ساهره
عابدة زاهدة جامعه   للخير فى الدنيا وفى الآخره   فى كل قطر قد سما ذكرها
عالمة فائقة ماهره   يسقى بها الغيث إذا ما القرى   قد أجلت من منحها الماطره
والناس قد عاشوا بها فى صفا   عيش بأيام لها زاهره   والشافعى قد كان يأتى لها
سعيا إلى دار بها عامره   يرجو بأن تدعو له دعوة   فيالها من دعوة وافره

صلت عليه بعد موت وقد   أوصى بذا فهى له شاكره
سبحان من أعلى لها قدرها   لأنها بين الورى نادره

وللشيخ أحمد الحامى :

ياصاح إن رمت الحياة الفاخره   فاقصد حمى بنت الكرام الطاهرة   ذات الكرامات المعظمة التى
أسرارها بين الخلائق ظاهره   وبها توصل واحتمى بجوارها   اذكر مصابك تلقها لك ناصرة
فهى المنجية الشباب من العذا   ب مغيثة الملهوف شمس الدائره   كم جاءها ذو فاقة يرجو الغنى
جبرت بتيسير المعايش خاطره   فاغنم وسل بمقامها تعط المنى   فعلى الدوام لزائريها حاضره
وادخل وطف وسعى وسل   بتأدب ماتشتهيه ونادها ياطاهره   انى قصدتك مستغيثا لائذا
مستعطفا أهل القلوب العامره   حاشا وكلا أن يضام نزيلكم   أوأن يعود بصفقة هى خاسره
يا كعبة الأسرار جئتك لائذا   أبغى الندى من وكف كف عاطره   يا أم قاسم الغياث فاننى
عبد ضعيف الحال يدى قاصره   دنف ومسكين مهين عاير   مالى معين قط عينى ساهره
يابنت طه انقذى من لم يجد   جاها سوى ذى المعجزات الظاهره   المصطفى الهادى البشير محمد
من يرتجى كل الأنام مآثره   صلى عليه الله ما بدر زها   والآل والصحب النجوم الزاهره

أوما استغاث الحامى أحمد قائلا   ياصاح ان رمت الحياة الفاخره

قال المقريزى: قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر وذكر بقية المواضع فقال وسجن نبى الله يوسف عليه السلام ومسجد موسى صلوات الله عليه وسلامه وهو الذى بطرا والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبلة مسجد الأقدام بالقرافة قال ولم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم قال وقد جرب ذلك وقد عد من المواضع التى يجاب بها الدعاء جامع ابن طولون كما ذكره عند الكلام عليه وعبارته جامع ابن طولون موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء . وقيل إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات قال ويقال إن أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر . قال ومكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحا بالحديد بعد البسملة مانصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد بن أبى تميم الامام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل الأفضل سيف الأنام جلال الاسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وأمتع أمير المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة والقبة التى على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذى بالمحراب كذا فى الخطط ، وتوفى السرى بن الحكم سنة

فى لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت كالعلقم وعن الزهرى لم يبق أحد ممن حضر قتل الحسين إلا عوقب فى الدنيا قبل الآخرة إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك فى مدة يسيرة وروى سبط ابن الجوزى أن شيخا حضر قتله فقط فعمى فسئل عن سببه فقال رأيت النبى ﷺ حاسرا عن ذراعيه بيده سيف وبين يديه نطع وعليه عشرة ممن قتل الحسين مذبوحين ثم لعننى وسبنى ثم أكحلنى بمردود من دم الحسين فأصبحت أعمى وأخرج أيضا أن شخصا علق رأسه الكريم فى لبب فرسه فرؤى بعد أيام ووجهه أشد سوادا من القار فقيل له إنك كنت أنضر العرب وجها فقال مامرت على ليلة من حين حملت ذلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعى ثم ينتهيان بى إلى نار تأجج فيدفعانى فيها وأنا أنكص فتسفعنى كما ترى ثم مات على أقبح حالة . وأخرج أيضا عن السدى أنه ضاف رجلا بكربلاء فتذاكروا أنه ما شرك أحد فى دم الحسين إلا مات أقبح موتة فكذب المضيف

وقال أنا ممن حضر موته ٢١٤

بايعه ناس من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا إذن نرفضك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة فقيل لهم رافضة من حينئذ وجاءت طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم وقاتلوا معه فسموا الزيدية كذا فى تاريخ ابن عساكر والعجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما ؛ ثم إن زيدا أصيب بسهم فى جبهته اليسرى ثبت فى دماغه فأنزلوه فى دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات لليلتين من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان عمره إذ ذاك اثنتين وأربعين سنة ولما مات اختلف أصحابه فى أمره فقال بعضهم نطرحه فى الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه فى القتلى فقال ابنه يحيى والله لا يأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم ندفنه فى الحفرة التى يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا وأجروا عليه الماء وكان معهم مولى سندى فدل عليه وقيل رآهم فدل عليه يوسف بن عمر والى العراق لما تفرق أصحاب زيد فأخرجه وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ونصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة وسار منها إلى مصر . وأما جسده فإن يوسف بن عمر صلبه بالكناسة وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبا أكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعده فبعث إلى يوسف بن عمر أن أنزل زيدا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده فى الريح ولما صلب زيد استرخى بطنه على عورته حتى لا يرى من سوأته شىء خطط . وفى تاريخ أبى القاسم بن عساكر أن العنكبوت نسجت على عورة زيد بن على بن الحسين لما صلب عريانا فى سنة إحدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة ثم أحرقوا خشبته وجسده اه . قال عبد الله بن حسين بن على بن الحسين بن على سمعت أبى يقول اللهم إن هشاما رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وإن يوسف بن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاما فى حياته إن شئت وإلا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق عضو منه فقلت يا أبتاه وافقت دعوتك ليلة القدر وبعد قتل زيد انفض ملك بنى أمية وتلاشى ببنى العباس كذا فى الخطط ، وفى الجمل على الهمزية عند الكلام على قوله :

رب يوم بكربلاء مسىء   خففت بعض رزئه الزوراء

مانصه الزوراء هى ناحية ببغداد والمراد ماوقع فيها من خلفائها بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت حيث أخذوا ببعض ثأر بنى عمهم الحسين وغيره فخرجوا على بنى أمية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة وخصوصا السفاح منهم الذى أخرج بنى أمية من القبور وحرقهم وذراهم فى الهواء وهو أول خلفاء بنى العباس وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيعة بنى أمية أمر بهشام بن عبدالملك فنبشوا قبره فوجد بحاله لأنه كان طلى بالعنبر لئلا يتغير فأخرجوه من قبره وجلدوه حتى تناثر لحمه وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقا انتهى قال المقريزى فى الخطط عند الكلام على المشاهد التى يتبرك بها بمصر هذا المشهد الذى بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وإنما هو مشهد رأس زيد ابن على زين العابدين بن الحسين وكان يعرف قديما بمسجد محرس الخصى قال القضاعى مسجد محرس الخصى بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر ونصبه على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع ؛ وذكر ابن

حكم الانسان الذى تدلى فى تيار جار فيطف بعد ذلك فى مكان آخر فلما كان الرأس منفصلا طف فى هذا المحل من المشهد وذكر أنه خاطبه منه . ﴿ تنبيه ﴾ قال المناوى فى طبقاته رزق الحسين من الأولاد خمسة وهم على الأكبر وعلى الأصغر وله العقب ، وجعفر وفاطمة وسكينة المدفونة بالمراغة بقرب نفيسة اه وكذا فى طبقات الشعرانى وزاد أن عليا الأصغر هو زين العابدين ، وقال كثيرون أولاده ستة وزادوا عبد الله فأما على الأكبر فقاتل بين يدى أبيه حتى قتل ، وأما على الأصغر زين العابدين فكان مريضا بكربلاء ورجع مريضا إلى مكة وسيأتى ترجمته ، وأما جعفر فمات فى حياة أبيه دارجا وأما عبد الله فجاءه سهم وهو طفل فقتله بكربلاء . وأما فاطمة فتزوجت بابن عمها الحسن المثنى ثم بعبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وولدت لكل منهما ، وأما سكينة فستأتى ترجمتها وقال الشيخ كمال الدين بن طلحة كان للحسين من الأولاد الذكور وستة من الإناث ثلاث ؛ فأما الذكور فعلى

عبد الظاهر أن الأفضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن الصيرفي حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفي الجبهة أثر في سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل إلى داره حتى عمر هذا المشهد وكان وجدانه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به في يوم الأحد ووجدانه يوم الأحد قال المقريزي ومشهده باق إلى الآن بين كيمان مدينة مصر يتبرك به الناس ويقصدونه لاسيما في يوم عاشوراء قال بعضهم والدعاء عنده مستجاب والأنوار ترى عليه ﴿تنبيه﴾ ماذكره المقريزي من أن تسمية هذا المشهد بمشهد زين العابدين خطأ يشهد له اتفاقهم على دفن زين العابدين بالبقيع وقد خالفهم الشعراني في مننه وعبارته وأخبرني يعني الخواص أن رأس زين العابدين ورأس زيد بن الحسين في القبة التي بين الأثل قريبا من مجراة القلعة اهـ . وفيه أن زين العابدين لم يقتل ولم يقطع رأسه رضي الله عنه ولم أر من عد في أولاد الحسين زيدا من أصحاب المواد التي بيدي ثم رأيت الشيخ الأكبر صدر به أولاد الحسين في محاضراته ولم أعثر على وفاته وكان سيبويه يحتج بشعر السيد زيد (١) وكان نقش خاتمه : اصبر تؤجر اصدق تنجح .

﴿ فصل : ومن أهل البيت السيد إبراهيم ابن السيد زيد ﴾

قال الشعراني في المنن أخبرني يعني شيخه الخواص أن رأس السيد إبراهيم ابن الإمام زيد في المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلي الخانقاه وهو الذي قاتل معه الإمام مالك رضي الله عنه واختفى من أجله كذا وكذا سنة اهـ . قال بعضهم وهذا خلاف ماعليه النسابون فإنهم لم يذكروا في أولاد زيد بن علي زين العابدين ولا في أولاد زيد بن الحسن من اسمه إبراهيم فحينئذ لايظهر أن زيد بن علي زين العابدين أبو إبراهيم المذكور ولا زيد بن الحسين السبط أيضاً وذكروا أن الذي قاتل معه مالك أي أفتى الناس بالخروج معه وبايعه هو محمد الملقب بالمهدي بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط فلعل إبراهيم هذا هو إبراهيم بن عبدالله المحض أخو محمد المهدي المذكور وكان مرضي السيرة من كبار العلماء . روى أن الإمام أباحنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد قال أبو الحسن العمري قتل إبراهيم في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وحمل ابن أبي الكرام رأسه الشريف إلى مصر انتهى قال القضاعي مسجد تبر بني على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أنفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك وقال الكندي في كتاب الأمراء ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره اهـ . قال المقريزي هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه قريب من المطرية وتبر هذا أحد الأمراء في أيام كافور الإخشيدي ولما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر هذا في جماعة من الكافورية وحاربه فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف فسير إليه عسكرا وحاربه بناحية صهرجت فانكسر وقبض عليه وأدخل إلى القاهرة على فيل فسجن إلى صفر سنة ستين وثلاثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله

زين العابدين وعلي الأصغر ومحمد وعبدالله وجعفر ثم ذكر أن المقتول في كربلاء بالسهم وهو طفل علي الأصغر وأن عبد الله قتل مع أبيه شهيدا ثم قال: وأما البنات فزينب وفاطمة وسكينة اهـ . وقد جدد ذلك المشهد الحسيني القاهري سنة خمس وسبعين ومائة وألف الأمير الكبير والكتخدا الشهير حضرة الأمير عبدالرحمن كتخدا حفظه الله من مكايد العدا فزاده نورا على نور، وجدد للمسلمين سرورا على سرور تقبل الله منه عمله . وبلغه في الدارين أمله (وأما السيدة زينب فهي بنت الإمام علي كرم الله وجهه شقيقة الحسين) وزوجة ابن عمها عبدالله الجواد ابن جعفر الطيار ذي الجناحين ابن أبي طالب

(١) ومن شعره رضي الله عنه

ومن فضل الأقوام يوما برأيه ... فان عليا فضلته المناقب

وقول رسول الله والحق قوله ... وإن رغمت منه الأنوف الكواذب

بأنك مني يا علي معا لنا ... كهارون من موسى أخ لي وصاحب

دعاه ببدر فاستجاب لأمره ... فبادر في ذات الاله يضاربه

اهـ من خط مؤلف نور الأبصار

وجلس عـدة من أصحابه فى القيود إلى ربيع الآخر منها فأطلق وأقام أيام مريضا ومات فسلخ بعد موته وصلب قال ابن عبد الظاهر إنه حشى جلده تبنا وصلب فربمـا سمت العامة مسجده بذلك لمـا ذكرنا وقبره بالمسجد المذكور اهـ قال بعض المؤرخين كان جوهر القـائد المذكور عبدا صقليا رافضا شيعيا ومن آثاره المحل الأنور الجامع الأزهر .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب حسين أبى على المشهور بأبى العلا الحسينى رضى الله تعالى عنه ﴾

قال الشعرانى فى الطبقات كان الشيخ حسين أبو على من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديا ثم تدخل فتجده سبعا ثم تدخل عليه فتجده فيلا ثم تدخل عليه فتجده صبيا ومكث نحو أربعين سنة فى خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوى سيماوى ولما شرع الخواجا ابن البرلسى فى بناء زاويته قال أعداؤه إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيمياء الشيخ حسين فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه فى تليس ورموه على الكوم وأخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسينا رضى الله عنه جالسا فقال لهم غركم القمر وكانت النموس تتبعه حيثما مشى فى شوارع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية وكان رضى الله عنه بريئا من جميع مافعله أصحابه من الشطح الذى ضربت به رقابهم فى الشريعة وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذى هو مدفون عنده الآن مثقوب اللسان لكثرة ماكان ينطق به من الكلمات التى لا تأويل لها وأخبرنى بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد فى مركب فوحلت فلم يستطع أحد أن يزحزحها فقـال الشيخ عبيد اربطوها فى بيضى بحبل وأنا أنزل وأسحبها ففعلوا فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر ؛ مات رضى الله عنه سنة نيف وتسعين وثمانمائة ودفن بزاويته بساحل النيل بمصر المحروسة ببولاق اهـ [ومن أهل البيت] السيدة أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين وقبرها بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وهى أم جعفر بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق كانت من الزاهدات كذا فى الخطط وفى طبقات المناوى فى ترجمة جعفر الصادق وله أى لجعفر ولد اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه قال بعضهم فى رد هذا ذكر بعض النسابين أنه ليس فى أولاد جعفر من اسمه القاسم وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه انتهى [ومن أهل البيت] السيدة بنت محمد بن جعفر الصادق كانت شديدة الغيرة صوامة قوامة لا تلتفت إلى أهل الدنيا ولا تقبل مايعطونه لها ومشهدها معروف باجابة الدعاء وإذا دخل الزائر اليه وجد أنسا عظيما وقبرها بالمشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص غربى قبر الامام الشافعى رضى الله عنهم روى أن أهل مصر جاءوا إلى هذا المشهد يستسقون وقد توقف النيل فجرى بإذن الله تعالى توفيت سنة ثلثمائة وأربعين كذا فى الكواكب السيارة [ومن أهل البيت] بهذا المشهد السيدة الطاهرة فاطمة بنت القاسم بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين رضى الله عنهم وكانت تعرف بالعيناء سميت بذلك لحسن عينيها حكى خادمها أنه كان يقرأ سورة الكهف فغلط فى موضع فردت عليه من داخل القبر وروى أنه كان بعينها شبه بالسيدة فاطمة الزهراء كذا فى الكواكب السيارة [ومن أهل البيت] السيدة آمنة بنت موسى الكاظم حكى الوزارى خادمها أنه كان يسمع فى قبرها قراءة القرآن بالليل . روى أن رجلا جاء بعشرين

ذكر ابن الأنبارى أنها لما قتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتى وبأهلى بعد فرقتكم منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم

ما كان هـذا جزائى إذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

قال الشيخ الشعرانى فى مننه أخبرنى سيدى على الخواص عن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام على وأنها فى هذا المكان بلا شك وكان يخلع نعله فى عتبة الدرب ويمشى حافيا حتى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل إلى الله تعالى فى أن الله يغفر له اهـ وفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف جدد رحابها ووسعه حضرة المشار إليه أحسن الله وقوفه بين يديه وبنى أيضا رحاب سيدى محمد العتريس أخى إبراهيم الدسوقى نفعنـا الله بهما وأنشأ الحوض والساقية هناك جزاه الله كل خير ودفع عنه كل مكروه وضير .

﴿ تنبيه ﴾ قال السيوطى فى رسالته الزينبية إن زينب المذكورة ولدت لعبد الله بن جعفر عليا وعونا لأكبر وعباسـا ومحمدا

رطلا من الزيت وعاهد الخادم أن يوقدها فى ليلة واحدة فجعله الخادم فى القناديل فلم يوقد منه شىء فتعجب الخادم من ذلك فرآها فى النام فقالت له يافقيه رد عليه زيته واسأله من أين اكتسبه فانا لا نقبل إلا الطيب فلما أصبح جاء إلى الرجل الذى أعطاه الزيت وقال له خذ زيتك فقال لم آخذه؟ فقال انه لم يوقد منه شىء ورأيتها فى النام فقالت لانقبل إلا الطيب فقال صدقت السيدة انى رجل مكاس فقال قف نخذه فأخذه وقبرها بالقرافة أيضا كذا فى الكواكب السيارة [ومن أهل البيت] السيد يحيى الشبيه بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق رضى الله عنهم قال القرشى فى تاريخه كان شبيها برسول الله ﷺ قال ابن النحوى كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوّة وكان إذا دخل الحمام ونظر الناس الشامة التى بين كتفيه يكثرون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ولما سمع أهل مصر بقدومه خرجوا إلى ظاهر مصر يتلقونه وكان ابن طولون أقدمه من الحجاز وكان يوم قدومه يوما مشهودا وقبره بالقرافة وبالمشهد قبر أخيه عبد الله وقبره وسط القبة وعنده لوح رخام فيه نسبه وكان يتلو أخاه فى العبادة والطهارة والفقه والصلاح وهو محل عظيم معروف باجابة الدعاء وبالقبة الدريد زوجة القاسم الطيب إلى جانب قبر والدها وكانت من الزاهدات العابدات وهى شريفة رضى الله عنها كذا فى الكواكب السيارة [ومن أهل البيت] السيد يحيى بن الحسن الأنور أخو السيدة نفيسة وليس بمصر من أخواتها سواه ولا عقب له (حكى) عنه أنه كان يرى على قبره نور قال أبو المذكر دخلت إلى قبر يحيى ولم أحسن الأدب فسمعت من ورائى قائلا يقول قل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اه من الكواكب السيارة قال فيه وعند الخروج من قبر السيد يحيى تجد حوشا على يسار السالك مقابلا لضريح به جماعة من الأشراف قيل إن به البنات الأبكار

﴿ فصل : ومن أهل البيت ﴾ نسل طباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم نقل صاحب درر الأصداف ما نصه لاخلاف عند علماء النسب فى صحة هذا النسب إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة وسمى طباطبا بفتح الطاءين كما ذكره فى مختصر التواريخ لرتة كانت فى لسانه قال أبو بكر الخطيب لما قدم بغداد فى خلافة الرشيد سمع به فبعث إليه فظن أن أحدا قد وشى به فدخل على الرشيد فقام اليه وأجلسه إلى جانبه وقال له ما حاجتك يا أبا إسحق فقال له ظلمنى صاحب الطباء يعنى صاحب القباء وكان يقلب القاف طاء . وفى تاريخ ابن خلكان وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء طلب يوما ثيابه فقال له غلامه أجىء بدراعة فقال لا طباطبا يريد قباقبا فبقى له لقبا واشتهر به انتهى ، وللسيد طباطبا من الأولاد لصلبه القاسم الرسى والرس قرية من قرى المدينة سكن بها فنسب اليها وفى تاريخ ابن خلكان والرسى بفتح الراء والسين المهملة المشددة قال ابن السمعانى هذه النسبة إلى بطن من بطون السادة العلوية انتهى ولما وصل القاسم إلى مصر جلس بالجامع العتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجمعوا له مالا فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة وكانت له دعوة مستجابة قال العبد لى كان القاسم أبيض مقرون الحاجبين كثير الخضوع لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث وكان يقول حدثنى أبى عن جدى عن أبيه الحسن السبط عن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم وكان يقول من أراد البقاء ولا بقاء فليلتحف الرداء ولا يكاثر الغذاء وليقلّ من مجامعة النساء وقال خير نسائكم الطيبة الرائحة كان القاسم أكثر أهل زمانه علما قيل إنه عاد إلى الحجاز ومات بالرس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة قال فى الكواكب السيارة

وأم كلثوم؟ وذريتها إلى الآن موجودون بكثرة ويتكلم عليهم من عشرة وجوه : أحدها أنهم من آل النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالإجماع لأن آله هم المؤمنون من بنى هاشم والمطلب ، وفى صحيح مسلم عن زيد بن أرقم تفسير أهل بيته بمن حرموا الصدقة. ومنهم أولاد جعفر الثانى أنهم من ذريته وأولاده بالاجماع لأن أولاد بنات الإنسان معدودون فى ذريته وأولاده حتى ولو أوصى لأولاد فلان أو ذريته دخل فيه أولاد بناته وهذا المعنى أخص من الذى قبله . الثالث أنهم لايشاركون أولاد الحسن والحسين فى انتسابهم إليه صلى الله عليه وسلم وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولدا للرجل وبين من ينسب إليه ولهذا أدخلوا أولاد البنات فى وقفت على أولادى دون وقفت على من ينسب إلىّ من أولادى لكن ذكروا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب إليه أولاد بنته فاطمة ولم يذكروا مثل ذلك فى أولاد بنات بنته فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع فى أن الولد يتبع أباه فى النسب لا أمه ولهذا جرى السلف والخلف على

الرؤيا السيد عبد الله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن يعنى المتقدم ولقائل أن يقول لامانع من وقوعها لها . وفى الكواكب قال ومعهم فى القبة أبو القاسم يحيى بن على بن محمد ابن جعفر بن على بن الحسين بن سيدنا على رضى الله عنهم قال وهذا نسب صحيح ذكر الشيخ أبو جعفر شيخ النسابة قال كان أبو القاسم يحيى هذا من كبار العلويين انتهت اليه الرياسة فى زمنه رضى الله عنه انتهى وقد جمع هذا المشهد من آل محمد رسول الله ﷺ جماعة كثيرة وجمع جماعة من أهل العلم والصلاح منهم سهل بن أحمد البرمكي المستوزر للدولة الطولونية وكان مشهورا بالخير كثير البر للفقراء محبا لآل رسول الله ﷺ وقد أنشأ التربة المنسوبة إليه بجانب الأشراف رغبة فيهم ولما حضرته الوفاة عاهد أهل بيته أن لا يبكوا عليه وأمر أن يدفن بالتربة المذكورة وأنشد يقول :

إذا ما بكى الباكون حولى تحرقا … وقالوا جميعا مات سهل بن أحمد
فقلت لهم لا تندبونى فإننى … مع السادة الأطهار آل محمد

قلت ومن نسل طباطبا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسمعيل ابن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . وفى معاهد التنصيص كان شاعرا مفلقا عالما محققا ولد بأصبهان وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء وأدباء وكان مشهورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وجودة الذهن وله من المصنفات كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض ولم يسبق إلى مثله ، ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ليس فيها راء ولا كاف أولها :

ياسيدا دانت له السادات … وتتابعت فى فعله الحسنات

يقول منها فى وصف القصيدة ميزانها عند الخليل معدل * متفاعلن متفاعلن فعلات * ومن شعره يهجو أبا على الرسى ويرميه بالدعوة والبرص :

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آيا بها علوت الرؤوسا
جئت فردا بلا أب وبيمنا … ك بياض فأنت عيسى وموسى … اهـ

﴿ فصل : ومن أهل البيت السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا ﴾

قال فى الكواكب السيارة وإلى جانب قبر البويطى رضى الله عنه قبر السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم حكى عنها مع بشير بن سعيد الجوهرى حكاية وذلك أنه أصاب الناس قحط عظيم وكان زوجها مات وخلف مخدعا لايعرف مافيه فقالت يوما للخادمة وقد ضاق صدرها ليت شعرى ما فى هذا المخدع ففتحته فوجدت فيه شيئا ملقى فى جانبه فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ فقالت للخادمة امض به إلى السوق لعل أن يأتينا ولو بقوت اليوم فخرجت الخادمة فطافت به على باب الصاغة فوجدت رجلا قائما عليه آثار الخير فنظرت إليه فقال يا أمة الله مالك فقصت عليه القصة فأخذه منها وغاب قليلا وجاء إليها وقال لها تبيعينه بمائة دينار فسكتت الجارية وظنت أنه يهزأ بها فتركها وغاب قليلا ثم أتى إليها وقال مايزيد ثمنه على مائتين وخمسين دينارا فقالت الجارية ياسيدى أنا خادمة امرأة شريفة أتهزأ بها ولها دعوة مجابة فقال لاوالله ماأنا بهازىء بها ولا أقول إلاحقا فقالت الجارية اقبض المال وامض معى إلى مولاتى فقبض المال وأتى معها إلى الدار فدخلت وأعلمت السيدة فاطمة بذلك فخرجت السيدة فاطمة ووقفت

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف والأشرف السلطان خصهم بها شرفا ليفرقهم من الأطراف وحظ الفقيه فى ذلك إذا سئل أن يقول لبس هذه العمامة بدعة مباحة لايمنع منها من أرادها من شرف وغيره ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره ، والمنع منها لاحد من الناس كائنا من كان ليس أمرا شرعيا لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة وليس لبس العمامة مما ورد به شرع فيتبع إباحة ومنعا أقصى مافى الباب إنه أحدث التميز بها لهؤلاء عن غيرهم فمن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الابناء المنتسبين إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهم ذرية الحسن والحسين ومن الجائز أن يعمم فيهم وفى كل ذرية وإن لم ينتسبوا إليه كالزينبية ومن الجائز أن يعمم فى كل أهل البيت كباقى العلوية والجعفرية والعقيلية كل جائز . وقد يستأنس فيها بقوله تعالى «يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن

وراء الباب وقالت أحق ماتقول هذه الجارية ؟ قال نعم ثم صب المال فى طرف الجارية فقالت السيدة فاطمة اجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف فقال لا والله لا ينالنى منه شيء بل ينالنى منك دعوة تكون فى عقبى إلى يوم القيامة فقالت جعل الله فى نسلك الصالحين فكان من نسله أبو عبدالله الحسينى وأبو الفضل بن عبد الله بن الحسين بن بشير الجوهرى رضى الله عنها وعنهم قال ثم تمشى خطوات مستقبل القبلة تجد قبر السيد الشريف أبى القاسم الفريد المعروف بصاحب الخيار . حكى عنه أن إنسانا ورث عن أبيه مالا كثيرا فأذهبه ثم تداين دينا فذهب منه فلقيه صاحب الدين وكتب ورقة اعتقاله ثم وقف الناس له فانتظره إلى مضى ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الثالث قال فى نفسه من أين أعطى هذا الرجل ؟ ثم أتى إلى القرافة وزار أكثر قبورها حتى انتهى إلى هذا القبر وكان عليه بناء بالطوب اللبن حاجزا فزار الرجل وابتهل إلى الله تعالى ثم أخذه النوم فنام فرأى كأن الشريف صاحب القبر ناوله خيارا وكان فى أيام عدمه فاستيقظ فوجده فى حجره فتعجب من ذلك فبينما هو يتعجب وإذا بالأمير ابن طولون واقف على رأسه فقال له مررت من ههنا مرارا فما رأيتك إلا اليوم فنهض الرجل قائما وقص عليه قصته ثم ناوله الخيار فأخرج الأمير ابن طولون مالا وقال له اقض بهذا دينك (قال) وكان ابن طولون ملازما لزيارة الصالحين مشهورا بالخير انتهى (ومن المزارات) مشهد سنا وثنا قال المقريزى فى الخطط يقال إنهما من أولاد محمد بن جعفر الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم فماتت إحداهما فصارت الأخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لأختها حتى ماتت ﴿ تنبيه ﴾ قد تقدم فى بعض من ذكر من أهل البيت أنى لم أعين له مزارا معلوما وسببه عدم تبيين المواد التى بيدى لها ولكن سألت عن المعظم فوجدته بالقرافة الصغرى وهى التى بها ضريح إمامنا الشافعى رضى الله عنه والباقى بها أيضا ولكن درست علاماته (١)

﴿ تتمة فى الكلام على القرافة ﴾ قال المقريزى فى الخطط قال القاضى أبو عبدالله محمد بن سلامة القضاعى القرافة هم بنو غض وفى نسخة بنو غصن بن سيف بن وائل بن المغافر وقال أبو عمرو الكندى بنو جحد بن سيف بن وائل بن الجيزى بن شراحيل بن المغافر بن يغفر وقيل إن قرافة اسم أم عذافر وجحض ابنى سيف بن وائل بن الجيزى فقد صحف القضاعى فى قوله غض بالغين المعجمة والأقرب ما قاله الكندى لأنه أقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة . اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبرى حيث الجامع الذى يقال له جامع الأولياء والقرافة الصغرى وبها قبر الإمام الشافعى وكانتا فى أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يغفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبرى جبانة وهى حيث مصلى خولان والبقعة وماهو حول جامع الأولياء قاله المقريزى فى الخطط ثم قال والناس فى القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعى وأجرى لها الماء من بركة الكبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعى وأنشئوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى أمر تلك ؛ وأما القطعة التى تلى قلعة الجبل فحدثت بعد السبعمائة من الهجرة وكان مابين قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه وباب

(١) ﴿تنبيه﴾ تزوج الحسن المثنى ابن الحسن السبط السيدة فاطمة بنت الحسين عمه والعقب الذى منها حسنى أبا حسينى أما ، ومن ذلك العقب السيد معاذ الذى بحارة الدراسة المجاورة لكفر الطماعين، وهاهو نسبه : السيد معاذ بن داود بن عمر بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا السيد سعد الله الذى بالدرب الأحمر حسنى أبا حسينى أما لما ذكر حدثنى بعض الثقات أنه كانت له قضية مهمة بالمجلس بمصر فحضر مصر من أجلها ونزل ببيت بحارة سعدالله المسماة بحارة ابن كلبة فبينما هو نائم إذ دخل عليه شاب أمرد عليه ثياب بيض وعلى رأسه قلنسوة وقال له يا أخى لاتهتم وان شاء الله قد تم أمر قضيتك على أحسن حال فقال له من أنت ؟ فقال له أنا سعد الله صاحب المسجد الذى أنت بجواره ، فانتبه فرحا مسرورا وكان الحال كما قال فاصطنع ذلك الرجل وليمة مشمولة بقراءة القرآن من أجل الشيخ سعد الله سنويا وقد

القرافة ميدانا تتسابق فيه الأمراء والأجناد وتجتمع الناس هناك للتفرج على السباق كانت الأمراء تتسابق فى جهة والأجناد فى جهة منفردين عن الأمراء وكان الشرط فى السباق من تربة الأمير يبدر إلى باب القرافة ثم أحدث أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون فى هذه الجهة الترب فبنى الأمير يلبغا التركانى الأمير طقتمر الدمشقى والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الجيش إلى باب القرافة وانقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب كثير فى سكناها لعظم القصور التى أنشئت بها وسميت بالترب قال موسى بن محمد بن سعيد فى كتاب المغرب عن أخبار المغرب بت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط وهى فى شرقيها بها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى به وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الإمام الشافعى (١) رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من ترب ولا سيما فى الليالى القمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم وفيها أقول :

إن القرافة قد حوت ضدين ... دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا ... ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا ... لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نوره ... فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجها حاكينه ... لما تكامل وجهه المتهلل

وقال شافع بن على :

تعجبت من أهل القرافة إذ غدت ... على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبة كلهم ... ومستوطن الأحباب يصبوله القلب

وقال الأديب أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى :

إذا ما ضاق صدرى لم أجد لى ... مقر عبادة إلا القرافة
لئن لم يرحم المولى اجتهادى ... وقلة ناصرى لم ألق رافه

روى عن أبى طيبة عن أبى بريدة مرسلا قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لاتزرع ولايستنبت بها ماء ولاينتفع بها ؟ فسأله فقال انا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر إنا لانعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فاقبرفيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان أول من دفن فيها رجل من المغافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو ماعلى هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم . وعن ابن لهيعة أن المقوقس قال لعمرو إنا لنجد فى كتابنا ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر عمرو ابن العاص السهمى وعبد الله بن حذافة السهمى وعبد الله بن جزء الزبيدى وأبو بصيرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى ويقال وسلمة بن مخلد الأنصارى وفى شرح الشريشى على المقامات الحريرية

أن

حضرت تلك الوليمة فى سنة ، ذلك ببلاد الأرياف (ومن أهل البيت) السيد أحمد خليل الذى بهرية شرقية بلبيس وهو من نسل الحسن المثنى بن الحسن السبط ، وها هو نسبه: السيد أحمد بن مصطفى ابن محمد بن خليل بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن زيدان بن هاشم بن على بن حسين ابن على بن يوسف بن حجاج بن حازم بن غازى ابن قاسم الشهير بالأعرج صاحب الحصن الأحمر المعلق بالجبل ابن عامر ابن إسمعيل بن هاشم ابن عبد الله بن يوسف ابن عيلان بن محمد السليق ابن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب وهذا نسب شريف صحيح من جهة أبيه ، وأما من جهة أمه فهو السيد أحمد ابن مقطفة بنت مرزة شريفة حسينية وقد جمع بعضهم فى مناقبه رسالة سماها لقط اللآلى

(١) (قوله التى فيها قبر الإمام الشافعى) أى وهى الصغرى أى وبها قبر الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن كان مولى قيس ابن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن

أن السيدة آسية امرأة فرعون مدفونة بالقرافة الكبرى. وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد ابن يونس في تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثني عمير بن أبي مدرك الخولاني عن سفيان بن وهب الخولاني قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام ؟ فقال لا أدري ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ماهو خير من ذلك قال وماهو ؟ قال ليدفنن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لاحساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلني منهم قال حرملة بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبي بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه قال المقريزي والاجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها [عجيبة] قال المقريزي وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر شيء بالقرافة يقال له القطربة تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل أكثرهم خوفا منها وكان شخص من أهل مصر يعرف بحميد الفوال خرج من إطفيح على حماره فلما وصل إلى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت إليه ضعفا وعجزا فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار إلا وقد سقط فنظر إلى المرأة فإذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخالبها ففر وهو يعدو إلى والي مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته إلى الوضع فوجد الدابة قد أكل جوفها ثم صارت بعد ذلك تتبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وامتنع الناس من الدفن في القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة قال المقريزي ماكان من القرافة في سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وماكان في شرقي مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى كما تقدم وفيها كان مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت مصر واختطت العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لها مقبرة سواها فلما قدم جوهر القائد من قبل المعز وبنى القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة عرفت بتربة الزعفران قبروا بها موتاهم ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالي دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هناك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية في هذه الجهة انتهى .

﴿ الباب الرابع : في ذكر مناقب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب رضي الله عنهم ﴾

في الروض الفائق مانصه قال بعض الصالحين : رأيت في النوم كأني دخلت الجنة فرأيت في وسطها عمودا من نور ورأيت أربعة يجرونه بأربع سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لايتغير من مكانه فقلت يالله العجب لو جره هؤلاء من فرد جهة واحدة لكان أسهل عليهم فسألت بعض الملائكة عن ذلك فقال لي هذا العمود هو دين الإسلام وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة وهؤلاء الذين يجرونه هم أئمة الإسلام الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك رضي الله عنهم أجمعين فاتفاقهم فرض وقولهم حق واختلافهم رحمة للمسلمين .

فالشافعي له علوم تشرق ... بين الورى وله ثناء يعبق
ولمالك نشرت علوم مالها ... حد كبحر زاخر يتدفق
ولأحمد تعز العلوم لأنه ... يروي الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفة سابق فلأجل ذا ... آثاره وعلومه لاتسبق
فهم الأئمة خصهم رب الملا ... بالفضل منه فشأوهم لايلحق

مسافر الفهمي، ولد الليث سنة أربع وتسعين من الهجرة في شعبان نقل ابن خلكان أنه من قلقشندة قرية من قرى مصر والفهمي نسبة إلى فهم بطن من قريش قال أخوهم فأبت إلى فهم البيت واختلفوا هل سمع عن مالك أو سمع مالك عنه قال ابن خلكان رأيت في بعض المجاميع أن الليث كان حنفي المذهب وأنه ولي قضاء مصر وأن الإمام مالكا أهدى اليه صينية فيها تمر فأعادها مملوءة ذهبا وأنه كان يتخذ لأصحابه الفالوذج ويعمل فيها الدنانير فيحصل لكل من أكل كثيرا أكثر من صاحبه توفي رضي الله عنه يوم الخميس وقيل الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بقرافة مصر الصغرى قال بعض أصحابه لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتا وهو يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم ... ومضى العلم قريبا وقبر

نقل صاحب الكواكب أن ولدا من عقب الليث ارتحل إلى البلاد الشامية وكان قد أعيل فاجتمع به رجل من أهل الثروة واليسار وقال له أنا أملكك وما تحت يدي ملكك فقال له ولم

﴿ فصل : فى ذكر مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه الكوفى مولى بنى تيم الله بن ثعلبة ﴾

وزوطا بضم الزاى وسكون الواو كذا ضبطه بعضهم . ولد أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه بالكوفة سنة ثمانين ونشأ بها . وكان رضى الله عنه حسن السمت والوجه والثوب والفعل والمواساة لكل من طاف به وكان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطقا ؛ وأدرك رضى الله عنه ستة من الصحابة وهم أنس بن مالك وعبد الله بن الحارث ابن جزء وعبد الله بن أنيس وعبد الله بن أبى أوفى وواثلة بن الأسقع ومعقل بن يسار وفى إدراكه جابر بن عبد الله خلاف ، وفى تتمة المختصر لم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنهم وأصحابه يزعمون غير ذلك انتهى (ذكر) الخطيب فى تاريخ بغداد أنه أخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان وسمع عطاء بن أبى رباح وأبا إسحاق السبيعى ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد ابن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر وهشام بن عروة وسماك بن حرب . وفيه قال أبو حنيفة دخلت على أبى جعفر أمير المؤمنين فقال لى يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم ؟ قال قلت عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب وعن على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس قال بخ بخ استوثقت ماشئت ياأباحنيفة الطيبين الطاهرين المباركين رضى الله عنهم أجمعين . وفيه أيضا قيل دخل أبو حنيفة يوما على المنصور وهو أبو جعفر وعنده عيسى بن موسى فقال المنصور إن هذا لعالم الدنيا اليوم ثم قال له يانعمان عمن أخذت العلم ؟ قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب على عن على وعن أصحاب عبد الله عن عبد الله وما كان فى وقت ابن عباس على الأرض أعلم منه قال لقد استوثقت روى عن أبى حنيفة ابن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم . وحكى عن الشافعى أنه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة مقاتل بن سليمان فى التفسير وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر وعلى أبى حنيفة فى الفقه . وفى ربيع الأبرار يقال إن أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا أبو حنيفة فى الفقه والخليل فى نحوه والجاحظ فى تأليفه وأبو تمام فى شعره ؛ وفيه كان الثورى إذا سئل عن مسألة دقيقة قال لايحسن أن يتكلم فيها إلا رجل قد حسدناه يعنى أباحنيفة . وفى تاريخ اليافعى نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد وأراد أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة لايفعل فقال الربيع بن يونس الحاجب لأبى حنيفة ألاترى أن أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر منى على كفارة يمينه فأمر به إلى السجن فلم يقبل القضاء فضربه مائة سوط وحبس إلى أن مات . قال الخطيب البغدادى إن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدى فى الجانب الشرقى وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبى حنيفة فجىء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له إن لم تفعل ضربتك بالسياط فقال أوتفعل ؟ قال نعم فقعد فى القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان فى اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لى على هذا درهمان وأربعة دوانق ثمن تور صفر قال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس على شىء فقال أبو حنيفة للصفار ماتقول ؟ قال استحلفه لى فقال أبو حنيفة قل والذى لاإله إلا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة مقدما على اليمين قطع عليه وأخرج من صرة فى كمه درهمين ثقيلين وقال للصفار هذا عوض مالك عليه فلما كان بعد اليومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات رحمه الله . وفى ربيع الأبرار للزمخشرى أراد عمر بن هبيرة أباحنيفة على القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط على رأسه وليسجننه وفعل حتى انتفخ وجه أبى حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب فى الدنيا بالسياط أهون على من مقامع الحديد

استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس من تطويل الأكمام وادارة الطيلسان ونحو ذلك ليعرفوا فيجلوا تكريما للعلم ، وهذا وجه حسن والله أعلم . التاسع والعاشر هل يدخلون فى الوصية على الأشراف والوقف عليهم والجواب إن وجد فى كلام الموصى والواقف نص يقتضى دخولهم أو خروجهم اتبع وان لم يوجد ما يدل على هذا ولاهذا فقاعدة الفقه أن الوصايا والأوقاف تنزل على عرف البلد وعرف مصر من عهد الخلفاء الفاطميين إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسنى وحسينى خاصة فلايدخلون على مقتضى هذا العرف اه ملخصا لكن يؤخذ من الآية السابقة التى استؤنس بها فى لبس العلامة الخضراء استحباب لبسها للأشراف فيعكر ذلك على قوله قبل

ذلك فقال أنا عبد من عبيد أبيك أبقيت وكان معى بعض من المال واتجرت فيه ففتح الفتاح على فقال له قد اعتقتك ووهبتك ما بيدك قال صاحب الكواكب لم يترجح عندى تفضيل أحدهما على الآخر نقله صاحب نور الأبصار

الحديد فى الآخرة ؛ وعن أبى عون ضرب أبو حنيفة مرتين على القضاء ضربه ابن هبيرة وضربه أبوجعفر وأحضر بين يديه فدعا له بسويق وأكرهه على شربه فشربه ثم قام فقال إلى أين؟ فقال إلى حيث بعثتنى فمضى به إلى السجن فمات فيه ، وكان الإمام أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبى حنيفة وذلك بعد أن ضرب الإمام أحمد على ترك القول بخلق القرآن وفى الكشاف وكان أبو حنيفة يفتى سرا بوجوب نصرة زيد بن على وحمل المال إليه والخروج على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة كالدوانيق وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابنى بالخروج مع إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتنى مكان ابنك ، وكان يقول فى المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وراودونى على عد آجره لما فعلت . وذكر الخطيب فى تاريخه أن أبا حنيفة رأى فى المنام أنه نبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل محمد بن سيرين قال ابن سيرين صاحب هذه الرويا يثور علما لم يسبقه اليه أحد . وعن صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن أبى حنيفة أنه قال رأيت فى المنام كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجت عظاما فاحتضنتها قال فهالتنى هذه الرؤيا فدخلت على ابن سيرين وقصصتها عليه فقال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد صلى الله عليه وسلم روى . عن أبى حنيفة أنه قال دخلت البصرة فظننت أنى لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه فسألونى عن أشياء لم يكن عندى فيها جواب فجعلت على نفسى أن لا أفارق حمادا فصحبته عشرين سنة قال وماصليت صلاة إلا واستغفرت لحماد مع والدى ولكل من قرأت عليه . وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول ماجاءنا أو يقول ماأتانا عن الله ورسوله قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا أو ماأتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه ولم نخرج عن أقاويلهم وما جاءنا أو ماأتانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال كذا فى ربيع الأبرار ، وكان أبو حنيفة كثيرا ماينشد هذين البيتين :

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه ... والكل أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغضا إنه لدميم

وعن خلف بن سالم عن صدقة المقابرى وكان صدقة مجاب الدعوة قال لما دفن أبو حنيفة فى مقابر الخيزران سمعت صوتا من الليل ثلاث ليال يقول :

ذهب الفقه فلا فقه لكم ... واتقوا الله وكونوا حنفا
مات نعمان فمن هذا الذى ... يحيى الليل إذا ما سجفا

وفى تاريخ ابن الوردى كان شيخنا العلامة صدر الدين محمد بن الوكيل العثمانى ينشد لبعضهم :

الفقه فقه أبى حنيفة وحده ... والدين دين محمد بن كرام
إن الأولى فى دينهم ماالستمسكوا ... بمحمد بن كرام غير كرام

قال الامام الشافعى رضى الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته . وعن على بن عاصم قال لو وزن عقل أبى حنيفة بعقل أهل الأرض لرجح به . وفى حياة الحيوان كان أبو حنيفة اماما فى القياس وصلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ القرآن فى ركعة واحدة وكان يبكى فى الليل حتى ترحمه جيرانه وختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة اه . وروى عن أسد بن عمرو أنه قال صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان يسمع بكاؤه فى الليل حتى ترحمه جيرانه ﴿ فوائد : الأولى ﴾ أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان له جار اسكاف يعمل نهاره فاذا رجع إلى

بدعة مباحة اللهم إلا أن يجعل قوله ، وقد يستأنس الخ بيانا لوجه آخر مخالف لما قبله فى الحكم فتأمل ، والذى ينبغى اعتماده أنها مستحبة للأشراف أخذا من الآية السابقة مكروهة لغيرهم لأن فيها انتسابا بلسان الحال إلى غير من ينسب اليه الشخص فى نفس الأمر وانتساب الشخص إلى غير من ينسب اليه فى نفس الأمر منهى عنه محذر منه هذا ولم يكتف فى هذه الأعصار بتلك العلامة الخضراء بل جعلت العمامة كلها خضراء وحكمها حكم تلك العلامة ولعل اختيار هذا اللون لكونه أفضل الألوان على ماقاله السيوطى فى وظائف اليوم والليلة أو كونه لون الحلة التى يكساها فى الموقف نبينا صلى الله عليه وسلم كما فى حديث أورده عياض فى الشفاء أو كونه لون ثياب أهل الجنة كما فى آية أهل الكهف وما فى كلام السيوطى من أن النسب إلى الأب لا الأم المراد به النسب فى عرف الشرع المرتب عليه العصوبة والعقل والإرث ونحوها من الأحكام لا النسب اللغوى الحاصل بمطلق الولادة ، وأما قوله تعالى

منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنى وقال :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير فى مجلسه وقال ماحاجتك قال أشفع فى جارى فقال الأمير أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة فأطلقوهم أيضا وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج الاسكاف يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة يافتى هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل كذا فى تاريخ بغداد ووفيات الأعيان ، وهذا البيت للعرجى فى تتمة المختصر نسبة إلى العرج بسكون الراء عقبة بين مكة والمدينة وهو عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه اهـ . وفى المطول عبدالله ابن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل البيت لأمية بن أبى الصلت وقد أورده صاحب التخليص شاهدا فى فن البديع على التضمين وشرحه السعد بما نصه اللام فى ليوم لام التوقيت والكريهة من أسماء الحرب الثغر بكسر السين سده بالخيل والرجال والثغر موضع المخافة من فروج البلدان أى أضاعونى فى وقت الحرب وزمان سد الثغر ولم يراعوا حتى أحوج ما كانوا إلى وأى فتى أى كاملا من الفتيان أضاعوا وفيه تنديم وتخطئة لهم اهـ ومثله فى الأطول . واستشهد به أيضاً النضر بن شميل بضم الشين ابن خرشة بفتح الخاء المعجمة البصرى النحوى على كسر السين من سداد حين قال المأمون حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» وفتح سين سداد فأعاد النضر الحديث وكسر السين فاستوى المأمون جالسا وقال تلحنى يانضر فقال إنما لحن هشيم وكان لحانا فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما ؟ قال السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ماسددت به شيئا فهو سداد بكسر السين وأنشد البيت فأمر له بخمسين ألف درهم [الثانية] روى أن امرأة دخلت فى مسجد أبى حنيفة وهو جالس بين أصحابه فأخرجت تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فسألوه عن ذلك فقال إنها ترى تارة أحمر مثل أحد جانبي التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب الآخر سألت أن يكون حيضا أو طهرا فشققت التفاحة وأريتها باطنها وأردت بذلك أن لاتطهرى حتى ترى البياض مثل باطنها فقامت وخرجت [الثالثة] أن أعرابيا دخل على أبى حنيفة وهو جالس بين أصحابه فقال له أفى الصلاة واو أو واوان فقال واوات فقال بارك الله فيك كما بارك فى لا ولا فلم يعلم أحد سؤال السائل ولا جواب أبى حنيفة فسألوه عن ذلك فقال سألنى أو فى التشهد واو أو واوان فقلت واوات بالجمع فدعا لى بالبركة كما بارك فى الشجرة الزيتونة لاشرقية ولا غربية كذا فى المبسوط [الرابعة] روى أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان جالسا يوما فى المسجد فدخل عليه طائفة من الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا ياأبا حنيفة نسألك عن مسئلتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي قالوا كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها فى رقبتك ؟ فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب إحداهما رجل شرب

ادعوهم لآبائهم أى انسبوهم فالمراد به نفى حكم التبنى لا نفى مطلق النسب إلى الأم فقد نسب عليه الصلاة والسلام عبدالله بن مسعود إلى أمه حيث قال «رضيت لأمتى مارضى لها ابن أم عبد» وكذا عبد الله ابن أم مكتوم حيث قال إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم . وما مر فى كلامه من جريان السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفا إذا لم يكن أبوه شريفا لعل مراده جمهورهم وإلا فقد ذهب جماعة إلى كونه شريفا أو المراد الشرف الأقوى لأنه الذى من جهة الأب لكن هذا لايوافق قول بعض هؤلاء الجماعة بعدم تفاوت الانتماء بكونه من جهة الأب أو الأم لأنه من حيث الانتماء إليه صلى الله عليه وسلم بالولادة وهو لايتفاوت بكونه من جهة الأب أو الأم فأعرف لك والله أعلم . [وأما السيدة رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه] فقد تقدم أنها ماتت قبل البلوغ ومحلها بعد السيدة سكينة بشىء يسير على يمين الطالب للسيدة

الخمر فعص فمات سكران والأخرى امرأة حملت حملا من الزنا فماتت فى ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان والقوم السائلون مذهبهم التكفير بارتكاب ذنب واحد ؟ فإن قال مؤمنان قتلوه فقال من أى فرقة كانا أمن اليهود ؟ قالوا لا قال أمن النصارى؟ قالوا لا قال أمن المجوس ؟ قالوا لا قال أمن عبدة الأوثان ؟ قالوا لا قال ممن كانا ؟ قالوا من المسلمين قال قد أجبتم قالوا وكيف قال قد اعترفتم بأنهما كانا مسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين ؟ قالوا هما فى الجنة أو فى النار ؟ قال أقول فيهما ما قال الخليل صلى الله عليه وسلم فى حق من هو شر منهما فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم أو أقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فتابوا واعتذروا إليه اه من الروض الفائق . وعن محمد بن الحسن قال حدثنى القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضى الله عنه قرأ هذه الآية « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » فلم يزل يرددها ويبكى ويتضرع إلى أن طلع الفجر . وعن ابن أبى زائدة قال صليت العشاء الآخرة مع أبى حنيفة وخرج الناس وأنا فى المسجد أريد أن أسأله عن مسئلة وهو لا يعلم أنى فى المسجد فقرأ حتى بلغ إلى قوله تعالى « ووقانا عذاب السموم » فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر ويروى أنه من شدة خوفه سمع قارئا يقرأ ليلة فى المسجد « إذا زلزلت الأرض زلزالها » فلم يزل قابضا على لحيته إلى الفجر وهو يقول يجزى بمثقال ذرة رضى الله عنه .

﴿تتمة﴾ روى أن الخليفة دعا أبا حنيفة رضى الله عنه وقال له كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر ؟ فقال أربع فقال الخليفة اسمعى ياحرة فقال أبو حنيفة على البديهة ياأمير المؤمنين لا يحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع فقال ياأمير المؤمنين قال الله تعالى « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » فلما سمعتك تقول اسمعى ياحرة عرفت أنك لا تعدل فلهذا قلت لا يحل لك إلا واحدة فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثنى عليه فلم يقبلها وردها وقال للرسول قل لها أنا ما تكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله فأجرى على الله . وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة قال الخطيب كان أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وإذا اكتسى ثوبا جديدا كسا بقدر ثمنه العلماء ، وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه بقدر ما يأكل ثم يطعمه لإنسان فقير أو لمن فى بيته يحتاج إليه وكان رضى الله عنه يؤثر رضا ربه على كل شىء ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل وكان دائما يتمثل بهذين البيتين :

عطاء ذى العرش خير من عطائكمو ... وفضله واسع يرجى وينتظر
تكدرون العطا منكم بمنتكم ... والله يعطى فلا من ولا كدر

قال أبو بكر بن أحمد بن ثابت المؤرخ يقال إن أباه ثابتا هو الذى أهدى الفالوذج لعلى بن أبى طالب يوم النيروز وقيل يوم المهرجان وكان أبو حنيفة يقول أنا فى بركة دعوة صدرت من على ابن أبى طالب لأبى وفى رواية وكان ثابت أبو أبى حنيفة يقول أنا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه فى حق . توفى أبو حنيفة ببغداد فى رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وكان ابن سبعين سنة وهى السنة التى ولد فيها إمامنا الشافعى رضى الله عنهما ؟ وقيل إن المنصور سقاه سما فمات لقيامه مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ذكره اليافعى فى تاريخه . وعن جعفر بن الحسن قال رأيت أبا حنيفة فى المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى .

نفيسة تجاه مسجد شجرة الدر قال الشعرانى فى منه أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة رقية ابنة الإمام على كرم الله وجهه فى المشهد القريب من دار الخلافة ومعها جماعة من أهل البيت اه وقد بنى هذا المحل سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف حضرة المشار إليه أسبل الله جميل ستره عليه .

﴿وأما السيدة سكينة بنت الحسين﴾

ففى طبقات الشعرانى الكبرى أنها مدفونة بالقرافة بقرب السيدة نفيسة وكذا فى طبقات المناوى أنها مدفونة بالمراغة وكذا فى سيرة الشامى والحلبى كما نقله بعض المصنفين قال الشعرانى لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت عمتها السيدة سكينة المدفونة قريبا من دار الخلافة مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة فخلفت الشهرة والنذور عليها واختفت رضى الله تعالى عنها . وفى الفصول المهمة فى فضائل الأئمة لابن الصباغ أن الحسن ابن الحسن بن على خطب من عمه الحسين إحدى ابنتيه فاطمة أو سكينة وقال اختر لى إحداهما فقال الحسين قد اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أكثرهما شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم

﴿فصل : فى ذكر مناقب إمام دار الهجرة أبى عبد الله مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى﴾
نسبة إلى بطن من حمير يقال له ذو أصبح نقله بعضهم . وفى تتمة المختصر مانصه مالك بن أنس ابن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحرث الأصبحى نسبة لذى أصبح الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان اهـ . وأنس بن مالك هذا غير أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ إذ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصارى الخارجى ، وأنس أبو الإمام مالك تابعى . ولد الإمام مالك رضى الله عنه سنة إحدى أو ثلاث أو أربع أو خمس أو سبع وتسعين قال الشافعى رضى الله عنه إذا وجدت لمالك حديثا فشد يدك به فإنه حجة ، وحمل حديث أبى هريرة «يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة» على مالك وعن الشافعى رضى الله عنه أنه قال مابعد كتاب الله كتاب هو أكثر صوابا من موطإ مالك قال العلماء قول الشافعى هذا كان قبل تصنيف البخارى ومسلم كتابيهما وإلا فهما أصح الكتب المصنفة . قال الشافعى رضى الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وأخذ القراءة عن نافع بن أبى نعيم وسمع الزهرى وأخذ العلم عن ربيعة الرأى . قال الشافعى قال لى محمد بن الحسن أيما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا ؟ قلت على الإنصاف قال نعم قلت أنشدك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم؟ قال اللهم صاحبكم قلت فأنشدك الله من أعلم بالسنة ؟ قال اللهم صاحبكم قلت من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء كذا فى تتمة المختصر .
[صفة الإمام مالك رضى الله عنه] كان طويلا جسيما عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية قيل كانت تبلغ لحيته صدره وقيل كان أشقر أزرق العينين يلبس الثياب العدنية الرفيعة قال أشهب إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه قيل وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة كذا فى كتاب الطبقات للشعرانى وغيره روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الأنساب أن الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى رضى الله عنه كان إمام دار الهجرة وفيها ظهر الحق وانتصر وقام الدين واشتهر فى سائر الأقطار وضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من كل فج فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة فاحتاج أشياخه إليه ومكث يفتى الناس ويعلمهم نحوا من سبعين سنة وشهد له التابعون بالفقه والحديث وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى وربيعة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة ويحيى بن سعيد الأنصارى وموسى بن عقبة وروى عنهم قال يحيى بن شعبة دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة له ولا يفتى أحد فى مسجد رسول الله ﷺ غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثنى فاستزدته فزادنى ثم غمزنى أصحابه فسكت . قال مالك رضى الله عنه ماجلست للفتيا والحديث حتى شهد لى سبعون شيخا من أهل العلم أنى مستحق لذلك وقال حماد بن زيد لرجل جاءه فى مسئلة اختلف الناس فيها يا أخى إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة واصغ إلى قوله فإنه حجة مالك بن أنس إمام الناس وقال حماد بن سلمة لو قيل لى اختر لأمة محمد ﷺ إماما يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكا لذلك موضعا وأهلا ورأيت ذلك صلاحا للأمة . وقال الليث بن سعد علم مالك علم نقى مالك أمان لمن أخذ به من الأنام . وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول إنما أقتدى فى دينى برجلين مالك فى علمه وسليمان بن القاسم فى ورعه . وقال محمد بن رمح حججت مع أبى وأناصبى لم أبلغ الحلم فنمت فى مسجد رسول الله ﷺ فى الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبى ﷺ قد خرج من قبره وهو متوكئ على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما

النهار ، وأما الجمال فتشبه الحور العين ؛ وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل ، وفى كلام غير واحد أن سكينة تزوجت بابن عمها عبد الله بن الحسن فقتل عنها بالطف ثم تزوجت بعده بأزواج وقد بنى محلها سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف حضرة المشار إليه أجزل الله أجره لديه ، وأنشأ لها مسجدا عم نفعه الناس ، وأظهر مزارها بعد أن كان فى زوايا الاندراس ، والمشهور على الألسنة فى اسمها أنه مكبر بفتح السين وكسر الكاف لكن فى القاموس وشرح أسماء رجال المشكاة أنه مصغر بضم السين وفتح الكاف .
(واعلم) أن مافى منن الشعرانى الكبرى مخالف لما مر فإن فيها أن سكينة المدفونة بالمحل المتقدم أخت الحسين وتعقب بأن المعروف أن سكينة بنته لا أخته وقد عد ابن الصباغ فى الفصول المهمة أن أولاد على الذكور والإناث سبعة وعشرون ولم يذكر فيهم سكينة وعول بعض مشايخنا على مافى المنن وأيده بتصريح النووى فى تهذيب الأسماء واللغات بأن الصحيح وقول الأكثرين أن سكينة بنت الحسين توفيت بالمدينة وعبارة النووى

فقمت فسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت يارسول الله أين أنت ذاهب؟ فقال أقيم لمالك الصراط المستقيم فانتبهت فأتيت أنا وأبي فوجدت الناس مجتمعين على مالك وقد أخرج الموطأ وكان أول خروجه. وحدث محمد بن عبدالحكم قال سمعت محمد بن أبي السري العسقلاني يقول رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت يارسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ إني قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يارسول الله صلى الله عليك حدثني بعلم أحدث به عنك فقال إني قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يارسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ ياابن السري إني قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ألا وهو الموطأ ألا وليس بعد كتاب الله ولاسنتي في اجماع المسلمين حديث أصح من الموطأ فاسمعه تنتفع به. قال عمر بن أبي سلمة ما قرأت كتاب الجامع من موطإ مالك الا أتاني آت في المنام فقال لي هذا كلام رسول الله ﷺ حقا قيل إن مالكا رضي الله لما أراد أن يؤلف كتابه بقي متفكرا في أي شيء يسمي به تأليفه قال فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال وطئ للناس هذا العلم فسمى كتابه الموطأ. قال عبدالله بن المبارك كنا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما تفرق الناس عنه قلت له ياأبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ وقال مصعب بن عبدالله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له في ذلك؟ فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم ما ترون وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل ويقول أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ﴿فوائد: الأولى﴾ قال عتيق بن يعقوب الزبيري قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه إليه البرمكي وقال له اقرأه السلام وقل له يحمل إليّ الكتاب فيقرأه عليّ فأتاه البرمكي فأخبره فقال له اقرأه السلام وقل له إن العلم يزار ولايزور وإن العلم يؤتى ولا يأتي فأتاه البرمكي فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضي فقال ياأمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك بن أنس في أمر فخالفك اعزم عليه فبيناهم كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلم وجلس فقال له الرشيد ياابن أبي عامر أبعث إليك فتخالفني فقال ياأمير المؤمنين أخبرني الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال «كنت أكتب الوحي بين يدي النبي ﷺ فكتبت «لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون» وكان ابن أم مكتوم عند النبي ﷺ فقال يارسول الله إني رجل ضرير وقد أنزل الله تعالى في فضل الجهاد ماقد علمت فقال النبي ﷺ لاأدري وقلمي رطب ماجف حتى ثقل فخذ النبي ﷺ عليّ ثم أغمي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جلس رسول الله ﷺ فقال يازيد! اكتب «غير أولي الضرر» ياأمير المؤمنين حرف واحد تعب فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسة آلاف عام ألا ينبغي لي أن أعزه وأجله وإن الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع فلا تكن أنت أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك قال فقام الرشيد فمشى مع مالك إلى منزله يسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لمالك تقرؤه علي قال ياأمير المؤمنين ماقرأته على أحد منذ زمان قال فيخرج الناس حتى أقرأه أنا عليك فقال إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن ابن عيسى القزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضي الله عنه لهرون الرشيد ياأمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وأنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه اهـ من الروض الفائق

سكينة بنت الحسين اسمها أميمة وقيل أمينة وقيل آمنة قدمت دمشق مع أهلها ثم خرجت إلى المدينة ويقال عادت بدمشق وأن قبرها بها والصحيح وقول الأكثرين أنها توفيت بالمدينة اهـ ودفع التعقب المتقدم بما ذكره السيوطي في رسالته الزينبية أن أولاد علي تسعة وثلاثون الذكور أحد وعشرون والإناث ثمانية عشرة وهذا يقدح في حصر صاحب الفصول المهمة لهم في سبعة وعشرين فتكون سكينة ممن أهمله ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ويمكن الجمع بين مامر وما في المتن بدفن كلتيهما في ذلك المحل لكن يزيف هذا الجمع قول النووي الصحيح وقول الأكثرين أن سكينة بنت الحسين توفيت بالمدينة واحتمال نقلها بعيد، والله أعلم.

﴿ وأما السيدة نفيسة ﴾ فهي بنت حسن بن زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب قاله الذهبي وهو المشهور بمصر وقال جمهور النسابين هي بنت زيد بن الحسن بن علي ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة والزهد تصوم النهار وتقوم الليل وكانت ذات مال فكانت تحسن إلى الزمنى والمرضى وعموم الناس، ولما ورد الشافعي مصر كانت تحسن إليه وربما

[الثانية منه أيضا] قال كان مالك رضى الله عنه فى تعظيم علم الدين مبالغا حتى إذا أراد أن يحدث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يكون تعظيم العلم فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار فى قلوب الملوك ومن دونهم فيا أيها الطالب للعلم تواضع له فمن تواضع له تواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله فان التراب لما ذل لأخمص القدمين صار طهورا للوجه كما قال تعالى فامسحوا بوجوهكم يا هذا دم على حضور مجالس العلم فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع فاذا صار رجلا صبر على الفطام . واعلم أن طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها مخنث العزم .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
أأغرســه عزا وأجنيــه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

[الثالثة] سأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له اشتر لك بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له ينبغى لك أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حملك الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اختلاف أمتى رحمة» وأما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» وقال «المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد» وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعنى أنك انما كلفتنى مفارقة المدينة بما اصطنعته لدىّ من أخذ هذه الدنانير فالآن خذها فانى لا أوثر الدنيا وما فيها على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم [الرابعة] سئل رضى الله عنه عن معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فعرق وأطرق وصار ينكت بعود فى يده ثم رفع رأسه وقال الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج كذا فى طبقات الشعرانى [الخامسة] سعى بالامام مالك رضى الله عنه إلى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عم المنصور وقالوا إنه لا يرى الإيمان ببيعتكم هذه بشىء لان يمين المكره ليست لازمة فغضب ودعابه وجرده وضربه بالسوط ومدت يده حتى خلعت كتفه وارتكب منه أمرا عظيما فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علاء ورفعة [السادسة] قال القعنبى دخلت على مالك فى مرضه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما الذى يبكيك ؟ فقال يا ابن قعنب ومالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى والله لوددت أنى ضربت بكل مسئلة أفتيت فيها برأيى بسوط سوطا وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت اليه وليتنى لم أفت بالرأى كذا فى تتمة المختصر (قيل) لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكره فى البلاد حملت إليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه وأصحابه يفرقونها فى وجه البر موافقة لفعله وما كان يدخرها وكان يقول ليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب منه . وقال رضى الله عنه ما كان رجل صادقا فى حديثه لا يكذب إلا متعه الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولا خرف . وعن الدراوردى رحمه الله قال رأيت فى المنام أنى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يعظ الناس إذ دخل مالك فلما رآه النبى ﷺ قال إلىّ إلىّ فأقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله ﷺ خاتمه من أصبعه ووضعه فى خنصر

صلى بها فى رمضان وتزوجت إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق فولدت منه القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا ثم قدمت مصر وبها بنت عمها السيدة سكينة ولها بها الشهرة التامة بالولاية فجعلت عليها الشهرة واختفت فصار للسيدة نفيسة القبول التام بين الخاص والعام وماتت بمصر فى رمضان سنة ثمان ومائتين احتضرت وهى صائمة فألزموها الفطر فقالت واعجباه لى منذ ثلاثين سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة وأفطر الآن هذا لا يكون ثم قرأت سورة الأنعام فلما وصلت قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم ماتت وكانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلى فقرأت فيه ستة آلاف ختمة فلما ماتت اجتمع الناس من القرى والبلدان وأوقدوا الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف والحزن عليها وصلى عليها فى مشهد حافل لم ير مثله بحيث امتلأت الفلوات والقيعان ثم دفنت فى قبرها الذى حفرته فى بيتها بدرب السباع بالمراغة

مالك رضى الله عنه فأولته العلم قد وضعه النبى ﷺ اليه وكانت العلماء تقتدى بعلمه والأمراء تستضىء برأيه والعامة منقادة إلى قوله فكان يأمر فيمتثل أمره بغير سلطان ويقول فلا يسئل عن دليل على قوله ويأتى بالجواب فما يجسر أحد على مراجعته ولذلك قال فيه بعض محبيه :

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة   والسائلون نواكس الأذقان
لبس الوقاروعز سلطان التقى   فهو المطاع وليس ذا سلطان

(وعن الشافعى) رضى الله عنه قال رأيت على باب مالك دواب من أفراس خراسان جاءته هدية وقيل من مصر مارأيت أحسن منها فقلت له ماأحسن هذه فقال هى هدية منى إليك فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انى لأستحى من الله أن أطأ تربة فيها نبى الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة . وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يقول مالك رحمة لهذه الأمة . وقال أبو قدامة مالك أحفظ أهل زمانه . وقال أبو عبد الله النتاب حفظ مالك مائة ألف حديث . وقال الليث بن سعد والله ماعلى وجه الأرض أحب الىّ من مالك . وقال اللهم زد من عمرى فى عمره وكان الأوزاعى يعظم مالكا وإذا ذكره يقول قال عالم العلماء قال عالم المدينة قال مفتى الحرمين وقال المثنى بن سعيد القصير سمعت مالكا يقول مابت ليلة إلا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيها ﴿ تتمة ﴾ توفى الامام مالك رضى الله عنه لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومرض يوم الأحد ومات يوم الأحد وعاش تسعين سنة وأوصى أن يكفن فى بعض ثيابه ويصلى عليه فى موضع الجنائز فصلى عليه أكثر الناس منهم ابن عياش وهاشم وابن كنانة وشعبة بن داود وكاتبه حبيب وابنه ونزل فى قبره جماعة من الأكابر وفى طبقات الشعرانى ومكث رضى الله عنه خمسا وعشرين سنة لم يشهد الجماعة فقيل له مايمنعك من الخروج فقال مخالفة أن أرى منكرا أحتاج أن أغيره قال وإنما سومح فى ذلك لأنه مجتهد ولو فعل ذلك غيره لايقر عليه والله أعلم اه (قال) ابن القاسم كنا عند مالك فى مرضه الذى مات فيه فدخل ابن الدراوردى فقال ياأبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها منى فقال قل قال رأيت رجلا ينزل من السماء عليه ثياب بيض وبيده سجل ينشره مابين السماء والأرض ثلاث مرات يقول هذه براءة لمالك من النار فبينا أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير فقال ياأباعبد الله إن موذن مسجد المدينة رأى البارحة رؤيا فسمعتها منه فقص عليه مثل ذلك فقال مالك الله المستعان ماشاء الله كان . وعن أبى زكريا قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة رؤيا قلت وماهى؟ قالت رأيت قائلا يقول مات الليلة أعلم أهل الأرض فحسبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذى مات فيه مالك . ورأى بعض الصالحين مالكا بعد موته فى المنام فقال له مافعل الله بك؟ قال غفر لى قال بماذا ؟ قال بكلمة سمعتها عن عثمان انه كان إذا رأى ميتا قال الله لااله إلا هو الحى القيوم سبحان الحى الذى لايموت فأدمت قولها فأدخلنى الله الجنة . وعن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت بشر بن بكر يقول رأيت الأوزاعى فى النام مع جماعة من العلماء فى الجنة فقلت له أين مالك ؟ فقيل رفع قلت بماذا ؟ قال بصدقه اه من الروض الفائق .

﴿ فصل : فى ذكر مناقب إمامنا الشافعى رضى الله عنه ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المطلبى وإنما نسب لشافع لأنه صحابى ابن صحابى وللتفاؤل بالشفاعة وهو جده الثالث ، إذ هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يجتمع مع النبى ﷺ

محل معروف بينه وبين مشهدها الذى يزار الآن مسافة ثم فى هذا المكان الذى يزار الآن لأن حكم الحال فى البرزخ حكم إنسان تدلى فى تيار جار فيطفو بعد ذلك فى مكان آخر فهى طفت فى هذا الوضع الذى هى فيه الآن خاطها منه بعض الأولياء وخاطها بعضهم من الأول أيضا . قال الشعرانى وقد دخلت أنا لها مرة فوقفت على باب مشهدها الأول أدبا ودخل أصحابى إلى قبرها فلما نمت جاءتنى وعلى رأسها مئزر صوف أبيض وقالت لى أنا نفيسة فإذا جئت للزيارة فادخل إلى قبرى فقد أذنت لك فمن ذلك اليوم أدخل لزيارتها وأجلس تجاه قبرها ، ولها كرامات كثيرة : منها أن النيل توقف فى أوان الوفاء فضج الناس وأتوها فأعطتهم قناعها وقالت اطرحوه فيه ففعلوا فأوفى من ساعته . ومنها أن أمتها جوهرة خرجت ليلة ذات مطر كثير لتأتيها بماء للوضوء فخاضت ماء المطر ولم يبتل قدمها . ومنها أنها لما قدمت مصر نزلت جوار بيت يهودى له ابنة مقعدة فذهبوا إلى الحمام وتركوها

في عبد مناف ، وهو الثالث من أجداد النبي ﷺ والتاسع من أجداد الشافعي رضي الله عنه .
﴿ تنبيه ﴾ لايخفى أن هاشما الذي في نسب الإمام غير هاشم الذي في نسبه صلى الله عليه وسلم لأن الثاني عم الأول وأن الشافعي مطلبي من جهة أبيه وهاشمي من جهة أمهات أجداده وأزدي من جهة أمه ، وقيل أمه فاطمة بنت عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاحفظه فانه وهم جماعة من المتأخرين من أرباب الحواشي فخبطوا خبط عشواء وركبوا متن عمياء ، وقد نقل عن الحاكم أبي عبدالله وأبي بكر البيهقي والخطيب البغدادي أنهم ذكروا أن الشافعي ولده هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ ثلاث مرات وذلك لأن أم السائب هي الشفا بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف وأم الشفا هي خليدة بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة وكسر اللام وسكون المثناة التحتية ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف وأم عبد يزيد هي الشفا بنت هاشم بن عبد مناف تزوجها هاشم فولدت له عبد يزيد فالشافعي ابن عم رسول ﷺ وابن عمته . ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه بغزة سنة خمسين ومائة في رجب وقيل في شعبان يوم توفي أبو حنيفة وعن الذهبي لم يثبت اليوم وقيل بعسقلان وقيل باليمن والأول أصح ونشأ بمكة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر وتفقه على مسلم ابن خالد الزنجي مفتي مكة وأذن له في الافتاء أي الاجتهاد وهو ابن خمس عشرة سنة كذا فسر الإفتاء شيخ المشايخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم الغزي وهو ما يرشد إليه استنباطه الحكم من الحديث بعدم وقوع الطلاق على الرجل الذي باع القمري كما سيأتي في الفائدة وكان سنه رضي الله عنه إذ ذاك أربع عشرة سنة وأذن مالك رضي الله عنه له بالافتاء حينئذ ثم لازم مالكا بالمدينة وقدم بغداد فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه وصنف فيها مذهبه القديم ثم عاد إلى مكة ثم خرج إلى بغداد فأقام بها شهرا ثم خرج إلى مصر وصنف فيها مذهبه الجديد بجامع عمرو ثم لم يزل ناشر العلم مشتغلا به ، وكان الشافعي رضي الله عنه يقسم الليل أثلاثا ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم [صفته] كان رضي الله عنه طويلا سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانئة حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيبا فصيحا من أذرب الناس لسانا إذا أخرج لسانه بلغ أنفه وكان مسقاما ممنوّا بالبواسير كذا وصفه ابن الصلاح . وعن الربيع قال كان الإمام الشافعي رحمه الله يختم القرآن في كل يوم مرة ، وعن الربيع أيضا كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة في الصلاة . وقال الحسن الكرابيسي بت مع الإمام الشافعي رضي الله عنه غير مرة فرأيته يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة وكان لايمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الانابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين . قال الحميدي كان الشافعي يختم كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة وكان يقول رضي الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وكان رضي الله عنه يقول ماحلفت بالله في عمري لا كاذبا ولاصادقا . وسئل رضي الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له لم لاتجيب ؟ فقال حتى أعلم الفضل في سكوتي أو في جوابي . قال الشافعي رضي الله عنه لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسئلة وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف وكنت فقيرا بحيث لا أملك أن أشتري القراطيس فكنت آخذ العظم

وأكتب

عندها فأخذت من فضل وضوئها وجعلته على مكان وجعها فقامت تمشي كأنما نشطت من عقال فلما شاهدوا هذه الكرامة أسلموا كلهم ، وقبرها معروف باجابة الدعاء وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني رأيت في كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد إذا كان لك إلى الله تعالى حاجة فانذر لنفيسة الطاهرة ولو بدرهم يقض الله حاجتك ، وكان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يزورها ويتردد إليها ، ولما مات أمر أمير مصر أن يمروا به على بابها فمروا عليها فصلت عليه مأمومة في جماعة من النساء كذا في طبقات المناوي وفي حسن المحاضرة أنها هي التي أمرت أن يدخل إليها ، وأراد زوجها نقلها بعد موتها إلى المدينة ودفنها في البقيع فسأله أهل مصر في تركها عندهم للتبرك وبذلوا له مالا كثيرا فلم يرض فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا إسحاق لاتعارض أهل مصر في نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها فخرج بولديها وسافر إلى المدينة وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف جدد رحابها ورونقه

وأكتب فيه (وفى تاريخ ابن الوردى) أخذ الشافعى العلم عن مالك ومسلم بن خالد الزنجى وسفيان بن عيينة وسمع الحديث من اسمعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ومحمد ابن الحسن الشيبانى وغيرهم، وناظره محمد بن الحسن بالرقة فقطعه الشافعى وكان الشافعى حافظا للشعر قرأ عليه الأصمعى ديوان الهذليين وديوان الشنفرى بمكة وقدم بغداد مرتين وناظر بشرا المريسى بها وكان بشر معتزليا وناظر حفصا الفرد بمصر قال حفص القرآن مخلوق واستدل فتجاريا حتى كفره الشافعى وقال انما خلق الله الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقا خلق بمخلوق اه. قال المزنى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم جاء الشافعى إلى مالك رضى الله عنهما فقال له أريد أن أسمع منك الموطأ فقال مالك امض إلى حبيب كاتبى فانه يقول قرأته فقال له الشافعى تسمع منى رضى الله عنك صفحا فان استحسنت قراءتى قرأته عليك وإلا تركتك فقال له اقرأ فقرأ صفحا ثم وقف فقال له مالك هيه فقرأ صفحا ثم سكت فقال له الإمام هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع ثم أتاه بعد ذلك فقال له مالك اطلب من يقرأ لك فقال له الشافعى أحب أن تسمع قراءتى فان خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لى فقال اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك ثم قال اقرأ فقرأت عليه الموطأ من أوله إلى آخره حفظا فدعالى وسر بذلك وكان حفظ الشافعى رضى الله عنه للموطأ فى تسع ليال كذا نقله بعضهم وقيل فى ثلاث. روى الحميدى أن الشافعى رضى الله عنه خرج إلى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها، وخرج يوماً من الحمام وقد أتى بمال كثير فدفعه للحمامى وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه إليه إنسان فأعطاه خمسين دينارا وروى عنه أنه خاط قميصا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره تهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقا لا تخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس عدل فلما جاء الشافعى رأى كمه ضيقاً جداً والآخر متسعاً جداً فقال جزاك الله خيرا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعى بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال له ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته فى تفصيله فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الإمام الشافعى فتبعه وقبل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه. قال الربيع تزوّجت فسألنى الشافعى كم أصدقتها؟ فقلت ثلاثين دينارا قال كم أعطيتها قلت ستة دنانير فأرسل إلىّ بصرة فيها أربعة وعشرون دينارا وجعل لى معلوما على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين كذا فى الروض الفائق ومن كلام الشافعى رضى الله عنه فى الكرم كما فى شرح لامية العجم لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وكتاب المناقب للرازى :

يالهف نفسى على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ... ماليس عندى لمن إحدى المصيبات

ومن كلامه أيضا رضى الله عنه كما فى الشرح المذكور :

علىّ ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وماضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضبا حيث وجهته برى

ومن كلامه رضى الله عنه ما أورده الدميرى فى حياة الحيوان والرازى فى المناقب :

حضرة المشار إليه أدام الله نعمه عليه.

﴿وأما السيد حسن والد السيدة نفيسة﴾ ففى طبقات المناوى نقلا عن الذهبى أنه كان من أعيان العلويين وأشرافهم وأنه ولى المدينة للمنصور خمس سنين ثم حبسه حتى مات المنصور فأخرجه المهدى وأكرمه ولم يزل معه حتى مات فى طريق الحج، وفى حسن المحاضرة أن له رواية فى سنن النسائى وقال الشعرانى فى مننه أخبرنى سيدى على الخواص أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريبا من جامع القراء بين مجراة القلعة وجامع عمرو وقد أشهر هذه التربة وبنى عليها قبة جليلة حضرة المشار إليه أسبل الله سرادقات لطفه عليه.

﴿وأما السيد محمد الأنور﴾ فهو ابن زيد بن الحسن ابن على بن أبى طالب فهو عم السيدة نفيسة على ما مر عن الذهبى قال الشعرانى فى مننه أخبرنى سيدى على الخواص أن الإمام محمد الأنور عم السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع ابن طولون مما يلى دار الخليفة فى الزاوية التى هناك ينزل لها بدرج اه وهذه كانت الصفة قديما.

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي … ولا أنثر الدر النفيس على الغنم

فإن يسر الله الكريم بفضله … وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثثت مفيدا واستفدت ودادهم … وإلا فمخزون لديّ ومكتتم

فمن منح الجهال علما أضاعه … ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ومن كلامه رضي الله عنه :

إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي … ألذ وأشهى من غويّ أعاشره

وأجلس وحدي للسفاهة آمنا … أقر لعيني من جليس أحاذره

ومن كلامه رضي الله عنه :

زن من وزنك بما اتزنك وما وزنك به فزنه … من جا إليك فرح إليه ومن جفاك فصد عنه

من ظن أنك دونه فاترك هواه إذا وهنه … وارجع إلى رب العبا د فكل ما يأتيك منه

ومن كلامه رضي الله عنه :

أكل العقاب بقوة جيف الفلا … وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف

ومن كلامه رضي الله عنه :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت … فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى … تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

وقد علموا لو ينفع العلم عندهم … لئن مت ما الداعي علي بمخلد

ومن كلامه رضي الله عنه :

كل العداوات قد ترجى مودتها … إلا عداوة من عاداك عن حسد

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه :

أمت مطامعي فأرحت نفسي … فإن النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكان ميتا … ففي إحيائه عرضي مصون

إذا طمع يحل بقلب عبد … علته مهانة وعلاه هون

ومن كلامه أيضا : ما حك جلدك مثل ظفرك … فتول أنت جميع أمرك

وإذا قصدت لحاجة … فاقصد لمعترف بقدرك

ومن كلامه رضي الله عنه :

يامن يعانق دنيا لابقاء لها … يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت لذي الدنيا معانقة … حتى تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها … فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وله رضي الله عنه كلام كثير في النظم والنثر أفرد بالتأليف ، وحسبك قوله رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يزري … لكنت اليوم أشعر من لبيد

وأشجع في الوغى من كل ليث … وآل مهلب وأبي يزيد

ولولا خشية الرحمن ربي … حسبت الناس كلهم عبيدي

قال الشعراني في المنن يعني بالناس أبناء الدنيا الذين يحبونها بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبدي فقال ولم ذلك ؟ فقال لأنك عبد الدنيا والدنيا خادمة لي اهـ .

وأما الآن فقد بدل تلك الزاوية بمسجد مرتفع ورونق مقام ذلك الإمام حضرة المشار إليه بلغه الله ما يرتجيه لديه. هذا والمنقول عن النسابين عدم ذكر محمد هذا في أولاد زيد بن الحسن والله أعلم .

﴿ وأما السيد علي زين العابدين ﴾

فهو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب تقدم أنه الذي له العقب من أولاد الحسين ولد بالمدينة يوم الخميس لخمس ليال مضت من شعبان سنة ثمان وثلاثين في أيام خلافة جده علي كرم الله وجهه أشهر كناه أبو الحسن وأشهر ألقابه زين العابدين وأمه إحدى بنات كسرى قال في السيرة الحلبية لما جيء ببنات كسرى وكنّ ثلاثا مع أمواله وذخائره إلى عمر وقفن بين يديه وأمر المنادي أن ينادي عليهن وأن يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره فغضب عمر رضي الله تعالى عنه وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له علي كرم الله وجهه مهلا يا أمير المؤمنين فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن

(ومن كلامه المنثور) من لايحب العلم لاخير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولاصداقة ، فإنه حياة القلوب ومصباح البصائر ، ومن كلامه رضى الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، وقال رضى الله عنه : أظلم الظالمين لنفسه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوى الفضل ، وكان رضى الله عنه يقول : وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إلىّ منه شىء ، وقال أيضا : مانظرت أحدا قط إلاأحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وما ناظرنى أحد قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالى أن يبين الله عز وجل الحق على لسانى أوعلى لسانه ، وقال أيضا : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته [لطيفة] حكى عن الشافعى أنه قال كان لرجل ابن أبله فبعثه يوما ليشترى حبلا طوله ثلاثون ذراعا فقال فى عرض كم ؟ فقال فى عرض مصيبتى فيك ﴿فوائد : الأولى﴾ كان الإمام الشافعى رضى الله عنه جالسا بين يدى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنهم فجاء رجل فقال لمالك إنى رجل أبيع القمارى وإنى بعت فى يومى هذا قمريا فرده علىّ المشترى وقال قمريك لايصيح فحلفت بالطلاق إنه لايهدأ من الصياح فقال له الإمام مالك طلقت زوجتك ولاسبيل لك عليها وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة فقال لذلك الرجل أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته فقال بل صياحه فقال لاطلاق عليك فعلم بذلك الإمام مالك فقال للشافعى ياغلام من أين لك هذا ؟ فقال لأنك حدثتنى عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة «أن فاطمة بنت قيس قالت يارسول الله إن أباجهم ومعاوية خطبانى فقال صلى الله عليه وسلم أمامعاوية فصعلوك لامال له وأما أبو جهم فلايضع عصاه عن عاتقه » وقد علم رسول الله ﷺ أن أباجهم كان يأكل وينام ويستريح وقد قال صلى الله عليه وسلم لايضع عصاه على المجاز والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ولما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائما فتعجب الإمام مالك من احتجاجه وقال له أفت فقد آن لك أن تفتى فأفتى من ذلك السن كذا فى حياة الحيوان [الثانية] أن محمد بن الحسن وأبا يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحبى أبى حنيفة رضى الله عنهم امتحنا الشافعى محمد بن إدريس رضى الله عنه صاحب الترجمة بحضرة الرشيد فقالا ماتقول فى رجلين خطبا امرأة فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر وليست بمحرمه ؟ فقال إن أحد الرجلين كان له أربع نسوة فحرمت عليه الخامسة ، فقالا ماتقول فى رجلين شربا خمرا فوجب على أحدهما الحد ولم يجب على الآخر وكانا مسلمين ؟ فقال إن أحدهما كان حرا بالغا فوجب عليه الحد والآخر كان صبيا لم يبلغ الحلم ، قالا فماتقول فى خمسة زنوا فوجب على أحدهم القتل وعلى الآخر الرجم وعلى الثالث الحد وعلى الرابع نصف الحد والخامس لم يجب عليه شىء فقال أما الأول فمشرك زنى بمسلمة فوجب عليه القتل وأما الثانى فمحصن زنى فوجب عليه الرجم وأما الثالث فبكر زنى فوجب عليه الحد وأما الرابع فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد وأما الخامس فصبى أومجنون ، قالا فما تقول فى رجل أخذ قدحا فيه ماء فشرب بعضه حلالا وحرم عليه الباقى ؟ فقال إنه لما شرب بعضه رعف فى باقيه فحرم عليه ، قالا فما تقول فى رجل دفع لزوجته كيسا مختوما وقال لها أنت طالق إن لم تفرغيه ولا تفتحيه ولا تقطعيه ولا تفتقيه فأفرغته على ذلك الحكم ؟ قال إن الكيس كان مملوءا سكرا أوملحا فوضعته فى الماء فذاب وتفرغ ، قالا فماتقول فى جماعة صلحاء سجدوا لغيرالله تعالى وهم فى فعلهم مطيعون؟ قال إنهم الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام ، قالا فماتقول فى رجل صلى بقوم فسلم عن يمينه فطلقت زوجته وسلم

يقول «ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر» فسكن غضبه فقال له على إن بنات الملوك لايعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق إلى العمل معهن؟ فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن وأخذهن على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن أبى بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده على زين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وورعا وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسرى فلما نشأ هؤلاء الثلاثة منهن رغبوا فيه اهـ . روى على زين العابدين عن أبيه وعائشة وأبى هريرة وغيرهم وعنه بنوه والزهرى وأبو الزناد وغيرهم قال الزهرى وابن عيينة ما رأينا قرشيا أفضل منه وقال ابن المسيب مارأيت أورع منه وقد جاء عنه من خشوعه فى وضوئه وصلاته ونسكه مايدهش السامع وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة حتى مات ولقب بزين العابدين لكثرة

عن يساره فبطلت صلاته ونظر إلى السماء فوجب عليه ألف درهم ؟ قال هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر إلى رجل كان تزوج امرأته بالغيبة ولم يدخل بها قد قدم من السفر فوجب عليه طلاقها ثم سلم عن يساره فرأى فى ثوبه دما كثيرا فوجب عليه إعادة الصلاة ثم نظر إلى السماء فرأى الهلال وكان عليه ألف درهم فى الشهر فوجبت عليه ، قالا فما تقول فى رجل لقى جارية فقبلها وقال فديت من أبى جدها وأخى عمها وأنا زوج أمها ؟ قال هى ابنته ، قالا فما تقول فى امرأة لقيت غلاما فقبلته وقالت فديت من أمى ولدت أمه وأخو زوجى عمه وأبوه ابن حماتى وأنا امرأة أبيه ؟ قال هى أمه ؟ فلما فرغ من مسائلهما أقبل الشافعى على محمد بن الحسن وقال : ماتقول فى رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فجاءت الأم والبنت بولدين ما يكون هذا الولد من ذلك وذلك من هذا؟ فسكت محمد بن الحسن فقال الرشيد للشافعى فسر لنا هذه فقال يا أمير المؤمنين ابن الأم خال لابن البنت وابن البنت عم لابن الأم فأعجب الرشيد ذلك ، ثم أقبل الشافعى على أبى يوسف وقال ماتقول فى رجل مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد افرض لنا هذه القسمة ، فسكت أبو يوسف فقال الرشيد للشافعى بحياتى فسر لنا الأخرى فقال يا أمير المؤمنين هذا شخص مات وخلف ستمائة درهم وترك ابنتين أصابهما الثلثان وهما أربعمائة درهم وخلف والدته أصابها السدس وهو مائة درهم وخلف زوجته أصابها الثمن وهو خمس وسبعون درهما وله اثنا عشر أخا لكل واحد منهم درهمان ففضل للأخت درهم اهـ من الكنز المدفون ومثله فى كتاب المناقب للرازى وهى فائدة جمعت فوائد [الثالثة] كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعى رضى الله عنهما ويذكره كثيرا ويثنى عليه وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين الأخيار وتود أن ترى الشافعى لتعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت ففرحت البنت بذلك طمعا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله ، فلما كان الليل قام الإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره والإمام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره والبنت ترقبه إلى الفجر فقالت لأبيها رأيتك تعظم الشافعى وما رأيت له فى هذه الليلة لاصلاة ولا ذكرا ولاوردا ، فبينما هم فى الحديث إذ قام الشافعى فقال له أحمد كيف كانت ليلتك ؟ فقال مارأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك منها ولا أربح فقال كيف ذلك ؟ قال لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسئلة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ثم ودعه ومضى فقال أحمد بن حنبل لابنته هذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم اهـ من الروض الفائق [الرابعة] روى سويد بن سعيد رحمه الله قال كان الشافعى جالسا بعد صلاة الصبح فى مدينة النبى ﷺ إذ دخل عليه رجل فقال له إنى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وايس لى عمل غير التوحيد فقال له الإمام الشافعى رضى الله عنه يامؤمن لو أراد الله عز وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه حيث يقول « ومن يغفر الذنوب إلا الله » ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك ثم أنشد :

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا	وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه	وأتاح من نعم عليك مزيدا
لاتيأسن من لطف ربك فى الحشى	فى بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا	ما كان ألهم قلبك التوحيدا

فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح بكلامه رضى الله عنه كذا فى الروض الفائق [الخامسة] روى

عبد الله

عبادته وحسنها كان شديد الخوف من الله تعالى بحيث إنه إذا توضأ اصفر لونه وارتعد فيقال له ماهذا فيقول أتدرون بين يدى من أقوم وكان إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه ، ووقع حريق فى بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له النار فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له أشعرت ؟ قال ألهتنى عنها النار الكبرى وكان إذا نقصه أحد قال اللهم إن كان صادقا فاغفر لى وإن كان كاذبا فاغفر له وكان يضرب به المثل فى الحلم وله فيه حكايات عجيبة منها أنه خرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ وأفرط فبادر إليه العبيد والموالى فكفهم وأقبل عليه وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم فقال أشهد إنك من أولاد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولقيه رجل فسبه فقال له ياهذا بينى وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالى بما قلت وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول ألك حاجة فخجل الرجل وكان لا يعينه على طهوره أحد ولا يدع

عبد الله بن مروان قال : كنت أجلس فى حلقة العلم عند الإمام الشافعى رضى الله عنه وأكتب ماأفهمه منه فأتيته سحرا فوجدته فى المسجد وهو قائم يصلى فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظتها منه فكان من جملة ذلك اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل مايقربنا اليك مقرونا بعوافى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين . قال فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد :

بموقف ذلى دون عزتك العظمى ... بمخفى سر لا أحيط به علما

باطراق رأسى باعترافى بذلتى ... بمد يدى أستمطر الجود والرحما

بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها ... لعزتها يستغرق النثر والنظما

بعهد قديم من ألست بربكم ... بمن كان مجهولا فعلمته الأسما

أذقنا شراب الأنس يامن إذا سقى ... محبا شرابا لايضام ولا يظما

ومن جملة دعائه رضى الله عنه : اللهم انى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلا طارقا يطرق بخير . اللهم أنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك ، أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى ، ذكرك شعارى وثناؤك دثارى ، لااله إلاأنت تنزيها لأسمائك وتكريما لسبحات وجهك أجرنى من خزيك ومن شر عبادك وقنى سيئات مكرك واضرب على سرادقات حفظك وأدخلنى فى حفظ عنايتك ياأرحم الراحمين كذا فى الروض الفائق . وفيه أيضا قرأ عليه بعضهم يوما قوله تعالى «هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون» فتغير لونه واقشعر جلده واضطربت مفاصله وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بك من مقام الكذابين وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبتك نفوس المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عنى فى تقصيرى بكرمك . وهذه الفائدة قد احتوت على فوائد . [السادسة] قال عبد الله بن محمد البكرى : كنت مع الامام الشافعى رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شابا يتوضأ ولا يحسن الوضوء فقال له ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة ثم مضى فأسرع الشاب فى وضوئه ثم لحق الامام الشافعى ولم يعرفه فالتفت اليه الامام وقال له هل لك من حاجة ؟ قال نعم تعلمنى مما علمك الله فقال له اعلم أن من عرف الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا أفلا أزيدك ؟ قال نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله تعالى قال أفلا أزيدك ؟ قال بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ، ثم مضى فسأل عنه الشاب بعد ذلك فقيل له هذا الامام الشافعى رضى الله عنه كذا فى الروض الفائق . قال الربيع رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : رأيت وأنا فى اليمن كأنى جالس فى فضاء الطواف إذ أقبل على ابن أبى طالب رضى الله عنه فقمت اليه مسرعا وسلمت عليه وصافحته فعانقنى ونزع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبعى فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر فقال لى أبشر يا أبا عبد الله ، أما رؤيتك لعلى بن أبى طالب فى المسجد الحرام فهو النجاة من النار ، وأما مصافحتك اياه فهو الأمان يوم

قيام الليل حضرا ولاسفرا وقرب إليه طهوره مرة فى وقت ورده فوضع يده فى الإناء ليتوضأ ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء والقمر والكواكب فجعل يفكر فى خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده فى الإناء فلم يشعر ، وللمامات وجدوه يقوت أهل مائة بيت ودخل عليه فى مرض موته محمد ابن أسامة بن زيد فبكى فقال ما يبكيك ؟ قال على دين خمسة عشر ألف دينار فقال هى على ووفاها . ومن كراماته أن زيدا ابنه استشاره فى الخروج فنهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لايخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيانى إلا قتل مكانه فكان كما قال . ومنها أن عبد الملك ابن مروان حمله من المدينة مقيدا مغلولا فى أثقل قيود وأغلال فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى وقال وددت أنى فى مكانك فقال أتظن أن ذلك يكربنى لو شئت لما كان وإنه ليذكرنى عذاب الله ثم أخرج يديه ورجليه من القيد ثم أعادها . ومن كلامه : إذا نصح العبد لله فى سره أطلعه الله على مساوى عمله فتشاغل

الحساب ، وأما جعله الخاتم فى أصبعك فسيبلغ اسمك فى الدنيا مابلغ اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى وقال له ابنه ياأبت أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال الامام أحمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافيــة للناس فانظر يابنى هل من هذين خلف ؟ قال صاحب الروض هكذا العلماء والصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس وليس منهما خلف فإن بهم يدفع الله البلاء وينزل الرخاء وتعم البركة وتنشر الرحمة فلله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأنتم تفرون من الله إلى الدنيا . قال الخطيب فى الإقناع وحمل حديث «عالم قريش يملأ طباق الأرض علما» على الشافعى وفى رواية « يملأ الأرض علما» وعن أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى قال قال أحمد بن حنبل إن الله تعالى يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفى عن رسول الله ﷺ الـكذب فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفى رأس المائتين الشافعى ، وكان أحمد بن حنبل يقول : ماعرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعى رضى الله عنهما .

﴿ تتمة : فى الـكلام على رحلته ووفاته وأولاده رضى الله عنه ﴾ قال الشيخ الإمام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الأردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشى سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضى الموسوى ابن اسمعيل بن على الحسينى المقرى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارسى فى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصرى الـكراز قال حدثنى أبو الفرج عبـد الرزاق حميدان البطين قال حدثنى أبو بكر محمد بن المنذر قال حدثنى الربيع بن سليمان قال سمعت الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لانبات بعارضى من الأبطح إلى ذى طوى وعلى بردتان يمانيتان فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب إلى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله إلا ما حضرت طعامنا قال الشافعى رضى الله عنــه وما كنت أعلم أنهم أحضروا طعاما فأجبت مسرعا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت كأخذهم كيلا يستبشع عليهم مأكلى والشيخ ينظر إلى ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه فأقبل على الشيخ وقال أمكى أنت؟ قلت مكى قال أقريشى أنت؟ قلت قريشى ثم أقبلت عليه وقلت ياعم بما استدللت على قال أما فى الحضر فبالزى وأما فى النسب فبأكل الطعام لأنه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه وذلك فى قريش خصوصا ، قال الشافعى رضى الله عنه فقلت للشيخ من أين أنت ؟ قال من يثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله تعالى والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيدى ابن أصبح مالك بن أنس رضى الله عنه قال الشافعى رضى الله عنه فقلت واشوقاه إلى مالك فقال لى قد بل الله شوقك انظر إلى هـذا البعير الأورق فإنه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل إلى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها إلى بعض وأركبونى البعير الأورق وأخذ القوم فى السير وأخذت أنا فى الدرس فختمت من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة فى اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر فى مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزرا ببردة متشحا بأخرى قال حدثنى نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر

بذنوبه عن معايب الناس . وقال تعد الأحبة غربة . وقال عبادة الأحــرار لاتكون إلا شكرا لله لاخوفا ولا رغبة . وقال إن قوما عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرين رغبة فتلك عبادة التجار وقوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار . وقال : عجبت للمتكبر الفجور الذى كان بالأمس نطفــة وسيكون جيفة وعجبت كل العجب لمن شك فى الله وهو يرى خلقه وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى وعجبت لمن عمــل لدار الفناء وترك دار البقاء . مات رضى الله عنه سنة أربع وتسعين عن ثمان وخمسين سنة ودفن بالبقيع فى القبر الذى فيه عمه الحسن بن على قاله غير واحد ، وقد اشتهر أن المشهد القريب من مجراة القلعة بقرب مصر القديمة مشهد زين العابدين وجرى عليه الشعرانى فى طبقاته وهذا على ثبوته لاينافى مامر من دفنه فى البقيع لجواز أن يكون ظهر بهـذا المشهد لما علمت سابقـا من أن الحـال فى البرزخ كالحال فى التيار لـكن الذى عليه كثير كالمنـاوى فى طبقاته والمقـريزى فى خططـه

وضرب بيده إلى قبر رسول الله ﷺ قال الشافعي رضى الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بى المجلس فأخذت عودا من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثا كتبته بريقى على يدى والإمام مالك رضى الله عنه ينظر إلى من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرنى مالك أن أنصرف فلم يرنى انصرفت فأشار إلى فدنوت منه فنظر إلى ساعة ثم قال أحرمى أنت ؟ قلت حرمى قال أمكى أنت؟ قلت مكى قال أقرشى أنت؟ قلت قرشى قال كملت أوصافك لكن فيك إساءة أدب قلت وما الذى رأيت من سوء أدبى ؟ قال رأيتك وأنا أملى ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ماتقول فجذب مالك يدى إليه فقال ما أرى عليها شيئا فقلت إن الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ماحدثت به منذ جلست وحفظته إلى حين قطعت ، فتعجب الإمام مالك من ذلك فقال أعد على ولو حديثا واحدا قال الشافعي رضى الله عنه فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدى إلى القبر كإشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك إليك وسألنى النهوض معه قال الشافعي رحمه الله فقمت غير ممتنع إلى مادعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلنى الغلام إلى خلوة فى الدار وقال لى القبلة فى البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء قال الشافعي رضى الله عنه فما لبث مالك رضى الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم الإمام على ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الإناء وأراد أن يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف قال الشافعي رضى الله عنه فاستحسنت ذلك من الإمام مالك رضى الله عنه وسألته عن شرحه فقال إنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه قال الشافعي رضى الله عنه فكشف الإمام رضى الله عنه الطبق فكان فيه صحفتان فى إحداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن إنما العذر على من أساء قال الشافعي رضى الله عنه فأقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عنى وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الأخير من الليل قرع على مالك الباب فقال لى الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل إناء فيه ماء فتبشع على ذلك فقال لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض قال الشافعي رضى الله عنه فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الإمام مالك فى مسجد رسول الله ﷺ والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رؤوس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالأمس وناولنى الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه قال الشافعي رضى الله عنه فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الأنس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ قال الشافعي فأمليت عليهم حفظا منهم عبد الله بن الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رضى الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرا فسألته عن اسمه فأخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق

والشريف ابن سعد أن الذى فى هذا المشهد رأس زيد بن على زين العابدين كما سيأتى .

﴿وأما السيد زيد﴾ فهو ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب فهو أخو محمد الباقر وعم جعفر الصادق وهو الذى ينسب إليه الزيدية طائفة من الشيعة لهم خروج عن الشريعة وسيدنا زيد برئ منهم كان إماما مجتهدا وكان ممن أخذ عن واصل بن عطاء الآخذ عن الحسن البصرى ولما أثبت واصل ابن عطاء المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن البصرى باعتزال مجلسه فقيل له معتزلى وصار يقال لأصحابه معتزلة ، ولا يلزم من كون شيخ زيد معتزليا أن يسلك مسلكه وكان يقال له زيد الأزياد وصلب زيد عريانا وأقام مصلوبا أربع سنين وقيل خمس سنين فنسجت على عورته العنكبوت فلم تر عورته ، وقيل إن بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الأمرين وكان عند صلبه وجهوه إلى غير القبلة فدارت خشبته التى صلب عليها إلى أن صار وجهه

فقلت أى العراق ؟ فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه فقال الشافعى رضى الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون؟ فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود إليها أو أرحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه قال الشافعى رضى الله عنه فلما أزمعت على السفر زودنى الإمام مالك رضى عنه فلما كان السحر سار معى مشيعا إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكترى وليس معك ولا معى شئ ؟ فقال لى انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء إذ قرع قارع على الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم فسألنى قبول هديته فقبلتها فدفع إلى صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى فأكترى لى بأربعة دنانير ودفع إلى باقى الدنانير وودعنى وانصرف وصرت فى جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع وعشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر فبينما أنا كذلك إذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت إليه ناصحا فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لى أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلى هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا على صلاتى قط وخرج معجبا ينفض رداءه فى وجهى فلقى للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما فى صلاتى من عيب ؟ فقالا اللهم لا قال ففى مسجدنا هذا من عاب صلاتى فقالا اذهب إليه فقل له بم تدخل الصلاة ؟ قال الشافعى رضى الله عنه فقال لى يا من عاب صلاتى بم تدخل فى الصلاة ؟ فقلت بفرضين وسنة فعاد إليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر فى العلم ، فقالا اذهب إليه فقل له ما الفرضان وما السنة ؟ فأتى إلى فقال ما الفرضان وما السنة ؟ فقلت له أما الفرض الأول فالنية والثانى تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد إليهما فأعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فنظرا إلى أظنهما ازدريانى فجلسا فى ناحية وقالا اذهب إليه وقل له أجب الشيخين قال الشافعى رضى الله تعالى عنه فلما أتانى علمت أنى مسئول عن شئ من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى إليه وماعلمت لى إليهما حاجة قال الشافعى رضى الله عنه فقاما من مجلسهما إلى فلما سلما على قمت إليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين يديهما فأقبل على محمد بن الحسن قال أحرمى أنت؟ فقلت نعم فقال أعربى أم مولى؟ فقلت عربى فقال من أى العرب؟ فقلت من ولد المطلب قال من ولد من؟ قلت من ولد شافع قال رأيت مالك (هكذا وقعت هذه اللفظة) قلت من عنده أتيت قال لى نظرت فى الوطأ ؟ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة فى الطهارة ومسئلة فى الزكاة ومسئلة فى البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب فى الفقه مسئلة وجعل بين كل مسئلتين بياضا ودفع إلى الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الوطأ قال الشافعى رضى الله عنه فأجبت بنص كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين فى المسائل كلها ثم دفعت إليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك قال الشافعى رضى الله عنه ثم سألنى النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال لى العبد إن سيدى أمرنى أن لا تصير إلى المنزل إلا راكبا قال الشافعى رضى الله عنه فقلت له قدم فقدم إلى بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها

رأيت

إلى القبلة ثم أحرقوا الخشبة زيد وجسده وأذرى رماده فى الريح على شاطئ الفرات ؛ وسبب ذلك أنه خرج على هشام بن عبد الملك وقد سمت نفسه للخلافة فحاربه يوسف ابن عمر الثقفى أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله أكثرهم فإنه قد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا إذن نرفضك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة من حينئذ وجاءت طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم فقاتلوا معه فسموا الزيدية والعجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مقاتلته رضى الله عنه أصابته جراحات وأصابه سهم فى جبينه وحال الليل فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره وأجروا عليه الماء

رأيت نفسى بأطمار رثة فطاف بى أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وماهم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا فى بكائى فقال لا يرعك ياعبدالله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبنى الله فيها بفرض وإنى أخرج زكاتها فى كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو قال الشافعى رضى الله عنه فما بت حتى كسانى محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج إلى الكتاب الأوسط تأليف الإمام أبى حنيفة فنظرت فى أوله وفى آخره ثم ابتدأت الكتاب فى ليلتى أتحفظه فما أصبحت إلا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لايعلم بشىء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب فى النوازل فأنا قاعد عن يمينه فى بعض الأيام إذ سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت له قد وهمت فى الجواب فى هذه المسئلة والجواب من قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية فى الكتاب الفلانى فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه إلى ماقلت ولم يخرج إلى كتابا بعد هذا قال الشافعى فاستأذنته فى الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عنى وبذل لى مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت ولا لذا أردت ولا رغبتى إلا فى السفر قال فأمر غلامه أن يأتى بما فى خزانته من بيضاء وحمراء فدفع إلى ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد الأعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن إحدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق فى خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى وقال لى ما اسمك فقلت محمد فقال ابن من ؟ قلت ابن إدريس الشافعى فقال مطلبى؟ فقلت أجل فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سبيلى فأويت إلى بعض المساجد أفكر فى عاقبة ما فعل حتى إذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا إلى فقالوا للناس لابأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الألفاظ ورد على الجواب ثم قال تزعم أنك من بنى المطلب فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال أبن لى عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة إلا فى رجل من ولد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ماأنا فيه وتنفذ فيهم حكمك وحكمى على ماجاء به الرسول عليه الصلاة السلام واجتمعت عليه الأمة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتنى أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشى بنعمتك هذه مافعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شىء (هكذا وردت هذه اللفظة) قلت يكون معجلا فأمر لى بألف دينار فما برحت عن مقامى حتى قبضتها ثم سألنى بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتى فلم تسع المروءة أن كنت مسئولا غير المقاسمة فيما أنعم الله به على فخرج لى قسم كأقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جماعة فأجاد القراءة ولحقه سهو فلم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعا وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضا أعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله عز وجل فألفت كتابا من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءا

واستكتموا الحجام ذلك فلما أصبح الحجام مشى إلى يوسف بن عمر وأخبره ودله على موضع قبره فاستخرجه وبعث برأسه إلى هشام فبعث إليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه كذلك ، ويقال إن هشام ابن عبد الملك قال يوما لزيد رضى الله عنه بلغنى أنك تريد الخلافة ولا تصلح لك لأنك ابن أمة فقال قد كان إسمعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة فأخرج من صلب إسمعيل خير ولد آدم فقال له هشام قم فقال إذن لاترانى إلا حيث تكره . ومن شعره رضى الله عنه :

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم
ما إن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

قال الشريف بن أسعد نقل رأسه الشريف إلى مصر ودفن بين الكومين بطريق جامع بن طولون وقد أظهر محله الأفضل بن أمير الجيوش كشف عن المسجد الذى فيه الرأس بعد أن ستر بين الكومين ولم يبق منه إلا المحراب فوجد الرأس الشريف فضمخ بالطيب وعطر وحمل إلى داره إلى أن

يعرف بكتاب الزعفرانى وهو الذى وضعته بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى فى قبته فلما أشرت إليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار إلىّ بالكلام فسألته عن الإمام مالك وعن الحجاز فأجاب بخير ثم عاودته إلى السؤال عن مالك فقال أشرح لك أو أختصر ؟ قلت فى الاختصار البلاغة فقال فى صحة جسمه وله ثلاثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود إليها إلى سنة فقد اختصرت لك خبره قال الشافعى رضى الله عنه فاشتهيت أن أراه فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال إنك لتوحشنى خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فقلت له فبم تعيش ؟ قال بالجاه ثم نظر إلى وحكمنى فى ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسى شعثا فدعوت الزين فلما بدأ برأسى وأخذ القليل من شعرى دخل قوم من أعيان البلد فدعوه فسار اليهم وتركنى فلما قضوا ما أرادوا منه عاد إلى فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت إليه أكثر ما كان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه وإذا وقف بك غريب لا تحقره فنظر إلى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس فبينما أنا كذلك إذ خرج بعض من كان فى الحمام من الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى له فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى أنت الشافعى؟ فقلت نعم فمد الركاب مما يلينى وقال بحق الله اركب ومضى بى الغلام مطرقا بين يدى حتى أتيت إلى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فأظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل على ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى فقال ما لك يا عبد الله فقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة ؟ فقال أنا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت لى أستاذ قال الشافعى رضى الله عنه فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فأكلت بفرحة إذ لم يعرف الله تعالى إلا بينى وبين أبناء جنسى فأقمت عنده ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال لى إن لى حول حران أربع ضياع ما بنجران أحسن منها أشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية منى اليك فقلت فبم تعيش قال بما فى صناديقى تلك وأشار اليها وهى أربعون ألف درهم وقال أتجر بها فقلت ليس إلى هذا قصدت ولا خرجت من بلدى إلا فى طلب العلم فقال لى فالمال إذا من شأن المسافر فقبضت أربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال ثم تلقانى الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان ابن عيينة والأوزاعى فأجزت كل واحد منهم على قدر ماقسم الله له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى إلا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل إلى منهل حتى قصدت مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعى رضى الله عنه وحوله أربعمائة دفتر أو يزيدون بينما أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه فدخل من باب النبى صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فألقى مسئلة فى جراح العمد

عمر هذا المشهد اه وقال المناوى فى طبقاته المشهد الذى بقرب مجراة القلعة بقرب مصر القديمة بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قدم برأسه سنة اثنتين وعشرين ومائة بنوا عليه هذا المشهد قال بعضهم والدعاء عنده مستجاب والأنوار ترى عليه اه . وفى الخطط المقريزى مايوافقه . وفى المنن الشعرانى نقلا عن شيخه الخواص أن زيدا الذى رأسه فى المحل المذكور زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وان فيه زين العابدين أيضا والجمع بامكان اجتماع الثلاثة ممكن ، والله أعلم.

﴿ وأما السيد إبراهيم ﴾ فقد قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى منته أخبرنى سيدى على الخواص أن رأس السيد إبراهيم ابن الإمام زيد فى المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلى الخانقاه وهو الذى قاتل معه الإمام مالك واختفى من أجله كذا كذا سنة اه . قال بعضهم وهذا خلاف ما عليه النسابون فإنهم لم يذكروا فى أولاد زيد بن على زين العابدين ولا فى أولاد زيد

فلما سمعت ذلك لم يسعني الصبر فقمت قائما فى سور الحلقة فرأيت إنسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذافبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فأضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤ ل الثانى أقبل علىّ الجاهل يطلب منى الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه مالك وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل قال الشافعى رضى الله عنه فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه فخالفوه فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ؟ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق ؟ قال لا قال فهذا العلم من أين ؟ قال إلى جانبى غلام شاب يقول لى قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضى الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا قال الشافعى رضى الله عنه فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذى كان الجاهل فيه جالسا بين يديه فتأملنى ساعة وقال أنت الشافعى ؟ فقلت نعم فضمنى إلى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذى نحن فيه حتى ننصرف إلى المنزل الذى هو لك المنسوب الىّ قال الشافعى رضى الله عنه فألقيت أربعمائة مسئلة فى جراح العمد فما أجابنى أحد بجواب واحتجت أن آتى بأربعمائة جواب فقلت الأول كذا كذا والثانى كذا كذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الىّ فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الأول فبكيت فقال بم بكاؤك كأنك خفت ياأبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا ؟ قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجىء من أقاصى الدنيا وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدايا ويرد الصدقة وان لى ثلثمائة خلعة من رق خراسان وقباطى مصر وعندى عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية منى اليك وفى صناديق تلك خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك منى نصفها قلت إنك موروث وأنا موروث فلابيت جميع مادعوتنى به إلا تحت خاتمى ليجرى ملكى عليه فان حضرنى أجلى كان لورثتى دون ورثتك وان حضرك أجلك كان لى دون ورثتك فتبسم فى وجهى وقال أبيت إلا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه ومابت إلا وجميع ماوعدنى تحت ختمى فلما كان فى غداة غد صليت الفجر فى جماعة وانصرفت إلى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده فى يد صاحبه إذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان وبغالا من مصر فقلت له ما رأيت كراعا أحسن من هذا فقال هو هدية منى اليك يا أباعبد الله فقلت له دع لك منها دابة فقال انى أستحى من الله أن أطأ قرية فيها نبى الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة قال الشافعى رضى الله عنه فعلمت أن ورع الامام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت إلى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبرى فلما وصلت إلى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتنى إلى صدرها وضمتنى بعدها عجوز كنت آلفها دعوها خالتى وقالت :

ليس أمك اجتاحت المنايا كل فؤاد عليك أم

قال الشافعى رضى الله عنه وهو أوّل كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز إلى أين عزمت ؟ فقلت إلى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالأمس فقيرا وتعود إليها

ابن الحسن من امه إبراهيم فلا يظهر أن زيدا أبا إبراهيم المذكور زيد بن على زين العابدين ولا زيد ابن الحسن ، وذكروا أن الذى قاتل معه مالك أى أفتى الناس بالخروج معه وبايعه هو محمد الملقب بالمهدى بن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط فلعل إبراهيم هذا هو إبراهيم بن عبد الله المحض أخو محمد المهدى المذكور كان مرضى السيرة من كبار العلماء فى فنون كثيرة، روى أن الإمام أباحنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد ، قال أبو الحسن القمرى قتل إبراهيم فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وحمل ابن أبى الكرام رأسه الشريف إلى مصر اه .

﴿ وأما السيدة عائشة ﴾ فهى بنت جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين وأخت موسى الكاظم قال المناوى كانت من العابدات المجاهدات وكانت تقول وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبنى ماتت سنة خمس وأربعين

مترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ماأصنع ؟ فقالت ناد بالأبطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ماأمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث إلىّ يستحثنى على هـذا الفعل ويعدنى أنه يحمل إلىّ فى كل عام مثل ماصار الىّ منه ومادخلت إلى مكة وأنا أقدر على شىء مماجاء معى إلا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت القرعة فناولتنى اياها أمة على كتفها قربة فأخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ماتأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت إلى مكة فما بت تلك الليلة إلا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل إلىّ فى كل عام مثل ماكان دفع الىّ أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت إلى مصر فعوضنى الله عبدالله بن عبد الحكم فقام بالكلفة فهذا جميع مالقيته فى سفرى فافهم ذلك ياربيع قال الربيع وسألنى المزنى إملاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى أحد غيرى اه من ثمرات الأوراق للشيخ تقى الدين أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى . توفى الامام الشافعى رضى الله عنه يوم الجمعة بعد العصر سلخ رجب سنة أربع ومائتين وله من العمر أربع وخمسون سنة ودفن بالقرافة فى هذه القبة المشهورة التى عليها من الأنس والرحمات مالا يخفى وفيها يقول صاحب البردة :

لقبـة قـبر الشـافعى سـفينة ... رست فى بناء محكم فوق جلمود
وقد غاض طوفان العلوم بقـبره ... اسـتوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

وقال آخر :
أتيت لقبر الشـافعى أزوره ... تعرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشـارة ... تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال آخر :
لقد أصبح الشـافعى الاما ... م فينا له مـذهب مـذهب
ولو لم يكن بحر علم لما ... غدا وعلى قـبره مركب

وقال آخر :
مررت على قبة الشـافعى ... فعاين طرفى عليهـا العشـار
فقلت لصحبى لاتعجبـوا ... فان المراكب فوق البحار

وقال آخر :
أكرم به رجلا مامثله رجل ... مشـارك لرسول الله فى نسبه
أضحى بمصر دفينا فى مقطمها ... نعم المقطم والمدفون فى تربه

قال الشيخ عبد الرحمن الجبرتى وقد جددها الأمير على بك الملقب بجن على ويلقب أيضا ببلوط قبان المتوفى سنة ست ومائة وألف فكشف ماعليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس وكان قد تشعث وصدأ لطول الزمان فجدد ماتحته من خشبهـا البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كثير وجـدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخا منظوما بخط صالح افندى اه وقد أراد أناس نقله رضى الله عنه إلى بغداد فلما حضروا عبقت رائحة عظيمة عطلت حواسهم فتركوه . قال الشيخ محى الدين بن العربى فى المحاضرات روى عن المزنى قال دخلت على الشافعى رضى الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقلت له كيف أصبحت ؟ قال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته

ومائة اه وقال الشعرانى فى منته أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة اه وقد جدد هذا المسجد ووسعه وأعلى منارته وبنى بجانبه حوضا عام النفع سنة خمس وسبعين ومائة وألف حضرة المشار اليه خلد الله جزيل نعمه عليه

[ولنذكر طرفا من الكلام على أخيها الإمام موسى الكاظم وأبيها الإمام جعفر الصادق وجدها الإمام محمد الباقر على سبيل الاستطراد] فنقول: أما موسى الكاظم فكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان من أعبد أهل زمانه ومن أكابر العلماء الأسخياء سأله الرشيد كيف تقولون نحن أبناء المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء على فقرأ ومن ذريته داود وسليمان إلى أن قال وعيسى وليس له أب . ولقب بالكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه . ومن بديع كراماته ما حكاه ابن الجوزى

بعفوك ربي كان عفوك أعظما   ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل   تجود وتعفو منة وتكرما

هذا ما في المحاضرات، ثم رأيت في الروض الفائق زيادة على ذلك وهي :

فلله در العـارف الفـرد إنه   تسح لفرط الوجد أجفانه دما   يقيم إذا ما الليل جن ظلامه

على نفسه من شدة الخوف مأتما   فصيحا إذا ما كان في ذكر ربه   وفيما سواه في الورى كان معجما

ويذكر أياما مضت من شبابه   وما كان فيها بالجهالة أجرما   فصار قرين الهم طول نهاره

ويخدم مولاه إذا الليل أظلما   يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي   كفى بك للراجين سؤلا ومغنما

ألست الذي غذيتني وكفلتني   وما زلت منانا علي ومنعما

عسى من له الإحسان يغفر زلتي   ويستر أوزاري وما قد تقدما

قال الشعراني في المنن ومما وقع لي مع الإمام الشافعي رضي الله عنه أنني تعوقت عن زيارته مدة فرأيته في المنام وقال لي أنا عاتب عليك وعلى الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي وعلى الشيخ نور الدين الشوني في قلة الزيارة فإني صرت رهين رمسي أنتظر دعوة من رجل صالح فقلت له إن شاء الله تعالى نزوركم بكرة النهار فقال لا بل تذهب في هـذا الوقت معي وكنت تلك الليلة في مولد في الروضة عند سيدي أبي الفضل شيخ بيت السادات من بني الوفا رضي الله عنه فخرجت لزيارته ثم سبقني هو فتلقاني من خلف قبته مما يلي قبر القاضي بكار وطلع بي إلى فوق القبة وفرش لي حصيرا جديدا ووضع لي سفرة فيها خبز لين أبيض وجبن أزرار وشق لي بطيخة من العبدلاوي وكان أول طلوعه بمصر وقال لي كل يا أخي في هذا المكان الذي ماتت فيه ملوك الدنيا بحسرة أكلة فيه معي اه . ومما وقع لي معه بعد ذلك أنه لما دخل على بيتي وقال قد جئت آخذك تسكن عندي أنت وعيالك فقلت له إن شاء الله في غد فقال بل في هـذا الوقت فحمل ابنتي رقية على كتفه وأخذ بيد أختها نفيسة وخرجت معه أنا وأمهما حتى أدخلنا القبة فأسكنني بين قبره وبين قبر أم السلطان الكامل المدفونة خلف ظهره فغار منا الخدام فقال لهم هـذا لا يزاحمكم في شيء من الدنيا فرجعوا عني ثم انفتحت القبة من أعاليها كالباب فنزل منه شيء أبيض كالقطن أو كالجص المعجون فلا زال ينزل ويتراكم حتى صار كوما عند رأس الإمام فقلت له ما هذا فقال هذا سكينة الحياء من الله تعالى فمن نظر إليها رزقه الله تبارك وتعالى الاستحياء من الله تعالى حق الحياء فصرت آمر كل داخل بالنظر إليها ثم استيقظت اه . ﴿كرامة﴾ نقل غير واحد أن الإمام الشافعي رضي الله عنه لما احتضر دخل عليه أصحابه فقال أما أنت يا أبا يعقوب فتموت في قيودك وأما أنت يا مزني فيكون لك بمصر هنات وهنات وأما أنت يا ابن عبد الحكم فترجع إلى مذهب أبيك وأنت يا ربيع أنفعهم في نشر الكتب فكان كما قال رضي الله عنه . ومناقبه رضي الله عنه كثيرة ، فعن هرون بن سعيد الهيثم الإيلي قال ما رأيت مثل الشافعي قط ولقد قدم علينا مصر فقالوا قدم رجل من قريش فقيه فجئناه وهو يصلي فما رأينا أحسن منه وجها ولا أحسن صلاة فافتتنا به فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منطقا منه وكان يتكلم في الحقيقة وفي الزهد وفي أسرار القلوب، وكان يقول: كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة ، وكيف يخلص من الدنيا من لا يخلو من الطمع الكاذب، وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده ، وكيف ينال الحكمة من لا يريد بقوله وجه الله عزوجل . وتزوج الشافعي رضي الله عنه حميدة بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له أبا عثمان محمدا وكان قاضيا بمدينة

خرج حاجا فرآه بالقادسية منفردا عن الناس فقال في نفسه هـذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على النـاس لأوبخنه فمضى إليه فقال يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم فأراد أن يعانقه فغاب عن عينه ثم رآه بعد على بئر سقطت ركوته فيها فدعا فطفف المـاء حتى أخذها فتوضأ وصلى ثم مال إلى كثيب من الرمل فطرح منه فيها وشرب قال فقلت له أطعمني مما رزقك الله فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك فناولنيها فشربت فإذا هو سويق وسكر فأقمت أياما لا أشتهي شرابا ولا طعاما ثم لم أره إلا بمكة ولما حج الرشيد سعى به إليه وقيل له إن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى اشترى له ضيعة بثلاثين ألف دينار فقال له الرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة أنت الذي يبايعك الناس سرا قال أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف قال الرشيد سلام

حلب وفاطمة وزينب وللشافعي ولد آخر يقال له الحسن مات طفلا وأمه أم ولد نقله الرازي .

﴿فصل : في ذكر مناقب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني المروزي ثم البغدادي الحافظ﴾ وفي تاريخ ابن خلكان مانصه : الإمام أحمد بن حنبل هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف ابن واسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن واسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني المروزي الأصل قال هذا هو الصحيح في نسبه اهـ . وولد الإمام أحمد رضي الله عنه سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول بمرو وقيل ببغداد ونشأ بها قال ابن خلكان كان الإمام أحمد إمام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره قيل وكان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه رضي الله عنهما ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر اهـ . وكان شيخا أسمر مديد القامة يخضب بالحناء . وفي طبقات الشعراني وكان يقول رأيت رب العزة في المنام فقلت يارب ما أفضل مايتقرب به المتقربون إليك ؟ فقال بكلامي ياأحمد فقلت بفهم أو بغير فهم ؟ قال بفهم وبغير فهم ، وكان رضي الله عنه إذا جاءه طالب حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره ، وكان يقول تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر ، وكان رضي الله عنه يضرب به المثل في اتباع السنة واجتناب البدعة ، وكان لايدع قيام الليل قط وله في كل يوم وليلة ختمة وكان يسر ذلك عن الناس قال أبو عصمة بت ليلة عند أحمد رضي الله عنه فجاءني بماء فوضعه فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال ياسبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل ، وكان رضي الله عنه يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه وكان مجلسه خاصا بالآخرة لايذكر فيه شيء من أمر الدنيا وتعرت أمه من الثياب فجاءته زكاة فردها وقال العري خير من أوساخ الناس وإنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخارة عدسا وشحما وكان أكثر إدامه الخل ، وكان إذا مشى في الطريق لايمكن أحدا يمشي معه وكان يحيي الليل كله من منذ كان غلاما وكان من أصبر الناس على الوحدة لايراه أحد إلا في المسجد أو جنازة أو عيادة وكان يكره المشي في الأسواق ، وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة ، وحج رضي الله عنه خمس حجات ثلاثة منها ماشيا وكان ينفق في كل حجة نحو عشرين درهما ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له أبو الهيثم العيار فوقف عنده وقال ياأحمد أنا فلان اللص ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت وأنا أعرف أني على الباطل فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه . ولما دخل أحمد رضي الله عنه على المتوكل قال المتوكل لأمه ياأماه قد نارت الدار بهذا الرجل ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له فبكى الإمام وقال سلمت منهم عمري كله حتى إذا دنا أجلي بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها لما خرج وكان رضي الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر وسويق قال الفضيل بن عياض حبس الإمام أحمد رضي الله عنه ثمانية وعشرين شهرا وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم وتولى بعده

الواثق

عليك يا ابن عم وقال موسى السلام عليك يا أبت فلم يحتملها الرشيد فحمله إلى بغداد مقيدا وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا مقيدا ميتا مسموما

﴿وأما جعفر الصادق﴾ فكان إماما نبيلا وأخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق وعروة وعطاء ونافع والزهري وعنه السفيانان ومالك والقطان خرج له الجماعة سوى البخاري قال أبو حاتم ثقة لايسأل عن مثله وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمها أسماء بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم فكان يقول ولدني الصديق مرتين ، وكان مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئا لايتم قوله إلا وهو بين يديه . ومن كراماته ما حدث به الليث بن سعد قال حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فاذا رجل جالس يدعو فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ثم قال ياحي ياحي حتى انقطع نفسه ثم قال إلهي اني أشتهي العنب فأطعمنيه وإن بردي قد خلقا

الواثق فاشتد الأمر على أحمد وقال لا أساكن فى بلد أحد فيــه فأقام مختفيا لايخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولى المتوكل فرفع المحنة عن أحمد وأمر بإحضاره وإكرامه وإعزازه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وأن القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة وكانوا أشر الطوائف المبتدعة . قال أحمد بن غسان ولما حملت مع أحمد إلى المأمون تلقاه الخادم وهو يبكى ويمسح دموعه ويقول عز على ياأبا عبد الله ما نزل بك قد جرد أمير المؤمنين سيفا لم يجرده قط وبسط نطعا لم يبسطه قط ثم قال وقرابتى من رسول الله ﷺ لا رفعت السيف عن أحمد وصاحبه حتى يقولا القرآن مخلوق فجثا أحمد على ركبتيه ولحظ السماء بعينيه ودعا فما مضى الثلث الأول من الليل إلا ونحن بصيحة وضجة فأقبل علينا خادمه وهو يقول صدقت ياأحمد القرآن كلام الله غير مخلوق قد مات والله أمير المؤمنين وكان قد لقيه قبل أن يدخل المدينة رجل من العباد فقال احذر ياأحمد أن يكون قدومك مشئوما على المسلمين فإن الله تعالى قد رضى بك لهم وافدا والناس إنما ينظرون إلى ماتقول فيقولون به فقال أحمد حسبنا الله ونعم الوكيل ولما سجنوه رضى الله عنه وضعوا فى رجليه أربعة قيود وكان ابن أبى دؤاد هو الذى تولى جدال أحمــد عن الخليفة وكان يقول للخليفة إن أحمد ضال مبتدع ثم يلتفت إلى أحمد ويقول قد حلف الخليفة أن لايقتلك بالسيف وإنما هو ضرب بعد ضرب إلى أن تموت فما زالوا بأحمد رضى الله عنه يناظرونه بالليل والنهار إلى أن ضجر الخليفة من ذلك فلما طال بهم الحال قال ابن أبى دؤاد ياأمير المؤمنين اقتله ودمه فى أعناقنا فرفع الخليفة يده ولطم أحمد فخر مغشيا عليه فخاف الخليفة على نفسه ممن كان من الشيعة مع أحمد فدعا بماء فرش منه على وجه أحمد اهـ . ﴿ غريبة ﴾ اجتمع الشافعى وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضى الله عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم مازالوا يصلون فى المسجد إلى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعى مم تضحك ياأبا عبد الله ؟ قال خرجت إلى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه ؟ قال أحمد قالت لى أم عبدالله إنكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال ياأحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال هاكم خذوا هذا فسلم إلينا زنبيلا أبيض وعليــه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلــوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعى ياأباعبدالله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت بالابن والاوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراءون مثله وحروف مشوى مزعفر حار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الــكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج إلى طعام غيره مدة شهر فلمــا أن فرغوا من الأكل حمل أحمد مابقى منه وأدخله إلى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شئ فاجتمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وأن الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد بن حنبل ماأصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لانحتسب رضى الله عنهم وأعاد علينا من بركاتهم اهـ . من ثمرات الأوراق ﴿فوائد : الأولى﴾ بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلا وراء النهر يروى أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد إليه فلما ورد عليه وجــده يطعم كلبا فسلم عليه أحمد رضى الله عنه فرد عليه الســلام ثم اشتغل بإطعام الــكلب ولم يقبل على الإمام فوجــد الإمام أحمد فى نفسه شيئا إذ أقبل الرجل على الــكلب ولم يلتفت إليه فلما فرغ الرجل من طعمة الــكلب التفت إلى

فاكسنى قال الليث فلما تم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الشجر يومئذ عنب وإذا بردين لم أر مثلهما فأراد الأكل فقلت أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمــن قال كل ولا تخبأ ولا تــدخر ثم دفع إلى أحد البردين فقلت لى عنه غنى فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ الخلقــين ونزل فلقيه رجل فقال اكسنى ياابن رسول الله فدفعهما إليه فقلت من هذا ؟ قال جعفر الصادق. ومن كلامه لايتم المعروف إلا بثلاث أن تصغره فى عينك وتستره وتعجله ، وقال لاتأكلوا من يد جاعت ثم شبعت ، وقال أوحى الله إلى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن لم يخدمنى فاستخدميه ، وقال كف عن محارم الله وامتثــل أوامره تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس على ماتحب أن يصحبوك عليه تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره وشاور فى أمرك الذين يخشون الله ، وقال من أراد عزا بلا عشيرة وهيبــة بلا سلطان

الإمام وقل لعلك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم ، فقال الرجل حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة» ثم قال الرجل أرضنا هذه ليست بها كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فقال الإمام أحمد يكفينى هذا الحديث ثم رجع كذا فى حياة الحيوان وغيره [الثانية] قال الشعرانى فى المنن لم يدون الإمام له مذهبا وإنما مذهبه الآن منقول من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث ، وكان يقول أستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتكلم فى معنى كلامه فقد لايكون ذلك مراده ، وكان رضى الله عنه يقول أولأحد كلام مع رسول الله ﷺ قال الشعرانى وبلغنا أنه وضع فى أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسئلة رضى الله عنه اهـ [الثالثة] قال المروزى لما حبس أحمد بن حنبل فى سجن الواثق على أن يقول بخلق القرآن جاءه السجان يوما فقال له يا أبا عبد الله الحديث الذى يروى فى الظلمة وأعوانهم صحيح قال صحيح قال السجان أفأنا من أعوان الظلمة ؟ قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال لأن أعوان الظلمة الذى يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك وأما أنت فمن الظلمة ؟ [الرابعة] قال إدريس الحداد لما زالت المحنة وصرف أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيرا فجعل عمه إسحاق يحسب ما رده فى ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار فقال له أحمد ياعم أراك مشغولا بحساب مالا يفيدك ؟ فقال له قد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج إلى حبة قال ياعم لو طلبناه لم يأتنا إنما أتانا لما تركناه قال على بن سعيد الرازى سرنا مع أحمد بن حنبل يوما إلى باب المتوكل فلما أدخلوه من باب الخاصة قال لنا أحمد انصرفوا عافاكم الله فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم ببركة دعائه . وقال هلال بن العلاء أربعة لهم على الإسلام منة أحمد بن حنبل حيث ثبت على المحنة ولم يقل بخلق القرآن وأبو عبد الله الشافعى حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة وأبو عبد الله القاسم بن سلام حيث فسر حديث النبى ﷺ وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم [الخامسة] كان له على ولده عبد الله رغيف خبز وشىء من الأدم فلما ولى ولده القضاء امتنع من قبول الرغيف وقال والله لا آكل له طعاما أبدا فكان كما قال إلى أن مات . قال إدريس الحداد ما رأيت أحمد قط إلا مصليا أو يقرأ فى المصحف أو كتاب وما رأيته فى شىء من أمور الدنيا قال وكان إذا اشتد به الأمر بقى اليوم واليومين والثلاث لا يأكل شيئا فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان . قال الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل قال عبد الله ابن أحمد بن حنبل كان أبى يقرأ فى كل ليلة سبع القرآن ويختم فى كل سبعة أيام ختمة ثم يقوم إلى الصباح وكان يصلى فى كل يوم ثلثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلى فى كل يوم مائة وخمسين ركعة وكان له فى الليل ثلاث هدآت وثلاث صيحات قال وكان ذات يوم جالسا عند الشافعى فمر بهما شيبان الراعى وعليه مدرعة صوف فقال أحمد للشافعى ياأبا عبد الله ألا أنبه هذا الجاهل على جهله فقال له الشافعى لا تفعل دعه فى شأنه فقال أحمد لابد ثم إنه استحضر شيبان وقال له ياشيبان ما تقول فى رجل نسى صلاة من يوم لايدرى أى صلاة هى ما الواجب عليه أن يفعل ؟ فقال شيبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فهو ساه غافل الواجب عليه أن يؤدب حتى لا يرجع إلى مثلها أبدا ثم بعد ذلك يقضى صلاة اليوم أجمع ثم التفت إليهما وقال هل تقدران أن تردا على قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف

فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة . وقال من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم . وقال حكمة تحريم الربا أن لا يتمانع الناس المعروف . مات أيضا مسموما سنة ثمان وأربعين ومائة .

﴿وأما محمد الباقر رضى الله عنه﴾ فهو صاحب المعارف وأخو الدقائق واللطائف . ظهرت كراماته ، وكثرت فى السلوك إشاراته . ولقب بالباقر لأنه بقر العلم أى شقه فعرف أصله وخفيه . ومن كلامه : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عز وجل، وقال: ليس فى الدنيا شىء أعون من الإحسان إلى الإخوان ، وقال بئس الأخ يراعيك غنيا ويقطعك فقيرا، مات أيضا مسموما رضى الله عنه سنة سبع عشرة ومائة عن نحو ثلاث وسبعين سنة وأوصى أن يكفن فى قميصه الذى كان يصلى فيه

﴿وأما القاسم بن جعفر الصادق وبنته أم كلثوم رضى الله عنهما﴾ فقد قال المناوى فى طبقاته فى ترجمة جعفر الصادق وله أى جعفر

قال إدريس كان أحمد لايلبس ثوبا مكفوفا بل كان يشلله ويقور وسطه ويتركه فى رأسه ويقول هذا لمن يموت كثير قال وكان أكثر مؤنته من نبات الأرض ويقول هذا والله هو الحلال الذى لاله حساب ولا تبعة قال وكان يوما جالسا وعنده جماعة نساء من أصحابه فجاءت إليه امرأة وقالت له ياسيدى إننا جماعة نساء نقعد على سطوحنا بقطن الغزل فيمر بنا مشاعل أهل الشرطة أفيجوز لنا أن نغزل فى ضوئها وشعاعها فقال لها أحمد من أنت ؟ فقالت له أنا أخت بشر الحافى فقال لها أحمد من بيتكم خرج الورع لاتغزلى فى ضوئها . قال إدريس الحداد لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه فأخذ سطلا كان معه فدفعه إلى بعض البقالين رهنا على شىء كان يأخذه فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال فدفع له ما كان له وطلب السطل فقام البقال وأحضر سطلين على هيئة واحدة وقال له قد اشتبه على سطلك فخذ أيهما شئت فقال أحمد وأنا أشكل على أيهما لى والله لاأخذته فقال البقال وأنا لاأتركه أبدا فاتفقا على بيعه والتصدق به . قال وخرج يوما من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحلف أن لايخرج إلا مغطى الوجه لئلا يبصر أحدا وكانت إذا وقعت الحادثة أو المسئلة لايكتبها حتى يوردها على الفقهاء فإن وافق رأيهم رأيه كتبها وإلا تركها واستغفر الله مما خطر بباله ، وكان رضى الله عنه إذا جف القلم بيده مسحه فى رأسه ولم يمسحه فى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال إن هذا مداد أثر العلم فلا أضعه فى خرقة لعلها ترمى فى نجاسة وروى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والمتون مائةألف وخمسون ألفا ذكر ذلك صاحب الروض الفائق وأنشد :

وأحمد المعروف فى كل مشهد وقد رفع الله العظيم له قدرا
وآتاه علما فى الورى ومهابة وجاد عليه بالكرامة فى الأخرى

توفى أحمد رضى الله عنه سنة إحدى وأربعين ومائتين وعاش سبعا وسبعين سنة وللمرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده واجتمعت الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدرب ولما قبض صاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء وارتجت الدنيا لموته وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلون عليه فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة سوى من كان فى الأطراف والسفن والأسطحة فإنهم بذلك يكونون أكثر من ألف ألف وفى رواية بلغوا ألفى ألف وخمسمائة ألف وأسلم يومئذ عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس كذا فى طبقات الشعرانى ومثله فى تاريخ ابن الوردى وفيه قال حدث إبراهيم الحربى قال رأيت بشر بن الحرث الحافى فى المنام كأنه خارج من مسجد الرصافة وفى كمه شىء يتحرك فقلت مافعل الله بك ؟ فقال غفر لى وأكرمنى فقلت ماهذا الذى فى كمك قال قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقطت قلت مافعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ؟ قال تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد قلت فلم لاتأكل معهما أنت قال قد عرف هوان الطعام على فأباحنى النظر إلى وجهه انتهى ومثله فى تاريخ ابن خلكان .

﴿ فائدة ﴾ الأئمة الستة أصحاب المذاهب المتبوعة فى الأمصار أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ابن حنبل وسفيان الثورى وداود الظاهرى وقد جمعوا فى بيتين وهما :

وإن شئت أركان الشريعة فاستمع لتعرفهم واحفظ إذا كنت سامعا

الصادق وله اسمه القاسم ولقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه اليه . وذكر بعض النسابين أنه ليس فى أولاد جعفر من اسمه القاسم وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه ، والله أعلم . [وأما الامام الشافعى رضى الله عنه] فهو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف القرشى المطلبى ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم (وأمه فاطمة) بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل إنها أزدية . لقى شافع النبى صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع وأسلم وأبوه السائب كان يوم بدر صاحب رايات بنى هاشم التى كان يقال لها العقاب وراية الرؤساء ولا يحملها إلا رئيس القوم وكانت لأبى سفيان فان لم يكن حاضرا حملها رئيس مثله ولغيبة أبى سفيان فى العير حملها السائب لشرفه وأسر يومئذ وفدى نفسه

محمد والنعمان مالك أحمد وسفيان واذكر بعد داود تابعا

﴿ خاتمة الكتاب فى ذكر مناقب الأربعة الأقطاب ﴾

وهم سيدى أحمد الرفاعى وسيدى عبد القادر الجيلى وسيدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى وكلهم أشراف من أهل البيت ينتهى نسبهم إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم إلا سيدى عبد القادر فإلى سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على بن أبى طالب كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى فى الكلام على ترجمته قال سيدى حسن يخاطب أخاه سيدى أحمد البدوى : واعلم يا أخى أن كل بلاد لها رجال ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله تعالى اه قال المناوى فى شرحه على الجامع قال ابن عربى قدس الله سره من رجال الله تعالى رجل واحد وقد يكون امرأة فى كل زمان وهو القاهر فوق عباده له الاستطالة على كل شىء شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا قال وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلانى ببغداد انتهى . وفى زبدة الأعمال قال سراج الحرم أبو بكر الكتانى قدس سره النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والأبدال أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد ثم مسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأخيار سياحون فى الأرض والعمد فى زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأخيار ثم العمد فان أجيبوا وإلا ابتهل فيها الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته انتهى . قال المناوى رأيت فى شرح مقدمة الوصول للشيخ ابراهيم الواهى نقلا عن شيخه العارف أبى المواهب التونسى رضى الله عنهما أن أول من تولى القطبانية من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء مدة حياتها رضى الله عنها ثم انتقلت منها إلى أبى بكر وعمر ثم عثمان ثم على ثم الحسن رضى الله عنهم انتهى لكن نقل عن العارف المرسى رضى الله عنه أن أول الأقطاب مطلقا الحسن بن على رضى الله عنهما ، والله أعلم .

﴿ فالأول من السادة الأشراف الأربعة سيدى أحمد بن الرفاعى ﴾

قال المناوى فى الطبقة السادسة من طبقاته سيدى أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة أحد الأولياء المشايخ المشاهير أبو العباس الرفاعى المغربى شريف نمى روض شرفه وهمى على العالم غيث سلفه وكان سيدا جليلا صوفيا عظيما نبيلا قدم أبوه العراق وسكن أم عبيدة بأرض البطائح وولد له صاحب الترجمة سنة خمسمائة ونشأ بها وتفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وقرأ كتاب التنبيه ثم تصوف وجاهد نفسه حتى قصرها وأعرض عما فى أيدى الناس وأقبل على اشتغاله بالحقيقة ومهر واشتهر وانتهت اليه الرياسة فى علوم القوم وكشف مشكلات منازلاتها وتخرج به خلق كثير وأحسنوا به الاعتقاد اه . قال ابن خلكان وغيره وهم الطائفة الرفاعية ويقال لهم الأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول فى التنانير وهى تضرم نارا وينام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر وتوقد لهم النار العظيمة ويقال لهم السماع فيرقصون فيها إلى أن تنطفئ ويركبون الأسد وكان ابتداء أمره أنه مر على عبد الملك الخرنوبى فقال له يا أحمد أول ما أقول لك ملتفت لا يصل ومشكك لا يفلح ومن لم يعرف من وقته النقص فكل أوقاته نقص ففارقه وجعل يكررها سنة ثم عاد إليه وقال أوصنى فقال ما أقبح الجهل بالألباء والعلة بالأطباء والجفاء بالأحباء قال فخرجت وجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته تلك قال بعضهم لكونه اختصر له الطريق . وسأله رضى الله عنه رجل أن يدعو له فقال عندى قوت يوم ومن عنده قوت يوم لا يسمع دعاؤه فاذا فقدته دعوت لك وكان يغسل للمجذومين والزمنى ثيابهم ويفلى

شعورهم

ثم أسلم بعد ذلك . وولد رضى الله عنه بغزة سنة خمسين ومائة على الأصح لأن أباه وغيره من قريش كانوا يتعاهدونها ، وقيل ولد بمنى ، وقيل بعسقلان ، وقيل باليمن وهى السنة التى مات فيها أبو حنيفة ، وقيل إنه ولد يوم مات أبو حنيفة قال البيهقى هذا التقييد باليوم لم أجده إلا فى بعض الروايات أما التقييد بالعام فمشهور بين أهل التواريخ ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها ولما سلموه إلى المعلم ما كانوا يجدون أجرة المعلم فكان المعلم يقصر فى التعليم لكن كلما علم المعلم صبيا شيئا تلقف الشافعى ذلك الشىء ثم إذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعى يعلم الصبيان تلك الأشياء فنظر المعلم فرأى الشافعى يكفيه أمر الصبيان أكثر من الأجرة التى كان يطمع فيها منه فترك طلب الأجرة واستمر على ذلك حتى تعلم القرآن لسبع سنين . قال الشافعى لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسئلة وكان منزلنا بمكة فى شعب الخيف وكنت فقيرا بحيث ما أملك أن أشترى القراطيس فكنت آخذ

شعورهم ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويسألهم الدعاء ويقول زيارتهم واجبة لامستحبة ومر بولد فقال له ابن من أنت ؟ فقال له إيش فضولك فجعل يكررها ويبكى ويقول أدبنى ياولدى وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفا وكان يمد لهم السماط صباحا ومساء وكان يضرب به المثل فى تحمل الأذى ومكارم الأخلاق . ومن مكارم أخلاقه ما نقله الشنوانى فى حاشيته على مختصر ابن أبى جمرة أن كلبا حصل له جذام فاستقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده عن بابه فأخذه سيدى أحمد الرفاعى وخرج به إلى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو واياه ويسقيه ويدهنه حتى عافاه الله من الجذام بعد أربعين يوماً فسخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء كله ؟ فقال نعم خفت أن يؤاخذنى الله يوم القيامة ويقول أماعندك رحمة لهذا الكلب أما تخشى أن أبتليك بما ابتليت به هذا الكلب اهـ . وكان رضى الله عنه كثيراً ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتى يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئا فشيئا حتى يرد إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته لولا لطف الله ماعدت اليكم . وفى طبقات الشيخ عبد الوهاب بن السبكى أن هرة نامت على كم صاحب الترجمة وجاء وقت الصلاة فقص كمه ولم يزعجها وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت فوصل الكم بالثوب وخاطه وقال ماتغير . وتوضأ فى يوم بارد ومد يده زمانا طويلا لايحركها فتقدم يعقوب مؤذن المنارة يقبل يده فقال أى يعقوب شوشت على هذه الضعيفة فقال يعقوب ماهى ؟ قال بعوضة كانت تأكل رزقها من يدى فهربت منك . وكان رضى الله عنه يقول سلكت كل طريق فما رأيت أسهل ولاأقرب ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار ﴿ كرامات : الأولى ﴾ أنه كان إذا صعد الكرسى للقراءة سمع كلامه البعيد كالقريب حتى إن أهل القرى الذين حول بلده يسمعونه كالذين بزاويته حتى إن الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط [الثانية] أنه كان إذا سأله إنسان أن يكتب له عوذة يأخذ الورقة ويكتب عليها من غير مداد ففعل ذلك رجل يوما فغاب عنه مدة ثم جاءه بها ليكتب له ممتحنا فلما نظرها الشيخ قال له ياولدى هذه مكتوبة [الثالثة] أن رجلين من أصحابه وجماعته تحابا فى الله فخرجا يوماً بصحراء فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء فسقط منها ورقة بيضاء فلم يريا فيها كتابة فأتيا اليه ولم يخبراه بالقصة فنظر اليها ثم خر ساجدا لله تعالى ثم قال الحمد لله الذى أرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة فقيل له هذه بيضاء فقال أى أولادى يد القدرة لا تكتب بسواد هذه مكتوبة بالنور ، وذكرها والتى قبلها صاحب درر الأصداف [الرابعة] لما حج رضى الله عنه ووقف على القبر الشريف أنشد :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها   تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها بحضرة الناس وهم ينظرون كذا فى درر الأصداف وحاشية الجمل على الهمزية قال الشيخ سليمان الجمل ووقع ذلك أيضا لشيخ الناظم القطب المرسى فانه قال صافحت بكفى هذه كف النبى صلى الله عليه وسلم مرارا انتهى لكن المشهور بهذه الكرامة سيدى على الرفاعى الشهير بأبى شباك الذى بمسجد ذخيرة الملك بسوق السلاح تجاه مدرسة السلطان حسن ولقائل أن يقول لامانع من وقوعها لهما والله أعلم [الخامسة] قال الشعرانى فى المنن أخبرنى الشيخ أحمد الحازرى الضرير أنه بات عنده فى مشهده الذى فى البرية فقال له الخادم

العظم وأكتب فيه وكان فى أول الأمر تفقه على مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وقيل له الزنجى لشدة شقرته فهو من أسماء الأضداد وأذن له مسلم المذكور فى الافتاء والتدريس وهو ابن خمس عشرة سنة ثم وصل اليه خبر الامام مالك بالمدينة قال الشافعى فوقع فى قلبى أن أذهب اليه فاستعرت الموطأ من رجل بمكة وحفظته ثم قدمت المدينة فدخلت عليه فقلت أصلحك الله إنى رجل مطلبى من حالى وقصتى كذا كذا فلما سمع كلامى نظر إلى ساعة وكان لمالك فراسة فقال لى مااسمك ؟ فقلت محمد فقال لى يامحمد اتق الله واجتنب المعاصى فإنه سيكون لك شأن فقلت نعم وكرامة فقال إن الله تعالى ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية ثم قال إذا كان الغد تجىء نقرأ لك الموطأ فقلت انى أقرؤه من الحفظ ورجعت اليه من الغد وابتدأت بالقراءة وكلما أردت قطع القراءة خوفا من ملاله أعجبه حسن قراءتى فيقول يا فتى زد حتى قرأته فى أيام يسيرة ثم أقمت

لاتقدر تنام هنا من الهيبة التى تقع فى الليل فقال توكلت على الله فلما دخل وقت العشاء ارتعد من الهيبة حتى كادت مفاصله تنقطع وصارت السباع تجأر خارج المقام وأبوابه الحديد يحس بها تفتح وترد ولها صوت عظيم قال ثم إنى أحسست بشخص جلس عندى وقال ليلة مباركة أما تقرأ القرآن أقرأ معك ؟ فقلت له نعم فقرأت أنا وإياه من سورة النحل إلى سورة النجم فلما قرب طلوع الفجر أتانى برغيفين وإناءين فى أحدهما لبن دسم وفى الآخر عسل نحل فأكلت حتى شبعت فطلع الفجر فلم أجده قال ثم إن الخادم جاءنى وقال خاطرى معك فى هذه الليلة فإن أحدا لايقدر ينام هنا أبدا قال فقصصت عليه القصة فقال هذا الذى قرأ معك وأطعمك هو سيدى أحمد انتهى .

[السادسة] أراد شراء بستان فأبى صاحبه بيعه إلا بقصر فى الجنة فأرعد وتغير واصفر ثم قال قد اشتريته منك بذلك قال اكتب لى خطك فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماابتاع إسمعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامنا على كرم الله تعالى له قصرا فى الجنة يحف به حدود أربع الأول لجنة عدن الثانى لجنة المأوى الثالث لجنة الخلد الرابع لجنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرّته وأنهاره وأشجاره عوضا عن بستانه فى الدنيا والله شاهد على ذلك وكفيل فلما مات إسمعيل دفنت معه الورقة فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا مناوى .

(تنبيه) قال المقريزى فى الخطط مسجد ذخيرة الملك تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون التى تلى الباب الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة . قال ابن المأمون فى تاريخه وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من ظلمه وعسفه ماهو مشهور وبنى المسجد الذى مابين الباب الجديد إلى الجبل الذى هو معروف به وسمى مسجد لا بالله وذلك أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفون ويقولون لابالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الأبيات :

بنى مسجدا لله من غير حله ... وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها ... لك الويل لاتزنى ولا تتصدقى

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالأمراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ماعجل الله له ماقدّر وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وحكى عنه فى حالتى غسله وحلوله بقبره ما يعيذ الله منه كل مسلم وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ماتقدم عن ابن المأمون انتهى قلت وقد جدد فى زماننا فى أواخر المائة الثالثة عشرة ولم يكمل . وفى طبقات الشعرانى وكان سيدى أحمد الرفاعى يبدأ من لقيه بالسلام حتى الأنعام والكلاب وكان إذا رأى خنزيرا يقول له أنعم صباحا فقيل له فى ذلك فقال أعود نفسى الجميل وكان إذا سمع بمريض فى قرية ولو على بعد يمضى إليه يعوده ويرجع بعد يوم أو يومين وكان يخرج إلى الطريق ينتظر العميان حتى إذا جاءوا يأخذ بأيديهم ويقودهم وكان إذا رأى شيخا كبيرا يذهب إلى أهل حارته ويوصيهم عليه ويقول قال النبى ﷺ «من أكرم ذا شيبة يعنى مسلما سخر الله له من يكرمه عند شيبته» وكان إذا قدم من السفر وقرب من أم عبيدة يشد وسطه ويخرج حبلا مدخرا معه ويجمع حطبا ثم يحمله على رأسه فإذا فعل ذلك فعل الفقراء كلهم فإذا دخل البلد فرق الحطب على الأرامل والمساكين والزمنى والمرضى والعميان والمشايخ وكان

بالمدينة إلى أن توفى مالك رحمه الله ، وكان حفظه للموطأ وهو ابن عشر سنين فى تسع ليال وقيل فى ثلاث ثم قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين واجتمع عليه علماؤها ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه وصنف بها كتابه القديم ثم عاد إلى مكة فأقام بها مدة ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج إلى مصر وصنف بها كتبه الجديدة وأقام بها إلى أن توفى . كان رضى الله عنه إمام الدنيا وعالم الأرض شرقا وغربا جمع الله له من العلوم والمفاخر وكثرة الأتباع ـ لاسيما فى الحرمين والأرض المقدسة وهذه الثلاثة أفضل الأرض ـ مالم يجمع لإمام قبله ولا بعده وانتشر له من الذكر مالم ينتشر لأحد سواه ولذلك حمل عليه حديث «عالم قريش يملأ طباق الأرض علما» قال الإمام أحمد وغيره هذا العالم هو الشافعى لأنه لم يحفظ لقرشى من انتشار علمه فى الآفاق ماحفظ للشافعى قال محمد بن عبد الحكم إن أم الشافعى لما حملت

رضى الله عنه لا يجازى قط بالسيئة ولقيه مرة جماعة من الفقراء فسبوه وقالوا ياأعور يادجال يامن يستحل المحرمات يامن يبدل القرآن ياملحد ياكاب فكشف سيدى أحمد رضى الله عنه رأسه وقبل الأرض وقال ياأسيادى اجعلوا عبيدكم فى حل وصار يقبل أيديهم وأرجلهم ويقول ارضوا عنى وسلكم يسعى فلما أعجزهم قالوا ما رأينا قط فقيراً مثلك تحمل منا هذا كله ولا تتغير فقال هذا ببركتكم ونفحاتكم ثم التفت إلى أصحابه وقال ما كان إلا خيرا أرحناهم من كلام كان مكتوما عندهم وكنا نحن أحق به من غيرنا فربما لووقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم . وأرسل إليه الشيخ إبراهيم البستى كتابا يحط عليه فيه فقال سيدى أحمد رضى الله عنه للرسول اقرأه لى فقرأه فإذا فيه أى أعور أى دجال أى مبتدع يامن جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكاب ابن الكاب وذكر أشياء تغيظ فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب أخذه سيدى أحمد رضى الله عنه وقرأه وقال صدق فيما قال جزاه الله عنى خيرا ثم أنشد :

فلست أبالى من زمان بريبة إذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اكتب إليه الجواب من هذا اللاش أحيمد إلى سيدى الشيخ إبراهيم البستى رضى الله عنه أما قولك الذى ذكرته فإن الله تعالى خلقنى كما شاء وأسكن فى ماشاء وإنى أريد من صدقاتك أن تدعولى ولا تخلينى من حالك وحلمك فلما وصل الكتاب إلى البستى هام على وجهه فما عرفوا إلى أين ذهب . وكان رضى الله عنه إذا علم أن الفقراء يريدون أن يضربوا أحدا من إخوانهم لزلة وقعت منه يستعير منه ثيابه ويلبسها وينام فى موضعه فيضربونه فإذا فرغوا من ضربه واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه فيغشى عليهم فيقول لهم ما كان إلا الخير أكسبتمونا الأجر والثواب فيقول بعض الفقراء لبعضهم تعلموا هذه الأخلاق وقال رضى الله عنه لأصحابه يوما من رأى فى أحيمد منكم عيبا فليعلمه به فقام شخص فقال ياسيدى فيك عيب عظيم قال وماهو ياأخى فقال كون مثلنا من أصحابك فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكى سيدى أحمد معهم وقال أنا خادمكم أنا دونكم وكان لسيدى أحمد شخص ينكر عليه وينقصه فى نواحى أم عبيدة فكان كلما لقى فقيرا من جماعة سيدى أحمد رضى الله عنه يقول خذ هذا الكتاب إلى شيخك فيفتحه سيدى أحمد فيجد فيه أى ملحد أى باطلى أى زنديق وأمثال ذلك من الكلام القبيح ثم يقول سيدى أحمد رضى الله عنه صدق من أعطاك هذا الكتاب ثم يعطى الرسول دريهمات ويقول جزاك الله عنى خيرا كنت سببا لحصول الثواب فلما طال الأمر على ذلك الرجل وعجز عن سيدى أحمد مضى إليه فلما قرب من أم عبيدة كشف رأسه وأخذ مئزره وجعله فى وسطه وأمسكه إنسانا وصار يقوده حتى دخل على سيدى أحمد فقال ماأحوجك ياأخى إلى هذا فقال فعلى فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه ما كان إلا الخير ياأخى ثم طلب منه أخذ العهد عليه فأخذه عليه وصار من جملة أصحابه إلى أن مات وكان رضى الله عنه يقول لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شىء من الخبث لالعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل وهناك تستأنس الوحوش بك فى غياضها والطير فى أوكارها لاتنفر منك ويتضح لك سر الحاء والميم ، وقال له شخص من تلامذته ياسيدى أنت القطب فقال نزه شيخك عن القطبية فقال له وأنت الغوث فقال نزه شيخك عن الغوثية . قال الشعرانى قلت وفى هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له فى كل مقام مقام والله أعلم .

به رأت كأن المشترى خرج من بطنها وانقض فوقع منه فى كل مكان شظية فقال المعبر إنه يخرج منك عالم عظيم وقال الشافعى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى ياغلام ممن أنت؟ فقلت منك فقال ادن منى فدنوت منه فأخذ من ريقه وفتحت فمى فأمر من ريقه على لسانى وفمى وشفتى وقال امش بارك الله فيك وقال أيضا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى زمن الصبا بمكة رجلا ذا هيئة يؤم الناس فى المسجد الحرام فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس يعلمهم فدنوت منه فقلت له علمنى فأخرج ميزانا من كمه فأعطانى وقال هذا لك فعرضت الرؤيا على المعبر فقال إنك تصير إماما فى العلم وتكون على السنة لأن إمام المسجد الحرام أشرف الأئمة وأما الميزان فإنك تعلم حقيقة الشىء فى نفسه وعبارة المناوى فأولت بأن مذهبه أعدل المذاهب وأوفقها للسنة التى هى أعدل الملل . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه أى رجل

وفى طبقات الفقهاء الشافعية لابن السبكى أحضر بعض الأكابر مريضا لصاحب الترجمة رضى الله عنه ليدعو له فبقى أياما لم يكلمه فقال يعقوب مؤذن منارة المسجد أى سيدى ماتدعو لهذا المريض فقال أى يعقوب وعزة العزيز لأحمد كل يوم عليه مائة حاجة مقضية وما سألته منها حاجة واحدة فقلت أى سيدى فتكون واحد لهذا المريض المسكين فقال لا كرامة ولاعزازة تريد أن أكون سيء الأدب لى إرادة وله إرادة ثم قرأ : ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين أى يعقوب الرجل المسكين فى أحواله إذا سأل حاجة وقضيت له نقص تمكنه درجة فقلت أراك تدعو عقب الصلاة وكل وقت قال ذاك الدعاء تعبد وامتثال ودعاء الحاجات له شروط وهو غير هذا الدعاء ثم بعد يومين شفى ذلك المريض انتهى ﴿ تنبيه ﴾ ابن السبكى المذكور هو صاحب جمع الجوامع وولده التاج السبكى أخذ عن ابن الرفعة وقد رأيت بعضهم نسب له الأبيات المشهورة وهى :

سهرى لتنقيح العلوم ألذلى … من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامى على أوراقها … أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها … نقرى لألقى الرمل عن أوراق
وتمايلى طربا لحل عويصة … فى الدرس أشهى من مدامة ساق
وأبيت سهران الدجى وتبيته … نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

قال يعقوب الخادم رضى الله عنه ولما مرض سيدى أحمد رضى الله عنه مرض الموت قلت له تجلى العروس فى هذه المرة قال نعم فقلت له لماذا فقال جرت أمور اشتريناها بالأرواح وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقى من عمرى فباعنى وكان يمرغ وجهه وشيبته على التراب ويبكى ويقول العفو العفو ويقول اللهم اجعلنى سقف البلاء عن هؤلاء الخلق وكان مرض الشيخ رضى الله عنه بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ماشاء الله فبقى به المرض شهرا فقيل له من أين هذا كله ولك عشرون يوما لاتأكل ولا تشرب فقال له يا أخى هذا اللحم يندفع ويخرج ولكن قد ذهب اللحم وما بقى إلا المخ واليوم يخرج وغدا نعبر على الله تعالى فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاثا وانقطع ثم توفى يوم الخميس وقت الظهر ثانى عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة وكان يوم مشهودا وكان آخر كلمة قالها أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ودفن فى قبر الشيخ يحيى النجارى وكان شافعى المذهب قرأ كتاب التنبيه للشيخ أبى إسحق الشيرازى وما تصدر قط فى مجلس ولا جلس على سجادة تواضعا وكان لايتكلم إلا يسيرا ويقول أمرت بالسكوت رضى الله عنه كذا فى طبقات الشعرانى وخالفه غيره فى تاريخ الوفاة فانه قال مات رضى الله عنه ببلده أم عبيدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ولم يعقب وإنما الشيخة لابن أخيه رضى الله تعالى عنهما قال المناوى وله فى الطريق كلام عال ، ومنه : الزهد أول مقامات القاصدين إلى الله تعالى فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصلح له شيء من بعد من المقامات وقال رضى الله عنه علامة الأنس بالله الوحشة من جميع الخلق إلا الأولياء فان الأنس بهم أنس به قال رضى الله عنه من توهم أن عمله يوصله إلى مأموله الأعلى فقد ضل وقال رضى الله عنه قرب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتنبه من غفلته وقال رضى الله عنه أقرب الأشياء إلى المقت رؤية النفس وأحوالها وأعمالها وأشد منه طلب العوض على العمل وقال رضى الله عنه أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال رضى الله عنه العبودية الوفاء بالوعد والصبر على المفقود وقال رضى الله عنه سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والانكسار لعظيم أمر

كان الشافعى فإنى سمعتك تكثر الدعاء له ؟ فقال يابنى كان الشافعى كالشمس فى النهار وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو عنهما عوض وقال أخوه صالح بن أحمد جاء الشافعى يوما إلى أبى يعوده وكان عليلا فوثب اليه وقبله بين عينيه ثم أجلسه فى مكانه وجلس بين يديه ثم أخذ يسأله ساعة فساعة فلما قام الشافعى وركب أخذ أبى بركابه ومشى معه فبلغ يحيى بن معين ذلك فقال انى لو مشيت من جانب وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من جانب آخر لانتفعت به من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة . وقال أحمد بن حنبل ماأعلم أحدا أعظم منة على الإسلام فى زمن الشافعى من الشافعى وانى لأدعو له فى أدبار الصلوات اللهم اغفر لى ولوالدى ولابن ادريس الشافعى . وقال المزنى ما رأيت أكرم من الشافعى خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره فى مسئلة حتى أتيت باب داره فأتاه غلام بكيس فقال له سيدى يقرئك السلام ويقول

الله تعالى والشفقة على خلقه اهـ ولولا مخافة التطويل لزدناك كلاما من هـذا القبيل .

﴿ الثانى من الأقطاب الأربعة سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ﴾

هو ابوصالح عبد القادر بن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن حسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين . ولد رضى الله عنه سنة سبعين وأربعمائة كذا فى طبقات الشعرانى، قال وحكى عن أمه رضى الله عنها قالت لما وضعت ولدى عبد القادر كان لا يرضع ثديه فى نهار رمضان ولقد غم على الناس هلال رمضان فأتونى وسألونى عنه فقلت لهم إنه لم يلتقم اليوم ثديا ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ببلدنا فى ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع فى نهار رمضان وكان رضى الله عنه يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويركب البغلة ويتكلم على كرسى عال وربما خطا فى الهواء خطوات على رؤوس الناس ثم يرجع إلى الكرسى وكان رضى الله عنه يقول بقيت أياما لم أستطعم فيها بطعام فلقينى إنسان فأعطانى صرة فيها دراهم فأخذت منها خبزا سميذا وخبيصا وجلست آكله فاذا برقعة مكتوب فيها قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة «إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقى ليستعينوا بها على الطاعات أما الأقوياء فما لهم وللشهوات» فتركت الأكل وانصرفت وكان رضى الله عنه يقول انه لترد علىّ الأثقال الكبيرة التى لو وضعت على الجبال لتصدعت فاذا كثرت علىّ الأثقال وضعت جنبى على الأرض وتلوت «فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا» ثم أرفع رأسى وقد انفجرت عنى تلك الأثقال وكان رضى الله عنه يقول قاسيت الأهوال فى بدايتى فما تركت هولا إلا ركبته وكان لباسى جبة صوف وعلى رأسى خريقة وكنت أمشى حافيا فى الشوك وغيره وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من شاطئ النهر ولم أزل آخذ نفسى بالمجاهدات حتى طرقنى من الله تعالى الحال فاذا طرقنى صرخت وهمت على وجهى سواء كنت فى صحراء أو بين الناس وكنت أتظاهر بالتخارس والجنون وحملت إلى البيمارستان وطرقتنى مرة الأحوال حتى مت وجاءوا بالكفن والغاسل وجعلونى على المغسل ليغسلونى ثم سرى عنى وقمت وقال له رجل مرة كيف الخلاص من العجب ؟ فقال رضى الله عنه من رأى الأشياء من الله وأنه هو الذى وفقه للعمل وأخرج نفسه من البين فقد سلم من العجب . وقيل له مرة مالنا لانرى الذباب يقع على ثيابك فقال أى شىء يعمل الذباب عندى وأنا ماعندى شىء من دبس الدنيا ولا عسل الآخرة وكان رضى الله عنه يقول ايما امرئ مسلم عبر على باب مدرستى خفف الله عنه العذاب يوم القيامة وكان رجل يصرخ فى قبره ويصيح حتى آذى الناس فأخبروه به فقال انه رآنى مرة ولابد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك فمن ذلك الوقت ماسمع له أحد صراخا وكان رضى الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر وكان يفتى على مذهب الامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الاعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه .

﴿فوائد الأولى﴾ رفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها فماذا يفعل من العبادات ؟ فأجاب على الفور يأتى مكة ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعا وحده فينحل يمينه فأعجب علماء العراق وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها [الثانية] رفع له شخص ادّعى أنه يرى الله عز وجل بعينى رأسه فقال أحق ما يقولون عنك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول وأخذ عليه أن لا يعود اليه فقيل للشيخ أمحق هذا أم مبطل فقال هذا محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرج من بصيرته إلى بصره لمعة فرأى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل

لك خذ هـذا الكيس فأخذه منـه فأتاه رجل فقال ياأبا عبد الله ولدت امرأتى الساعة وليس عندى شىء فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شىء ؟ وقال الحميـدى قـدم الشافعى من صنعـاء إلى مـكة بعشرة آلاف فى منـديل فضرب خباءه خارجا من مكة فـكان الناس يأتونه فما برح حتى ذهبت كلها ثم دخل مكة . ونقل ابن حجر وغـيره أنه لم يقع فى مدة حياته طاعون لا بمصر ولا بغيرها وكان رضى الله عنـه جهورى الصـوت جدا فى غاية من الـكرم والشجاعة وجودة الرمى وصحة الفراسـة وحسن الأخـلاق وكان كلامـه حجة فى اللغـة كامرئ القيس ولبيد ونحوهما كما نقله ابن الصلاح عن ابن هشام صاحب السيرة وكان أعجوبة فى العلم بأنساب العرب أيامهـا وأحوالها وهو أول من صنف فى أصول الفقه وأول من صنف فى أبواب من الفقه معروفة كبـاب السبق والرمى وتفقه له ابن يسمى محمدا ويكنى أبا عثمان ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر فقال كان فقيها توفى بمصر سنة احدى وثلاثين

شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ماشهده ببصيرته وإنما رأى بصره ببصيرته فقط وهو
لايدرى قال الله تعالى «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان وكان جمع من المشايخ وأكابر»
العلماء حاضرين هذه الوقعة فأطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال
الرجل ومزق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلى الصحراء [الثالثة] قال رضى الله عنه تراآى لى
نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني ياعبدالله أنا ربك وقد حللت لك المحرمات فقلت
اخسأ يالعين فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبنى ياعبدالقادر نجوت منى لعلمك
بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقلت
لله الفضل فقيل له كيف علمت أنه شيطان ؟ قال بقوله قد حللت لك المحرمات . وسئل رضى الله
عنه عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية ؟ فقال الوارد الإلهى لايأتى باستدعاء ولايذهب
بسبب ولا يأتى على نمط واحد ولافى وقت مخصوص والطارق الشيطانى بخلاف ذلك غالبا . وسئل
رضى الله عنه عن الهمة فقال هى أن لايتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق
بالعقبى وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أويخطر على سره .
ولما اشتهر أمره فى الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه فى العلم فجمع كل واحد له
مسائل وجاء إليه فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت
على صدور المائة فمحت مافى قلوبهم فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا
رؤوسهم ثم صعد الكرسى وأجاب الجميع عما كان عندهم فاعترفوا بفضله ؛ وكان من أخلاقه أن
يقف مع جلالة قدره مع الصغير والجارية ويجالس الفقراء ويفلى لهم ثيابهم وكان لايقوم قط لأحد
من العظماء ولا أعيان الدولة وماألمّ قط بباب وزير ولا سلطان ، وكان رضى الله عنه يقول أقمت
فى صحراء العراق وخرابه خمسا وعشرين سنة مجردا سائحا لاأعرف الخلق ولايعرفونى يأتينى
طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عز وجل ورافقنى الخضر عليه السلام
فى أول دخولى العراق وما كنت عرفته وشرط أن لاأخالفه وقال لى اقعد هنا فجلست فى الموضع
الذى أقعدنى فيه ثلاث سنين يأتينى كل سنة مرة ويقول لى مكانك حتى آتيك ذكر ذلك الشعرانى
فى طبقاته (ومن) كلام سيدى عبد القادر كما فى كتابه فتوح الغيب : إذا أقامك الله تعالى فى حالة
فلا تطلب الانتقال منها إلى ماهو أعلى منها أو أدنى بل تربص حتى يكون الحق تعالى هو الذى
ينقلك بغير إرادة منك وإذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول إلى الدار واصبر حتى تدخل إليها
بعد تكرر الإذن بالدخول وإياك أن تقنع بمجرد الإذن لك بالدخول مرة واحدة لجواز أن
يكون ذلك مكرا وخديعة من الملك فإذا كان الدخول جبرا محضا وفضلا من الملك فحينئذ
لايعاقبك الملك على الدخول وإنما تتطرق العقوبة إليك بشؤم اختيارك وشرهك وقلة صبرك وسوء
أدبك وتركك الرضا بحالتك التى أقامك الحق تعالى فيها ثم إذا أدخلك الملك الدار بالإذن فكن
مطرقا برأسك غاضا بصرك متأدبا ناظرا لما تؤمر به من الخدمة فتبادر إلى ذلك غير طالب للترقى
إلى الدرجة العليا قال تعالى لنبيه ﷺ «ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم» الآية فنهاه
عن الالتفات إلى غير الحالة التى هو فيها ، ثم إن العبد الطالب للانتقال من حال إلى حال لايخلو
من أن يكون ذلك الأمر قسم له أو قسم لغيره أو لم يقسمه الله لأحد بل أوجده الله تعالى فتنة ،
فأما المقسوم فهو واصل إلى العبد لامحالة فى الوقت الذى جعله الحق تعالى فلا ينبغى له أن يظهر
بشره وسوء الأدب فى طلبه ، وأما المقسوم لغيره فلا يتعب نفسه فيما لاينا له ولايصل إليه وإن كان

ومائتين. وقال الدارقطنى
إنه أخذ العلم عن أبيه .
(ومن كلام الإمام رضى الله
عنه) من لم تعزه التقوى
فلاعزله . وقال زينة العلماء
التقوى وحليتهم حسن
الخلق وجمالهم كرم النفس.
وقال ما أفلح فى العلم إلا
من طلبه فى القلة . وقال
لايطلب أحد هذا العلم
بعزة نفس فيفلح . وقال
لاعيب بالعلماء أقبح من
رغبتهم فيما زهدهم الله
فيه وزهدهم فيما رغبهم
فيه . وقال ليس العلم ما
حفظ إنما العلم ما نفع .
وقال فقر العلماء فقر اختيار

لم

لم يقسم لأحد وإنما جعله الله فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة ويستحسنها فإذن الخير والسلامة فى حفظ الحال ثم إذا رقيت بعد الدار إلى الغرفة ثم منها إلى السطح فكن كما ذكرنا من الأدب والاطراق بل يتضاعف ذلك منك لأنك صرت أقرب إلى حضرة الملك فإياك وطلب الانتقال إلى محل أقرب من ذلك إلا إن أعلمك الملك أن تلك الدرجة أو المقام الذى تطلب الانتقال إليه قد وهبه الحق لك بعلامات وآيات انتهى كلام سيدى عبد القادر رضى الله عنه قال الشعرانى فى المنن وهو كلام فى غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين؛ وله كلام كثير منظوم فمنه:

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة ... على سائر الأقطاب قولى وحرمتى

توسل بنا فى كل هول وشدة ... أغيثك فى الأشياء طرا بهمتى

ومن كلامه أيضا: أنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى مايرهب

﴿كرامات: الأولى﴾ جاء رجل من أهل بغداد وذكر أن له بنتا قد اختطفت من سطح داره وهى بكر فقال له الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ واجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة فى الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله على نية عبد القادر فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يرعك منظرهم فإذا كان السحر مر بك ملكهم فى جحفل منهم فيسألك عن حاجتك فقل له قد بعثنى إليك الشيخ عبد القادر واذكر له شأن ابنتك قال فذهبت وفعلت ماأمرنى به الشيخ عبد القادر رضى الله عنه فمرت بى صور مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم أن يمر على الدائرة التى أنا فيها وما زالوا يمرون زمرا زمرا إلى أن جاء ملكهم راكبا فرسا وبين يديه أمم منهم فوقف بازاء الدائرة وقال ياإنسى ماحاجتك؟ فقلت له قد بعثنى إليك الشيخ عبدالقادر فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال ماشأنك؟ فذكرت له قصة ابنتى فقال لمن حوله علىّ بمن فعل هذا فأتانى بمارد ومعه بنتى فقيل له إن هذا مارد من مردة الصين فقال له ماحملك على أن اختطفت هذه من تحت ركاب القطب فقال إنها وقعت فى نفسى فأمر به فضربت عنقه وأعطانى ابنتى فقلت مارأيت مثل الليلة من امتثالك أمر الشيخ عبدالقادر فقال نعم إنه فى داره ينظر إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته وإن الله تعالى إذا أقام قطبا مكنه من الجن والإنس كذا فى حياة الحيوان فى حرف الجيم عند الكلام على الجن [الثانية] جاءت امرأة بولدها إلى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه وقالت له إنى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حقى فيه لله عز وجل ولك فاقبله فقبله وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فدخلت عليه أمه يوما فوجدته نحيلا مصفر اللون من آثار الجوع والسهر ووجدته يأكل قرصا من شعير فدخلت على الشيخ عبد القادر رضى الله عنه فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مصلوقة قد أكلها فقالت ياسيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال قومى بإذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم فقامت دجاجة سوية فقال الشيخ رضى الله عنه إذا صار ابنك يفعل هكذا فليأكل ماشاء الله كذا فى حياة الحيوان [الثالثة] قال الشيخ الدميرى فى حياة الحيوان أيضا روينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبدالقادر الجيلى قدس الله روحه جلس يوما يعظ وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوشت على الحاضرين ماهم فيه فقال الشيخ ياريح خذى رأس

وفقر الجهلاء فقر اضطرار. وقال لا تخرج من علم إلى غيره حتى تحكمه فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة فى الفهم. وقال طلب فضول الدنيا عقوبة يعاقب الله بها أهل التوحيد. وقال من شهد فى نفسه الضعف نال الاستقامة. وقال من أحب أن ينور الله قلبه فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب. وقال ماشبعت منذ

هذه الحدأة فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى ناحية فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيده وأمر يده الأخرى عليها وقال بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك انتهى [الرابعة] سقط عليه رضى الله عنه وهو يدرس حية ففر من حضر منها فدخلت فى ذيله وخرجت من طوقه والتفت على عنقه فلم يقطع كلامه ولم يتغير ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهم وانصرفت فسئل عن ذلك فقال قالت اختبرت عدة أولياء فلم أجد كثباتك فقلت ما أنت إلا دويدة يحركك القضاء والقدر كذا فى درر الأصداف [الخامسة] توضأ رضى الله عنه يوماً فبال عليه عصفور فرفع رأسه اليه وهو طائر فوقع ميتا فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال هذا بهذا كذا فى طبقات الشعرانى ، وفيه وكان رضى الله عنه يقول يارب كيف أهدى اليك روحى وقد صح بالبرهان أن الكل لك ، وكان رضى الله عنه يتكلم فى ثلاثة عشر علما وكانوا يقرءون عليه فى مدرسته درسا من التفسير ودرسا من الحديث ودرسا من المذهب ودرسا من الخلاف وكانوا يقرءون عليه طرفى النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو اهـ قال ابن الحاج فى شرح رسالة ابن باديس حضر يوما مجلسه الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى رضى الله عنه ففسر الشيخ عبد القادر رضى الله عنه آية وذكر فيها وجوها وإلى جانب الشيخ أبى الفرج من يسأله أتعرف هذا القول فيقول نعم إلى أن بلغ أحد عشر يعرفها أبو الفرج ثم زاد الشيخ حتى انتهى إلى أربعين وجها وعزا كل وجه إلى قائله فاشتد تعجب الشيخ أبى الفرج من كثرة علم الشيخ ثم قال نترك القال ونرجع للأحوال لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضطرب الناس اضطرابا شديدا ومزق أبو الفرج ثوبه اهـ . ومن كلامه رضى الله عنه زيادة على ما سبق: احذروا ولا تأمنوا ولا تضيفوا إلى أنفسكم حالا ولا مقالا ولا تدعوها ولا تخبروا بما يطلعكم الله تعالى عليه من الأحوال فان كل يوم هو فى شأن . وقال رضى الله عنه لا تشك ضرا نزل بك لغير الله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو واحذر أن تشكو ضيق رزقك وعندك قوت فربما عسر عليك أسباب الرزق عقوبة على كفرانك . وقال رضى الله عنه النعم واصلة إليك اجتلبتها أم لا والبلوى حاصلة بك وإن كرهتها فسلم لله فى الكل يفعل الله ما يشاء فان أتتك نعمة فاشتغل بالذكر والشكر أو بلوى فبالصبر والموافقة وأعلى منهما الرضا والتلذذ بالقضاء . وكان رضى الله عنه يقول ارض بالدون ولا تنازع ربك فى قضائه فيتقصمك ولا تغفل عنه فيسلبك ولا تقل فى دينه بهواك فيرديك ولا تسكنن إلى نفسك فتبلى بها وبمن هو شر منها ولا تظلم أحداً ولو بسوء ظنك به وحملك له على محامل السوء فانه لا يجاوز بك ظلم ظالم . وكان رضى الله عنه يقول إذا وجدت فى قلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أفعاله على الكتاب والسنة فان كانت محبوبة فيهما فأحبه وإن كانت مكروهة فاكرهه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولا تهجر أحداً إلا لله وذلك إذا رأيته مرتكبا كبيرة أو مصراً على صغيرة قال الشعرانى قلت ومعنى رأيته مرتكبا كبيرة العلم بذلك ولو ببينة فلا يشترط فى جواز الهجر رؤية الهاجر لذلك العاصى ببصره كذا فى طبقات الشعرانى وغيره قال الأديب ابن حجة فى شرح بديعيته ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة والتعظيم قول القطب الفرد الجامع الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه من قصيدة :

أأظما وأنت العذب فى كل منهل   وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى

انتهى وقد رأيت هذا البيت وبيتا آخر معه فى ورقة عتيقة ضاعت منى مكتوبا فيها خاصيتهما

ست عشرة سنة إلا مرة واحدة فطرحتها من ساعتها وقال لا يعرف الرياء إلا المخلصون . وقال لو أوصى لأعقل الناس صرف للزهاد وقال لو علمت أن شرب الماء ينتقص مروءتى ماشربته وسئل عن المروءة فقال هى عفة الجوارح عما لا يعنيها وأركانها أربعة حسن الخلق والتواضع والسخاء ومخالفة النفس . وقيل له مالك تدمن إمساك العصا ولست بضعيف قال لأتذكر أنى مسافر من هذه الدار . وقال سياسة الناس أشد من

ولكن

ولكن أسيتها والبيت الآخر هو ذا :

وعار على حامى الحمى وهو فى الحمى إذا ضاع فى البيدا عقال بعيرى

قال ابن الحاج فى شرح رسالة ابن باديس روى عنه أنه قال قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى قالوا فلم يبق ولى لله تعالى فى المشرق ولا فى المغرب ولا من وراء السد ولا فى جزائر البحر المحيط ولا فى جبل قاف إلا مد عنقه فى تلك الساعة إلا رجلا واحداً فى أصفهان لم يتأدب مع الشيخ فسلب حاله ، وقد روى أن الشيخ أبامدين مد عنقه فى بلاد المغرب فسأله أصحابه عن ذلك فقال إن سيدى الشيخ عبد القادر قال فى هذه الساعة قدمى هذه على رقبة كل ولى فأرخ أصحابه ذلك اليوم حتى قدم المسافرون من أرض العراق فأخبروا بقوله ذلك فى ذلك اليوم ولما بلغ ذلك وهو على منبر وعظه سمع الرفاعى من أم عبيدة بلده فطأطأ رأسه وقال وعلى رقبتى وكذلك سائر الأولياء فى سائر البلدان . وفى طبقات الشرنوبى سمى عبد القادر بالجيلانى لأن الله تعالى تجلى عليه وهو فى بطن أمه مائة مرة فسمته به الملائكة فسمعت به الرجال وسمته به وشاع اهـ (توفى) رضى الله عنه سنة إحدى وستين وخمسمائة ودفن ببغداد رضى الله عنه قال ابن الأثير كان الجيلى رضى الله عنه من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلى المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد كذا فى تاريخ أبى الفداء .

﴿الثالث من الأربعة الأقطاب سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه﴾

وهو أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسمعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد ابن موسى بن يحيى بن عيسى بن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه المعروف بالشيخ أبى الفتيان الشريف العلوى السيد أحمد البدوى الملثم المعتقد ، والمشهور أن سلفه رضى الله عنه تحوّل من الحجاز إلى بلاد المغرب ثم خرج أبوه على بن إبراهيم من فاس فى سنة ثلاث وستمائة ومعه أولاده وامرأته فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله وأولاده كلهم منها وهم الحسن ومحمد وفاطمة وزينب ورقية وفضة وأحمد البدوى صاحب الترجمة يريدون الحج فحج بهم فى سنة سبع وستمائة والسيد أحمد البدوى كان عمره إحدى عشرة سنة وأقام بمكة وعرف بالبدوى لكثرة ما كان يتلثم وعرض عليه أخوه التزويج فامتنع وأخذه تحت كنفه وأقرأه القرآن واشتهر بمكة بالشجاعة وسمى العطاب والغضبان ثم حدث له حال فى نفسه فتغيرت أحواله واعتزل الناس ولزم الصمت وكان لا يتكلم إلا بالإشارة فقيل له فى منامه أن سر إلى طندتا وبها سر بحال يكون له وذلك فى ليلة الأحد عاشر محرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فسار هو وأخوه حسن من مكة فى شهر ربيع الأوّل إلى العراق ودخل بغداد وجال فى البلاد ثم عاد حسن إلى مكة وتأخر أحمد بعده ثم لحق به وقدم مكة ولزم الصيام والقيام حتى كان يطوى أربعين يوماً لا يتناول فيها طعاماً ولا شرابا وفى أكثر أوقاته يكون شاخصا ببصره إلى السماء وقد صارت عيناه تتوقدان كالجمر ثم سار من مكة فى سنة أربع وثلاثين وستمائة يريد مصر ونزل ناحية طندتا فى رابع عشر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة وأكثر من الصياح ليلا ونهارا وأقام بعد ذلك بطندتا كذا نقل عن المقريزى وغيره . وفى طبقات الشعرانى ما نصه وكان مولده رضى الله عنه بمدينة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج اليها حين أكثر القتل فى الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له فى منامه ياعلى انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة فان لنا فى ذلك شأنا وكان ذلك سنة ثلاث

سياسة الدواب . وقال لاتتكلم إلا فيما يعنيك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها. وقال العاقل من عقله عقله عن كل مذموم . وقال ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته . وقال من صدق فى أخوّة أخيه قبل عمله وغفر زلله . وقال علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدوه عدوا . وقال لاسرور يعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم . وقال لاتقصر فى حق أخيك اعتمادا على مودته . وقال

وستمائة قال الشريف حسن أخو سيدى أحمد رضى الله عنهما فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب والاكرام حتى وصلنا إلى مكة المشرفة فى أربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ومكثنا عندهم فى ارغد عيش حتى توفى والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة ودفن بباب المعلاة وقبره هناك ظاهر يزار فى زاوية قال الشريف حسن فأقمت أنا وإخوتى وكان أحمد أصغرنا سنا وأشجعنا قلبا وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوى فأقرأته القرآن فى المكتب مع ولدى الحسين ولم يكن فى فرسان مكة أشجع منه وكانوا يسمونه فى مكة العطاب فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله واعتزل عن الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة وكان بعض العارفين يقول إنه رضى الله عنه حصلت له جمعية على الحق تعالى فاستغرقته إلى الأبد ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا ثم إنه فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى فى منامه ثلاث مرات قائلا يقول قم يا أحمد واطلب مطلع الشمس فاذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طندتا فان بها مقامك أيها الفتى فقام من نومه وشاور أهله وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيدى عبدالقادر الجيلانى وسيدى أحمد بن الرفاعى فقالوا يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أى مفتاح شئت فقال لهما سيدى أحمد لاحاجة لى بمفتاحكما ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح قال سيدى حسن رضى الله عنه فلما فرغ أخى أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدى بن مسافر والحلاج وأضرابهما خرجنا قاصدين إلى ناحية طندتا فأحدق بنا الرجال من سائر الأقطار يعارضوننا ويقاتلوننا فأومأ بيده اليهم سيدى أحمد البدوى فوقعوا أجمعين فقالوا له يا أحمد أنت أبو الفتيان وانكبوا مهرولين راجعين ومضينا إلى أم عبيدة فرجع سيدى حسن إلى مكة وذهب سيدى أحمد رضى الله عنه إلى فاطمة بنت برى وكانت امرأة لها حال عظيم وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه حالها وتابت على يديه وحلفت إنها لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا عونا لبنت برى إلى أماكنهم وكان يوماً مشهودا بين الأولياء ثم إن سيدى أحمد البدى رضى الله عنه رأى الهاتف فى منامه يقول يا أحمد سر إلى طندتا فانك تقيم بها وتربى بها رجالا وأبطالا عبد العال وعبد الوهاب وعبد المجيد وعبد المحسن وعبد الرحمن وكان ذلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة فدخل رضى الله عنه مصر ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعاً إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط فصعد إلى سطح غرفته وكان طول نهاره وليله واقفا شاخصا ببصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالجمرة وكان يمكث أربعين يوما فأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا ينزل من السطح وخرج إلى ناحية فيشى المنارة فتبعه الأطفال فكان منهم عبد العال وعبد المجيد فورمت عين سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فطلب من سيدى عبدالعال بيضة يعملها على عينه فقال وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه نعم فأعطاها له فذهب إلى أمه فقال لها ههنا بدوى عينه توجعه وطلب منى بيضة وأعطانى هذه الجريدة فقالت ما عندى شىء فرجع فأخبر سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه بذلك فقال اذهب فأتنى بواحدة من الصومعة فرجع سيدى عبدالعال فوجد الصومعة قد ملئت بيضا فأخذ له واحدة منها وخرج بها اليه ثم إن سيدى عبد العال تبع سيدى أحمد رضى الله عنه من ذلك الوقت ولم تقدر أمه على تخليصه منه فكانت تقول يابدوى

لاتبذل وجهك لمن يهون عليه ردك . وقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه جهرا فقد فضحه وشانه . وقال أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله . وقال صحبة من لا يخاف المعار عار . وقال من سام نفسه فوق ماتساوى رده الله إلى قيمته . وقال ماضحك من خطإ رجل إلا ثبت صوابه فى قلبه . وقال ما أكرمت أحدا فوق قدره إلا اتضع من قدرى

الشوم عليها فكانت سيدى أحمد رضى الله عنه إذا بلغه ذلك يقول لو قالت يا بدوى الخير كانت أصدق ثم أرسل اليها يقول لها إنه ولدى من يوم قرن الثور وكانت أم عبد العال قد وضعته فى معلف الثور وهو رضيع فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه فى القماط فشال عبدالعال على قرنه وهاج فلم يقدر أحد على تخليصه منه فمد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه يده وهو بالعراق فخلصه من القرن فتذكرت أم عبد العال الواقعة واعتقدته من ذلك اليوم ولم يزل سيدى أحمد على السطوح مدة اثنتى عشرة سنة وكان سيدى عبدالعال يأتى إليه بالرجل أو الطفل فيطأطىء من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملأوه مددا ويقول لعبدالعال اذهب به إلى بلد كذا أو موضع كذا فكانوا يسمون أصحاب السطح وكان رضى الله عنه لم يزل متلثما بلثامين فاشتهى سيدى عبدالمجيد رضى الله عنه يوما رؤية وجه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فقال ياسيدى أريد أن أرى وجهك أعرفه فقال ياعبدالمجيد كل نظرة برجل فقال ياسيدى أرنيه ولو أموت فكشف له اللثام الفوقانى فصعق ومات فى الحال وكان فى طندتا سيدى حسن الصائغ الاخنائى وسيدى سالم المغربى فلما قرب سيدى أحمد رضى الله عنه من مصر أول مجيئه من العراق قال سيدى حسن رضى الله عنه مابقى لنا إقامة صاحب البلد قد جاء فخرج إلى ناحية اخنا وضريحه بها مشهور إلى الآن ومكث سيدى سالم رضى الله عنه فسلم لسيدى أحمد رضى الله عنه ولم يتعرض له فأقره سيدى أحمد رضى الله عنه وقبره فى طندتا مشهور وأنكر عليه بعضهم فسلب وانطفأ اسمه وذكره ومنهم صاحب الايوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان وليا عظيما فثار عنده الحسد ولم يسلم الأمر لقدرة الله تعالى فسلب وموضعه الآن بطندتا مأوى للكلاب ليس فيه رائحة صلاح ولا مدد فكان الخطباء بطندتا انتصروا له وعملوا له وقتا وأنفقوا عليه أموالا وبنوا الزاوية مأذنة عظيمة فرفسها سيدى عبد العال رضى الله عنه برجله فغارت إلى وقتنا هذا وكان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات يعتقد سيدى أحمد رضى الله عنه اعتقادا عظيما وكان ينزل لزيارته ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر ليتلقوه وأكرموه غاية الإكرام [صفته رضى الله عنه] كان غليظ الساقين طويل الذراعين كبير الوجه أكحل العينين طويل القامة قمحى اللون وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر جدرى فى خده اليمين واحدة وفى خده الأيسر ثنتان أقنى الأنف على أنفه شامتان من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح لما كان بمكة ولم يزل من حين كان صغيرا باللثامين ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه حتى حدث له حادث الوله وكان إذا لبس ثوبا أو عمامة لايخلعها لغسل ولا لغيره حتى تذوب فيبدلونها له بغيرها والعمامة التى يلبسها الخليفة فى كل سنة فى المولد هى عمامة الشيخ بيده وأما البشت الصوف الأحمر فهو من لباس سيدى عبد العال رضى الله عنه اهـ من طبقات الشعرانى .

﴿ كرامات : الأولى ﴾ أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد قاضى القضاة بالديار المصرية سمع بالشيخ وأحواله فنزل إليه واجتمع به بناحية طندتا وقال له يا أحمد هذا الحال الذى أنت فيه ماهو مشكور فإنه مخالف للشرع الشريف فإنك لاتصلى ولا تحضر الجماعة وما هذه طريقة الصالحين فالتفت إليه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وقال له اسكت وإلا أطير دقيقك ودفعه دفعة فلم يشعر بنفسه إلا وهو فى جزيرة واسعة ولم يعلم لها طولا ولا عرضا فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها وهو ذاهل العقل غائب عن الصواب ويقول مالى ولمعارضة أولياء الله تعالى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصار يبكى ويستغيث ويبتهل إلى الله تعالى فبينما هو كذلك

عنده بقدر مازدت فى إكرامه . وقال إن الله خلقك حرا فكن كما خلقك . وقال مداراة الأحمق غاية لاتدرك . وقال الكريم من راعى وداد لحظة وانتمى لمن أفاده لفظة ، واللئيم من إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ونسى فضل معلمه . وقال من عاشر الكرام صار كريما ، ومن عاشر اللئام نسب للؤم . وقال التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة . وقال الظلمة أجلى للقلب .

إذ ظهر له رجل له هيبة ووقار وسلم عليه فرد عليه السلام وقام إليه وجعل يقبل يديه ورجليه فقال له ماقضيتك ؟ فأخبره بخبره مع سيدى أحمد البدوى فقال له لقد وقعت فى أمر عظيم أتدرى كم بينك وبين القاهرة قال لا والله قال بينك وبينها سفر ستين سنة فازداد هما على همه وغما على غمه وكبر فى قلبه الخوف وقال ياترى من يخلصنى من هذه الورطة إنا لله وإنا إليه راجعون وأقبل على الرجل يقول له أرشدنى يرحمك الله فقال له هون عليك الأمر فما يحصل لك إلا الخير إن شاء الله تعالى قال وكيف لى بذلك ؟ فأخذ بيده وأراه قبة كبيرة وقال له ترى هذه القبة اذهب إليها واجلس فيها فإن سيدى أحمد البدوى يصلى فيها العصر بجماعة من الرجال ويودعونه وينصرف كل واحد منهم إلى حال سبيله فإذا صليت معهم فتعلق به وتملق بين يديه وقبل يديه ورجليه واكشف رأسك وتأدب معه وقل له أستغفر الله وأتوب إليه ولا أعود لما صدر منى فإذا رأى منك ذلك فإنه يقبل عليك ويردك إلى موضعك إن شاء الله تعالى وكان الرجل الذى أتى الشيخ ابن دقيق العيد هو الخضر عليه السلام فامتثل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد أمره ومشى إلى القبة وجلس فيها على وضوء ينتظر قدوم الجماعة فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت الجماعة من كل جانب ومكان وأقيمت الصلاة فتقدم سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وصلى بهم إماما فلما انقضت الصلاة تعلق الشيخ ابن دقيق العيد بأذياله وكشف رأسه وجعل يقبل يديه ورجليه ويبكى ويستغفر ويعتذر وأنصف من نفسه قال فأقبل عليه سيدى أحمد رضى الله عنه وقال له ارجع عما كنت فيه ولا تعد إلى مثله فقال له السمع والطاعة ياسيدى فدفعه الشيخ دفعة لطيفة وقال اذهب إلى بيتك فإن عيالك فى انتظارك قال فلم يشعر ابن دقيق العيد بنفسه إلا وهو واقف بباب داره بمصر فأقام مدة ببيته لايخرج منه لما جرى له مع سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه قال صاحب الجواهر السنية أخبرنا بهذه الكرامة الفقيه الأجل الرضى شمس الدين محمد المعروف بالحلبى قال كنت أحضر مجلس الشيخ زين الدين بن النقاش المكى بأبى هريرة بجامع أحمد ابن طولون وكنت إذ ذاك شابا فذكر لأهل مجلسه هذه الكرامة وذلك بعد أن قال لأهل مجلسه ياأهل المجلس ماتقولون فى سيدى أحمد البدوى؟ فسكتوا فأعاد عليهم ذلك ثانيا وثالثا وهم يسكتون فقال لهم كان رجلا صالحا واتفق له مع الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كذا وكذا وحكى لنا هذه الحكاية من أولها إلى آخرها وقال إن هذه الكرامة صحيحة فإن الشيخ ذكر هذه الحكاية بنفسه عن نفسه [الثانية] أن الشيخ ابن دقيق العيد كان قد أرسل إلى سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه وقال له امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل فإن أجابك عنها فهو ولى لله تعالى فمضى إليه سيدى عبدالعزيز وسأله عنها فأجاب عنها بأحسن جواب وقال هذا الجواب مسطر فى كتاب الشجرة فوجدوه فى الكتاب كما قال وكان سيدى عبدالعزيز إذا سئل عن سيدى أحمد رضى الله عنه يقول هو بحر لايدرك له قرار كذا فى الطبقات [الثالثة] قال الشعرانى فى الطبقات شاهدت أنا بعينى سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيرا على منارة سيدى عبدالعال رضى الله عنه مغلولا مقيدا وهو مخبط العقل فسألته عن ذلك فقال بينا أنا فى بلاد الافرنج آخر الليل توجهت إلى سيدى أحمد فإذا أنا به فأخذنى وطار بى فى الهواء فوضعنى ههنا فمكث يومين ورأسه دائرة عليه من شدة الخطفة كذا فى الطبقات [الرابعة] قال الشعرانى فى الطبقات أخبرنى شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه أن شخصا أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدى أحمد رضى الله عنه فقال بشرط أن

وقال وددت لو أخذ عنى هذا العلم من غير أن ينسب إلىّ منه شىء . وقال ماناظرت أحدا إلا ولم أبال يبين الحق على لسانه أو لسانى، وفى رواية ماناظرت أحدا إلا أحببت أن يظهر الله الحق على يديه (وحكمته) كما قاله البيهقى أنه لا يستنكف من الأخذ به إذا ظهر على يد غيره بخلاف خصمه فإنه قد لا يأخذ به إذا ظهر على يد غيره . وقال من برّك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك .

لا تعود

لاتعود فقال نعم فرد عليه ثواب إيمانه ثم قال له وماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال والنساء فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع أحد منه ثم قال وعزة ربى ما عصى أحد فى مولدى إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار وأحميها من بعضها فيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى [الخامسة] قال الشعرانى حكى لى شيخنا أيضاً أن سيدى الشيخ أبا الغيث بن كتيلة أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحد الصالحين بها كان بمصر فجاء إلى بولاق فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول فى المراكب فأنكر ذلك وقال هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم صلى الله عليه وسلم مثل اهتمامهم بأحمد البدوى فقال له شخص سيدى أحمد ولى عظيم فقال ثم فى هذا المجلس من هو أعظم منه مقاما فعزم عليه شخص فأطعمه سمكا فدخلت حلقه شوكة تصلبت فلم يقدروا على نزولها بدهن غطاس ولا بحيلة من الحيل وورمت رقبته حتى صارت كخلاية النحل تسعة شهور وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام وأنساه الله تعالى السبب فبعد التسعة شهور ذكره الله بالسبب فقال احملونى إلى قبة سيدى أحمد رضى الله عنه فأدخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دما فقال تبت إلى الله تعالى ياسيدى أحمد وذهب الوجع والورم من ساعته [السادسة] أنكر ابن الشيخ خليفة بناحية أبيار بالغربية حضور أهل بلده إلى المولد قال الشعرانى فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوى فلم يرجع فاشتكاه لسيدى أحمد فقال ستطلع له حبة ترعى فمه ولسانه فطلعت من يومه ذلك وأتلفت وجهه ومات بها [السابعة] وقع ابن اللبان فى حق سيدى أحمد رضى الله عنه فسلب القرآن والعلم والإيمان فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحمد أن يدخل فى أمره فدلوه على سيدى ياقوت العرشى فمضى إلى سيدى أحمد رضى الله عنه وكلمه فى القبر فأجابه وقال له أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رأس ماله قال الشعرانى وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت رضى الله عنه وقد زوجه سيدى ياقوت ابنته ودفن تحت رجليها بالقرافة اهـ. من الطبقات [الثامنة] قال الشعرانى أخبرنى الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه قال ضاعت حمارة أخى أيام المولد فجاء إلى قبر سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فقال والله لا أخرج حتى تجىء حمارتى فبينما هو جالس فى القبة إذا بالحمارة واقفة جنب التابوت [التاسعة] قال الشعرانى فى الطبقات الصغرى أخبرنى الخواجا الحلبى قال بينما أنا مسافر بحمل قماش إلى المولد إذا سبعة فرسان أحاطوا بى ليأخذوا مامعى فقلت ياسيدى أحمد أنا فى دركك فما تم الكلام حتى خرج عليهم فارس على حصان أبيض لا يرى منه إلا عيناه فطردهم حتى غابوا عنى فعرفت أنه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه [العاشرة] أن امرأة أسر الافرنج ولدها فلاذت به فأحضره إليها فى قيوده [الحادية عشرة] مر عليه رجل حامل قربة لبن فأومأ إليها بأصبعه فانقدت وانسكب اللبن وخرجت منه حية قد انتفخت ذكرها والتى قبلها ابن حجر [الثانية عشرة] أن حجرا أسود مثبتا فى ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس أنه أثر قدمى النبى صلى الله عليه وسلم وكل من زار الأستاذ يتبرك بمحل القدمين سعى جماعة عند بعض السلاطين فى إخراجه من محله ونقله للسلطان للتبرك به فأرسل السلطان جماعة من الجند يأخذون الحجر فلما هموا بقلعه صار الحجر مما لا يقدر أحد أن يأخذه وهو على الهيئة التى كان عليها قبل ذلك فخافوا وتركوه فى محله [الثالثة عشرة] قال الشعرانى ومما وقع أننى دخلت مع شيخى محمد الشناوى لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فشاوره الشيخ فى سفره إلى المدينة ليشترى رصاصا للحمام الذى عمره بطندتا فقال له سيدى أحمد البدوى من

وقال الكيس العاقل الفطن المتغافل. وقال الانبساط إلى الناس مجلبة للقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين منبسط ومنقبض، وله نظم بديع اشتهر منه كثير. وفضائله ومآثره أكثر من أن تحصى قد أفردت بتآليف كثيرة. وممن أفرد ذلك بالتأليف الإمام داود الظاهرى والساجى وابن أبى حاتم والآبرّى والحاكم والأصفهانى، والقطان

القبر سافر وتوكل على الله . قال الشعرانى فى المنن ومما وقع لى مع سيدى أحمد رضى الله عنه أنه جاء ودعانى أيام خروج الناس من مصر إلى مولده وقل إن زرتنى طبخت لك ملوخية فلما ذهبت إلى طندتا طبخ لى جميع من ضيفى فيها ملوخية مدة ثلاثة أيام من غير تواطؤ تصديقا لكلام الشيخ فى المنام وصار كل من دخل القبة يبدأ بالسلام علىّ قبل زيارة الشيخ حتى استحيت منه وكانت أم ولدى عبدالرحمن لها معى مدة سبعة شهور وهى بكر فجاءنى وقال اختل بها فى ركن القبة الذى على يسار الداخل وأزل بكارتها ففعلت فطبخ لى حلوى وملوخية حتى كفى أهل المولد فلما رجعت إلى مصر حصل ماأشار به فى تلك الليلة . قال الشعرانى ومما رأيته أنى كنت جالسا على سطح المقام وقت الزوال فرأيت هلال قبة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه يدور ويزعق كالحجر العظيم من حجارة المعصرة الذى ليس تحته حب فدار نحو ثلاث دورات ثم جاء الخبر بنصرة السلطان سليمان بن سليم من آل عثمان على أهل رودس فى ذلك الوقت وكذلك ماسمعنا تابوته يفرقع ويزعق إلا ويحدث فى المملكة أمر ، وعن المتبولى رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ ما فى أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبر فتوة منه ثم السيدة نفيسة ثم شرف الدين الكردى ثم المنوفى . قال ابن عربى الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان . وفى هذا القدر كفاية والله ولى التوفيق والهداية . قال بعضهم : ويؤثر عن سيدى أحمد البدوى شعر ، وهو قوله :

مجانين إلا أن سر جنونهم ... عزيز على أبوابه يسجد العقل

وقد عثرت على هذه الأبيات فأحببت أن أذكرها وهى :

أنا الملثم سل عنى وعن هممى ... ينبيك عزمى بماذا قلته بفمى
قد كنت طفلا صغيراً نلت منزلة ... وهمتى قد علت من سالف القدم
أنا السطوحى واسمى أحمد البدوى ... فحل الرجال إمام القوم فى الحرم
لك الهنا يامريدى لاتخف أبدا ... واشطح بذكرى بين البان والعلم
إذا دعانى مريدى وهو فى لجج ... فى قاع بحر نجا من ساحة العدم

توفى سيدى أحمد البدوى سنة خمس وسبعين وستمائة واستخلف بعده على الفقراء سيدى عبدالعال وسار سيرة حسنة وعمر طويلا إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واشتهرت أصحابه بالسطوحية ، نفعنا الله ببركاتهما وأمدنا من إمداداتهما آمين .

﴿ الرابع من الأربعة الأقطاب سيدى إبراهيم الدسوقى القرشى الهاشمى ﴾

وقد ذكر نسبه الشعرانى فى كتابه الطبقات بقوله : وهو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد ابن أبى النجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبى الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبى القاسم بن جعفر الزكى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنهم أجمعين اهـ . قال المناوى فى طبقاته سيدى إبراهيم الدسوقى شيخ الطائفة البرهامية صاحب المحاضرات القدسية والعلوم اللدنية والأسرار العرفانية أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق لهم العادات ذو الباع الطويل والتصرف النافذ واليد البيضاء فى أحكام الولاية والقدم الراسخ فى درجات النهاية انتهت اليه رياسة الكلام على خواطر الأنام وقد كان يتكلم بجميع اللغات من عربى وسريانى وغيرهما ويعرف لغات الوحش والطير (ومن كلامه) كما فى طبقات الشعرانى يجب على المريد أن لايتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضرا وان كان غائبا يستأذنه

والأستاذ أبو منصور البشدارى والبيهقى والإمام الرازى وابن المقرى والخطيب البغداد والدار قطنى والآجرى والسرخسى والصاحب بن عباد ونصر المقدسى وإمام الحرمين والزمخشرى والسبكى والحافظ ابن حجر وخلائق كثيرون مابين متقدم ومتأخر . توفى رضى الله عنه يوم الجمعة بعد العصر سلخ رجب سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة ودفن بالقرافة فى القبة المشهورة عليه من الأنس والرحمات

بالقلب

بالقلب وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام فى حق ربه عز وجل فان الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب وأسقاه من ماء التربية ولاحظه بالسر المعنوى الأولى فياسعادة من أحسن الأدب مع مربيه ويا شقاء من أساء وكان رضى الله عنه يقول : من عامل الله تعالى بالسرائر جعله على الأسرة والحظائر ، ومن خلص نظره من الانعكاس سلم من الالتباس ، وكان رضى الله عنه يقول الشريعة أصل والحقيقة فرع فالشريعة جامعة لكل علم مشروع والحقيقة جامعة لكل علم خفى وجميع المقامات مندرجة فيها ، وكان رضى الله عنه يقول يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه فى تأديته فرضه ونفله ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فان ذلك شغل منه عن مراده بل يفحص عن آثار الصالحين فى العمل ويواظب على الذكر .

ومن كلامه المنظوم رضى الله عنه :

سقانى محبوبى بكأس المحبة   فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجلالة لو أضا   لصم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا   أطوف عليهم كرة بعد كرة
ونادمنى سرا بسر وحكمة   وإن رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدا حفظت لعهده   وعشت وثيقا صادقا بمحبتى
وحكمنى فى سائر الأرض كلها   وفى الجن والأشباح والمردية
وفى أرض صين الصين والشرق كلها   لأقصى بلاد الله صحت ولايتى
أنا الحرف لا أقرا لكل مناظر   وكل الورى من أمر ربى رعيتى
وكم عالم قد جاءنا وهو منكر   فصار بفضل الله من أهل خرقتى
وما قلت هذا القول فخرا وإنما   أتى الإذن كى لا يجهلون طريقتى
تجلى لنا المحبوب فى كل وجهة   فشاهدته فى كل معنى وصورة

اهـ من طبقات الشعرانى : وان أردت أن تتضلع من كلامه المنثور والمنظوم فعليك بها . وذكر عن سيدى ابراهيم أنه صام فى المهد وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة وأن الدنيا جعلت فى يده كخاتم وأنه جاوز سدرة المنتهى وجالت نفسه فى الملكوت ووقف بين يدى الله تعالى وأنه فك طلسم السبع المثانى وأن قدمه لم تسعها الدنيا وقال رضى الله عنه وليت القطبية فرأيت الشرقين والمغربين وما تحت التخوم وصافحت جبريل عليه السلام .﴿ كرامات: الأولى﴾ جاء سبعة من القضاة يمتحنونه فلما وصلت مركبهم إلى البر بناحية دسوق أرسل النقيب لهم فدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أجسادهم وخلقت ثيابهم ثم تذكروا ما وقعوا فيه فتابوا هنالك فأرسل لهم النقيب فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق ومسح الله من قلوبهم تلك الأسئلة كلها واعترفوا بما كانوا جاءوا لأجله فقال لهم الشيخ رضى الله عنه قولوا ما عندكم من المسائل فضحكوا وقالوا يكفينا ما جرى لنا فأخذوا عليه العهد وصاروا من تلامذته حتى ماتوا كذا فى درر الأصداف [الثانية] قال المناوى خطف تمساح صبيا فأتته أمه مذعورة فأرسل نقيبه فنادى بشاطئ البحر معاشر التماسيح من ابتلع صبيا فليطلع به فطلع ومشى معه إلى الشيخ فأمره أن يلفظه فلفظه حيا وقال للتمساح مت بإذن الله فمات . [الثالثة] توجه بعض تلامذته إلى ناحية الاسكندرية لحاجة يقضيها لأستاذه فتشاجر مع رجل

والمهابة ما لا يخفى ، وقد دفن حول قبته أولياء كثيرون وأريد بعد مدة نقله إلى بغداد فلما حضروا عبقت رائحة عظيمة عطلت حواس الحاضرين فتركوا ذلك . وقال المزنى دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت كيف أصبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس الموت شاربا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى الله واردا فلا أدرى روحى إلى الجنة تصير فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول :

من السوقة في شأن حاجة اشتراها منه فاشتكاه السوقي إلى قاضي المدينة وكان جبارا ظالما متكبرا على الفقراء فلما وقف ذلك الفقير بين يديه أمر بحبسه وأراد ضربه بلا موجب بغضا في الفقراء فأرسل الفقير إلى شيخه سيدي إبراهيم يتشفع به في خلاصه فلما بلغه الخبر كتب إلى القاضي رقعة فيها هذه الأبيات :

سهـام الليل صائبة المرامى إذا وترت بأوتار الخشوع يقومها إلى المرمى رجال
يطيلون السجود مع الركوع بألسنة تهمهم في دعاء بأجفان تفيض من الدموع
إذا أوترن ثم رمين سهما فما يغنى التحصن بالدموع

فلما وصلت الرقعة إلى القاضي جمع أصحابه وقال لهم انظروا إلى هذه الورقة التي جاءت من هذا الرجل الذي يدعي الولاية بعد أن آذى حاملها بالكلام واحتقره ثم زاد في سب الأستاذ ثم أخذ يقرؤها فلما وصل إلى قوله * إذا أوترن ثم رمين سهما * خرج سهم من الورقة فدخل في صدره وخرج من ظهره فوقع ميتا نعوذ بالله من سوء الاعتقـاد في الصالحين والاعتراض على الأولياء العارفين فعند ذلك هاج الناس وآمنوا بكرامة الشيخ وأطلقوا الرجل مكرما معظما وأنعموا على الذي جاء بالرقعة إنعاما كثيرا بركة سيدي إبراهيم رضي الله عنه ذكرها الشيخ يوسف الخضري في كتابه روضة الناظر قال الشعراني في الطبقات تفقه سيدي إبراهيم الدسوقي على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس في مرتبة المشيخة وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثا وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة رضي الله عنه .

﴿ تتميم : في الكلام على مناقب القطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ﴾

كانت ولادته رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . وقد نقل ابن عباد نسبه من كتاب اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري بقوله : هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف ابن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اه وفيه أنه لم يكن في أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب وأن الذي أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد قال الشيخ كمال الدين ابن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اه فصوابه محمد ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب اللهم إلا أن يقال إن ولد الابن ابن قال بعضهم علي أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية قرب تونس نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار في الفضائل طيره وحمـد في الطريق سراه وسيره نظم فرقق ولطف وتكلم على الناس فقرط الآذان وشنف وطاف وجال ولقي الرجال وقـدم الاسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشي أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادي أمامه من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي رضي

الله

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يسلم من إبليس عابد
وكيف وقد أغوى صفيك آدما
ومن كراماته رضي الله عنه أنه لما احتضر دخل عليه

الله عنه ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية وسيرته النبوية ، وكان يقرأ ابن عطية والشفاء وأخذ عنه العز ابن عبد السلام وله أجزاء محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك؟ فقال أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فإنى أستقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية انتهى . قال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتى فإذا النداء ياعلى قد استجبنا لك . وكان يقول قيل لى : ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس عبد العظيم المنذرى ، وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك ، وكان رضى الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبد السلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبدالعظيم المنذرى وابن الصلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشفاء ويمشون بين يديه إذا خرج وكان رضى الله عنه يقول إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم على الله بى قال الشيخ أبو العباس المرسى والله ماذكرته فى شدة إلا انفرجت ولا فى أمر صعب إلا هان قال وأنت ياأخى إذا كنت فى شدة فأقسم على الله به وقد نصحتك والله يعلم ذلك قال الشيخ أبو عبد الله الشاطبى كنت أترضى على الشيخ فى كل ليلة كذا وكذا مرة وأسأل الله به فى جميع حوائجى فأجد القبول فى ذلك معجلا فرأيت رسول الله ﷺ فقلت له يارسول الله إنى أترضى على الشيخ أبى الحسن فى كل ليلة بعد صلاتى عليك وأسأل الله به فى حوائجى أفترى على فى ذلك شيئا إذ تعديتك فقال لى أبو الحسن ولدى حسا ومعنى والولد جزء من الوالد فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل وإذا سألت الله بأبى الحسن فقد سألته بى اهـ من شرح البنانى على الحزب . وحج مرارا قال ابن دقيق العيد مارأيت أعرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الاسكندرية إنه يقدم عليكم مغربى زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه فدخل الإسكندرية فآذوه فظهرت كرامات أوجبت اعتقاده رضى الله عنه . قال الشعرانى فى خاتمة المنن حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يقول: لا يكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع شماتة الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به ولما شاع أمره فى بلاد المغرب تجارأت عليه الأعداء والحسدة من كل جانب ورموه بالعظائم وبالغوا فى أذيته حتى منعوا الناس من مجالسته وقالوا إنه زنديق ولما أراد السفر إلى مصر كتبوا إلى سلطان مصر مكاتبات إنه سيقدم عليكم مصر مغربى من الزنادقة أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين وإياكم أن يخدعكم بحلاوة منطقه فإنه من كبار الملحدين ومعه استخدامات من الجن فما وصل الشيخ إلى مدينة الإسكندرية حتى وجد الخبر بذلك سابقا على مقدمه فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فبالغ أهل الاسكندرية فى إيذائه ثم رفعوا أمره إلى سلطان مصر وأخرجوا له مراسيم فيها ماليباح به دم الشيخ فمد يده إلى سلطان المغرب وأتى منه بمراسيم تناقض ذلك فيها من التعظيم والتبجيل مالايوصف تاريخه متأخر عن مراسيمهم فتحير السلطان وقال العمل بهذا أولى وأكرمه ورده إلى الاسكندرية مكرما ولما تزايد عليه الأذى توجه إلى الله تعالى وذلك أنه أرسل له سلطان مصر يسأله الدعاء ويتعطف بخاطره فكف الناس عنه الأذى حرمة للسلطان وبعضهم داوم على الأذى وكتبوا فيه للسلطان وقالوا يامولانا إنه سيماوى فتغير السلطان ثم أرسلوا إليه مكاتبات أنه يضرب الزغل وأنه كيماوى وحذروا الناس من مجالسته واتفق أن

جماعته فقال أما أنت ياأبا يعقوب فتموت فى قيودك وأما أنت يا مزنى فيكون لك بمصر هنات وهنات وأنت يا ابن عبد الحكم ترجع إلى مذهب أبيك وأنت يا ربيع أنفعهم فى نشر الكتب ، ثم قال ياأبا يعقوب تسلم الحلقة فكان الأمر كما قال فان أبا يعقوب وهو البويطى كان يحسده ابن أبى الليث الحنبلى قاضى مصر فسعى به إلى الواثق بالله أيام المحنة بالقول بخلق القرآن فأمر بحمله لبغداد مع جماعة آخرين من العلماء لحمل اليها

خازندار السلطان محمد بن قلاوون وقع فى أمر يوجب القتل عند الملوك فأمر بشنقه فهرب واختفى بالاسكندرية وأقام عند الشيخ فبلغ الخبر السلطان فكتب إليه ما كفاك ضرب الزغل حتى إنك تؤوى غريم السلطان فأرسله ساعة وصول كتابنا إليك وإلا فعلنابك وفعلنا فلم يرسله الشيخ فغضب السلطان وأرسل يتوعد الشيخ بالقتل ويقول له كيف تتلف مماليك السلطان فلما وصل إليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان قال له الشيخ معاذ الله أن تتلف أحدا من مماليك السلطان وإنما نحن نصلحه ثم قال لقاصد السلطان ائتنا بما شئت من الرصاص من حواصل السلطان حتى أريك الإصلاح فأتى بشىء كثير فألقاه الشيخ فى فسقية جامع من غير ماء وقال للخازندار بل على هذا الرصاص فبال عليه فصار ذهبا خالصا فقال له أهذا إصلاح أم إفساد ؟ فقال إصلاح ثم أمر القاصد بحمل ذلك إلى خزانة السلطان فوزنوا ذلك فوجدوه خمسة قناطير فقال هذا هدية لمولانا السلطان وقل له يرضى عن مملوكه فرضى عنه ثم إن السلطان نزل إلى زيارة الشيخ فى الاسكندرية وأضمر فى نفسه أن يعلمه صنعة الكيمياء فقال له كيماؤنا التقوى فاتق الله يعلمك حرف كن ثم لم يزل معظما للشيخ حتى مات اه .

(وحكى) المرسى رضى الله عنه عن شيخه صاحب الترجمة قال صليت خلفه صلاة فشهدت ما بهر عقلى شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه وقال المرسى رضى الله عنه جلت فى الملكوت فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش فقلت له ما علومك؟ فقال أحد وسبعون فقلت ما مقامك؟ قال رابع الخلفاء ورأس السبعة قال فقلت فما تقول فى الشاذلى قال زاد علىّ بأربعين علما وهو البحر الذى لا يحاط به . ولما دخل الشاذلى رضى الله عنه الاسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطى فوقف بظاهرها فاستأذنه فقال طاقية لا تسع رأسين فمات أبو الفتح فى ليلته وذلك أن من دخل بلدا على فقير بغير إذن فمهما كان أحدهما أعلى من الآخر سلبه أو قتله فلذلك ندبوا الاستئذان (ومن كلامه رضى الله عنه) إن أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من الباقيات الصالحات، وقال من أحب أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته ورحمته ، وقال رضى الله عنه لا يشم رائحة الولاية من لم يزهد فى الدنيا وأهلها ، إذا افتقرت فسلم وإذا ظلمت فاصبر واسكت تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة ، وقال رضى الله عنه من أدب مجالسة الأكابر عدم التجسس على عقائدهم ومن أدب مجالسة العلماء عدم تحديثهم بغير المنقول ، وقال رضى الله عنه رأيت أنى مع النبيين عليهم الصلاة والسلام فقلت اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية عما ابتليتهم فهم أقوى منى فقال لى قل وما قدرت علينا من شىء فأيدنا فيه كما أيدتهم ، وقال رضى الله عنه نمت ليلة فى سياحتى فطافت بى السباع إلى الصبح فما وجدت أنسا كتلك الليلة فأصبحت فخطر لى أنه حصل لى من مقام الأنس بالله شىء فهبطت واديا فيه طيور حجل فأحست بى فطارت فخفق قلبى رعبا فنوديت يا من كان البارحة يأنس بالسباع مالك وجلت من خفقان الحجل لكنك كنت البارحة بنا واليوم بنفسك وكلامه رضى الله عنه كثير عال كبير تركناه مخافة التطويل، وقد أفرد ابن عطاء الله ما يتعلق بالشيخ بالتأليف فكان مجلدا حافلا ، وقد ذكر الشيخ الشعرانى فى طبقاته نبذة عظيمة من كلامه فعليك به قال أبو الحسن صاحب الترجمة رضى الله عنه رأيت الخضر عليه السلام فقال يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحبا فى المقام والرحيل .

على بغل مغلولا مقيدا مسلسلا فى أربعين رطلا من حديد وطلب منه القول بذلك فامتنع فحبس ببغداد وهو على تلك الحالة إلى أن مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين وكان ذلك يوم جمعة . وأما المزنى فعظم شأنه بعد الشافعى عند الملوك فمن دونها . وأما محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فانتقل قبيل وفاته إلى مذهب مالك لأنه كان يروم أن الشافعى يستخلفه بعده فى حلقته فلم يفعل

[وصية عظيمة للشيخ وجدتها فى حياة الحيوان] قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : كن متمسكا بهذه الصفات الحميدة تفز بالدارين. لاتتخذ من الكافرين وليا ولا من المؤمنين عدوا وارحل بزادك من التقوى فى الدنيا وعد نفسك من الموتى واشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة وحسبك عمل صالح وإن قل وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فمن كان متمسكا بهذه الصفات الحميدة ضمن الله له عز وجل أربعة فى الدنيا الصدق فى القول والإخلاص فى العمل والرزق كالمطر والوقاية من الشر وأربعة فى الآخرة المغفرة العظمى والقربة الزلفى ودخول جنة المأوى واللحوق بالدرجة العليا ، وإن أردت الصدق فى القول فداوم على قراءة إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وإن أردت الرزق كالمطر فداوم على قراءة قل أعوذ برب الفلق ، وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة قل أعوذ برب الناس ، وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين نعم المولى ونعم النصير واقرأ سورة الواقعة وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر ، وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب فالزم الاستغفار ، وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك فقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون ، وإن أردت أن تعرف أى وقت تفتح فيه أبواب السماء ويستجاب فيه الدعاء فاشهد وقت نداء المنادى فأجبه ففى الحديث «من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادى» والمنادى هو المؤذن ، وإن أردت أن تسلم من أمر يربكك فقل توكلت على الحى الذى لايموت أبدا والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ، وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك فقل اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم جلاء قلبى وذهاب همى وغمى فيذهب عنك همك وحزنك ، وإن أردت أن يداويك الله تعالى من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم فقل ماورد فى الحديث لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنها دواء مما ذكر ، وإن أردت أن تنجو مما يصيبك من مصيبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتى فآجرنى وأبدلنى خيرا منها ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وعلى الله توكلنا ، وإن أردت أن يذهب همك ويقضى دينك فقل ماورد عن النبى ﷺ حين سأله السائل فقال ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك ويقضى دينك قال بلى يارسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الدين وأعوذ بك من قهر الرجل ، وإن أردت أن توفق للخشوع فاترك فضول النظر ، وإن أردت أن توفق للحكمة فاترك فضول الكلام ، وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة فعليك بالصوم وقيام الليل والتهجد فيه ، وإن أردت أن توفق للهيبة فاترك المزاح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة ، و إن أردت أن توفق للمحبة فاترك فضول الرغبة فى الدنيا ، وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك فاترك التجسس على عيوب الناس فإن التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان ، وإن أردت أن توفق للخشية فاترك التوهم فى كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق ، وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء فاترك الظن السيء لكل من الناس ،

واستخلف البويطى وكان أبوه عبدالله على مذهب مالك ومن أكابر أصحابه وروى عن الشافعى أشياء قليلة . وأما الربيع والمراد به حيث أطلق الربيع المرادى فعاش بعد الشافعى قريبا من سبعين سنة ورحلت إليه الناس من أقطار الأرض ليأخذوا عنه مذهب الشافعى ويرووا عنه كتبه قال الربيع رأيت فى المنام قبل موت الشافعى بأيام أن آدم مات ويريدون أن يخرجوا بجنازته فسألت أهل العلم فقالوا

وإن أردت أن لايموت قلبك فقل كل يوم مرة ياحى ياقيوم لاإله إلا أنت ، وإن أردت أن ترى النبى ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة «إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت » وإن أردت أن ينور وجهك فداوم على قيام الليل ، وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم ، وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات وأكل المحرمات وارفض الشهوات ، وإن أردت أن تكون أغنى الناس فلازم القناعة ، وإن أردت أن تكون خير الناس فكن نافعاً للناس ، وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكا بقوله ﷺ « من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات ليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ قال أبو هريرة قلت أنا يارسول الله فأخذ بيدى وعد خمسا وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولاتكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين فاعبدالله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وإن أردت أن يكمل إيمانك فحسن خلقك وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين ففى الحديث « إذا أحب الله عبدا صير حوائج الناس إليه» وإن أردت أن تكون من المطيعين فأدّ ما فرض الله عليك ، وإن أردت أن تلقى الله نقيا من الذنوب فاغتسل من الجنابة ولازم غسل الجمعة تلق الله وما عليك ذنب ، وإن أردت أن تحشر يوم القيامة فى النور الهادى وتسلم من الظلمات لا تظلم أحدا من خلق الله تعالى ، وإن أردت أن تقل ذنوبك فالزم دوام الاستغفار ، وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر فلازم الطهارة الكاملة ، وإن أردت أن تكون آمنا من سخط الله تعالى فلا تغضب على أحد من خلق الله تعالى ، وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الربا وأكل الحرام وأكل السحت ، وإن أردت أن لايفضحك الله على رؤوس الأشهاد فاحفظ فرجك ولسانك ، وإن أردت أن يستر الله عليك عيبك فاستر عيوب الناس فإن الله ستار يحب من عباده الستيرين ، وإن أردت أن تمحى خطاياك فأكثر من الاستغفار والخضوع والخشوع والحسنات فى الخلوات ، وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق والتواضع والتصبر على البلية ، وإن أردت السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع ، وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم ، وإن أردت أن يقضى الله عنك الدين فقل ما قاله النبى ﷺ للأعرابى حين سأله وقال عليه الصلاة والسلام له لو كان عليك مثل الجبال دينا أداه الله عنك قل « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك » وفى الحديث لو كان على أحدكم جبل من ذهب دينا فدعا بذلك لقضاه الله الله عنه وهو «اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنينى بها عمن سواك » ، وإن أردت أن تنجو من هلكة فالزم ما فى الحديث «إذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإن الله تعالى يصرف عنك ماشاء من أنواع البلاء » والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك ، وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد فى الحديث « اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » أو تقول « اللهم اكفنا بما شئت وكيف شئت إنك على كل شىء قدير» وإن أردت أن تأمن سلطانا فقل ماورد فى الحديث «لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات

هـذا موت أعلم أهل الأرض لأن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فما كان إلا يسيرا حتى مات الشافعى وقال أحمد بن حنبل رحمه الله رأيت الشافعى فى المنام فقلت ياأخى مافعل الله بك؟ قال غفر لى وتوجنى وزوّجنى وقال لى هذا بما لم تزه بما أرضيتك ولم تتكبر فيما أعطيتك . هذا وقد كان بجانب القبة مدرسة تسمى الصالحية قد هجرت وتعطل غالب شعائرها وقلّ الانتفاع منها فهدمها حضرة المشار إليه أحسن

السبع

السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك لا إله إلا أنت» . ويستحب أن يقول ماتقدم اللهم إنا نجعلك فى نحورهم الخ وفى الحديث «إذا أتيت سلطانا مهابا تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعا الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر والحمد لله رب العالمين » وإن أردت ثبات القلب على الدين فادع بما أسند مرفوعا أنه كان من دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم ثبت قلبى على دينك وفى رواية « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » اه

توفى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه سنة ست وخمسين وستمائة وهو قاصد الحج فى شهر رمضان ودفن بصحراء عيذاب بحميثرا من الصعيد وكان ماؤها أجاجا فعذب .

(ومن كراماته) زيادة على ماسبق مانقله ابن بطوطة فى رحلته ، قال : أخبرنى الشيخ ياقوت العرشى عن شيخه الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه أن أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يحج كل سنة ، فلما كان فى آخر سنة خرج فيها قال لخادمه استصحب فأسا وقفة وحنوطا ، فقال له الخادم ولماذا ياسيدى؟ فقال فى حميثرا سوف ترى ، وحميثرا بصعيد مصر فى صحراء عيذاب فلما بلغ حميثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وصلى ركعتين فقبضه الله تعالى فى آخر سجدة من صلاته ودفن هناك . قال : وقد زرت قبره وعليه قبة مكتوب عليها نسبه إلى الحسين رضى الله عنه كذا بالنسخة التى بيدى وهو مخالف لما مر من أن نسبه ينتهى إلى الحسن ومن حفظ حجة ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

يقول مؤلفه السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى : كان الفراغ منه يوم الخميس المبارك السادس والعشرين من شهر الله الحرام رجب الذى هو من شهور سنة تسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين والثقلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الله وقوفه بين يديه . مع أما كن قد اشتراها وبنى الجميع مسجدا عظيما متسعا سنة خمس وسبعين ومائة وألف وأقام تلك الشعائر فانتفع بها الساكنون والزائرون انتفاعا كليا .

والله أسأل أن يختم لنا بالايمان إنه على ما يشاء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال مؤلفها عليه سحائب الرحمة والرضوان : تمت يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من رمضان سنة ١١٨٥هـ.

تم بحمد الله طبع كتاب « نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار » للشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى .

وبهامشه « إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين » للشيخ محمد بن على الصبان عليهما الرحمة والرضوان . مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برياسة :

أحمد سعد على

القاهرة فى [يوم الخميس الموافق ٢٥ رجب سنة ١٣٦٨هـ — ٣ يونيه سنة ١٩٤٨ م]

ملاحظ المطبعة — مدير المطبعة

محمد أمين عمران — رستم مصطفى الحلبى

فهـــرس

﴿كتاب نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار صلى الله عليه وسلم﴾

صحيفة

صحيفة

[تمت]

فهرس

إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفضائل أهل بيته الطاهرين

صحيفة

Thanks to Brother Nasiruddin Arif
We made this Electronic copy for our children + Ulma living abroad who know Arabic

TALIBE DUA
NAZAR ABBAS
1-3-2010